النجم اللامع للنوادر جامع

أخبار وأشعار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر

برواية محمد العلي العبيد رحمه الله

نسخة مصححة ومنقحة وملحق بها فهرس بالأعلام والأماكن

نسخها عبدالحكيم المفوز النسخة الثانية ١٤٤٠هـ

Hakeem263@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتكل وبه نستعين، النجم اللامع للنوادر جامع وفيه أخبار العرب المتأخرين، خصوصا أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر هجرية وقد جمعت فيه أخبارهم وأنسابهم وحروباتهم وأشعارهم ووقائعهم وأسباب حدوثها بينهم حسب ما استطيعه وإني أتقدم الى القراء الكرام بمعذرتي من التقصير بغير قصد حيث إني أتجاوز شيئا من السنين لم أذكره وهو لأحد أمرين إما أنه لم يكن عندي احاطة بتلك السنة المهمل ذكرها واخشى أني اذكر شيئا خلاف الصواب أو تكون هذه السنين المهمل ذكرها ليس فيها فائدة واتركها عمدا، فعلى إحدى الحالتين جرى ذلك وسبحان المحيط بكل علم ومن لا تخفى عليه خافية وإننا نذكر للقراء أننا نكثر بكتابنا هذا من الأشعار النبطية وذلك حسب الظروف الراهنة فإن الحوادث المتأخرة والوقائع لا يلائمها الا الأشعار النبطية فهي التي تذكر أسبابها ومسبباتها ومجاري عوائد أهلها فلذا الجأتنا الضرورة الى ذكرها وقرنها بالوقائع التي هي شواهد على الوفاء وهي التي تفسر اكثر ما يحدث بين القبائل وتزيل الاشكال فهي التي تنبي عن قصصها وما جرى بين أهلها ولم ندخر شيئا من التحري للصدق والصواب والله بسر المستقبل عليم

المؤلف

محمد العلي العبيد

من أهالي عنيزة[١]

---

[١] نهاية ص ١ من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمدلله الكافي بالإسلام فقط لا سواه، الذي حكم على نفسه بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عبده وينساه، الهادى الى سبيله من احبه واجتباه المبعد عن بابه من استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله غيره ولا رب لنا سواه واشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي اسس قواعد الدين الحنيف واتم بنيانه واعلاه صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه الذين قاموا بنصرته وتمسكوا بسنته وجاهدوا تحت رايته واعتصموا بحبل الله وسلم تسليما أما بعد فإني وثقت بعون الله وتسديده على اخراج هذا التاريخ المجيد حين اغفل تاريخ المتأخرين روحا من الزمن مستفتحا بقول الصحابي الجليل شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه بحيث يقول

أبلغ قريشا وخير القول اصدقه　　والصدق عند ذوي الالباب معقول

وإني لم اضع في كتابي هذا الا ما شاهدته بعيني أو نقلته من رجال ثقات اعتمد على صدقهم وحفظهم لما يشاهدونه أو يروونه ويحق لي أن استشهد بقول النابغة الذبياني [١]

لعمري لقد لاقيت مالم تلاقيا　　وسيرت في الاحياء ما لم تسيرا

---

[١] هذا البيت للنابغة الجعدي رضي الله عنه

وإني أمضيت نيفا وثلاثين سنة وأنا اتجول بين البوادي ما بين حرب وشمر ومطير وعتيبة وقحطان وسبيع والبقوم والشلاوى والدواسر وهتيم وكلهم عرفت اسماءهم وأسماء زعماءهم وأسماء عوائدهم أما القبائل التي سردنا اسماؤها أعلاه ويتبعهم العجمان والمرة وبني خالد وقبيلة بني هاجر وهم يسكنون الاحساء وما حوله وهم من قبيلة قحطان فهم في هذه الفترة التي كان حكام الحضر مشغولين عنهم إما بضعف سلطان أو بحروبات داخلية تشغلهم عن بث الامن في رعاياهم فمدة ذلك الوقت الطويل فهم مطلقين على بعضهم، ليس بينهم حاجز يردعهم ولا وازع يقهرهم، فكل من رأى نفسه في قوة أغار على القبيلة الثانية ونهب أموالهم وقتل رجالهم بقدر ما تمكنه القوة من ذلك[١] ، حيث إنهم لا يرون به باس، ويسمون ذلك وضح النقى إذا لم يداخله غدر أو خيانة. ثم إننا نرجع الى ما ذكرنا أعلاه بتسميتنا كتابنا هذا **النجم اللامع للنوادر جامع** فإنه لم يرتكز على أشعار عربية، حيث إن أشعاره وشواهده ووقائعه كلها تتماشى مع لغة المتأخرين الذين لا يعرفون الشعر العربي ولا يقرؤونه، ومع أن أشعارهم النبطية بقافية ووزن حروف لا تقبل الانكسار، وقد رتبت هذا الكتاب على عدة فصول وجعلت لكل قبيلة فصل ولكل حاكم فصل متسلسل بما يتبعه من العوائل والله المسئول أن يسدد خطانا وأن يمدنا منه بمعونة تصيب الهدف المقصود، وإني أناشد القارىء أن يغض الطرف عن الانتقاد فكل عبد مذنب لا يخلو من الخلل ومن الزلل فإني لم اتي بشيء من عندي ولم ادخر شيئا من جهدي

[١] نهاية ص ٢ من المخطوطة

بكل ما ارويه عمن سبقني بالفضل وبالسن فمن رأى قصة نادرة فليستفد منها بقدر قريحته ومن رأى إعوجاجا فليقومه بفهمه فقد يكن بالمفضول مالم يكن بالفاضل والحق ضالة المؤمن والله المستعان .

الفصل الأول في بداية شعر النبط بالجزيرة العربية

أول من تكلم بشعر النبط رميزان وأخوه رشيدان التميميان من أهل روضة سدير، هم وخالهم جبر بن سيار من بني خالد من أهل القصب البلد المعروفة من مقاطعة الوشم ما عدا أشعار تروى عن بني هلال الله اعلم بصحتها، وهؤلاء الثلاثة المذكورين عاشوا في القرن العاشر للهجرة وأول القرن الحادي عشر، ولنذكر نبذة من أشعارهم، فحينما اشتكي عليه خاله جبر المذكور، من قليب له انقلبت مالحة بعد ما كانت عذبة، وكان المذكور شجاع صارم وله قبيلة وأبناء عم يود أن يكونوا شجعان كلهم، حيث إنهم في ذلك القرن لم يكن فوقهم وازع قاهر يمنعهم عن قتل بعضهم بعض، فكل منهم يعتمد على سيفه وشجاعته وقوة جنانه ورباطة جأشه، فمن طبيعتهم أنهم يمقتون الجبان من بينهم ولا يقيمون له وزنا ولو كان اقرب قريب منهم، فكان جواب رميزان حينما اشتكى عليه خاله جبر هذه القليب التي انقلب ماؤها ملح اجاج بعد عذوبتها بأن قال لخاله مجيبا له، وهو جبر بن سيار المذكور ومتلهفا على أبناء قبيلته الذين خالفوا اباءهم الشجعان بأن صاروا جبناء:[١]

[١] نهاية ص ٣ من المخطوطة

يا جبر تشكي الملح واشكي رفاقة
اظن عدمها خير لي من وجودها
بذرت الحساني بالحصاني وغرني
مصافى الحصاني عن مصافاي اسودها
يا حيف يا شم المناعبر خلفوا
اراذل عميان تبي من يقودها
من مات ما ارث من ذراريه مثله
فهو ميت موت الضوا عن وقودها
موت الفتى موتين موت من الفنا
وموت من اخلاف الذراري جدودها
تهيا لنا في مقرن السيل عركة
لك الله يا من شافها ما يعودها
وحكرنا لها وادي سدير غصيبة
بمصقلات مرهفات حدودها
ياما نسقي غرسها برد جمها
وبالقيض من جمة بطاحي برودها
الأشرار شبوها والانذال قدحها
والاخيار والمال المنمى وقودها
تسمع نقين بعجزهم بايمن شعيبها
نقين بكلاب مخليات عدودها

انتهت: وكان يذكر وقعة جرت بين أهل البلد عند السيل، وكان السيل نصيبا للغالب على المغلوب ويقال إنه قتل في هذه الموقعة عند السيل . ولنذكر القارىء أن الشجاعة في كل رجل عربي فهذا رميزان هو الذي باشر القتال بنفسه حينما اختصم هو وبني عمه عند السيل، هم يريدون أن يوجهونه الى نخليهم وهو يريد أن يعدله على نخله واملاك قبيلته حتى غلبهم على ذلك كما هو معروف من قصيدته، وكان من طبيعة العرب أنهم يقدمون الشجاع حتى على الكريم نفسه، وكان الكريم عندهم إذا لم يكن فيه شجاعة يلقبونه بلقب "ابن اجواد" وهذه كلمة ناقصة وتحط من قدر الملقب بهذا اللقب، وربما أن قسم كبير من نساء البدو يعشقن الشجاع وتمكنه المرأة من نفسها الا من عصمها الله، ومثال ذلك أن إبنة جميلة بين امها وابيها

فخطبها صايل الخراص من ابيها وهو شيخ ذوي عطية من اطيب فرس عتيبة، فرده ابوها، ثم خطبها فارع بن شليويح وكان فارسا شجاعا لا يشق له غبار وناهيك به أن أبوه شليويح الشاعر الفارس المشهورفرده ابوها وزوجها شاوي من بني عمه صاحب غنم فقالت أمها في ذلك:

مرافق الشاوي عليّه بلاوي	اللي على المرقاب يومي شليله
ورا قليل الفيد ما اعطاك ابن زيد	عيد الركيب اللي بعيد مقيله[1]
والا بعد صايل مقدي الاصايل	اللي له العوص النجايب دليله
والا بعد فارع طويل المذارع	مضراب شلفا له تبت الجميلة

ومما يروى لنا عن بنت بداح بن قطنان شيخ قبيلة سبيع أهل رنية أن أهلها ذات يوم راحلين ففاجئتهم غارة من قحطان، خيل وركاب فكانت الفرسان تتطاعن بالرماح وتتجالد بالسيوف فكانت البنت تنظر بعينيها فنظرت الى فارس من فرسان أهلها يفتك بالخيل فتكا ذريعا وإذا به صانع أهلها الذي يحذي خيلهم واسمه دبيس وهو على حصان اشقر اللون فقالت على البديهة مباشرة وهي تنظر الى فعله:

لو خيروني في هل الخيل ابختار	راع اشقر يثني مع الحاذيات
ياليت جدي عق الخيل مسمار	والا ان جده ماهو من الصانعات

تأمل أيها القارىء الى شغفهن بالشجاع، فلن تبالي أن يكون جده صانع، أو يكون جدها عريب النسب، وجل مقصودها أن تلتئم معه على أي الحالتين، ومما يروى لنا أن عبدا لتركي

[1] نهاية ص ٤ من المخطوطة

الهزاني صاحب الحريق، وهو حريق نعام المشهور، أنه كان شجاعا كريما واسمه شديد وهو معتوق لتركي المذكور امير البلد، ومتزوجا عندهم وله أولاد، فحدث ذات يوم أن عمانه اتهموه بتهمة خاطئة ثم تبين لهم بعد ذلك أنه بريء من هذه التهمة ولكنه بعدما اعترفوا له بالبراءة لم يقنع ولم يرض عن نفسه بأن يقيم عندهم بعد الذي مضى فتغافل اسياده ذات يوم ونزع بأولاده وأثاثه وما يملكه وسكن حوطة بني تميم، ولما كان من قبل مقيما عندهم كان هو صاحب الكلمة النافذة وهم مفوضينه على كل شيء من خرجهم ودخلهم وفلائحهم وعلى ضيفهم وعلى تدبير جميع ما يملكون من أموالهم ومواشيهم، فلما رأى اسياده وفقدوا منفعته لهم رأوا أن لا مناص من ارضائه ورجوعه اليهم لكفاءته وكرمه وحسن تدبيره، لذا قام عمه تركي وجمع أولاده وإخوانه وبني عمه وشدوا على اثني عشر مطية وتوجهوا له في الحوطة واناخوا ركابهم عنده كما هي العادة للضيف وباشرهم بنفسه مباشرة حسنة وحين ماقدم لهم الطعام اقسموا عليه أن لا تمسه أيديهم حتى يذعن للرحيل معهم فخدعهم بأن قال لهم أنتم كلوا عشاكم وما اتيتم له تام من عندي ولما اكلوا وطلبوا منه أن يرتحل كما وعدهم فوجه الخطاب الى عمه تركي بأن قال له يا عم اسمع مني[١] هذه الكلمات:

[١] نهاية ص ٥ من المخطوطة

يا عم يا اللي سفرته للنضى عيد ومن جاع في نجد تذكر متاعه
مرخص بعمره دون عار الاجاويد ونفاد ماله في سنين المجاعة
وليت يا عبد الخطا باعه السيد ليته تغلى بالثمن يوم باعه
بيعة حصان يفرع الخيل وان قيد وان طالت الغارة عقبها بساعة
سباق لاجناسه على صحصح البيد ما هوب اصيل مير اخذها بذراعه
من عادكم يا عم لا عاده العيد عساه يعطى بالحشا سم ساعة
والا حسير بين دور الاجاويد يمشي معلق مخرفه في ذراعه

فلما اكمل قصيدته ارتحلوا من ساعتهم وتركوه آيسين من رجوعه اليهم .

ومما يروى لنا عن إبراهيم بن سليمان العنقري وكان في مبتدأ القرن الثالث وكان امير بلدة ثرمداء من مقاطعة الوشم وله شوكة وصولة، وكان أولاده ثمانية، كلهم فرسان يركبون الخيل وينكلون العدو، فحدث ذات يوم أن صاح الصايح بأن مجموع ابلهم أُخذت، وكان يفزع في وقت أمارته سبعين فارس من عموم ثرمداء، ففزعت الخيل التي عنده ويممت جهة الصايح فتوافوا بالابل يشيعونها، فخالطوهم فيها فحصل بينهم وبين العدو قتال شديد، فخلصوا ابلهم من ايدي العدو وانهزم عدوهم بعد جلاد وطعان، فلما رجعوا الى البلد قابلهم الامير بوقت رجوعهم فسألهم أي أولادي اطيب ؟ فذكروا له أنهم كلهم فرسان ما عدا ولدك بداح من أولادك هو الذي تأخر، كما كان يفعل من قبل وكانت هذه منه نبوة، فقال ابوه لمن عنده لا تمكنوه من النزول من الفرس من طريق السرج احسلوه من الخلف ففعلوا فيه فاصابته بعد ذلك نعرة لا تقف عند حد، وهرب عن ابيه من يومه وقصد العراق، وكان في ذلك الوقت

يكتبون الترك عسكر عقيلات، وكلهم أهل نجد، فدخل معهم وتأمر عليهم فكان فارسهم فحدث ذات يوم أن اغارت قبيلة تسمى الفضول على قبيلة أخرى تسمى البدور وكان بداح المذكور له القدح المعلى في تلك الغارة فطعن بالرمح حتى تكسر في يده ثم ضرب بالسيف حتى انقطع في يده ثم انهالت الفرسان بعد انقضاء المعركة تلعب منتصرة على عدوها[١] كعادة العرب ومع المتفرجين ابنة جميلة من بنات البدور فسألوها عن بداح: أهو فارس ؟ فقالت: خيال الحضر زين عرضة فسمع كلامها وأجابها على البديهة بأن قال:

هيا عطينا الحق هيا عطينا	واما عطيتينيه والله لاصيح
لاصيح صيحة من غدا له جنينا	والا خلوج ضيعوه السراريح
الصدق عندك كان ما تجحدينا	تعنزي بالصدق يا هابة الريح
وراك تزهد يا اريش العين فينا	وتقول خيال القرى زين تصفيح
يوم الفضول بحلتك شارعينا	والخيل باخوانك سواة الزنانيح
يوم انكسر رمحي مشعت السنينا	وادعيت عنك الخيل قب مشاويح
الطيب مهب بس للظاعنينا	قسم وما بين الوجيه المفاليح
البدو واللي بالقرى نازلينا	كل عطاه الله من هبة الريح

فحينئذ اعترفت له بشجاعته واذعنت ثم خطبها من أهلها وتزوجها، وهذه ميزة الشجاع عند البادية يزوجونه بناتهم حين يخطب، أما عند الحاضرة فيما سبق فهم يزوجون أهل المنسب الطيب أهل السيرة المحمودة من دين وعقل ومكارم اخلاق ولا يضره الفقر عندهم إذا كان فقيرا وهو حاو لهذه الخصال النبيلة، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال لا يرده أحد يخطب منه، وأما جيلنا هذا فيفضلون المال مع أي إنسان يكون، ولا يسألون

---

[١] نهاية ص ٦ من المخطوطة

على النسب ولا عن الشرف ولا عن مكارم الاخلاق بأكملها ولم يبق الا نوادر من الناس يقدرون الفارق بين ذلك وقد قال بديوي الوقداني شاعر الشريف عبدالله بن محمد بن عون حيث يقول:

والزوج وش عذرها في ترك واجبها   صار الحسب و النسب في جمع الاموالي

أي من كان عنده مال فهو الحسيب النسيب ولو كانت اخلاقه منحطة، وسنورد ترجمة هذا الشاعر وشيء من أشعاره في موضعها إن شاء الله، وليعلم القارىء الكريم أني حريص على اختصار الالفاظ متى استوفت المعاني وأني لم ادون من الأشعار الا ما كان منها مناسبا على حسب الوقائع والظروف الملائمة لها حيث إني اعمد الى القصيدة واكتب منها بقدر اللازم واترك[1] اكثرها خشية من الاطالة والملل الا ما كان من بضع قصائد فإني استوفي اثرها حيث إن الفائدة لم تحصل الا بذلك وإذا تامل القارىء بنقد لاذع وفكر ثاقب وجد في أشعار النبط مثل ما يجد من أشعار العرب فهي معاني مستوفية الفائدة وإن اختلفت في الالفاظ، وإنك ستجد في الشعر النبطي مثل الشعر العربي من الفخر والحماسة والمديح والهجاء والعشق والتشبيب والرثاء والاغراء فكأنها أشعار سلبت المعاني وبقيت الفاظها وإذا تاملنا الفرق بين شعراء المتقدمين والمتأخرين فلا تجد الا اختلاف اللغة ومثاله بيت تركي بن حميد حيث يقول

عرج باهلهن ثم حوم القرانيس   على الطريح مصوبرات كظوم

ويقارب لمعناه قول عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي

---
[1] نهاية ص ٧ من المخطوطة

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

وإذا كررت النظر تجد الفصاحة غريزة في أشعار العرب العربي منها والنبطي، ومثاله ما قال ابن بطرس [1]المسيحي وكان شاعرا بليغا:

لعمرك ما داعي الفصاحة ملة ولا نسب حتى الام و اهجرا

فذانك فضل الله يؤتيه من يشا ولن يتنتهي فضل الاله ويحصرا

فصل في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسبه ومولده وابتداء دعوته رحمه الله مع تاريخ وفاته ، ولد الشيخ رحمه الله في سنة الف ومائة وخمسة عشر هجرية وتوفي سنة ١٢٠٦هـ فكان عمره واحد وتسعين سنة رحمه الله رحمة الابرار واسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار وكان وجوده في نجد رحمة وبركة على الناس وايامه كلها أيام هدى ونور ساطع فحينما قربه الأمير محمد بن سعود قام معه بنصرة الحق ونصر المظلوم وقمع الظالم وتعاهدوا وتآزرواعلى القيام باحكام الشريعة المحمدية فلقد قاموا باحكام الشريعة خير قيام واعانهم مولاهم على ذلك وناهيك بمن لا ناصر له الا الله، وفضاءله اكثر من أن تحصى، وكان رحمه الله يقلد مذهب الإمام احمد بن حنبل الا أنه مجتهد يأخذ من الاحاديث الصحيحة اصحها وهو ما كان ينتهي اسناده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] دون انقطاع السند ويحق لكل عالم مثله ويتبع ما وافق الصواب على القول الصحيح وكان رحمه الله كثيرا ما يأخذ بأقوال شيخ الإسلام احمد بن تيمية ويحق

---

(1) بطرس بن إبراهيم كرامة شاعر واديب من مواليد مدينة حمص (١٧٧٤ - ١٨٥١ م)

(2) نهاية ص ٨ من المخطوطة

لكل عالم أن يتمسك بأقوال شيخ الإسلام فإنه قدوة الأنام! وكان الشيخ محمد رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهو قوله:

بأي لسان اشكر الله إنه لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام اعظم منة وبسنة المعصوم ازكى الشعائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي يوم كشف السرائر

وجملة القول أن تاريخ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حافل بالخيرات والبركات، أن يتغمده الله برحمته وأن يسكنه فسيح جنته وأن يجزاه عن المسلمين خير الجزاء إنه جواد كريم غفور رحيم وقد جرت سنة الله في خلقه أن القدح والمدح موجود في كل زمان وفي كل مكان واكثره عند العلماء ومع ما عددنا وعدد المؤرخون من فضائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يخلو من ضد يثلب ويعيب، ولكن الضد الذي يعير سامعه اقوال المتشدقين فهو كوصف الذباب ينظر مكان الجرح فيقع عليه ويترك سائر الجسد الصحيح، فقد جرت محاورة عند السلطان محمد رشاد في سنة ١٣٣٥ هـ وكان عنده رشيد بن ليلي، مندوبا لسعود بن عبدالعزيز ال الرشيد امير حائل فتكلم رشيد لصدر اعظم وهو وزير السلطان محمد رشاد وهو الذي يبلغه عن الرعية كل ما يحدث داخل الاستانة وخارجها، فتكلم المندوب المذكوروهو رشيد بن ليلي وهو حضرة صدر اعظم وذكر له بأن الوهابيين مذهب خامس وليس من المذاهب الأربعة، فشق ذلك على السلطان وكان صالح اليحيا الصالح امير عنيزة سابقا حاضرا في إسطنبول

فأمر السلطان على صدر أعظم[1] أن يسأله عن ما قاله رشيد ابن ليلي في حق الوهابية فساله عن ذلك فاستكبر صالح اليحيا هذا القول وأنه قول زور وبهتان فقال معاذ الله، مذهب السعود والرشيد وأهل نجد كافة واحد وليس بينهم اختلاف في العقائد ولا في الأديان فكلهم يقلدون مذهب أحمد بن حنبل، فقط أن النزاع لا يزال قائم عند السعود والرشيد عند الملك، وكلهم مسلمين موحدين يؤمنون بالله وبرسوله ويرون أن من خالفهم في الدين هو المذهب الخامس، فبعد هذا الجواب كتب رشيد[2] بن ليلي لسعود بن رشيد يخبره بما جرى ويقول في كتابه "جلستي في استنبول مالها ثمرة حنا نفتل وصالح اليحيا ينقض" وكان يراها في نظره أنه اكبر سبة لصالح اليحيا ولكنها لم تحط من قدر صالح اليحيا شيئا عند ابن رشيد بل زادته رفعة ووقار، وهكذا كل من تكلم بكلمة حق يقصد بها سلامة دينه وعرضه فالله يرفعه، ومن رفعه الله فلن يضعه الناس، فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأله رجل من أصحابه اي الاعمال افضل يا رسول الله فقال كلمة حق عند سلطان جائر .

فصل في مسير العساكر المصرية الى نجد أيام حكم الأمير سعود وابنه عبدالله

فقد نكتفي بتاريخ عثمان بن بشر ونعطي القوس لباريها ولكننا نذكر منها أشعارا نبطية تلائم الموضوع حسب الوقايع المقرونة بها فنذكر وقعة الخيف المشهورة فمن ذلك أنه خرج

---

(1) أعلى منصب تحت السلطان العثماني

(2) نهاية ص ٩ من المخطوطة

من مصر عساكر عظيمة وكان مسيرهم بحرا الى أن قدموا ساحل يبنع بالبحر فابتدرهم الأمير سعود وجهز لهم جيشا عرمرم يقوده ولده عبدالله بن سعود وهو يومئذ ولي عهده وكان عدة العساكر المصرية ١٤ الف وعدة الجيش السعودي ثلاثة الاف وثمانمئة فبادرهم عبدالله بالمسير عليهم وهم في سواحل يبنع ومعاقلهم واشتبك القتال بينهم وكانت الغلبة أول النهارللعسكر على أهل نجد وفي الظهيرة هبت هبائب النصر للعرب على المصريين وانهزموا الى البحر يتسابقون الى الركوب في سفنهم هاربين، وقتلوا من ادركوا منهم في البر وقد قتل من العساكر المصرية ما يزيد على أربعة الاف، ومن غزو الأمير عبدالله ما يزيد على ستمائة رجل ومن مشاهير القتلى مقرن بن حسين بن مشاري بن سعود وبرغش بن بدر الشبيبي وسعد بن إبراهيم بن دغيثر جد الحمولة الموجودين بالرياض ورئيس قحطان هادي بن قرملة أبو محمد بن هادي المشهور ورئيس عبيدة مانع بن كدم ورئيس بني هاجر راشد بن شعبان ومانع بن وحير العجمي الفارس المشهور وقد ذكر هذه الوقعة شاعر من أهل الرس يدعى عبدالله بن جباص حيث قال:

يا بو كفوف خضبت بالحنا ما شفت يوم في ملاوي الخيف

يوم المدافع بالعجل يحدنا والشمس غابت والقمر ما شيف

يشير الى الغبرة التي تثيرها الخيل والدخان الذي يخرج من افواه المدافع والبنادق وقد ذكر الشيخ ابن بشر أن عدة من حضر الوقعة من أهل نجد ١٨ الف فيهم ثمانمئة فارس والله أعلم بعدتهم [١]

---

[١] نهاية ص ١٠ من المخطوطة

وكان قول الشيخ أن الذي واقعهم لأول مرة هم العدد الأول حتى تتابعت الامدادات الى أن بلغوا العدد الأخير، ثم أنها لما انقضت هذه الوقعة اخذ الترك يجمعون فلولهم ويستعدون للزحف على الحجاز وعلى نجد واستمرت تتوارد عليهم الأمداد من مصر من الترك ومن المصريين حتى كثروا والتئمت جروحهم واخذوا يستعدون لحصار المدينة المنورة وانفتحت أبواب الفتن واستمرت العساكر تتدفق بكثرة، فمن ذلك أن سار طوسون بعساكر كثيرة، وأهل نجد يسمونه طلمس فوصل الى الرس المشهور باعلى القصيم فصالحوه واعطوه الطاعة بدون قتال، فمقتوهم أهل نجد وسموهم حمير طلمس وكان أهل قرى نجد جميعا يرون أن الرس و أهله يعدونهم خونة جبناء حينما اطاعوه بدون قتال فمن ذلك أن رجل من أهل الرس دخل عنيزة ومر بجماعة من أهل البلد فقال بعضم لبعض ذا حمار طلمس فنهره بعضهم بأن قال له: اش كما يقول صاحب الحمار لحماره إذا أراده أن يقف، فوقف الرجل صامتا لا يتكلم ولما رأوه اطال الوقوف قالوا له لما تقف ولم تمض في سبيلك ؟ فقال على الفور أنتم قلتوا لي :اش فوقفت، وانتظركم تقولون: حر فامشي، اعترافا منه أنهم مستحقين ما قلتم هو وجماعته .

ولا تزال الحروبا ت والوقايع تتابع بكثرة حتى جرت وقعة الماوية المشهورة في سنة ١٢٣٢هـ وكانت الهزيمة على عبدالله بن سعود ومن كان معه من أهل نجد فمن ذلك أن عبدالله بن سعود علم بمسير إبراهيم باشا ومن معه من العساكر، ونازلهم وكان مسيره عليهم بالليل، وكان قد امر عل جنده أن يتعروا الا من سروال يستر العورة أو إزار، يريد بذلك أن

يعرف بعضهم بعضا فلا يشتبهون بقتل أحد من جندهم تحت ظلام الليل، وكان قد انطلق من جند الأمير عبدالله بن سعود رجل من حرب، أتى الى إبراهيم باشا واخبره بما عزموا عليه الجنود النجديين، فامر بالكشافات أن تعبأ على رؤوس الاخشاب المركزة وأن لا ينيرونها حتى يعطيهم الأمر، فلما زحفوا أهل نجد واشتبك القتال، أمر بالكشافات فأنيرت، وأمر أهل الاطواب بأن يصوبوا مدافعهم على الجيش المعقل، وأصاب في ذلك الفرصة حيث إن الجيش انهزم بدون أهله في الأودية والشعاب، فلما فطنوا لما حل بالجيش انهزموا لا يلوي أحد لأحد يريدون جيشهم، فمرت عليهم خيول إبراهيم وكان عددهم ٨٠٠ فارس وكانوا يسمونهم السوارية فقتل منهم مقتلة عظيمة، وبعد هذه الوقعة أوهنت المقاتلين من أهل نجد وفلت عزائمهم فلا يقابلون جيش الترك الا وقلوبهم ليست معهم.

فبعد [١] هذه الوقعة زحف إبراهيم باشا بجنوده ونزل على بلد الرس المذكور وطلب من أهله الخضوع الى الطاعة ويعطيهم الأمان فما اطاعوا له وتعاهدوا على حربه الى أن ينتصروا أو يأخذهم عنوة ويرون أنهم في هذا التعصب سيغسلون عنهم وصمة العار التي لحقتهم بطاعتهم لطلمس باشا المتقدم ذكره فمن ذلك أنه ثبت حصارهم لهم وابتنى للمدافع أبراجا تقي أهلها عن رصاص البنادق واخذ يضربهم بالمدافع ليلا ونهارا، وكان اميرهم عبدالله بن شارخ، ويعرفون امراءها بالحصنان، وهم من قبيلة العجمان المشهورين ومنهم حمولة ال عساف وهم امراؤها الان، فحاصرهم إبراهيم باشا اشد الحصار وضيق عليهم الخناق من كل جانب ولكنهم ثبتوا على ويلات الحرب

---

[١] نهاية ص ١١ من المخطوطة

الى أن تحصلوا على صلح شريف بعد حصار دام أربعة شهور تزيد أياما قليلة، وعاقبة الصبر يحمدها الصابر، وكان عبدالله بن سعود في ذلك الوقت يدور حول خيام إبراهيم باشا فتارة ينزل رياض الخبرا وتارة ينزل الحجناوي وكل هذه المنازل مسيرة ساعتين من الرس فقط فلا يجد في نفسه قوة ولا طاقة لأن يغير عليهم بالنهار ولا أن يكبسهم بالليل، وذلك للوهن الذي أصابه بعد وقعة الماوية وكان محمد البدري الهتيمي شاعرا بليغا فما زال يستنهض عبدالله بن سعود ويشجعه ويندبه بالقصائد بالحماسية على الزحف على عسكر إبراهيم باشا فلم يفعل واعتذر منه عبدالله بن سعود بقوله يا البدري والله لو معي عشرين خيال كلهم على صرامة قلبي إني لادوس عرضي إبراهيم باشا بمن معي ولكن وقعة الماوية ما أبقت للمسلمين قلوبا يقابلون بها عساكر الترك، وكان يصحب إبراهيم باشا كثير من قادة أهل نجد بدو وحضر، فمنهم محمد بن دهيمان من أهل الخبرا وكان رجلا شجاعا كريما فمقته سعود بن عدبدالعزيز لموجدة في نفسه أو مسبة بلغته عنه فارسل اليه رجالا من قبله واخذوا أمواله وهدموا قصوره وقطعوا نخيله وبعد الذي جرى جلس بالخبرا مهضوما مستكينا فحينما سمع خروج إبراهيم باشا شخص اليه وعرضه في الطريق وهو الذي يقول:

جينا نجر الغصن من نازح النيا — قوم تعابى بالدروب جهال
الى دعينا دارهم مثل دارنا — سوى تيك يعتدل الزمان او مال

وكان أهل الخبرا بلدة هذا الرجل المذكور كلهم كرام وشجعان ويحمون حماهم وسروحهم برماحهم وسيوفهم، وكان عندهم جار يدعى سالم الرويعي وهو من قبيلة عنزة[١] من الدهامشة المشهورين وكانوا قد اكرموا جواره وكان يقول فيهم هذه الابيات:

الجار بالخبرا يقلط على الراس ... ولا دوروا عند القصير الدنافيس
اولاد منصور هل الفضل والباس ... خطلان الايدي كاسبين النواميس
هم بالقصيم وبالجنوب ابن دواس ... واهل الحريق وبالشمال السناعيس

وكانوا اكثر هذه البلد وهم امراؤها وكانوا يسمون العفالق قبيلة من ال عياف من قحطان ويقال لأمرائها ال صغير وكان حدث ذات يوم أن أضاف عند أحد امرائها المتقدمين اثنين من عنزة واحد من الشعلان والثاني من الدرعان فأضافوهم وهم لا يعرف بعضهم بعضا وكان من بينهم رجل مقتول من الشعلان فعرفه غريمه، والدرعاني لم يعرفه، فتعشوا جميعا عند الأمير وناموا جميعا في منزل واحد فلما انتصف الليل قام الشعلاني فقتل الدرعاني بخنجر معه، وبعد قتله له أخرج مطيته وهرب عليها، فلما نزل الأمير لصلاة الفجر واتى على المنزل الذي نام فيه الضيفان فوجد الرجل مقتولا في فراشه وعرف أن القاتل قد هرب على مطيته، اخذ المقتول هو وجماعته ودفنوه ودفعوا مطيته ورحلها الذي فوقها الى أولياءه من الدرعان فقام

[١] نهاية ص ١٢ من المخطوطة

مجول الدريعي الفارس المشهور يتوعد ابن صغيّر، أمير الخبرا وكان حجته يقول كيف أن ضيفه يقتل على فراشه فأرسل إليه أمير الخبرا بهذه الابيات:

ما عندنا لك يا الدريعي غليلة	أيضا ولا أهلنا لاهلكم بعدوان
ما عندنا الا موشمات الفتيلة	وشلف نحدر به طنا كل فسقان
ضيف ذبح ضيف وربك كفيله	ولا قبلنا من يضمن الضيف دركان

ولنرجع الى تكميل حصار الرس، وذلك أن أهل الرس لا يزالون ينهضون عبدالله بن سعود بأن يهجم على العسكر وهم يهجمون عليه من قبلهم فلم يجبهم الى ذلك للوهن الذي أصابه، وكانوا يحرضونه أن يقطع سابلة العسكر من طريق المدينة اي ما يسمى خط الرجعة فلم يفعل ذلك، حتى يقضي الله ما يشاء، وفي ذلك الوقت ارسل غانم بن مضيان من حرب وكان ذلك الحين غازيا مع إبراهيم باشا الى منصور بن شارخ امير الرس الذي ضرب عليه الحصار وكانت حرب ومطير قادة إبراهيم باشا، وراجلته كلهم منهم، وهم الذين يحملونه على جمالهم من ينبع ومن المدينة فقال غانم مخاطبا منصور[١]

منصـــور ما ســـريت روحك وضـــريت	ربعك وقطعن الغروس المهانيع
يوم انعمس رايـك وللشـــر حبيـت	وسديت عن شور النصيحة مساميع
غـديـت مثـل الضـــب للحبـل لاويـت	وادي الرمة جاء من صدوق اللواميع
فندينا ياما هدم من ذرى البيت	يقود له نمرى تشيب المراضيع

فأجابه عنه محمد البدري الهتيمي الشاعر المشهور بأن قال:

---

[١] نهاية ص ١٣ من المخطوطة

يا راكب اللي راعي بالخلا هيت	ما يلحقنه عالجات المصاريع
قل له ترى يا غانم بقولك ازريت	حتى نصالي دون بيض مفاريع
اليا صوت الفندي على التل ناديت	ربعي ليا من الترك تنكس مطاويع
فلا جا وادي الرمة مكبر ثم سديت	دربه وخليته يدور المطاليع

والحق أنهم سدوه حتى جعلوا لأهل نجد مهلة طويلة يتبصرون بها ولكن الله غالب على امره وبعد ما سلم الرس له واخذ عليهم التعهدات أن لا يخونونه من خلفه وهو أعطاهم أمانا يثقون به، لأنه كما ذكر عنه أنه لم يغدر بمن أعطاه الأمان، فرحل من الرس مجتازا ببلدان نجد، وكلها تسلم له بدون قتال وتطلب الأمان منه ما عدا بلدين هما شقراء وضرما، أما شقرا فحاصرها نحو عشرين يوما وأطاعت له صلحا، وأما ضرما فطال حصارها واخذها عنوة الى أن انتهى بالحصار الى الدرعية، ويكفيني من تفصيل حصارها ما فصله الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله. واذكر للقارىء خديعة اجراها ابراهيم باشا وهو أنه لما سلمت الدرعية واراد أن يرتحل عنها نادى مناديه بين القبائل أن كل منكم يا أهل نجد مرخوص يرجع الى وطنه، فخف أولهم الى الرحيل ولكنه خطر بباله بعدما فاه بالرخصة أن عسكره يحتاجون الى ترحيل، فهو يضطر الى اخذ الرحلة من البادية الذين معه فأمر مناديه ينادي أنه ليس لأحد رخصة حتى يأكل ضيفة الباشا من الغد، فلما اصبح فرق عليهم الجزر، وجعل لكل مائة رجل جزور ومعها كيس رز، فلما اكلوا ضيفته جمعهم وطلب منهم جمالا لترحيل العسكر على رأس كل شيخ عدد معلوم، وكان فهد الصبيبفي وهو من اكبر مشايخ سبيع، وهو أول من بادر بالسفر حين نادى بالرخصة، وكان

أحد رجاله قد تأخر حتى نظر الى الحجز تساق الى مشايخ القبائل، فجلس على راحلته فلحق به وهو قائل في ظل شجرة وعنده الات القهوة ومرتاح في منزله في البرية[١] وبيده يربوع يشويه في نار القهوة، فذكر له صاحبه ما شاهده من دفع الجزر لمشايخ القبائل، فقال على البديهة:

يربوع اصيده وانا شيخ روحي　　　أخير عندي من جزور ورا الروم

انتهى ما نسطره من حصار الدرعية، فقد كفونا عنها علماء افاضل قد شاهدوا وقائعها باعينهم وعبروا عنها احسن تعبير بما شاهدوه علانية وليس راء كمن سمع .

فصل في ابتداء إمارة الرشيد في حائل

أول ما ابتدأت إمارة الرشيد، بعبدالله بن علي بن رشيد واخوه عبيد بن علي بن رشيد، وسبب ذلك أنه حين قتل الإمام تركي بن عبدالله بن سعود، وكان عبدالله واخوه عبيد مع فيصل بن تركي غازين معه حينما اتاه الخبر، أن مشاري ابن سعود قتل أباه تركي، فكان عبدالله بن رشيد هو الساعد الأيمن للامام فيصل بالمشورة الحازمة والشجاعة الصارمة ومضاء العزيمة، فمن الواجب على المؤرخ أن لا يبخس أحدا حقه من الملوك الذين سلفوا، بأن يحسبون عضدا لملوكنا الذين سلبوا ملكهم من أيديهم، وهم الذين تحت رايتهم ونعيش بظلهم حفظهم الله ووفقهم للعدل والرفق في رعيتهم واحاطهم للعز الشامل، وعلى مقدمتهم الملك سعود بن عبدالعزيز فإن عقولهم ارجح من أن تلفت نظرها الى جحود فضل من سبق زمانها وانقرضت دولته ولحق بربه، فإن تعداد قوة الملوك والسابقين

---

[١] نهاية ص ١٤ من المخطوطة

فخر للملك الذي أتى بعدهم، الذي تغلبت دولتهم على تلك القوة ومحت اسمها ورسمها من الوجود، فالاعتراف بذلك يدعي صاحبه الى شكر الله الذي أيده ونصره على قوة هائلة ليس له فيها طاقة وقت خروجه عليها ضعيفا إلا بمعونة الله ونصره الذي ينزل قضاؤه من السماء، وملوكنا أيدهم الله قد تسلسلت فيهم الاحلام الراجحة والعقول الرزينة من جدهم تركي بن عبدالله الى الملك سعود بن عبدالعزيز ادام الله ملكه على ما يحبه ويرضاه، فمما يروى عن جده الإمام فيصل بن تركي رحمه الله أنه كان ذا عقل وافر، وحلم راجح، وكانت عجلته على العفو اسرع منها الى العقوبة، فقد روى لنا عن اشياخنا القدماء أنه أتاه مخبرا يقول له إن عقاب الذويبي، [١]شيخ قبيلة حرب، نذر أنه يذبح ناقة إذا علم بموت الإمام فيصل، فأتته كذبة من بعض حاشيته، فصدق القائل إن الإمام فيصل قد مات فقرب ناقة حمراء سمين فذبحها وفرقها على اقاربه وجيرانه وفاء بنذره، فبعد بضعة أيام أتاه من يحقق له أنك حي ولم تمت! فرد عليه الإمام فيصل رحمه الله بقوله: الله المستعان، قولوا له يستعد بذبح غيرها حتى يوفي بنذره، فهذا الخبر الذي جاءه كذب، وسيأتيه الخبر اليقين. فهذا جواب العقل والدين، ولم يتكلم به إلا من وفقه الله لحمل السيئات وبذل الحسنات، ومع أنه مقتدر لو أراد الانتقام منه لقال لبعض عبيده اذهبوا له وأتوني برأسه، فرحم الله أهل العقول الزاكية. ومما يرويه المؤرخون أن أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي حينما أراد أن يهدم إيوان كسرى، أشار عليه يحي بن خالد البرمكي بالعدول عن هدمه، بأن قال له: اتركه يا أمير المؤمنين على

---

[١] نهاية ص ١٥ من المخطوطة

حاله، فإنه أثر خالد لدولتكم التي تغلبت على هذه القوة، فاتهمه المنصور أن نعرة الفرس باقية في رأسه، فابتدأ بهدمه، ولكنه عجز ولم يهدم منه الا القليل، فقال له يحي: يا أمير المؤمنين تمم يا امير المؤمنين ما بدات به، فإني أخشى أن يقال حكومة بنت بنيان وأتى من بعدها حكومة عجزت عن هدم بنيانها، وفي بنيانه يقول النابغة الذبياني[١] هذا البيت:

شهدت بفضل الرافعين قبابهم   ويبين بالبنيان فضل الباني

وبعد هذا نرجع الى قصة الرشيد وأمارتهم في حايل فسبب ذلك أن الإمام فيصل بن تركي رحمه الله غزا على بلاد القطيف ومعه عبدالله بن رشيد واخيه عبيد بن رشيد وكان غزو الإمام فيصل في حياة والده تركي بن عبدالله بن سعود في سنة ١٢٤٩ وهي السنة التي قتل فيها الإمام تركي رحمه الله وكان قتله على يد مشاري بن عبدالرحمن بن سعود، والإمام تركي هو خال مشاري المذكور، وكان لا يضمر له الا النية الحسنة وكان مشاري يضمر لخاله الغدر ولكنه يتحرى الفرصة فصادفت له الفرصة في غياب فيصل، واكثر وجوه أهل الرياض معه، فاتفق هو وجماعته من أهل الرياض يبايعونه على إمارة الرياض متى قتل تركي، فانتدب لقتله عبد يقال له إبراهيم أبو حمزة، فعبأ له فرد يقتله به بعدما يخلصون من صلاة الجمعة، فصلى مشاري بجوار خاله تركي بالصف الأول كعادته، ومد له خاله سواكا كان في يده، فرق قلب مشاري له وخاير في قتله، فأوعز لأبي حمزة أن كف عن قتله، فناشده أبو حمزة أن

---

[١] هذا البيت للشريف الرضي

المؤامرة افتضحت إذا لم تجر القتل هذه الساعة، ولا مناص من ثورة هذا الفرد، إما بجنبك أو بجنب تركي، فحينئذ قال له مشاري: افعل ما شئت[١]، فحينما خرجوا من المسجد وهم يمشون جميعا، اخرج أبو حمزة الفرد وكان الإمام تركي غافلا يقرأ كتابا معه، فتغانم الفرصة ودس الفرد في كم ثوب تركي وقبسه به فخر صريعا، وكان العبد زويد حاضرا وهو عبد تركي الذي يعتمد عليه، وكان قد بعث به فيصل الى والده تركي وهو محاصر سيهات من اعمال القطيف، وكان قد كتب معه الإمام تركي جوابا لكتبه التي جاء بها من فيصل، وقال له اشخص بها سريعا قبل أن تصلي الجمعة، ولكنه شد راحلته على عين الإمام تركي وكأنه سافر، فأناخها بعدما خرج من البلد في نخيل لهم خارج البلد، واراد الله أنه يحضر قتلة عمه تركي فدخل الى مسجد الجامع مستخفيا عن عمه وفي عزمه أنه حينما يفرغ من صلاة الجمعة يركب راحلته ويمضي الى طريقه فاراد الله أن عمه تركي يقتل، فدفع زويد نفسه على عمه تركي وشهر سيفه وقتل اثنين من أنصار مشاري ولكن مشاري بادر الى القصرواحتمى به ودعى أهل الرياض الى البيعة وبايعوه واكثرهم كارهين، ثم إن زويد جلس على راحلته وقصد عمه فيصل بالقطيف ومعه الكتب التي أعطاه الإمام تركي فوافى مجيئه الى فيصل عند غروب الشمس فلما قرأ الكتب اخبره زويد سرا بما جرى على والده وبما فعله مشاري فتمعض وجهه وتغير لونه وعرف جلساؤه ذلك منهم ولم يعلموا بالحادث، فاستظهر من يثق به من رجاله وهم أهل المشورة، ومعهم عبدالله بن رشيد المشهور، فلما أخبرهم الخبر

(١) نهاية ص ١٦ من المخطوطة

عزوه بوالده وبشروه بالنصر على الباغي، وأشاروا عليه بالرجوع الى الرياض فورا قبل أن يتقوى مشاري، وأمروه أن يفوه بمغزا على قحطان ولا تكن نكوفة يستنكر الجند ذلك، وبعد مضي ١٨ يوما من تاريخ قتلة ابيه نزل على الرياض وحاصرها، واحتصر مشاري في قصره، وكانوا أهل الرياض يخلون المقاصير التي يدافعون بها لحساب مشاري، ولكنهم اقروا ولاية فيصل على الرياض وقدموه على مشاري فكانوا يخرجون من المقاصير وينزلونها جنود فيصل حتى تم لفيصل احتلال اسوار الرياض كلها فدفع القصر الذي فيه مشاري، فنادى الجنودَ بالأمان: إن من نزل من القصر فهو آمن فنزل خلق كثير ممن مع مشاري بالأمان ولم يبق معه الا القليل فاقتحم عليه القصر جنود الإمام فيصل وتولى قتل مشاري عبدالله بن رشيد ولكنه لم يخلص اليه حتى عيّبه مشاري بالسيف بأن قطع أعصاب يده بسيفه ولكنه قتله، فلما أخبروا فيصل بقتله وأنه[1] عيّب يده بالسيف فقال له: اطلب، اعوضك عن يدك، فقال: اطلب إمارة ديرتي لا غير، فقال هي لك، ومنها ابتدأت إمارة ال الرشيد في حايل، فجهزه فيصل في سرية معه في سنة ١٢٥١هـ وكتب فيصل كتابا لامير حايل صالح بن عبدالمحسن بن علي أن سلم الإمارة لعبدالله بن علي بن رشيد فسلمها وبارح حائل من وقته فتبعهم عبدالله واخوه عبيد بعدما وجهوا الى المدينة فلحقوهم بقرية تسمى السليمي

[1] نهاية ص ١٧ من المخطوطة

من قرايا حايل، فقتلوهم جميعا ومعهم عيسى بن علي، وهو الذي يقول فيه عبيد بن رشيد:

عيسى يقول الحرب للمال نفاد	انشد مسوي السيف قل ليه حانيه
ان كان ما نرويه من دم الاضداد	ودوه يم العرفجية ترويه

والعرفجية هذه التي قتلت قاتل ولدها عبدالله الحجيلان واسمه عبدالله أبو خطوة وهو من أبناء عمهم ال بو عليان وهو في ذلك الوقت امير بريدة. وكان عبدالله بن رشيد حليما عاقلا شجاعا كريما قد اجتمعت له خصال كثيرة كلها حميدة عاش أميرا لبلده ٢١ سنة ثم توفي في سنة ١٢٦٣ وكان شهما شاعرا وكان اخوه عبيد هو ساعده الأيمن على اعدائه وهو القائل:

الحمد للباري فزع من شكى له	والحمد له ثاني على كل الأحوال
والحمد له ثالث بقدرة فعاله	حي قديم عد ما قايل قال
او عد ما ترمي لواعج خياله	بسحب وتسكاب وديم وهمال
رب السما رزق الملا من نواله	حيثه لكل ما اراد فعال
للضيف نقري من تبرك رحاله	ومن امنا والمحتري ما نهج خال
والشر ندفع جانبه بالسهالة	ولاني لتثويره من الناس قبال
فان كان ركب الرشا للمحالة	واستثقلت ماني من الحرب ملال
اصبر كما تصبر رواسي جباله	ما تشتكي من وطي حافي ونعال
الصدق يبقى والتصنع جهالة	والقد ما لانت مطاويه بتفال
وعبيد اللي لا عدمنا خياله	حطه لهم مولاي نجم وزلزال

وكان يوما غازيا على عنزة، والذين معه قوم قليلون فسمع قائلا من بعض الغزو يقول لحامل الراية أن يعدل بها عن مشارف الأرض ويمشي مع المنخفض من الأرض وذلك لقلتهم فيخشى أن تتكالب عليهم البدو فقال عبدالله في ذلك[1] بديهة:

ما نيب من يتلى المخافي مع الخوع ... زير الى جا الليل حسه ينادي
ابو طلال اليا هبا كل مسبوع ... يسهر الى نامت عيون السرادي
القلب مصموع وبالكف قاطوع ... مصلاب عسف طوعت للعيادي
محد سبر الا له السبر مرروع ... والا بضرب مصقلات الهنادي
كم خير عان لنا يشكي الجوع ... حاديه من ليعات الأيام حادي
لو ما نعرفه راح منا بمنفوع ... من سحت مال نجمعه للنفادي
من كالنا بالمد كلناه بالصوع ... ماهوب رقص وحنده يابو هادي

وقد ذكر لنا أن رجلا من أخيار أهل الرس نكبه الزمان بموت ابله التي يسوق نخله وزرعه عليها فهم أن يركب لمحمد بن رشيد ويستمد منه يد المساعدة على الزمان الذي اخنى عليه، وقبل سفره قصد امير الرس وقاضيها وطلب منهم أن يكتبوا معه شهادة أنه خير ولد خير[2]، وكانوا لا يشكون في ذلك فكتبوا معه ما طلب وقدم على محمد بن رشيد وقد اخفى الشهادة التي معه حتى تسنح فرصتها وذكر له حاله واستنجد منه ما كان ما اتى من اجله فانتهره قائلا كل من جانا من أهل القصيم يطلب سواني لنخله وزرعه فلو أن الشجر ينقلب بعارين ما بدينا[3] على الناس فقال له الوافد اطال الله بقاك ما جابني لك الا قصيدة والدك عبدالله بن رشيد حيث يقول : كم

---

[1] نهاية ص ١٨ من المخطوطة
[2] بتشديد الياء
[3] بدينا بتشديد الدال والبد تعني القسمة

خير عاني يشكي الجوع ... ثم أورد له الابيات المذكورة أعلاه فلما قرأا أمر له بأربع من الابل وزاد ودراهم وكسوة . وحديث الصدق ما يخيب من عامله . ولما مات عبدالله بن علي بن رشيد تولى بعده ابنه طلال ال عبدالله وهو اكبر أولاده وكان شهما شجاعا مغوارا كريما فكنفه عمه عبيد العلي الرشيد وقام بنصره خير قيام لما بينه وبين أخيه عبدالله من العهود والمواثيق وإن الإمارة في عبدالله وذريته وإن ما لعبيد فيها حق وذريته مادام يوجد من ذرية عبدالله لو طفل واحد، ولقد وفى له ما عاهده عليه وحدب دونه بسنانه ولسانه حتى مات، وبعد وفاة عبدالله بأيام قليلة بلغ عبيد أن أناس من رؤساء عنيزة تكلموا في محفل لهم يقولون طفت نار الرشيد بعدما مات عبدالله فبلغت عبيد تلك المقالة فقال عبيد مجيبا القائل[١]

قل للعدو واللي تبهج بالاخبار	وفرح على امر نازل من سماها
وقطع وظن انه طفت شعلة النار	حنا شباة النار نوقد سناها
حرم على ذروات ما ترمي الاكوار	لما تجي دبر تصاقع صفاها

يعني أنه ما يفتر عن المغازي حتى تهزل ركابه وكانوا يسمون جيشهم ذروات كما أن ملوكنا اعزهم الله يسمون جيشهم ريمات ـ وكل له نحلة يسير عليها ـ وبعد مدة أيام قدم عليه عماله الذين ذهبوا يزكون البادية وكانوا عند ثلاب بن مجلاد كبير الدهامشة من وايل وهم عنزة فلما بلغه وفاة عبدالله بن رشيد استدعى العمال وقال لهم اميركم مات وهو الذي له العهد عندنا وخلف ابنه طلال على الإمارة ولا نعلم عن عبيد ماذا

[١] نهاية ص ١٩ من المخطوطة

يدبره عليه فانكفوا عن ما بقى من الزكات واقدموا على اميركم في حايل وبلغوه إني رداد نقا من اليوم وإني طامع ومطموع ولكم مني الأمان حتى تاصلون اميركم حيث إنكم ضيوفنا ولن نغدر بكم فلما وصلوا الى حايل اخبروا اميرهم بما قال لهم ثلاب فقال لهم عبيد بيض الله وجه ثلاب بن مجلاد ولم يخونكم فقال عبيد على البديهة :

والله ماني كاره ذا القوامة   أيضا ولا هو كاربن حرب ثلاب
انا وشغموم خواله عمامه   من ضيغم مادق به عرق الاجناب
انا الى جا الضيق عند الجهامة   اصمل الى جا عندها حزم كلاب
نقدا جموع كنها خشم رامة   تتعب طويلات الجلامد بالاداب

ثم إنه من وقته غزا على عنزة وهم على الخرول وهو ماء معروف، وكان يضم اخلاط من عنزة وفيهم ثلاب وجماعته الدهامشة، وكثير من عنزة غيرهم، فلما قرب منهم خارت عزائم قومه لقلة عددهم وكثرة البادية الذين هم قادمين عليهم، فجمع ذوي الرأي من قومه واستشارهم، وكان كلهم يشيرون عليه بالرجوع عنهم حتى يتقووا وتكثر الجند معه بأن يرسل لقبيلة شمر ويأتونه مناصرين له، وقصد من هذه المشورة أن يستطلع ما عندهم وإلا فهو لم يتردد في الغارة عليهم، وكان قومه وهم أصحاب الرأي منهم يقولون له إن الذي نحن فيه كله مظمات، واذا صدونا عنزة عن الماء بعد الغارة عليهم هلكنا، فلما اتفق رأيهم على الرجوع فحينئذ شحذ عزيمته وخالفهم في رأيهم جميعا، وكان الأمير طلال، والمجاوب للجنود عمه عبيد وهو الشجاع المجرب ذو الرأي السديد فلما رآهم مصممين على الرجوع ولم تجد الحيلة معهم شيئا أمر

على عبيده أن امشوا على قرب[1] القوم وروياهم فانثروا مياهها بالأرض ففعلوا ذلك فقال لهم الان تردون على عدوكم وتشربون[2] من مائه أو تموتون عطشا في هذه المهلكة، فقد فعل ما فعله طارق بن زياد حينما قدم على الأندلس واحرق سفنه وآيس أصحابه من الرجوع عن طريقهم حتى يكتب لهم النصر أو الموت، وفي تلك الوقعة يقول عبيد:

انـا على لان وربعي على لان	مخالف رايي لراي الجماعة
منيب شاوي يربت من الضان	ويرضى بطمن النفس عقب ارتفاعه
انا ولد علي سـلايل كحيلان	والله خلقني للسـبايا وداعة
اضرب على الكايد ولو كنت بلشان	وعند الولي وصل الحبل وانقطاعه
اما تجي بعقود حص ومرجان	والا فهي لبليس طار شعاعه

وكان بعد هذا كله حالفه النصر على اعدائه فورد عليهم في مائهم واخذ ماشيتهم كلها وحلالهم ونزل على مائهم وشتتهم في البراري والقفار، وهكذا تكون عزائم الرجال وقدر هممهم ثم إنهم نزلوا على الماء واقاموا عليه حتى التأمت جروحهم حيث إنهم قتل منهم نحو ستين وجرح قريب منهم وكانت قتلى عنزة اضعاف ذلك . انتهت هذه الوقعة بما شرحناه للقراء وبعدها رجع الى حايل وبدل جيشه بجيش مستريح وظهر من حايل غازيا على عتيبة فصبح خونان بن عقيل شيخ الدعاجين ومعه عربان كثيرة فسلمت ابلهم بأن هزمتها خيلهم واخذ حلالهم واغنامهم ثم رجع الى حايل، فاغفلهم حتى ظنوا أنه لن يأتيهم فنزل خونان ومن معه في ارض فلات يقال لها الدعيكة

[1] جمع قربة والروايا جمع راوية وهي اكبر من القربة ولها نفس استعمالها
[2] نهاية ص ٢٠ من المخطوطة

وهي فلاة خصبة قريبة من الدفينة فغزا عليهم وصبحهم بها واجتاح إبلهم وأغنامهم وكان خونان له إبل تعد من شرائف الإبل تسمى أذيال الخيل وفي تلك الوقعة يقول عبيد ابن رشيد:

تسع ليالي نضـــرب العوص بالعصـــي   لمـا وردنـاهـا ســـجى وعفيف
وجبنـا اذيــال الخيـل من عرض فودنـا   خـور براطمـهـا تـهف هفيف
أباعر خونان الذي يذكرونها   اللى وصلها عد البعير يقيف

وبعدها انتفض عليه أهل بلد الجوف واستدعوا ابن شعلان وأنزلوهم عندهم وطردوا أميرهم الذي من عند ابن رشيد، ثم إنه بعد هذا أتى عباس باشا، خرج من مصر بعساكر معه ونزل الجوف، وتغلب على ابن شعلان ولكنه لم يمض عليه سنة حتى مل من قيامه بالجوف ورحل عنها بدون قتال، وهو الذي أرسل لعبيد يطلب فرسه منه وكانت تسمى كروش فقال عبيد في ذلك:

يا بيه انا لكروش لا اعطي ولا ابيع   قبلك طلبها فيصــل وابن هادي
ما جمع اصـله بالقراطيس تجميع   اصله يعرفونه جميع البوادي
باغ الى واقت خيول مع الريع   اضرب بسيفي واعترض للعوادي

وبعد رحيل عباس وانفراد ابن شعلان بإمرة الجوف وحده لم يملك نفسه عبيد ولم يطق الصبر في بقاء ابن شعلان اميرا على ذلك الشكل[١]، وزد على ذلك أنه هزبه بعض مشايخ شمر بقوله أنتم يالرشيد حضر ما تالفون المغازي والاسفار ثم اجابه على البديهة في قوله:

الحضر بالبلدان ياكلهم الحاس ... نصف صنانيع ونصف حواكيك
وحنا تحضرينا على اكوار كناس ... حراير بالقبض مثل المساويك
ياما حلا قيداننا قب الافراس ... وقولانة للغوش حيّك على حيك
يادار ياللي من ورى غر الاطعاس ... اللي هدى الإسلام ماهو بهاديك
العام خليتك على شان عباس ... والا لابن شعلان مانا بمخليك
يالخايبة يالعايبة يا ام الادناس ... يالكلبة اللي كل من جاك يشليك
اتيك بالدبوس والقبس والفاس ... وملح يحدر ما اعتلى من مبانيك

ثم إنه بعدما قال هذه القصيدة جمع اطرافه واستنهض عشائره من شمر وغزا هذه البلدة وهي الجوف المشهورة ثم إنه لما وصلهم لغزوهم خدعهم بشيء اسمه الأمان ولكنه بعدما استولى عليهم تنكر عليهم وكان رئيسهم رجل يسمى حطاب وكان تميمي النسب ومعه ولده علي بن حطاب وكان من قبل أن يقدر عليهم يشير عليه ولده أن يمسكوا عبيدا قبل أن يفتك بهم ولكن ابوه ابى وقال له ما دام أنه لم يحدث معنا، ما نبداه بالشر، فلما أراد أن يقبض عليهم استدعاهم كأنها المشورة يريدها منهم وجعل لهم كمين في كل مكان فكل من دخل منهم امسكه الكمين وهو لا يعلم عن أصحابه اين ذهب بهم، فدام

[١] نهاية ص ٢١ من المخطوطة

على هذه الصفة حتى امسك منهم ٧٠ رجلا ووضع القيود في ارجلهم وارتحل بهم وساقهم معه أمام جيشه مقرنين بالحبال وكتب بذلك الى طلال امير حائل فرد عليه طلال قائلا اقتلهم لا تقدم بهم علي وكان طريقه بين حائل والجوف ٧ مراحل كل ليلة يقتل منهم عشرة الى اخر ليلة قرب حائل ولم يبق منهم الا حطاب رئيسهم وولده يقصد أن يحبسهم ويهينهم فلما قدم عبيد على طلال وكان طلال قد كتب له من قبل يعاتبه على ابقائهم معه وأنه لم يذبحهم وضرب له مثلا بعبد عندهم اسمه سكران إذا رأى الدم غشي عليه فقال له طلال : أنت مثل سكران يصفرك[1] الدم إذا رأيته، اقتلهم ولا تأتني بهم، وكلا الاثنين جبابرة نستعيذ بالله من قساوة القلوب، فلما[2] قدم على طلال خاطبه عن خطه الذي ارسل له فقال:

الكاتب اللي خط خطك حرامي   اللي جمع سكران مع ماض الأفعال
ماني على الشطاة رخو حزامي   عمك الى منه هبا كل ذلال
خليت لك عيلانهم بالمظامي   وقرنت لك عمالة السو بحبال

ثم إن عبيد حبس حطاب وولده وقصده اهانتهم فاخذوا فيما بينهم يتلاومون وهم في حبسهم ويظهرون الحسوفة على الفتك بعبيد حينما كان عندهم في الجوف وإذا حباسهم اسمه مقعد ويأتيهم بغداهم تمر مرتجل رديء يسمى الكسب فقال ولد حطاب مخاطبا ابيه وهو يلومه على معصيته للشور الذي

---

[1] يصفر بمعنى يغشى عليه
[2] نهاية ص ٢٢ من المخطوطة

عرضه عليه حين قال له امسك عبيد واحبسه قبل أن يفتك بنا فأبى ابوه كما ذكرناه فقال ولد حطاب:

يا ونتي ونة معيد ضعيفة على ديار خابرينه ورانا
لو البكا ينفع بكينا مريفه الحوطة اللي خربوها عدانا
واشوف تمر الكسب عندي طريفة من عقب ما ناكل مذانب حلانا
ومن قبل ما حنا ذراها مريفة واليوم ننطر مقعد في غدانا
ما طعت شوري يوم انا بالسقيفة أقول انا هانا وتقول مانا
واليوم ياحطاب ما من حسيفة اللي عملنا تستحقه لحانا
وعز الله ان عبيد جانا بحيفه وانا اشهد انه سلطة من سمانا

ثم إن حطاب خرج يوما في برحة العصر والقيد في رجله فصادف أن دخل عليه عبيد فلما رآه شتمه وكان حطاب يرى الموت خير له من الحياة فلما شتمه عبيد رد عليه قائلا

يا لاعن حطاب تلعن ابوك انت تلعن ابوك وخيرة العمر فاني

فلما اكمل حطاب مقالته انتضى عبيد سيفه وضرب به عنق حطاب واظهر ولده وقتله فوقه، وهكذا تكون حياة الجبابرة تنقضي على يد جبار مثلهم، ثم إن عبيد هو وطلال أرادوا أن يغزو الروقة من عتيبة وكان الحمدة رؤساء برقا المشهورين معهم وهم عقاب بن شبنان بن حميد ودحيم وسلطان أبناء هندي بن حميد وهؤلاء قد اخذوا أمانا من ابن رشيد وأمنهم، ولا يريد في غزوته هذه الا الروقة وحدهم، ولكن الكون عم الطرفين ويقول عبيد في تلك الغزوة[١]

---

[١] نهاية ص ٢٣ من المخطوطة

شلنا على ذروات من كل اهل سوق   نمشي جميع والوعد قصر برزان
اوحي شريدة يوم صوت بمرزوق   مثل الدبا لاصال بالصيف كتفان
الفود الاقشر فودكم يابني روق   واشوف تالي فودكم صار نقصان
يوم تليناكم ورى النير بالجوق   يوم لحق شره دحيم وسلطان
قبل نحق العرف والديك مفهوق   ورفعت زمرة عن عقاب بن شبنان
بمصلبخ ما اخطى بها رزة الموق   نقض الغرض به عند روغات الاذهان
وشابت عوارضنا بزراق ومزروق   وصوايح من فوق طوعات الارسان
ما شفت طفلة كنها وصف غرنوق   تشدي مهات الريم والجسم عريان
شبهت انا في لبته زاهي الطوق   مفاصل ما بين لولو ومرجان

فصل في وقعة بقعاء بين أهل القصيم وابن رشيد

وسبب ذلك أن أهل القصيم غزو يريدون حايل واطرافها سنة ١٢٥٧[١] ويستنهضون ابن رشيد ليخرج عليهم من حايل ليواقعوه ولم يعلموا من يكون الغالب فلما وصلوا قرايا حايل وجدوا ابن رشيد غازي على عنزة في الشمال وليس حاضرا في حايل ثم اغاروا على قرية تسمى طابة تبعد عن حايل مسيرة يوم وكانت عربان ابن رشيد كلها انتذرت وانكفت عن وجه أهل القصيم فلم يجدوا غرة في العربان فاغاروا على بقر لأهل طابة واخذوها ورجعوا الى أوطانهم فلما رجعوا بالبقر وكان امير غزية أهل عنيزة يحي السليم وامير غزية أهل بريدة عبدالعزيز المحمد ال بو عليان الذي يعرف بعمش بريدة ويقول في ذلك عبيد بن رشيد مخاطبا يحي السليم:

---
[١] في الأصل ١٣٥٧وهو وهم من الناسخ

يا بن سليم ان كان غرتوا بالاطراف	ومن البقر خذتوا ثمان على ضـير
حنا الى غرنا طمعنا بالاســلاف	وكم حلة باركانها نقرع الزير
عملت لك درع وهو جلد خصــاف	بالسوق لا يعجبك رقص الجزازير
واعمش بريدة لا يزتك بميهاف	يقفي الدلو بالرشــا قاعة البير
مغذي شقراه الى شاف ما عاف	عند الغتار مغرية للمصادير
فان طعتني بدل مغازيك بانكاف	ترى ذهاب النمل سعيه بتطيير

وكان حينما أتوا بالبقر الى عنيزة سخر الله رجل من البسام، الحمولة المباركة على[١] عنيزة وأهلها وهو سليمان المحمد البسام المشهور بالدين والصلاح وافعال الخير كلها فعرض على يحي السليم أن يرد البقر على أهله الذي اخذ منهم فقال له: إن البقر الذي اخذتوا من أهل طابة ليست لابن رشيد ولا تضر ابن رشيد وإني أرى أن تردها عليها فإنهم ضعفة مساكين، فلم يجبه يحي السليم الى ما قال، فلما رأى تصميمه وأنه غير مرجع البقر الى أهله قال له سليمان البسام اختر أحد امرين: إما سكنا عندك بالبلد وترد البقر على أهله، وإلا ارتحلُ واسكنُ بريدة، فلما رأى عزمه على ذلك قال له: لا ترحل، أنت خير عندي من أطماع الدنيا، والبقر نرده على أهله إرضاء لك، فانتدب سليمان لإرسال البقر الى أهله وشرط على كل بقرة ريال وأجر عليها محمد القضا وسلم الأجرة من عنده.

ونرجع الى ما ذكره الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله في تاريخه عنوان المجد فقد ذكر أسباب وقعة بقعاء بين أهل القصيم هم وعنزة وعبدالله بن رشيد وعبيد فذكر الشيخ رحمه الله أن سبب ذلك أن غازي بن ضبيان أغار على ابن طوالة من شمر ومعهم ابل كثير لأهل حايل وكان غازي هذا من أتباع أهل القصيم فأغار عبدالله بن رشيد على غازي بن ضبيان من عنزة فأخذ

[١] نهاية ص ٢٤ من المخطوطة

إبلهم وكان ابن ضبيان ومن معه، من أتباع أهل القصيم فغضب لهم أمير بريدة وأمير عنيزة وغزوا قاصدين ابن رشيد بغزو كثير فأغاروا على وجعان الراس من شمر وأخذوه ومن معه ثم إن ابن رشيد خرج من حايل فأغار على عنزة وفزع لها أمير عنيزة يحي بن سليم والفزعة على أرجلهم تاركين جيشهم عند أهل بريدة فركبت أهل بريدة ركابهم وركاب أهل عنيزة بدون قتال وانهزموا أما أهل عنيزة فجمع الله بينهم وبين ابن رشيد على غير ميعاد فثبتوا له وصبروا الى قريب الظهر وهم يقاتلون فعطشوا وانهزموا وكان يحي بن سليم قد وافاه خيال من شمر فاعطاه فرسه وقال انهزم عليها فشكره وقال له بياض وجهك أن توصلني عبدالله بن رشيد على حسناه أو سايته وكان بينهم صحبة قديمة وقد [ظن] يحي أن ابن رشيد يحتفظ بتلك الصحبة، وعندما جلس عنده اتاه ولد لعبدالله بن رشيد وقال قتل عمي، فاخذوا يحي من الصيوان وقتلوه رحمه الله، فقال عبيد في تلك الوقعة:

يا مل قلب فيه تسعة وتسعين	هجس وهاجوس وعدل ومايل[1]
وأصبحت منهن خالي كود ثنتين	سعدا ومصقول يداوي الغلايل
يا نحمد اللي هبهب الريح ياحسين	صارت على القصمان واولاد وايل
اللي ذبحت بشذرة السيف تسعين	أيضا ولاني عن طردهم بسايل
نجرهم بالقاع جر الخرافين	واصبح صفا بقعاء من الدم سايل
يوم انت بالصيوان تقرا الفرامين	شره على شيخة قفار وحايل
يادارنا من جاك جيناه عجلين	بالليل نسري والصفر والقوايل
فان كانهم عنا بالانشاد محفين	فمن الراس مانعتاز رد الرسايل
اتيك مقدم سربة وقم الالفين	كن الشهر به ديدحان المسايل
جينا صباح واثرهم مستكينين	وثار الدخن من حر صلو الفتايل
وحصل لنا عقب الملاقى وفا الدين	وراع السلف درت عليه الجمايل

[1] نهاية ص ٢٥ من المخطوطة

فصل في امتداد إمارة ال الرشيد في حايل الى أن انتهت في عقب عبدالله بن رشيد وقد ذكرنا مدة إمارة عبدالله وهو المؤسس لهذه الإمارة وقد دام فيها من سنة ١٢٥١هـ الى سنة ١٢٦٣هـ فكان مدة إمارته ١٢ سنة ثم تولى من بعده ابنه طلال وهو الأكبر من أولاده وكان شهما شجاعا ومغوارا على الدوام وقد قال شاعر من شمر بعد موت عبدالله وتولي ابنه طلال

الذيب غاب وعقب الذيب له ذيب ذيب على كل القبايل فروسي

عساف زمل بالصخاني مصاعيب وادعاه مثل مخصيات التيوسي

وكان قد أمر رجل من قفار يعرف بالخوير وهو تميمي الأصل وكان طلال قد وجد عليه في نفسه موجدة فعزله عن الإمارة وولى من بعده عبد له يسمى صنقور وكان هذا العبد قد تآمر مع جملة عبيد من عبيد القصرعلى اغتيال طلال فانكشف امرهم ولم يفعلوا، فمنهم من شرده طلال، ومنهم من اقره مكانه فلما استتب المنصب للعبد صنقور تصدى له ذات يوم الأمير السابق المسمى الخوير فقتل العبد المذكور واخذ معه كفن ولفه في إبطه ودخل على طلال، فحينما رآه طلال والكفن معه

[قال][1] اسمحوا له بالدخول فإنه أتى يخبرني بأنه قتل العبد فقال له طلال:اقتلته ؟ قال: نعم أيها الأمير وهذا كفني معي، ولكنك امهلني حتى أتكلم ثم افعل ما تشاء، قال تكلم[2] فقال الخوير من فوره:

---

[1] زيادة يتطلبها السياق

[2] نهاية ص ٢٦ من المخطوطة

جانن منك يا فرز الابطال شـابور ردنيـة ملحـه على العظم جـاير
حســبت زلاتي ولو كلهن عور عند العدو ما تنهضــه بالفشـاير
ياشـيخ انا معكم الى نفخة الصـور احشـر بزمرتكم وباس المصـاير
دنياك وان لقت لك الوجه بنحور شـينه يزين ولو عمين البصـاير
وان ادبرت ما ينفع الراي والشور ولو مليـت من الحرس كـل عـاير
وان دبر امر ما نفع كل محذور الهم زود وما بغى الله صـــاير
عزلتني وتومر العبد صنقور اللي على راسك يدور الدواير

وكان الخوير قد حفر له بئر وغرس عليها غرس وبنى عليها قصر محكم فقال في ذلك:

سميت واركبت المحالة على البير والله بحيله على جهدنا يكافي
ونبي براي الله نقده دعاثير غرس يتابع اولات الصيافي
الى مزقن من القراح الجمامير تسابقن بالطلع مثل الطلافي
وقصر بحط مربعات الصفاقير نخاف من عقب السكون اختلافي

فلما وصلت القصيدة الى طلال اخذ في نفسه عليه وأنه يقصد زوال من الملك بموت أو بعزل فعزله عن الإمارة ولم يمسه بسوء، وكان طلال يحب الرجال الفصحاء والكرماء وكان صديقه محمد العبدالله القاضي شاعر عنيزة المشهور الذي لم تضم جيلان عنيزة اشعر منه وهو شهم كريم السجايا وكريم من ماله وستاتي ترجمته عند ذكر امراء عنيزة وحروباتهم مع الحكام، فبمناسبة صحبته مع طلال بعث اليه بهذه القصيدة:

طلال لو قلبك حجر او حديدي / يمديه من حامي وطيس الوغى ذاب
شبيت يا النادر بنجد الوقيدي / واحرقت فيها اعداك واذريت الاصحاب
وكسيت نجد بثوب عز جديدي / وسليت روح اعداك يا عز الاقراب
بحرب وضرب شاب منها الوليدي / مالوم من عاداك يوم ولو شاب
تلقى الخطوب بباس ليث شديدي / وعزايم عزت على عمر وشهاب[1]
احييت شجاعة خالد بن الوليدي / وانشيت قالات لابا زيد وذياب
لو كان عمرو بن معد الزبيدي / حي لحا بحماك يا زاك الانساب
حيثك وفي بالوعد والوعيدي / غيث وليث وحضرمي وغلاب
صميدع عنتيت حي عنيدي / شهم وفي هيلعي ووهاب
شفق على الداني حليم رشيدي / طفق على الجاني جري وقلاب
روح لابن شعلان علم وكيدي / انه بشهر الصوم ضيف لحطاب
واوفى لهم وافي الذمام الوعيدي / وعنى لهم في خمسة الاف قراب
سرد وجرد كالدبا يوم قيدي / واتعب طويلات الجلامد بالاداب
واقفوا عنه هراب سك اويدي / وتبدلوا عن دارهم دار الاجناب
وخيم على مارد ورد الرديدي / وتم الجواب وعزب الجيش معزاب
ضرب وخرب كل قصر مشيدي / كن الصواعق والرعد ضرب الاطواب
دمر وجمر ناعمات الجريدي / واهفى مقام القوم والنوم له طاب
وهو على اللي مثل عنق الفريدي / او قارح مثل الفهد يوثب وثاب
يقلط على الجمع المشهر وحيدي / كالموت لارقاب الملابيس نهاب
يدوسهم دوس البقر بالحصيدي / عسى عليه من الولي عز وحجاب
انساهم الماضي بفعل جديدي / واودع مصاعيب يطيعون بكتاب
بالغت في مدحه ولا صح بيدي / ولا احصي خصال غلطن كل حساب
باولاد عمه كاسبين الحميدي / شمر ينابيع الصخا حصن طلاب
قوم الى ركبوا على حرد الايدي / شفت القلايع كالحراذين هراب
وصلوا على الشافع بيوم الوعيدي / محمد المختار والال وأصحاب

وكان محمد العبدالله القاضي هو شاعر عنيزة الوحيد وستأتي ترجمته في موضعها إن شاء الله، أما طلال فقد تولى الإمارة بعد موت ابيه عبدالله من سنة ١٢٦٣هـ الى سنة ١٢٨٢هـ ويقال إنه مرض مرض جنوني وقتل نفسه بيده بمسدس كان معه، وتولى الإمارة بعده اخوه متعب العبدالله وكان طلال قد خلف عدة أولاد اكبرهم بندر وبدر ونايف وهو اصغر منهم فتآمروا على قتل عمهم متعب، فقتلوه وكانت مدة إمارته سنتين ونصف ويسمونه شمر "دهيران" لأن مدة إمارته والغيث

[1] نهاية ص ٢٧ من المخطوطة

محبوس عن نجد، فتولى الإمارة بعده بندر وهو الأكبر من عيال طلال وذلك في سنة ١٢٨٥هـ ومما يروي لنا بعض مشايخ أهل عنيزة من ذوي الأسنان أنه حدث في إمارة متعب أن بعث لأمير عنيزة كتابا يرد النقا عليهم، ويقول إنه سيغزوهم لا محالة، وقد اتى كتابه بعد العشاء الأخير فامتحن امير عنيزة من هذا الكتاب، فاستدعى بعض رجاله الذين يثق منه ويثق برأيه وأخبره الخبر، فقال له المستشار نم هذه الليلة بخير ولا تهتم لقول الباغي فالله يصرعه، وعند طلوع الفجر من تلك الليلة اتى رسول من بندر يخبر أنه قتل عمه متعب ويطلب من أمير عنيزة صحبته ورابطة حلف بين البلدين، ويثلب عمه بكتابه لهم ورد براءته عليهم، فصح قول شاعر عنيزة مطابق وشاهد للموضوع حيث يقول:

بين افترار الليل والصبح كم حدث　　　يسر بعد عسر والأيام زلافي[1]

وكل ما نرويه بالتاريخ، فالغالب أننا نشاهد مثله عيانا فيصدق عليه قول من قال إن التاريخ يعيد نفسه فقد شاهدنا في موقعة تربة المشهورة في سنة ١٣٣٧هـ بين الإخوان وبين الشريف عبدالله، فقد أمر الشريف على المقيمين في تربة من أهل نجد أن يجمعوا في بيوتهم وعائلاتهم، وجمعوهم من العصر وأول الليل حتى تكامل عددهم ١٤٠ نفس، واستعد لهم بجمال أحضرت عندهم، وعزمه حينما يأتي عليهم الصبح يأمر بركوبهم على الجمال ويرسلهم الى ابوه حسين بالطايف ويقول هؤلاء أسارى أخذناهم من المدينة ثم يرسلونهم من الطايف الى مكة وجدة ليتفرج عليهم الناس ولكن الله أراد خلاف ذلك بأن سلط الإخوان على الشريف عبدالله وقومه، فكبسوهم عند

---

[1] نهاية ص ٢٨ من المخطوطة

الفجر الأول وقتلوهم شر قتلة فما ترجلت الشمس حتى ابادوهم عن اخرهم قتلا وتشريدا وعمدوا الى الاسارى فحلوا قيودهم واكرموهم واذنوا لهم أن يتعرفوا كل ما اخذوا منهم من فراش واثاث ومصاغ ويأخذوه بدون أيمان يحلفونها على ما يجدونه مع ما يسمونه الغنايم، وفي بندر هذا يقول شاعر من شمر[١]

يا من يبشر شمر ان شاخ بندر	كل الخلايق من على ابوه تغليه
الشيخ عقب الزوم قام يتسندر	من كف شغموم من العام مطنيه
الضرس لو خلي زمانين خندر	يشظي العظام ويسهر الليل راعيه

ثم إنه بعد قتلة عيال طلال لعمهم متعب فتح الله عليهم باب القتل ونكث العهود وتقاطع الأرحام، فالقتل بينهم ابتدأ من الطلال وانتهى من الطلال فهذا بندر بن طلال ابتدأ وقتل عمه متعب، وختم بذلك عبدالله الطلال حينما قتل سعود بن عبدالعزيز بن رشيد والحق يقال إنهم ظلمة جمعوا بين نكث العهود والقتل وقطيعة الأرحام، وكل من قتل وقطع رحمه طمعا بالملك بعده لا يلبث الا قليلا ثم مصيره الى القتل، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون[٢].

ثم تولى الإمارة بندر واخوه بدر يعضده من سنة ١٢٨٥هـ وكان عمهم محمد العبدالله ال الرشيد قد لزم إمارته على الحاج، يظهر بهم من العراق مع حاج فارس كله وهذا دأبه، ثم إذا انقضى الحج يرد بهم الى أوطانهم فاستمر سنين على هذه

---

(١) تنسب الابيات لراشد الهجلي الشمري

(٢) نهاية ص ٢٩ من المخطوطة

السيرة ولما دخلت سنة ١٢٨٩ هـ [والحال] لم يفرق كعادته وكان قد اتاه وهو في العراق جماعة من بادية الظفير فوافقوه على أنهم يشيلون عيشا الى حايل وتسمى عندهم (ميادة) بأن محمد يحضر لهم العيش من عنده وهم يحضرون جمالهم ويشيلون عليها ، لهم نصف كروة جمالهم ولابن رشيد نصف، ولكنهم استثنوا من محمد أن يحميهم من ابن أخيه بندر امير حايل لأنه يتحلف بهم ويعدهم قوم حربيين ليسوا بذمته فعرض لهم محمد وجهه وضمن لهم جمالهم وارواحهم طمعا منه أنهم ينفعون حايل وأهلها والرشيد خاصة (........)[١] فاستقل مع محمد بن رشيد ٤٠٠٠ جمل كلها محملة بالعيش، ولما قرب من مياه حايل كان ضعيف الوثوق من بندر أن يجري له هذه، ويؤمن الظفير، فأمر عليهم أن يقيموا على ماء يبعد عن حايل يومين ويركب هو بنفسه ويواجه الأمير بندر ويخبره بما فعل، فركب ولما وصل حايل وجد الأمير قد ركب خيله وخرج للنزهة في بعض الضواحي فواصل السير اليه فوجده قد قضى من تنزهه راجعا الى حايل وليس معه الا جريدة خيل، فتواجهوا وسلم عليه، وكان محمد عمه، اخو ابوه طلال فاخبره بخبر الظفير ومجيئهم معه فانتعض لون بندر وتغير على عمه محمد وقال له ماخوذين ومذبوحين فقال له محمد أنا جايبهم بوجهك [قال][٢] أنا أعرتك وجهي تذهب به معك للعراق وتعرضه للظفير ؟ فقال محمد: وأنا اعطيتهم وجهي وهم في العراق ثقة بك، وأنت انظر المصلحة عامة، للشيوخ ولأهل حايل، فبادره بندربقوله أنت مالك وجه، ماخوذين ومذبوحين

---

[١] كلمة غير واضحة
[٢] زيادة يتطلبها السياق

فحينئذ ثارت ثائرة محمد وهم بالفتك به وهم يمشون على الخيل ومحمد على ذلول فلما رأى محمد أن ركوبه على الذلول لا يمكنه بالفتك ببندر الا إذا كان على جواد مثله فأمر على أحد عبيد بندرأن ينزل عن فرسه لاجل يتكلم مع الأمير قريبا منه، فنزل العبد كما امره محمد فركب فرس العبد واخذ يكلم الأمير وهو قانع منه بأنه سيفتك بالظفير ولا يقيم لوجهه وزنا، فتحيل فيه محمد وهم يمشون على الخيل، وكان محمد بفخذه رصاصة، وشقها في العراق وأخرجها فقال[1] للأمير بندر: ما شفت الرصاصة، اظهرتها من فخذي بالعراق ؟ وهو يكشف له فخذه، فما نظر فيه بندر فلما مال بوجهه عن محمد اغتنم الفرصة واخذه بتلابيبه على الفرس وطعنه بالخنجر ونزلوا على الأرض معا وقال بندر : مهيب قطايع يا ولد عبدالله، وإذا أرحامه قد نزلت بالأرض وخر صريعا ميتا، ومن عادة خدام الرشيد وعبيدهم أنهم لا ينصرون بعضهم على بعض إذا تقاتلوا بينهم، بل يطيعون للقاتل أن يكون اميرا عليهم، فركب محمد على الفرس ودخل القصر فنادى مناديه أن الأمير محمد بن رشيد، فمن أراد العافية فليسكن وهو آمن، ومن أراد الشر فليتبين، وقتل معه اثنين من إخوانه في البلد، ثم صفا الحكم لمحمد بن رشيد من سنة ١٢٨٩هـ الى أن توفي سنة ١٣١٥هـ فكان مدة حكمه ٢٧سنة وكانت امارته كلها بركة على الناس، فبعث الى الظفير بعدها واتوا ونزلوا حايل وباعوا وابتاعوا مدة أيام ثم رجعوا الى أو طانهم مكرمين، وكانت سيرة محمد حسنة وكانوا جملة الناس يدعون له بطول البقاء لما يرون من عفته ومحافظته الى حقوق الرعية وكان يعز الحاضرة من

[1] نهاية ص ٣٠ من المخطوطة

رعاياه ويذل البادية وكان يكثر من قولة (ما خبرت حضري ظلم بدوي) فالبدوي هو الظالم على الدوام، وهم سود الوجوه، إن لم يظلموا ظلموا، وكان كثير المغازي واغلبها على عتيبة لأنهم لم يألفوه ولم يعطوه طاعة، واكثر سنين حياته رخاء ورغد، رخاء في الأسعار ورغد في العيش وكثرة في الامطار، وكان كثير المغازي وخاصة على عتيبة لأنهم لم يخضعوا لطاعته وكان حاكما عاقلا حليما لا يبدأ بالشر الا من بدأه به، وكان يحب الوفاء بالعهود ويعطي الأمان ولا يغدر، وكان شهما شجاعا ملهما لنطق الصواب قوي الحجة كثير الصفح والعفو عن المجرم والحق يقال أنه غرة بيضاء في جبين حكام ال الرشيد، وكان في نفسه موجدة على أهل الزبير بما بلغه عنهم أنهم يهيسون في اسواقهم ويقولون:

متوهم تحسبنا عتيبة   لو نزفر تظهر من حايل

فلما أتت سنة ١٣١١هـ اغار على العجمان، على ماء يقال له حمة قرب سيف البحر ونزل على البرجسية من ضواحي الزبير وخرجوا عليه وجهاء الزبير للسلام، منهم المنديل والغملاس والزهير والقرطاس وكان جالسا في صيوانه وهم جلوس عنده بعدما سلموا وقد جهزوا له هدايا ومن جملة الهدايا أقفاص دجاج فمروا بالأقفاص من عنده وهو في صيوانه و أهل الزبير جلوس عنده[١] فسمع غرغرة الدجاج فسأل من حوله ما هذا الذي أنا اسمعه ؟ فقالوا له أهل الزبير هذا دجاج ياطويل العمر هدية للمضيف ، على الفور ثلبهم بذلك وعيرهم

[١] نهاية ص ٣١ من المخطوطة

وقال لهم أنا اخو نورة، مهيب هديتي دجاج، لكن أنتم يا أهل الزبير ما بعد عرفتوا أنفسكم وش أنتم يوم تهوسون وتقولون

متوهم تحسبنا عتيبة لو نزفر تظهر من حايل

أنتم تعدون اعماركم مثل عتيبة طوال الايمان، عتيبة اللي صبحتهم ٤٧ صباح، يومٍ ناخذهم ويوم يكسروني ويقلعون خيلي ولكن يمده ابن لعبون ما لقى وصفكم الا هو اللي يقول:

رجالكم ما يسفه الا الى شاب مثل القرع يفسد اذا كثر لبه
والا فراعي نجد من قابله هاب مصقول مثل السيف ما ينلعب به

وهو يريد بذلك أن يكسر سورتهم ولا يريد بهم شرا، وكان يحب الشعر ويأذن للشعراء بالإنشاد بين يديه ويعطيهم الجوائز بقدر الوقت وبقدر الإمكان وكان يجازي على المعروف ولا يهمله ويسأل خدامه عمن اضافوه في طريقهم، ومن طاب معهم ومن قصر، وكل يجازيه بقدر عمله وكان يحب الكلمة الطيبة اذا وصلت وربما يعفو عن الجاني بسببها فحدث ذات يوم حينما كان محمد يتروس[١] على الحاج وكانت الإمارة لابناء أخيه طلال، بندر وبدر الذين قتلا عمهما متعب فاجتمع عند النزول من منى بزحام عظيم قرب جمرة العقبة وهو موضع الزحام عند النفر الأول وكان حاج الرس يومئذ كثيرين ولهم شوكة وكان يحمل رايتهم رجل يدعى فهد الراشد الغفيلي وكان يرى من نفسه قوة وشجاعة فقال له محمد انهج وراك لا ترجمنا يا قصايمي، فقال فهد مجيبا له اقطع واخس ياقرون هالصلبية،

---

(١) يترأس

فأجابه محمد بقوله لبيك اللهم لبيك لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم نهر راحلته حتى زفرت به وتركه، ثم طالت الأيام حتى حكم محمد ال الرشيد أهل نجد كلهم من جوف العمر الى وادي الدواسر فحدث ذات يوم أن محمدا غازٍ على عتيبة فكان الغفيلي في قرية النبهانية يتخلص بديون له عندهم وقت حصاد الزروع، فاتى محمد بن رشيد غازيا على عتيبة فقدم الطلايع أمامه ونزلوا على امير البلد يأمرونه أن يمسك ما عنده من البدو ويحبسهم حتى يروح البيرق مسيرة يومين[١] وذلك خشية الإنذار، فنزل النبهانية وهو مستعجل وماله فيها من حاجة الا ليشرب الماء خيله وجيشه، فلم يقم بها سوى ساعة ونصف وشرب ومشى فاعترضه شاعر هتيمي من المظابرة يسمى شمهليل فطلب منه الرخصة أن يقول الشعر الذي عنده فقال له محمد حنا عجلين يا شمهليل فقال يا طويل العمر بلساني لا تردني فقال هذها وأنت واقف فقال:

سلام يامعطي طويلات الارسان	نبي السلامة منك وهي المعونة
يا شيخ ما حنا صلايب وعربان	حنا براس الضلع مثل الزنونة
هج الذويبي من جوانب عمودان	وطرق على الماء يابسات شنونه
وهج العتيبي من ورى النير عجلان	وقفى مع الوادي تزاعج ظعونه
واللي بعرق سبيع كنه ببرزان	والنوم والله ما تذوقه عيونه

وأما ما كان من فهد الراشد الغفيلي المذكور سابقا فهو خاف من ابن رشيد بسبب كلمته التي حدثت منه في منى، وقال لأهل النبهانية أنزلوني في التنور واردموا فوق رأسي من خفيف الحطب واتركوني حتى يرحل ابن رشيد عنكم ففعلوا ما

[١] نهاية ص ٣٢ من المخطوطة

أوصاهم به ورحل محمد بن رشيد سريعا وخرج هو من التنور وأخذ أهل النبهانية يطقون عليه الشوابيش ويعيرونه بأنه اختفى في التنور فقال لهم أنا اختفيت في التنور وسلمت من ابن الرشيد ولكن أنتم تعزوا لعتيبة اللي هو مقبل عليهم، هم يلقون تنور مثلي يتغبون به ! فحينما وصل محمد حايل بلغته كلمة الغفيلي فضحك وقال من جاه فليبلغه أنه في وجهي واماني، وإن اتاني اكرمته وإن لم يأتني فهو آمن مني بأي بلد يكون.

أما من محمد فهو اكان على عيال سحلي بن سقيان، محمد والحميدي في عرق سبيع واخذهم واخذ ابلهم واغنامهم وكان انكف وخيم على سجى الماء المعروف بطريق مكة وعزل الخمس على تلك الماء، وأتوه الشعار يفدون عليه وكل منهم بقدر شعره ومن بينهم مخلد القثامي الشاعر المشهور، لم يدركه وهو على الماء فتابع السير حتى وصله في حايل وكانت جمال ابن سقيان تسمى العليا فلما دخل عليه مسلما بقصره قال على البديهة وهو واقف[١] :

سلام ياشيخ مقر الامارة ... حر شهر من قصر برزان لعداه
قصوه من قاعة ضليع الخسارة ... يا كثر ما قصوا من الخيل كثراه

مع حاكم يسقي العدو المرارة ... مقدم ثلاثين الف والملك لله
يوم اخذوا العليا عليهم عزارة ... وتغشى ابن سحلي سحابه وبرداه
وحقت على راس الحميدي كرارة ... واقفوا بها مثل الخيام المبناة

وكانت أم عيال سحلي بن سقيان عندها غزل تبي تسداه غرارة وتشيله على البعارين كلما شدوا، قال لها بعض الحريم : ورا ما تطرحين غزلك يا ام الحميدي ؟ قالت: اطرحه عوق يعوقكم

[١] نهاية ص ٣٣ من المخطوطة

وأنتم قوم لاخو نورة محمد الرشيد، تهجون وتخلونه بالأرض في مناسيبه، والله ما أطرحه إلا أنكم مستامنين من ابن رشيد، فوفدت عليه من عرض من وفد عليه، فقالت له أطلبك الرفدة يا محفوظ،[قال][1] :وش أنتي قايلة يا أم الحميدي ؟ ولم تذكر ما قالت لأنها مندهشة، قالت والله يا طويل العمر إني لم أعلم شيء قلته، عيالي مشردين وحلالي ماخوذ وأنا في دهشة فذكرها يقول : يوم الغزل وش قلتي ؟ فذكرت ذلك وقالت نعم قلته واللي بلغك هو، فقال الله عطاك زمل بيتك كله اللي أنتي ترحلين، فعزلت ١٤ جملا وقالت هذا زمل بيتي، قال تستاهلينهن يا ام الحميدي، وكان مثال ذلك كثير، وكان يحترم العلماء ويكرمهم ويصفح عن زلاتهم وكان غزا على عتيبة وعلى عبدالله بن فيصل بن سعود بالحمادة ورئيس عتيبة عقاب بن حميد وتاريخ هذه على رأس ١٣٠٠هـ فصبحهم جميعا وأخذ أموالهم وقتل في هذه الوقعة عقاب بن شبنان بن حميد الفارس المشهور وهو يومئذ رئيس برقا من عتيبة ويقول في تلك الوقعة الشاعر المشهور المسمى خضير الصعيليك من الأسلم جماعة ابن طواله:

مزن نشا من ريبته وارتهابه	**ومن ريبته كل الخلايق مريبين**
مزن شراشيح الحريشي سحابه	**يسقى العدو من ماه نتله عزازين**
البرق يبرق والرعد له ضبابة	**وصبت على ابن حميد هم والشيابين**
وقالوا هل العوجى عن الشيخ طابه	**واقفن بهم ضرب المقاومد معيفين**
سبحان رافع بابة فوق بابه	**وخفاض بابات اللي بالادراج عالين[2]**
محمد بنى صيوانكم وارتكى به	**ومثل الفهد صكت عليه الغلامين**
محمد بضرب السيف ما ينهقى به	**عليه أبا زيد يلحن تلاحين**

---

(١) زيادة يتطلبها السياق

(٢) نهاية ص ٣٤ من المخطوطة

ولا قلتها بك يا ابن فيصل سبابة حكم وتدبير الولي فيه راضين
يوم الولي ذارت هبوبه ذرى به ضريب ربي مهزك يا مسيكين

ثم إنهم بعد هذه الوقعة انهزموا جميعا وانهزم الإمام عبدالله الفيصل ومن معه ورجع محمد بن رشيد إلى بلده حايل ولما تم له بعد هذه الوقعة ستة شهور أتاه الخبر أن عتيبة اجتمعوا على عروى الماء المشهور بالجنوب ومعهم محمد بن سعود بن فيصل الملقب غزالان فصبحهم جميعا وكان أولها لعتيبة على محمد وجنوده حيث إن جيشهم اصابه جفل من كثرة خيل عتيبة وكان غازيا معه حسن المهنا بأهل القصيم كافة ما عدا عنيزة وعدد الغزو الذي معه خمسمائة رجل فلما رأى حسن أن ابن رشيد وجنوده خف الى الهزيمة ثبت وأناخ جيشه وعقله واخذ يكافح بشجاعة وعزيمة، فلما رأى محمد بن رشيد ثبوت حسن، رجع الى حسن وأناخ بجنده معه وجالدوا اشد جلاد حتى انهزمت عتيبة ومعهم محمد بن سعود وأصيب محمد بن هندي الفارس المشهور وهو رئيسهم يومئذ، وكانت الدائرة على عتيبة ومن معهم لابن رشيد، ونزل على الماء، وتفرقت فلول عتيبة بعد الهزيمة في الأودية والشعاب، وكان مع محمد بن رشيد ثلاثة من العجمان، منهم حزام بن حثلين، ومنهم فاران بن حثلين، ومنهم ليل المتلقم، فقد بعث به محمد بن رشيد بشيرا الى راكان بن حثلين يبشره بهزيمة عتيبة وانتصاره عليهم، وبعث معه حمود العبيد الرشيد هذه الابيات الى راكان يقول فيها:

من الجبل نمشي على كل مقران | شهرين والثالث طرحنا مشيره
نتلي شبوب الحرب مصواط الاكوان | الى احمر من عود البلنزى طريره
ياليل سلم لي على الشيخ راكان | سلم على زيزوم يام واميره
قل فعلنا شافه حزام وفاران | يوم على عروى يثور غثيره

فرد عليه راكان قائلا[1] :

علم لفاني به حزام وفاران | يا سر قلبي يوم جاني بشيره
من قصر برزان الى سوق نجران | مهوب انا يا الضيغمي انت اميره
من زان فحنا له على الزين خلان | ضر الى حرك تزايد سعيره
نضرب بحد السيف ما حن بجيران | وبجيرة اللي ما يخيب جويره
الاحسان يا ابن عبيد يجزى بالاحسان | والشر تنطحه الوجيه الشريرة

وقال في هذه الوقعة ضيف الله بن تركي بن حميد الذي يلقب (العفار) وقصده يفتن بين الرشيد:

يا حمود كنك قاعد وسط برزان | لا عاد لا يمنى ولا لك بصيرة
ليا جيت يم الشيخ يثنيك سبهان | يثنيك لين العلم يرجع لاميره
لولا حسن نوخ بذربين الايمان | صارت عليكم يا بو ماجد كسيرة
وابن سعود اللي يسمى غزالان | يجيب تالي الخيل مثل السعيرة

وكان حمود العبيد يتهم أن الذي قال هذه القصيدة صنيتان الضيط وليس ضيف الله بن تركي فقال في هذا الجواب:

---
[1] نهاية ص ٣٥ من المخطوطة

حصـان الضـيط اللي يسـمى صـنيتان	طقاع بلا جري قليل حصـيله
ان طب بالعرضـة ولا تقل سـكران	يلعب بسـيف سـلته من جفيره
وان صار ضرب مخلص مثل ما كان	ما ينقهر غاد الجدي عن منيره

وقد ظلم بهذا البيت فإن صنيتان معروف، وفارس شجاع مجرب، ولكن الشاعر لا يتبرى من الظلم . انتهت هذه المعركة على ما ذكرنا سابقا ثم دامت الصداقة بين حسن المهنا وابن رشيد اربع سنوات فلما أراد الله أن ينفذ امره اختلف حسن وهو وابن رشيد عند زكاتهم للبادية وكل منهم يريد أن يزكي بادية الاخر، ومن ذلك الحين تحكمت فيهم حزازات النفوس واستمرت العداوة بينهم حتى التجأ حسن الى صحبة زامل بن سليم امير عنيزة وزوجه حسن المهنا ابنته، واتفقوا على حرب محمد بن رشيد، وكانت وقعة المليدا المشهورة، انتصر فيها ابن رشيد على أهل القصيم كافة، ورؤساؤهم حسن المهنا، وزامل بن سليم، وكان محمد بن رشيد حريصا على أن يفصل زامل عن حسن، فما يفتر عن طلبه لوداده وصحبته، وينفض يده عن صحبة حسن، وقد ضمن له إمارة بلاده وما وضع يده عليه من سائر القصيم أن يدخل تحت امارته، ووسط له الوسايط واعطاه العهود والمواثيق على ذلك، وصمم على حربه بجانب حسن وذلك لأمر قدره الله[١]، فلما كان يوم الخميس الموافق ٢٣ من جماد أول سنة ١٣٠٨هـ خرجوا من عنيزة ومن بريدة ومن سائر القصيم، وكل القصيم يومئذ تابع لحسن وتحت امرته ما عدا عنيزة وضواحيها فهي مستقلة تحت إمارة زامل بن سليم، وحينما أرادوا الخروج من أوطانهم

---

[١] نهاية ص ٣٦ من المخطوطة

تواعدوا القرعا، قرية معروفة شمالي القصيم ونزلوا فيها وتواردت غزوان القصيم من كل جانب، واقاموا فيها بضعة أيام وهم متقابلين، ولم يكن بينهم قتال حتى بدأهم ابن رشيد بالقتال، وكان معه جنود كثيرة لا يحصى لهم عدد، من شمر وحرب وعنزة والظفير وهتيم، ونزل ابن رشيد على الضلفة قبالة أهل القصيم، وكانت القوافل تأتيه كل يوم من حايل ومن العراق بجميع ما يحتاج اليه من الطعام على اشكاله واصنافه ومن الأسلحة والذخيرة، وأهل القصيم شبه محصورين في القرعا حتى نفد ما معهم من الطعام، فارسل حسن الى بريدة رجل يأتيهم بطعام، وهذا الرجل اسمه عمر الحريص، فأتى الى زوجة حسن ام أولاده واسمها مزنة، فطلب منها ما أرسل اليه، فقالت له ليس عندنا طعام ولكن خذ هذه ستة اريل، اشتر بها زهاب، فقال مجيبا لها ما حكمتي يا مزنة، فذهبت مثلا، ولكنه قال لها محمد بن رشيد تاتيه الحملات من العراق متواصلة بلا انقطاع وحنا زهاب غزونا ستة اريل، ثم بعد ذلك زحف عليهم ابن رشيد وحصلت بينهم وقعة يسمونها كون القرعا وكانت الغلبة لأهل القصيم على ابن رشيد لأنهم متحصنين في جبال ولم يكن لخيل ابن رشيد ميدان تغير به، وكان معه على ما يقول المحقق من صنف الخيل ثمانية الاف خيال، وكانت الكلمة الذي قالها رسول حسن الى زوجته يطلب الزهاب قد بلغت محمد بن رشيد وكان يرددها مرارا وقد اعجبته، فلما رأى محمد بن رشيد أنه لا طاقة له بهم ما داموا في منزلهم هذا وأن الخيل ليس لها ميدان للغارة، فرحل عن مكانه مختارا له منزل يكون افسح من منزله، وفيه مجال للخيل لكرها وفرها، ونزل الشيحية، قرية صغيرة غربي القصيم

وجعل بينه وبين أهل القصيم صحراء واسعة، وهي التي تسمى المليداء، فبعد رحيله، رحلوا ونزلوا شرقي المليدا، ونزل هو غربها، وهذا الذي يقصده لأن الصحراء كانت بينهم، ثم إنه حينما نزلوا قبالته لم يمهلهم، ومشى عليهم من ساعته بجميع جنوده، خيلا ورجلا فالتحم القتال وحمي الوطيس وبلغت المعركة اشدها، فقتل زامل وولده علي، وبضع رجال من بني عمه وعدة رجال شجعان من أهل عنيزة، ومن قبيلة حسن ورجاله قتلى كثيرة[١]، وبعد قتل الرؤساء والشجعان من أهل القصيم حلت الهزيمة على أهل القصيم وعربانهم الذين ساقوهم معهم بابلهم وغنمهم، فاصيب بهذه الوقعة أهل القصيم بكارثة عظمى باموالهم ورجالهم لا تنسى مدى الدهر، نسأل الله أن لا يعيد على المسلمين مكروها بعد هذه، وكل ما حصل من النكبات هي تابعة لهوى شخصين فقط، زامل وحسن، ولن نوجه على رئيس ولا مرؤوس بل نقابل الواقع بالرضا والتسليم، والرضا عند نزول القضاء، ونسأل الله يغفر لميتهم ويتسامح عنهم ويخلف على ذويهم ما رزئوا به، وقد مر على القصيم قبلها حروبات ووقائع وربما أن وقعة المطر على أهل عنيزة وحدهم كانت اكثر قتلى من قتلى المليدا ولكن وقعة المليدا لها مرارة لاذعة ورزية عظمى لا تشبه الرزايا بما قتل بها من رجال يمتازون عليهم بالفضل والعقل والشجاعة والشهامة ومكارم الاخلاق، كل منهم له ميزته وربما اندرس ذكر الحروبات السابقة ووقعة المليدا لم تنمحي من قلوب الرجال، لا ممن حضرها ولا ممن خبرها كلهم في الحزن وفي المصيبة سواء فقد طفت فيها نيران رجال يوقدونها على الدوام

---

[١] نهاية ص ٣٧ من المخطوطة

وتجد حولها جيران وأضياف وضعفاء وتلك عادتهم وليس يتبعونها منا ولا اذى، وقد روي لنا عن مبارك المساعد وهو معتوق البسام، المشهور بالكرم والسماحة وانتشار الصيت وكان يقيم بجدة يتعاطى بالتجارة وكان شغوفا بحب وطنه عنيزة ويلهج دائما بذكرها، فلما تعالموا هو وجماعته الذين يجلسون معه بخبر موقعة المليداء وعددوا لهم أسماء القتلى اقسم لهم أنه لو وقف رجل من أهل عنيزة ذو فكر حاضر ومعرفة صائبة بباب المسجد الجامع يوم الجمعة واراد أن يندب هؤلاء الرجال الذين قتلوا في هذه الوقعة، فإنه لم يصبهم مثل ما اصابهم الموت. هذا ما نورده عن وقعة المليدا ونكتفي بقليل من كثير . أما محمد بن رشيد وجنوده فقد قتل منهم خيل ورجال ولن يضره ذلك لأنه هو الغالب وكان الإمام عبدالرحمن الفيصل قد استنهض أهل الجنوب بادية وحاضرة واتى ليكون رئيسا لأهل القصيم بمن معه من الجنود ويتبعه يومئذ جيش جرار ويا للأسف فإنه لم يدرك الوقعة الا وقد انقضت، فقابلته فلول عربان القصيم وهو في الغاط فرجع من مكانه ذلك وهو يتلهف على حضورها . ونرجع الى ما ذكره الله في كتابه العزيز ولنا فيه اكبر عبرة وهو قوله تعالى لنبيه واصحابه في وقعة أحد تعزية لهم على ما اصابهم وهي اجمل تعزية " إن يمسسكم قرح فقد المس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس " فقد جرت وقعة النيصية قرب حايل من الملك عبدالعزيز وجنوده وقعة عظيمة هي شبيهة بوقعة المليداء بل إنها تعد طبق الأصل حيث قتل فيها مقتلة عظيمة وقتل نوادر رجال من أهل حايل شبيهين برجال أهل عنيزة

وكانت وقعة المليداء في ١٣ جماد الآخر سنة ١٣٠٨هـ و أما وقعة النيصية ففي شهر الحجة سنة ١٣٣٩هـ[١] .

فمن وقعة المليدا المشهورة انتشر حكم محمد بن رشيد على نجد كلها من وادي الدواسر الى جوف العمر وعاملهم بالإحسان، فقط الذي يواخذ عليه من فعله الشنيع أنه حينما رأى الهزيمة توجهت على أهل القصيم ومن معهم أمر على خيوله أن يقتلوا مدبرهم ويقتلوا جريحهم، فبهذه الصفة أوغر صدور أهل نجد بعداوته وبغضه، وأخذوا يسعون لحربه بصف كل من حاربه ويتربصون به الدوائر، ولو أحسن عليهم بخلاف ذلك لجنى ثمرة ذلك الإحسان ، وختام القول بأن نقول إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم (تختصمون) فالله هو الحكم العدل الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة، ثم إن محمد ال الرشيد بعد وقعة المليداء انتشرت طاعته على الرعية من جوف العمر الى وادي الدواسر وكلها تفد عليه تطلب احسانه وتدفع اليه زكاة أموالها بادية وحاضرة وكانوا خدامه على الدوام على ركابهم يتجولون بين القرى والمدن وكانوا لا يتعدون على أحد الا مأمورين عليه، وكان يعفي الحاضرة عن الضرائب والفضات إلا ما كان من زكاة أموالهم، فقط يتحامل على البادية ويغير عليهم على الدوام إلا من خضع منهم لطاعته ودفع له زكاته، وكان يوما في بعض غاراته على عتيبة نزل قرية الشعراء المعروفة فأتوا أهلها إليه للتسليم عليه فلما جلسوا عنده ذكر له بعض جلسائه أن مع الوفد الذي عنده شيخ يسمى سعد بن ضويان وأنه يحفظ من كلمات حميدان الشويعر شيء كثير، وكان محمد بن رشيد شغوفا بشعر حميدان يحبه ويحفظه

[١] نهاية ص ٣٨ من المخطوطة

فقال له على الفور ياشيخ سعد عطنا إذا كان عندك شي من كلام حميدان ماهوب عندنا، لأن فيه حكمة، فقال له الشيخ إن حميدان يقول حينما تسلط الشيخ زامل بن عايد رئيس أهل الحساء يحط على رعاياه الحضر أموال ويعطيها البادية ليرافقوه فقال في ذلك:

تسعين كيس اخذة الشيخ زامل	**من الحضر يعطيها البوادي ترافقه**
اظن شيخ ذي سجايا طبوعه	**مثل حلاب اللبن ثم دافقه**

فقال محمد بن رشيد مجيبا له والله لين عاش راسي لأركي البدوي على الحد الطرير على الدوام وعساه ينفع فيهم .

ونذكر حسن التخلص إذا وفقه الله للإنسان بعد أن يتورط، فمن ذلك أنه روي لنا عن (علي بن مهنا) من بني زيد وكان مقيما بالشعراء وهي القرية المذكورة وهو إمام مسجدهم فورد على الشعراء إبل مجلوبة عليهم من جند محمد بن رشيد ممن يسمونه غنايم مكسوبة من البادية[1] فسألوه أهل القرية هل نشتري منها أم لا وهي مكسوبة مع محمد ال الرشيد فلم يرخص لهم في مشتراها قال إنها منهوبة من أهلها وهم يبكون غصبا عليهم وكل مغصوب ظلم، فبلغ الخبر محمد بن رشيد بقوله ذلك وأرسل عليه من يأتي به في الحال فأتى به وتهدده بقوله أنت تحرم كسبنا يا شيخ علي! وقصده يفتك به ولكن الله فهمه بعذر سديد فقال : لا يا طويل العمر ليس كما بلغك أني حرمت كسبكم ولكني قلت لهم أن الإبل التي أتتكم مجلوبة مهربة عن خمس الحاكم والكسب الذي ما يخمسه الحاكم حرام

---

[1] نهاية ص ٣٩ من المخطوطة

فتهلل وجه محمد وأعجبه عذره والتفت الى من حوله وقال لهم: إني قلت لكم "ما يقول الشيخ ذلك" فشكره ورخص له بالإنصراف الى أهله، ومن شدة حرص محمد بن رشيد على تعفية الحضر عن الخسائر ما سمعته أنا بنفسي من لسان العم عبدالله العبدالرحمن البسام وهو يتحدث مع أصحاب له في مكة المكرمة سنة ١٣٢٤ هـ ويقول إن محمد بن رشيد وأنا عنده في حايل بقوله لئن عشت طويلا لأمرنّ على البدو بإلغاء الخفارة عن الحضر من إخاوة ورفقة وإلا فإني ألزم البدو يأخذون رفقة من الحضر إذا أتوا لبلدانهم ولو أن يكون عبد أو صانع وإلا يطرحون الخفارة عن الحضر بالكلية، ومن شدة خوف البدو من محمد بن رشيد أنهم إذا لفهم الطريق هم والحضر أعطوا الحضر الغالي الذي معهم يحفظونه لهم، خشية من خدام محمد بن رشيد، هكذا حرصه على إعفاء الحاضرة وإهانته للبادية . وفي بعض غزواته أكان على الروقة من عتيبة قرب النير المعروف بأعلى نجد فأخذهم وكان معهم شاعر يسمى محسن الشويب من الجذعان جماعة حباب بن زريبة فوفد على محمد بن رشيد يستعطفه مما غنم منهم فاستأذنه في الإنشاد بين يديه فإذن له فقال:

الا يا شـــيخ توبة لك الله نطرد العمان　　　عســاك دايم بالعز وانت اللي تزكينا
الا واشــيب عيني من تنيز الخيل بالنومان　　　وليا قلت ادبروا ردوا لنا خيل تناحينا
نحينا البدو عن حم الذر لين الحق الحضران　　　موشـمة الفتايل بالبنادق واوقدوا فينا
الا لاعاد يوم علينا بايسـر البرقان　　　والبيرق الجاير عن الحلة معدينا
تقطعنا سموم القيظ لا حلة ولا صملان　　　عسى رب بلانا فيه بقدر ما يخلينا

فدام محمد بن رشيد على هذه الحالة حتى توفي في ١٥ رجب سنة ١٣١٥هـ وكان قد خلف شيء كثير من الخيل والإبل والأغنام والسلاح والعبيد، ويقال إنه لما مات[١]، له من العبيد المماليك ٨٠٠ عبد كلهم يحملون السلاح معه، وكلهم خلفهم لمن بعده وكان عقيما لا يولد له أبدا وكن زوجاته حين توفي اثنتين وحدة طرفة بنت عمه عبيد بن رشيد والثانية لولوة بنت مهنا الصالح ال أبا الخيل أمير بريدة وأوصى بالإمارة لابن أخيه عبدالعزيز المتعب الرشيد وأوصاه بالرفق بالرعية وأن لا يبدأ أحدا بشر حتى يكون هو البادي وأن يحسن الى الناس وأن يعفو عن الجاني، ولكن عبدالعزيز لم يعمل بشيء من هذه الوصايا النفيسة فكان يتخبط في الرعية خبط عشواء وأول مغازيه غزا من حايل قاصدا الشمال فوافق غزو لعنزة، كبيرهم مطلق الديدب وكان عدتهم ٧٣ رجلا فقتلهم جميعا وأخذ ركابهم، وكان قليلا ما يتوفق في مغازيه وكثيرا ما يكثر من القتل في قومه والأخذ من أطرافهم . وفي سنة ١٣١٨هـ غزا على نجد مبارك الصباح من الكويت ومعه خلق كثير من مطير وقحطان وسبيع والظفير والعوازم وعريبدار قرب الكويت كلهم، ومعه سعدون شيخ المنتفق وخمسمئة فارس، ومعه عبدالرحمن الفيصل وابناؤه عبدالعزيز ومحمد، فحينما وصل الشوكي جهز مع عبدالعزيز وأخوه سرية خيل وجيش، وقال رح وخذ بلدك الرياض وانزل بها، وكان بالرياض أمير لعبدالعزيز الرشيد أسمه عبدالرحمن بن ضبعان وكان يومئذ الرياض ليس له سور، فلم يقام بعد ما هدمه محمد بن رشيد، فدخل الرياض هو وسريته واحتصر أمير ابن رشيد في قصره

[١] نهاية ص ٤٠ من المخطوطة

هو ومن معه فلم يقدر عليه عبدالعزيز ودعاه بالأمان فلم يجبه الى النزول واحتمى بالقصر وكان الشيخ عبدالله بن عبداللطيف هو عمدة أهل الرياض ويصدرون عن رأيه فعرض عليه عبدالعزيز أن يبايعه، فأبى قائلا: في عنقي بيعة عبدالعزيز بن رشيد ولا أبايعك وهو حي، وبعدها عمد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الى قصر ابن ضبعان وقال خلوني احتصر معكم فدخل القصر واحتصر معهم وذلك خشية من عبدالعزيز بن رشيد، فما كان بعده الا أيام قلائل وأتى رسول من عبدالرحمن الفيصل الى ولده عبدالعزيز يخبره بهزيمة ابن صباح ويستحثه على الخروج عن الرياض فخرج عبدالعزيز ومن معه من ليلته وعمد الى الكويت، أما ابن رشيد فكان حينما دخل ابن صباح القصيم ومعه المهنا أمراء بريدة، والسليم أمراء عنيزة، وكل منهم دخل بلده بدون قتال، ثم نزل مبارك الصباح أم رواق، خب معروف في ضواحي بريدة وأقام عليه مدة أيام حتى أتاه[1] خبر ابن رشيد، رحل من رواق ونزل الصريف، قصر معروف يبعد عن بريدة أربع ساعات فتقابل هو وابن رشيد وكل منهم معه جند عظيم فدارت المعركة بينهم ظهرا فأمر الله السماء في تلك الساعة فانهمرت بالماء الغزير وأخذ السيل يجري والدم يخالطه فانهزم ابن صباح ولكنه بعدما قتل من ابن رشيد قتلى كثيرون ومنهم سالم ومهنا أبناء حمود العبيد الرشيد واخوهم ماجد جريح ولكن الهزيمة حقت على ابن صباح وجنوده، وليت عبدالعزيز بن رشيد اقتصر على الذي يقتله في المعركة وما حولها بعد الهزيمة، ولكنه لم يقنع بذلك بل عمد الى فلول ابن صباح الذين تزبنوا ديار القصيم وارسل

---

[1] نهاية ص ٤١ من المخطوطة

رجاله أهل الشر المستطير يخرجونهم من المساجد ومن البيوت ومن الطرقات ويقتلونهم أينما وجدوهم مع أنهم مستضعفين وليس بيدهم سلاح يقاتلون به ولا يملكون لأنفسهم حولا ولا طول بل إنهم مسلوبي الثياب جائعة بطونهم، فقد تشوهت سمعته بذلك عند أهل نجد كافة وعند المسلمين عامة، فاخذت الدعوات تتوارد عليه من الالسن كلها من محرور ومقهور والحق يقال إن ولايته على نجد كلها مظالم وويلات وإهراق الدماء بغير حق، ومما قيل في هذه الوقعة من الأشعار ما قاله حمد السبيعي ساكن وشيقر الملقب أبو جراح بأن قال:

اخو مريم شب اشعاره	**واخو نورة بهذل كيده**
جانا غاد له هدارة	**كبر المركب زبابيده**
ابهل نجد وفك صراره	**والمدحور انطلق قيده**
يامن ينشد راعي واره	**وش اللي جابه لبريدة**
زبن روحه ضحى الغارة	**خلى الزرع لحصاصيده**
حط الزلفي هو مصداره	**تزمل من معاويده**

فكان حينما أتى مبارك الصباح على الصفة التي ذكرنا اخذ الشيخ محمد بن سليم يحرض الناس على قتال ابن رشيد ويرى أنه جهاد فلما استولى ابن رشيد على القصيم عاتبه وتهدده ونفاه من بريدة الى النبهانية يسكن فيها ولكن عبدالله العبدالرحمن البسام بعد ما مضى عليها ستة شهور وهو في منفاه في النبهانية فشفع فيه عند ابن رشيد أن ينزل البكيرية فشفعه في ذلك ونزل البكيرية[١] ورتب له من الزكاة ما يكفيه من عيش وتمر، وكان في تهدده له أن قال له : أنت ياشيخ

[١] نهاية ص ٤٢ من المخطوطة

محمد تحرض الناس على قتالنا وتطبق الآية الكريمة التي نزلت في حق المشركين علينا بأن تخطب في الناس وتقول (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) والله لولا ما وضع الله بصدرك من العلم وأني محترمك لأجل علمك أن تخطو ثلاث خطوات وأنت بلا رأس ولكن يشهد الله أني احترمك، ومات رحمه الله وهو في منفاه في البكيرية وقد قال في تلك الوقعة الشاعر المشهور عبدالعزيز بن عيد من أهل البرة وكان يقربه ابن رشيد ويجري له من الزكاة، وإذا وفد عليه أكرمه، فقال مفصلا لهذه الوقعة وهو كلام كله شاهدناه وشاهده غيرنا طبق ما يقول الشاعر:

يا الله ياللي لك علينا رقيبة ... يا ناصر عبده على جند الأحزاب
تعز شيخ قوم الله نصيبه ... شيخ الجبل عز القرابة والاصحاب
يا مزنة غرا نشت من مغيبه ... ترعد وتبرق قادها رب الارباب
ترمي السخط قيدت على من تصيبه ... باركانها تسمع كما ضرب الاطواب
غمت وطمت وادلهمت غضيبة ... واستثقلت باللي للارواح جذاب
نو يروع بالخضيرا حنيبه ... خص الجموع اللي عليها السماء ذاب
شيخ النقا مرذ النضا مع سبيبه ... ليا بان بالقوم المعادين مضراب
ثور وبدل كل عوصى عجيبه ... تجويل ربد بدلت عقب العقاب
شب الفنر واللي سرى يقتدي به ... طوال ليله سامر تقل مشهاب
وصوت لمرزوق الجنيدي لعيبه ... وتطاوحوا بالصوت طربين الألعاب
يا ويلكم يا اهل الحفايا التعيبه ... من ليلة يصلح بها الجيش رباب
وظهر بجمع يرعب القلب ريبه ... وجرد السبايا بالطنايا لها الداب
ترمي بحمران النواظر صبيبه ... ضياغم من فوق طوعات الارقاب
ثار الدخن والعج وانقاد سيبه ... والشمس عنهم ادبرت تقل بحجاب
وين الجنيب اللي يميز جنيبه ... برق ودخان وعج وسكاب
شيبت باللي ما بعد حل شيبه ... وغدوا بها شبان الأولاد شياب
في ساعة وادع حبيب حبيبه ... وكل بغالي الروح ما اخطاه ما اصاب
واشتب من حر السعاير لهيبه ... وتعاقبوا بسيوفهم مسط الارقاب[1]
وذكر بها فرز الوغى شق جيبه ... والذخر حرم عقب نطلن الاسلاب
عجر ثلاث به والأخرى عطيبة ... ولا هاب الموت الحمر له تلهاب
وحضر الجبل ردوا لهند عجيبة ... هند مفاتيح الفرج عن الاكراب

(١) نهاية ص ٤٣ من المخطوطة

الى حلت البلوى على من بلي به   ينفك للمبلي من الله مية باب
ودارت عليكم يا بو جابر حطيبة   وخيل الطنايا رثعت بين الاطناب
بارض الصريف إلى وطاها وطي به   شرق وشمال وقبلة عنه معزاب
ثل الهشيم اللي بفيضة شعيبه   هشيم طلح طول الأيام عياب
سقم الحريب اللي دنا من حريبه   ابن صباح اللي تردس للاسباب
ثور وجمع من تردى نصيبه   باهل الكويت وكل من كان خشاب
ومن كل غواص ومسيب بجيبه   واللي يحدقون السمك زام حراب
وجنوده العجمان ومن يلتجي به   واهل النفاق ومن بغى الشر ما غاب
زلفاهم الدجال نقرة مشيبة   ونار المسيح وذل يلحق بمطلاب
من فوق حرذون يحك الشطيبة   تسعين ليلة ومركب الشيخ ما طاب
وعاضوه بالحلوى رياض عشيبة   ما يشبع الدجال من عشب عشاب
والغوج خلى ما لقا من يجيبه   في دار ابن شايق وللغوج ما جاب
وسعدون به كون فجيع فجي به   يا الله صفى للمنتفق عتق الارقاب

وجاب الله الديدب وهو يمتني به   ضحى ولا بقى لهم كود نجاب
وطخ الدواسر كون وارذى عتيبة   واللي حضر خمة في مضى تاب
وخلى نصي رماح قفر رطيبة   من عقب كون سبيع للصيد ملعاب
يا ذيب سوفة ناد ذيب الزريبة   واقنب من السبعان للحزل وانصاب
وباقي السباع الغايبة وين هي به   واقنب لها يا ذيب في كل مرقاب
لا تاكل الا كل بيضا تريبة   تلقى مشاكين وزلبات وركاب
ويلحق بها سبع ردي دبيبه   وشهب النسور وكل فراس بالناب
والضبعة العرجى غدت به ربيبة   وكل السباع الضارية كيفها طاب[1]

ويقال إن الذي حضر في هذه الوقعة من صنف الخيل سبعة الاف خيال، ومن الجيش اضعاف ذلك، ومما يروى لنا عن الإمام عبدالرحمن الفيصل أنه بعدما وصل الكويت عقب هذه الوقعة جلس يتحدث هو وأصحابه وكان مشهورا بالرأي الصايب إذا تكلم بشيء فبالغالب أنه يأتي على طبق ما ظن به، فسأله بعض أصحابه بقوله له : اليوم نطوي الياس من الرجوع الى نجد أو لنا فيها علاقة رجاء. فقال له رجوعنا على نجد وعدمه مترتب على امرين الأول إن كان عبدالعزيز بن رشيد بعدما تولى على نجد وأهلها عاملهم بمعاملة عمه محمد بعد انقضاء وقعة المليداء المشهورة بأن نادى مناديه في خيامه

[1] نهاية ص ٤٤ من المخطوطة

بالزرقاء من نواحي بريدة وقال اسمعوا يا قوم ترى نجد مجرمها ومغرمها ومحسنها ومسويها خضراء مضيفا عليها جلالها هي في وجهي وامان الله من وادي الدواسر الى جوف العمر، وأنتم اسمعوا يا بدو والله يا من نقص الحضري بمحش إني لأنقصه برقبة، اسمعوا ثانية يا بدو لا تقولون غدرنا محمد بن رشيد، الله وامانه إني لاصبحكم بمحش تأخذونه من قراش فاخلدوا الى السكينة والزموا طاعتي وأنا احماكم من كل من يريدكم بسوء . قال إن كان عبدالعزيز بن رشيد جاوب أهل نجد بهذا الجواب فلا يبقى لنا في نجد املا ولو بركزة عصا وإن كان عبدالعزيز بن رشيد تسلط على أهل [نجد][١] وقتل هذا وسبى أموال هذا ونكل بهذا وشرد هذا فأهل نجد يبغضونه ويحاربونه قبل حرب عدوه له، هذا وقد فعل هذه السيرة الشنيعة التي ظن بها الإمام عبدالرحمن الفيصل فمن حين ما بلغهم خبره بما فعل وبما عامل به رعاياه اخذوا يستعدون للخروج لمحاربة عبدالعزيز بن رشيد وقد حصل ما حصل وكل ميسر لما خلق له، فمن خلق للخير فللخير يكون ومن خلق للشر فللشر يكون والله هو المقلب لقلوب عباده، وكان غرارا جزارا لا يعرف السياسة الا باسمها ويرى أن القتل هو الذي يثبت له دعائم ملك ابائه واجداده ولكنه جرى القدر بخلاف ذلك فكان يزيد في القتل ولا ير للعفو طريق وكان الناس يزيدون في الجراءة عليه وانتزاع هيبته من قلوبهم فكان على هذه السيرة الى أن بلغ الكتاب اجله فقتل ولحق بربه، وكان كثيرا ما يضطر من حاربه الى ثباتهم على حربه حيث إنهم لم يطمعوا بالعفو لكثرة من ظفر بهم وقتلهم ولو جربوا

---

[١] زيادة يتطلبها السياق

منه العفو والصفح لدخل كثير من الرعية تحت طاعته وربما أن تكون شدته حكمة من المولى فيهربون منه ويدخلون تحت طاعة عدوه وحكمة المولى دقيقة لا يعلمها الا هو عز شأنه وتقدست اسماؤه[١] .

ومن الان نرجع الى ما نقصه سابقا حتى يفيض بنا التاريخ الى حروبات عبدالعزيز بن رشيد مع ضده عبدالعزيز بن سعود

وفي سنة ١٢٦٨هـ قدم المدينة عساكر كثيرة دفعهم والي مصر وهو عباس باشا بن احمد طوسون بن محمد على باشا جد الخديويين وكثرت الاشاعات عند أهل نجد بأنهم يريدون الخروج على نجد ولما كان في جماد الثانية خرج محمد ناصر من المدينة ومعه تجريدة خيل وانضم اليه كثيرا من بوادي حرب واغار على سحلي بن سقيان رئيس مطير بني عبدالله بن غطفان هو وعربانه على الفوارة واخذهم وقتل من الطرفين ما يزيد على ثلاثين رجل ثم رجع الى المدينة بعدما اخذهم فلما كان في رمضان من السنة المذكورة جهز حاكم مصر عساكر كثيرة حتى وصلوا الى المدينة ثم خرج من المدينة محمد ناصر ثانية غازيا على عتيبة وتبعه كثير من بادية حرب وأغار على العضيان فوق الدفينة ورئيسهم الضيط فأخذهم وانقلب راجعا الى المدينة ثم إنه بعد هذه الغارتين أمر صاحب مصر على هذه العساكر أن يتوجهوا إلى بلدان عسير من اليمن وفعلوا ذلك فلم يتخلف منهم أحد في المدينة فحصل لأهل نجد بذلك الفرح والسرور لأنهم لا يزالون يترقبون الفتن من جهة مصر وأهله، ولن تغيب عن اعينهم ويلات ما ذاقوه سابقا من كثرة

---

[١] نهاية ص ٤٥ من المخطوطة

الفتن التي تغشاهم كالليل المظلم، فلما علموا بذلك امنوا واطمئنوا، وفي هذه السنة ١٢٦٩هـ كثر الغيث الذي عم اقطار نجد كلها في أول الوسم مبادرة فاخصبت الجزيرة كلها من أقصاها الى أقصاها ورخصت الأسعار وبيعت الحنطة كل مئة صاع بثلاثة اريل وبيع التمر الطيب خمسين وزنة بريال وما كان اقل منه ستين وزنة بريال وبيع السمن احد عشر وزنة بريال أي مايقابله من الارطال ٣٣ رطل وبيعت الشاة السمين بريال واحد وأنا شاهدت في هذه السنة ضد ذلك وهي سنة ١٣٧٦هـ بأن رأيت شاة بيعت بمايتين ريالا وستة اريل ولقد روى لي شيخ مسن من أهل عنيزة اسمه عبدالله الهويش ويقول إني في سنة ١٣٠٤هـ بعت الاقط ثمانين وزنة بريال وفي اخر سني حياتي بعت الوزنة الواحدة من الاقط بثمانية اريل . وكما يقول المثل بضدها تتميز الأشياء، وكانوا أهل مكة يروون لنا حديثا خرافي يتداولونه بينهم بأنهم يقولون ببركة الاية الشريفة اطعمهم من جوع وامنهم من خوف فلو جعل الله الحبة بفلس لرزق الله الفلس أهل مكة قبل الحبة .

ولنرجع الى الفرق العظيم بين ذلك الوقت وبين زماننا هذا فلو خرج بين اظهرنا في ذلك الزمان رجل يقول لنا إنه سيأتيكم زمان بعد هذا تباع الشاة بمئتين ويباع البعير الذي قيمته عشرة بالف وخمسمائة ريال وتباع وزنة السمن بخمسة عشر ريالا ويباع الصاع البر بأربعة اريل ويباع التمر وزنة واحدة بريال وكل الأصناف تجري مجراها لقلنا هذا مخرف أو كاهن نرجمه بالحجارة[١] .

---

[١] نهاية ص ٤٦ من المخطوطة

فسبحان المتصرف في خلقه كيف شاء .

فصل في إمارة جلوي بن تركي في عنيزة وخروجه منها

تولى جلوي إمارة عنيزة بأمر من أخيه الإمام فيصل بن تركي وهو يومئذ الحاكم على نجد كلها بعد والده تركي رحمه الله وكانت إمارة جلوي بن تركي على عنيزة في سنة ١٢٦٥ هـ وخرج منها في سنة ١٢٦٩ هـ فدامت اربع سنوات وكانت امارته حزم وهيبة لجميع البوادي الذين يرون النهب والسلب ديدنهم ولا يصبرون عنه، ولكن أهل عنيزة يشتكون من تعدي رجاله بغير حق وأنه يتساهل معهم بذلك، فقاموا عليه واخرجوه من بلدهم جبرا بالقوة بحجة ما ذكرنا أن خدامه يسيئون المعاملة وأنه لم ينصفهم منهم، فلم يطق أهل البلد الصبر على ذلك وكان يومئذ اميرا على عنيزة وعلى سائر بلدان القصيم وكان خروجه من عنيزة ضحوة الجمعة حتى إنه طلب منهم أن يصلي الجمعة فلم يمهلوه بل اخرجوه والمؤذن يدعو الى الصلاة، فسار بمن معه الى بريدة وكان يومئذ قاضي عنيزة للشرع الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابابطين من قبيلة عايذ ومسكنه شقراء وقد ولاه الإمام فيصل قاضيا على القصيم كله ولكنه اختار أن يسكن في عنيزة وتأتيه الخصوم من كل بلد وكان عالما عابدا ورعا ناسكا عاقلا حليما وكانت قضاياه الشرعية كلها نافذة من وقتها فلم ترجع له الخصوم بعدما يقضي بينهم، وكل منهم قانع بما حكم له أو حكم عليه، ومما يروى لنا أنه توارد عليه خصوم من أهل خبوب بريدة وكان بينهم نخل يتخاصمون عنده وفيهم رجل يلقب (الزناتي) واصله من عنيزة فقضى لهم بشريعة عادلة ضمن ما بأيديهم

من المكاتب الناطقة بملكية الزناتي فكانت القضية له على خصومه وفي ذلك يقول:

حنا نفضنا القنو لين الخمج طاح   شيخ يخلص ما تخلبص بحينه
يوم وردنا العد ما هوب ضحضاح   وكل صدر من كوكب واردينه

وكان رحمه الله قد أشار على أهل عنيزة أن لا يخرجوا جلوي بهذه الصفة وقال لهم انا كفيل لكم بأن اركب بنفسي الى الإمام فيصل واطلب منه أن يعزل اخاه جلوي عن إمارة بلادكم وينصب بدله اميرا ترضونه فأبوا إلا أن يخرجوه من بلادهم فلما عجزت مساعي الشيخ على الصفة التي ذكرنا وعن ادراك ما طلبه منهم فقال لهم إذا تعلمون أنكم ما نصبتموني أنتم قاضيا لكم وإن الذي نصبني عندكم هو الإمام فيصل وبيعتي له لا لكم فيتعين[١] علي أن اخرج مع جلوي فخرج معه بحرمه وعياله وقصدوا بريدة جميعا فقام الشيخ في بريدة بضعة أيام ثم توجه بأهله وعياله الى بلده شقراء واقام بها ثم إن أهل عنيزة بعد خروج جلوي منهم انتصب فيها عبدالله اليحيا السليم اميرا على عنيزة وسليم لقب لسليمان بن يحي بن علي بن عبدالله بن زامل و أولاد سليمان بن يحي المذكور وأولاده هم ال سليم الموجودين الان وهم امراء عنيزة الان، ولما وصل الخبر الى الإمام فيصل بما وقع من أهل عنيزة وأنهم اخرجوا اميرهم جبرا لا اختيارا فحينئذ كتب الإمام فيصل الى امراء البلدان يأمرهم بالجهاد العاجل وارسل عبدالرحمن بن إبراهيم جد البراهيم الموجودين الان الذي منهم عبدالعزيز بن إبراهيم الذي تأمر بالطائف وبالمدينة وولده إبراهيم بن عبدالعزيز اميرا

[١] نهاية ص ٤٧ من المخطوطة

بالقنفذة الان من تهامة اليمن، وأمره أن ينزل بريدة ويقطع سابلة عنيزة فاغار بمن معه من الجنود على اطراف عنيزة واخذ ما وجده من المواشي، ولما كان في ٣ ذي الحجة من السنة المذكورة خرج عبدالله ابن الإمام فيصل من الرياض ومعه غزو أهل الرياض والجنوب وتوجه الى بلد شقراء فقدمها يوم عيد النحر واجتمع عليه غزوان أهل الوشم وغيرهم من أهل سدير و أهل المحمل ومعه كثير من البوادي ثم ارتحل من شقراء وتوجه الى عنيزة واغار على الوادي وأهله في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة واخذ جميع ما عندهم من ماشية واثاث ومتاع وقتل منهم عشرة رجال ثم امرعلى من معه من الجنود بقطع نخيل الوادي فشرعوا في قطعها فكانوا يقطعونه ويحرقونه فقال شاعرهم في ذلك

وين انت يالخياط عن حدب الجريد　　　يوم العوارض شحموا جمارها

واسم الخياط على بن عبدالرحمن والخياط لقب وكان الخياط شهما شجاعا فارسا شاعرا غيورا على وطنه وله مواقف بيض دون وطنه فقال في ذلك ردا على شاعر ابن سعود:

هذي عنيزة ما نبيعه بالزهيد　　　لا فرعن البيض نحمي جالها
قطع النخل مهوب عيب والوقيد　　　العيب على ما يتم اقوالها
ياما ذبحنا دون مخضر الجريد　　　جنايز ترمى ولا احد شالها
لي بندق ترمي اللحم لو هو بعيد　　　ملح الجريف محيل يعبى لها
خمس رصاصه ستة اشبار تزيد　　　ما وقفت بالسوق مع دلالها[1]
يا شيخ يا اللي ما نشا مثلك وليد　　　وان رفعن الخيل شهب اذيالها
الشيخ مثلك ما يحايد من بعيد　　　ينزل على الديرة بفي ظلالها
واللي نوى للحرب يا قر بالشديد　　　ينزل على دار بكوا جهالها
من مات دون محرمه يكتب شهيد　　　والموت يأخذ شيبها واطفالها

---

[1] نهاية ص ٤٨ من المخطوطة

كم ســابق يوم اللقا جريه يزيد رصـاصـنا يضـرب كريب حبالها
تاطى حديد وفوق راكبها حديد عاداتنا ذبحه وذبح امثالها

فبعد ذلك خرجوا عليه أهل عنيزة معهم خلق كثير من بلدان القصيم ومن البادية فحصل بين الفريقين وقعة شديدة هائلة فقتل فيها عدد كثير من الطرفين وهذه الوقعة هي التي اطلقت لسان الخياط بما يقوله أعلاه، ثم إن عبدالله ابن الإمام فيصل ارتحل بمن معه من الجنود بعد الوقعة هذه ونزل العوشزية ثم ارتحل منها ونزل الربيعية وقدم عليه طلال بن عبدالله ال الرشيد في الربيعية بغزو أهل الجبل من الحاضرة والبادية ثم دخلت سنة ١٢٧٠ هـ وعبدالله ابن الإمام فيصل ومن معه على الربيعية ثم قدم عليه بقية غزو أهل نجد حتى اجتمع عليه عالم كثيرمن بادية وحاضرة فلما اجتمعت عنده تلك الغزوان ارتحل بهم من روضة الربيعية قاصدا بلد عنيزة ونزل الحميدية ثم رحل منها ونزل الغزيلية واشتد الخطب على أهل عنيزة وتراسلوا بالصلح والصلح خير وكان الإمام فيصل رحمه الله قد أوصى ابنه عبدالله أن يعرض عليهم الصلح فإن هم جنحوا للصلح فاجنح له ولكن اشترط الإمام فيصل أن يكون ذلك الصلح بحضورهم عندي وعلى فراشي وبين يدي وكان الإمام فيصل رحمه الله قد اكد على ابنه عبدالله بذلك وكان إماما عادلا حسن السيرة شفوقا على المسلمين رؤوفا بالرعية محسنا اليهم حريصا على تالفهم وصلاحهم محبا لحقن الدماء مؤثرا من اتاه طائعا بغير قتال، فبعد ذلك كتب اليه عبدالله اليحي السليم يطلب منه الأمان والعفو وطلب منه أن يقدم عليه في الرياض، فقدم عليه والزمه الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة فبايعه

على ذلك وشرط عليه أشياء التزم بها الأمير عبدالله اليحيا للإمام فيصل فتم الصلح على ذلك وأذن له بالرجوع الى وطنه وطيلة هذه المدة وعبدالله الفيصل مقيما بالغزيلية وبعد ما تم الصلح بين الطرفين كتب الى ابنه عبدالله[1] يخبره بما حصل بينه وبين أهل عنيزة من الصلح على يد أميرهم عبدالله اليحيا السليم وجماعته ثم أمره بكتابه هذا أن يرخص للغزوان الذين معه، كل يرجع الى وطنه وبذلك تم المقصود وانتهت المنازعات، وهذا عند أهل عنيزة هو الذي يسمونه الحرب الأول فقفل عبدالله الى الرياض ومعه عمه جلوي بن تركي .
وفي سنة ١٢٧٣هـ غزا عبدالله ابن الإمام فيصل فأغار على ابن مجلاد ومن معه في الدهناء فأخذ عليهم إبل كثيرة فكان عبدالله قد واعد طلال بن رشيد للغزو معه فلما فرغ عبدالله من توزيع الغنايم ارتحل الى زرود فوجد طلال ينتظره بزرود ومعه أهل الجبل حاضرة وبادية فارتحل بمن معه وصبح مسلط بن محمد بن ريبيعان على شبيرمة فأخذهم ثم أغار على الروسان جماعة ابن جامع وهم على الرشاوية فأخذهم ثم إنه انكف على الشعراء ونزل عليها وقسم الغنايم، وبعدها دخل الرياض وأرخص لمن معه من الغزو يرجعون الى أوطانهم .
وفي هذه السنة توفي عبدالله بن ربيعة الشاعر المشهور وكانت وفاته في بلد الزبير وفي هذه السنة أي سنة ١٢٧٣هـ في اخر ذي القعدة وقع حاج أهل عنيزة في غزو ابن مهيلب فوق المراشد فطلب عليهم مطالب فامتنعوا فأخذهم وهو شيخ الوساما من مطير قطع الله دابر الأعراب ما أظلمهم إذا قدروا . وفي سنة ١٢٧٤هـ حصل المناخ المشهور في موضع يسمى

---
[1] نهاية ص ٤٩ من المخطوطة

المليدا ويطلق على اسمه مليدا حرب وهو موضع معروف قرب ساق الجوي والمناخ هذا بين ابن نحيت والذويبي من حرب وبين مسلط بن ربيعان والروقة من عتيبة وقد دام المناخ قريبا من شهر فكان الروقة ينتظرون فزعة تركي بن حميد لهم فابطأ عليهم فانهزم الروقة ورئيسهم ابن ربيعان فلما نزل تركي بن حميد قصر ابن عقيل قادما لمددهم قابلته فلول هزايم الروقة في تلك الموضع فرجع من مكانه ويقول في ذلك المناخ شاعر من حرب:

يا حادر تبي المكيل ... دوك المليدا مدها
من زاد روقي هبيل ... يبي ديار حرب وضدها
قام ينقل كيله في زبيل ... عقب القرون وشدها

وقتل من الروقة في هذا المناخ ستين رجلا ومن حرب نحو الخمسين وفي هذه السنة توفي الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش وفي شعبان من تلك السنة توفي الشريف محمد بن عون وينتهي نسبه الى أبي نمي فخلف ستة أولاد من الذكور وهم عبدالله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبدالله. وفي سنة ١٢٧٥هـ قتل ناصر بن عبدالله السحيمي[١] في بلد الهلالية قتله عبدالله بن يحي بن سليم هو وابن عمه زامل بن عبدالله بن سليم وكان سبب قتله أن ناصر السحيمي المذكور أيام إمارته في بلد عنيزة سنة ١٢٦٥هـ قتل إبراهيم بن سليم وهو عم الاثنين الذين قتلوه، وسبب نزول عبدالرحمن بن عبدالله السحيمي في بلد عنيزة هو ما حصل له مع بني عمه الذين في وشيقر من

[١] نهاية ص ٥٠ من المخطوطة

الخلاف والمنازعات فأراد أن يبعد عنهم فيستريح ولما قدم بلد عنيزة وكان ولده مطلق الضرير معه فتزوج من بني عمه حمولة البكر وفرحوا به وأكرموه غاية الإكرام وولد له ناصر في عنيزة فشب ناصر وتجاوز البلوغ وكان ذا عقل وشهامة وكفاءة لكل ما يناط به وكان هو وابناء عمه السليم يتجاذبون الإمارة من بعد وقائع الدرعية ومن قتلة الجمعي فصار ناصر السحيمي يعارضه في بعض الأمور، ويساعده على ذلك قسم من عشيرة ناصر السحيمي وهم ال بكر، وكان يحي بن سليم عاقلا حازما نبيها فخاف أن يقع بين أبناء عمه البكر، وبينه شر وفتنة، فاستدعى ناصر السحيمي وقال له إن لك علينا حقا فاختر إما أن تكون أمير عنيزة وتكون لي الإمارة على سوابل عنيزة ورسوم الدروب التي تؤخذ على الحاج وعلى المنحدرين وإلا أن يكون لك ذلك وأنا ابقى على إمارة عنيزة فظن ناصر السحيمي أن هذ القول من يحي السليم غير صحيح حيث إنه بادره السحيمي بقوله إن قال له أنت أمير الجميع وأنا ولدك فحلف له يحي بالله إني صادق فيما قلت وتبين على صدقي بهذا المجلس فقال ناصر إذا الإمارة بيدك وأنت أهلها وأنا أقبل إمارة البر فاتفقوا على ذلك الى أن قتل يحي في وقعة بقعاء المشهورة سنة ١٢٥٧هـ ثم تولى الإمارة بعده أخوه عبدالله بن سليم الى أن قتل في وقعة الجوى فتولى إمارة عنيزة بعدهم أخوهم إبراهيم بن سليم ولما كا في سنة ١٢٦٤هـ عزل الإمام فيصل إبراهيم عن إمارة عنيزة وأقر فيها ناصر بن عبدالرحمن السحيمي المذكور أميرا على البلد، ولما كان في السنة التي بعدها قام عبدالله اليحيا السليم وابن عمه زامل العبدالله ورجال من اتباعهم على ناصر السحيمي فرصدوا له

في طريقه بعد العشاء الآخر فرموه ثلاث طلقات بمسدسات كانت معهم فأصابته واحدة منها وسقط على الأرض وظنوا أنه قد مات فركضوا الى القصر وإذا الحامية التي فيه قد انتبهوا فأغلقوا باب القصر وشمروا للحرب عن سواعدهم، ورموهم بالبنادق من القصر، فانهزموا الى بريدة وتزبنوا عبدالعزيز المحمد ال أبو عليان، و أما ناصر السحيمي فإنه قام من موضعه ذلك ودخل بيته وجارحوه وبري، وكتب[١] الى الإمام فيصل يخبره بأن ال سليم تعدوا عليه بلا جرم منه ولا سبب فكتب عبدالعزيز المحمد أمير بريدة الى الإمام فيصل أن ال سليم عندي وأنهم ما اعتدوا عليه إلا لأسباب حدثت منه فكتب الإمام فيصل رحمه الله الى أمير بريدة أن أرسلهم إلينا بلا مراجعة فتوجهوا الى الإمام فيصل وأرسل معهم أمير بريدة هدية جليلة فلما قدموا على الإمام فيصل أنزلهم في بيت وعفى عنهم وأكرمهم وكتب الى ناصر السحيمي كتاب يقول : أنت على إمارتك وهم الان محفوظين عندنا وسننظر في الأمر إن شاء الله، وكان مطلق بن عبدالرحمن السحيمي الضرير لما جرح أخوه أرسل الى رجل من حاشية ابن سليم يقال له عبدالله بن صخيبر فضربه حتى مات، ثم إن ناصر السحيمي لما برىء من جرحه قتل إبراهيم بن سليم اخو يحي فقام ال سليم يحاولون قتل ناصر السحيمي فما سنحت لهم الفرصة حتى خرج الى الهلالية فاتبعوه ووجدوه نائما بمقصورة لأقاربه هناك فدخلوا عليه فقتلوه وكان الذي تولى قتله هو زامل العبدالله وابن عمه عبدالله اليحيا ومعهم ثلاثة من خدامهم ثم إن أخوه مطلق الضرير ارتحل بعائلته وعائلة أخيه ناصر فسكن في

---

[١] نهاية ص ٥١ من المخطوطة

وشيقر وهو مقره الأول ولم يزل ساكنا بها إلى أن مات سنة ١٢٨٨هـ. وفي سنة ١٢٧٦هـ في شهر صفر قتل عبدالعزيز بن عبدالله بن عدوان من ال أبو عليان وكان حينما قتل هو الأمير في بلدة بريدة قتله رجال من عشيرة ال عليان وهو عبدالله الغانم واخوه محمد وحسن العبدالمحسن واخوه عبدالله وعبدالله بن عرفج وكان الإمام فيصل قد نصبه اميرا في بريدة حينما عزل عبدالعزيز المحمد وحبسه عنده وكان عبدالعزيز رجلا ماكرا مخادعا وكان نسب ال بو عليان وقبيلتهم يلتقون بالعناقر أهل ثرمدا وهم من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم ولما وصل الخبر الى الإمام فيصل غضب على عبدالعزيز المحمد لما يغلب على ظنه أن له يدا في قتل ابن عدوان وامر أن يشدد عليه في حبسه فكتب اليه عبدالعزيز كتابا وهو في الحبس يستعطفه ويحلف له بالأيمان المغلظة إنه بريء مما جرى وإنه لم يطلع قبل اليوم، وأن ليس له فيها علم ولا مشورة فصار يكرر القول على الإمام ويحلف بالله أن ليس له فيها اطلاع ولا مشورة ولا رضي بما جرى ثم يقول له: فلو أطلقتني من حبسي وأرسلتني إلى بريدة لأصلحت ذلك الأمر وامسكت الرجال وأرسلتهم إليك الذين استخفوا بأمرك ونقضوا عهدك ولا يأتونك الا مقيدين بالحديد أو أنفيهم من البلاد[١]، وكان كاذبا يقول ولم يفعل، فامر الإمام باطلاقه من الحبس واحضاره بين يديه وجعل يحلف للإمام ويتملق واخذ عليه العهود والمواثيق بما يقول على نفسه، ثم جهزه واذن له بالمسير الى بريدة واستعمله اميرا عليها وعزل محمد بن غانم عن إمارة بريدة فتوجه المذكور هو وابنه علي وخلف أبنه

[١] نهاية ص ٥٢ من المخطوطة

عبدالله عند الإمام وابقاه الإمام عنده بالرياض ولما وصل عبدالعزيز المحمد الى بريدة استدعى الرجال الذين قتلوا ابن عدوان فقربهم وجعلهم حظية له وجعل يكتب الى الإمام فيصل ليسكنه وكان كل كلامه مكر وخديعة ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فحاق به مكره ولاقى حتفه بما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله . وفي هذه السنة أظهرت بادية العجمان العصيان للإمام فيصل وهم قبيلة من همدان من قحطان وينتسبون الى مذكر بن يام بن رافع بن خيوان بن نوفر بن همدان بن مالك بن جشم كما هو معروف في كتب الأنساب، وهم قبيلة سوء وشر وأهل مكر وغدر وخبث طوية وكانت مساكنهم في الماضي مع قبائلهم في نجران ثم صاروا الى نجد ولم يكن لهم في ذلك الوقت قوة يمتنعون بها وكانوا لضعفهم يحالفون القبائل من عرب نجد وينزلون معهم ولما تولى الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود صار رؤساؤهم يحضرون عندهم ويتملقون له بالكلام وكانت لهم السنة حداد فبذل الإمام تركي فيهم الاحسان حتى جمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين وبذل لهم العطاء وانزلهم في ديرة بني خالد وصار لهم بعد ذلك شوكة عظيمة وصولة هائلة وعظم امرهم، ولما توفي الإمام تركي رحمه الله وتولى بعده الإمام فيصل بن تركي عاملهم بالإحسان ولكن الاحسان لا يصلح الا لمن يتقيد به ولكنهم ابطرتهم النعمة فإنه لما دخلت سنة ١٢٦١هـ خرج حاج الاحساء من بلادهم ومعهم خلق كثير من أهل فارس والبحرين والقطيف وغيرهم واخذوا معهم حزام بن حثلين اخو فلاح رفيقا لهم ليسيروا في خفارته فرصد له اخوه فلاح قرب الدهناء واغار عليهم واخذهم اخذا شنيعا واستأصل ذلك الحاج كله نهبا

وقتلا وتشريدا، وأخذ ما معهم من الأموال شيء لا يحصى عدده الا الله ،ومات أكثرهم عطشا، فلا جرم أن الله يمهل فلاح بن حثلين بعد هذه الفعلة الشنيعة بل عجل الله له العقوبة، فإن الإمام فيصل رحمه الله ظفر به في السنة التي بعدها وهي سنة ١٢٦٢هـ فأوثق الحديد في رجليه[١] وضبب يديه بضباب من حديد وأرسله الى الأحساء، فوصلها وهو بهذه الصفة ثم طيف به في أسواق الأحساء وهو راكب حمار هزيل ويداه مكتوفة من خلفه ورجلاه متلاقية على بطن الحمار، ثم بعد الفراغ من رؤية الناس له بهذه الصفة ضربت عنقه في سوق الاحساء، وكان جنود الإمام فيصل حينما امسكوه وضعوا في عنقه حبل وقادوه كما يقاد البعير وذهبوا به الى الرياض ومنها ارسل الى الاحساء ليعزروا به ويهان ثم يقتل، وذلك حكمة من الإمام فيصل ليري أهل الأحساء الذي قتل اباءهم وإخوانهم وشتت حرمهم ما يفعل به على مشهد منهم ليشفي صدورهم بذلك، ولولا عاطفته على المسلمين لقتله في الرياض والقتل واحد وفي ذلك يقول ولده راكان:

يا طير يا اللي طار به طير ابابيل وش عاد نقنص به الى جا الهدادي
وش عذرنا في سوق هجر الى قيل فلاح راحوا به بحبل يقادي

ثم صار ابنه راكان بعده اميرا على العجمان ورئيسا لهم، فصار يتابع الرسل على الإمام فيصل ويتودد له ويخضع

---

(١) نهاية ص ٥٣ من المخطوطة

لطاعته ويطلب منه العوض بابيه فلاح وما زال يتقرب منه ويطلبه العفو عما سلف من ابيه ويتابع عليه ارسال الهدايا من الخيل الجياد والنجايب الفاخرات فعطف عليه الإمام رحمه الله وسمح عنه وامر عليه بالحضور بين يديه وبايعه على السمع والطاعة واعطاه الجائزة والكسوة الفاخرة هو ومن حضر معه من بني عمه وسائر عشيرته ولكن الطبع الخبيث لا يتغير ومن خلق للشر فهو للشر يكون، ثم إنه بعد ذلك قويت شوكته وكثرت أنصاره واجتمعت عليه دعاة الشر والفساد والذئاب الضارية ممن يحبون النهب والسلب وقطع الطريق وصار اخبث من ابيه، فما تم له سنة واحدة وهو على ذلك حتى نقض العهد واخذ إبلا للإمام فيصل واخذ جانبا منها، وبعد هذه الغارة أوحشته ذنوبه وارتحل بجميع عربانه ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت فحينئذ امر الإمام فيصل رحمه الله على أهل نجد حاضرة وبادية بالغزو وقد اكثر الغارات على نجد وقطع طرقاتها واخاف الناس وتوقفت السابلة، فأمر على على ابنه عبدالله أن يكون اميرا لهذا الغزو وأن يسير بهم على بركة الله لقتال عدوهم فخرج عبدالله من الرياض في اخر شعبان من السنة المذكورة بغزو أهل الرياض والخرج والجنوب واستنفر من حوله من البوادي[1] من سبيع والسهول وقحطان وكان قد واعد غزوان البدو على الدجاني واستنفرغزوان سدير والوشم والمحمل وواعدهم على الدجاني أيضا فلما وصل عبدالله الدجاني ومن معه وجد كل الغزو مجتمعين عليها من بادية وحاضرة فاقام فيها ثلاثة أيام ثم ارتحل منها واستنفر عربان مطير فتبعه منهم خلق كثير ثم

---

[1] نهاية ص ٥٤ من المخطوطة

قصد الوفرة وعليها من العجمان خلق كثير من اخلاطهم فبيتهم واخذهم جميعا ولم ينج منهم أحد وانهزمت فلولهم الى الصبيحية وعليها ال سليمان وابن سريق من العجمان فصبحهم واخذهم وانهزمت شرائدهم الى ابن حثلين وعربانه فوق الجهرا ثم ارتحل عبدالله ونزل ملح وهو ماء قريب من الكويت على ساحل البحر، فلما علم العجمان بمنزله ذلك قام بعضهم يشجع بعضا وعمدوا الى سبعة من الجمال وشدوا فوقهن الهوادج وهي ما يسمونه عطفة عند المتأخرين واركبوا عليهن بنات جميلات وكلهن من بنات رؤساؤهم، محليات بالحلي الفاخر والزينة، واستصحبوا كثيرا من نسائهم الخرائد وجعلوهن وسط الجموع ليندبن الرجال ويشجعنهم على القتال وينخين الفرسان على الجلاد والطعان وعلى الصبر والثبات فإن الفتيان تدب فيهم النخوة والحمية على العار، فكل مقاتل يرى حرمه أمامه تحكم فيه الغيرة فلا يفر ولا ينهزم مادام يرى نساءه في صفه ومن خلفه، هذا والفرسان محيطين بالهوادج يمينا وشمالا ويقاتلون قتال المستميت، ثم إنهم عمدوا الى الابل فقرنوها وساقوها أمامهم كما يفعل الحاكم إذا قابل حاكم مثله فإن محمد العبدالله الرشيد قد ساق أمامه الإبل يوم وقعة المليداء مع أهل القصيم وفعل مثله ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب الرشيد يوم وقعة الصريف مع مبارك الصباح ومعه أهل نجد عام ١٣١٨هـ وكان الحكام يفعلون ذلك لشيئين الأول أن الابل إذا كانت أمام الجموع تحدوها الفرسان على خيولهم فإنها تكون درقة للجموع عن رصاص عدوهم المقابل لهم، والقصد الثاني أنهم يرون أنه يوجد من عدوهم الذي يقاتلهم من يؤثر النهب على القتال فيكون فيهم من يطمع باخذ الابل دون القتال فيطمع

بها ويشتغل عن قتال عدوه، وكلا الحالتين تخفف من حدة قتال عدوه له فهذه هي الفائدة المنشودة في سوقهم للابل أمام رجالهم المقاتلة، وهذه الهوابع والابل عادة قديمة تجري في أيام الجاهلية في حروباتهم وجميع وقائعهم، ونرجع الى سرد العبارة الأولى فإنه لما رأى عبدالله بسير العجمان نحوه سارت جموعه مقابلة لهم بجميع ما يملك من قوة الا ما كان من رجال يعتمد عليهم خلفهم على ساقته ليحمون ركابهم[1] لو أرادهم العجمان بطعنهم من الخلف أو الاغارة على جيشهم كما جرت العادة بذلك بين الخصمين المتحاربين، ثم إن العجمان اندفعوا على عبدالله وجنوده بما يملكون من قوة لأنهم يعلمون إنه يوم له ما بعده، فلما تراءا الجمعان وقرب بعضهم من بعض وتعانقت الفرسان واختلطت الجموع يموج بعضها في بعض واحتدم القتال وحمي الوطيس وثارت نيران العزايم من جنود العزايم وأهل الحفيظة من جند عبدالله فتعانقت الفرسان وتجالدوا بالسيوف حتى تعطفت بايديهم وبالرماح حتى تكسرت وحر القتل بين الفئتين واشتد الخطب فدام الامر كذلك معظم النهار الى أن بلغ الكتاب اجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين، وبعد قتال مريرعلى الصفة التي ذكرنا انهزم العجمان هزيمة منكرة لا يلوي أحد على أحد ولا يلتفت والد الى ولد وتركوا الهوادج ومعها الابل مقرنة بالحبال والبيوت وما تحتها وجميع الأغنام ومعظم ابلهم، وبالجملة فإن غنائمهم لا تعد ولا تحصى فلم يبق من جند عبدالله أحد إلا وامتلك من الغنيمة كلا بحسبه، وقد جرت هذه الوقعة يوم ١٧ من رمضان سنة ١٢٧٦ هـ فقد مر على هذه الوقعة

[1] نهاية ص ٥٥ من المخطوطة

قرن كامل أي مئة سنة ولم نعلم اليوم أحدا من الموجودين من ذكر أو أنثى من يعرفها أو يدعي أنه ولد فيها الا شخص نادر لا نعرفه فهذا دليل على أن مئة السنة تطحن الخلق في رحى المنون، ونذكر قصة نقلناها من بعض الكتب التاريخية أنه روي عن بزرجمهر وزير كسرى ملك الفرس بأنه يقول استمرت عادة في اقاصي بلاد الهند على أنهم يصنعون عيدا لهم على رأس كل مائة سنة ويأمرون على أهل البلد كافة، شيخهم وعجوزهم وكهلهم وشابهم بالخروج الى الصحراء في يوم مشهود فلا يتخلف منهم أحد فينصبون منبر من خشب ثم يصعد اليه رجل جهوري الصوت فينادي فيهم فيقول الا فليصعد فوق منبرنا هذا من حضر العيد السابق قال فربما يجيء الشيخ الهرم الذي قد ضعفت قوته وعمي بصره وربما تجيء العجوز الشوهاء وهي تربص من الكبر وربما لا يجيء أحد ويكون قد فني ذلك القرن باسره، قال وإن صعد ذلك المنبر منهم أحد يسألوه من من وزيرنا في ذلك الوقت ومن قاضينا فيأخذون منه افادة تدلهم على صدق مقالته أو كذبه إن كان هو ادعى انه حضر ذلك الزمان ولم يحضره، وقد يستفيد القارىء من هذه القصة شيئين الأول منهما أن القرن يهلك أهله الا ما ندر وقليل ما هم والثاني أن أعمار بني ادم تتقارب المتقدمين عنهم والمتأخرين وأن ما يروى لنا عن طول اعمار المتقدمين فهو خرافة لا ما ثبت في الكتاب أو السنة فنرضى به ونسلم له ويشهد بذلك أن اعمار بني ادم خلقت من ضعف وليست حجارة أو حديدا فتكون صالحة للبقاء فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[١] .

---

(١) نهاية ص ٥٦ من المخطوطة

ونرجع الى قصة هزيمة العجمان، فانهزمت شرائدهم ودخلت الكويت وتسمى هذه الوقعة وقعة ملح أو وقعة الطبعة لأن كثير منهم غرق في البحر حينما سفت بهم المياه فجذبتهم وهلك معظمهم غرقا، وقد قال راكان بن حثلين في تلك الوقعة شعرا، وقد كان للعجمان ناقة تسمى الصفراء وهي مشهورة عند العجمان وكان كثيرا ما يعتزون بها بأن يقول العجمي : "خيال الصفراء مرزوقي" وكانت تغير عليها خيل عبدالله الفيصل وتأخذها من العجمان ثم تغير عليها خيل راكان ومن معه تفكها من خيل عبدالله والخيول التي معه من سبيع وقحطان ومطير وكان قد حصل عند هذه الناقة قتل كثير من الطرفين، فاخبروا عمه حزام بن حثلين بهذه المعركة وكان يطارد خيلا من خيول عبدالله فلما بلغه الخبر اطلق عنان فرسه الى راكان وقال له يا خشم هيت ـ وهي عيرة لراكان ـ ذبحت العجمان عند الصفرا ثم إن حزام عقرها بالسيف فسقطت على الأرض وكان على أصح الأقوال إن الذي قتل من العجمان في هذه الوقعة سبعمئة ما بين قتيل وغريق وفي تلك الوقعة يقول راكان:

لعينيك يالصفرا ذبحت ابن فراج ... بشلفا حداها سبر عود المناسيس
وادعيت دمه بين الاضلاع فجاج ... وسطتها بين الحجب والنسانيس
وعينيك يا عود ورا تيك الأمواج ... دونك دويش وكب عنك الدنافيس
من كف جروك يوم ولد الردى ماج ... ومطير قلبه لميع العبابيس
كم سربة من ضربنا راحت امراج ... يوم الهنادي مثل لون المقابيس
العذر ياغض النهد ظبي الافجاج ... الكثر ضيع كاسبين النواميس
من الي على كل العرب يأخذ الباج ... وعنده سلاطين القبايل محابيس
جانا باهل نجد من كف الافلاج ... وما حدرت شقرا الى ماقف الخيس
كنه دواكيك الدبا حين ما داج ... ركب كسب والركب الاخر مفاليس
لو الهجيج ادرك مع الجو منهاج ... لاخر على اطراف السرايا مراميس
مير البحر قدامنا يزعج ازعاج ... وجمع تقفانا وخيل كراديس

وكان راكان يتمثل بهذا البيت الاتي بقوله

ياربنا ما من منير جمعين والثالث بحر[1]

فصل

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد الميتين والالف

وفيها اجتمع رؤساء العجمان من بعد وقعة ملح وتشاوروا فيما بينهم وأجمع رأيهم يرحلون من الكويت وينزلون على المنتفق، فتوجهوا إليهم ونزلوا معهم فتعاهدوا هم والمنتفق على أنهم يكونون يدا واحدة على من حاربهم وتعاهدوا أيضا على التعاون والتناصر وعلى حرب أهل نجد خاصة طمعا منهم بأخذ ثأرهم من أهل نجد بعد هذه الوقعة الشنيعة من البادية والحاضرة إلا من كان منهم تحت طاعتهم، ثم إنهم بعد ذلك سارت ركبانهم وتتابعت غاراتهم على أطراف الأحساء وعلى بادية نجد وصار لهم شوكة عظيمة وقوة هائلة وأخافوا أهل البصرة والزبير وكثرت الغارات منهم على أطراف البصرة والزبير والكويت وكثر منهم الفساد والنهب والسلب خصوصا في أطراف البصرة، وقام باشة البصرة واسمه حبيب باشا واستدعى سليمان بن عبدالرزاق بن زهير فأعطاه مال كثير وأمره بجمع الجنود من أهل نجد بالمعاشات والرواتب الشهية! فأخذ سليمان في جمع الجنود ممن كان هناك من أهل نجد المعروفين بعقيل، وبذل فيهم المال فاجتمع عليه عدد كثير من

---

[1] نهاية ص ٥٧ من المخطوطة

أهل نجد بادية وحاضرة، ثم إن عربان المنتفق والعجمان اجمع رأيهم على أنهم يزحفون على البصرة وينزلون قريبا منها وياخذون من تمرها ما يكفيهم من تمرها سنة كاملة، وكان ذلك وقت جذاذ النخل، ثم يسيرون بعد ذلك لمحاربة أهل نجد، فدخلوا في نخيلها وعاثوا بها بالنهب والفساد فنهض اليهم سليمان بن عبدالرزاق بن زهير بمن معه من أهل نجد وأهل الزبير وباشة البصرة بعساكره، وأهل البصرة بذاتهم فقاتلوهم قتالا شديدا حتى اخرجوهم من النخيل ثم خرجوا الى الصحراء فتبعوهم خارج النخيل واشتبكوا معهم في قتال شديد فكانت الهزيمة على المنتفق ومن معهم من العجمان وقتل منهم في هذه الوقعة ما يزيد على ثلاثماية، وظهر من أهل نجد في هذه الوقعة الذين مع سليمان من الشجاعة والبسالة ما يتجاوز حد الوصف وكان سليمان المذكور من افراد الدهر عقلا وحلما وكرما وشجاعة وكان السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب البغدادي المعروف بالاخرس وهو الشاعر المشهور قد حضر هذه الوقعة بنفسه فقال قصيدة عصماء يمدح بها سليمان الزهير ومن معه من أهل نجد[١] ممن حضر هذه الوقعة وقد قال:

ابى الله الا ان تعز وتكرما ... وانك لم تبرح عزيزا مكرما
تذل لك الابطال وهي عزيزة ... اذا استخدمت يمناك للبائس مخرما
فيارب يوم مثل وجهك مشرق ... لبست به ثوبا من النقع مظلما
وابزغت من بيض السيوف اهلة ... واطلعت زرق الأهلة انجما
وقد ركب اسد الشرى في عراصه ... من الخيل عقبانا على الموت حوما
ولما رأيت الموت قطب وجهه ... والفاك منه ضاحكا متبسما
سلبت به الأرواح قهرا وطالما ... كسوت بقاع الأرض ثوبا معندما
أرى البصرة الفيحاء لولاك أصبحت ... طلولا عفت بالمفسدين وارسما

[١] نهاية ص ٥٨ من المخطوطة

حماها سليمان الزهيري بسيفه	منيع الحمى لا يستباح له حمى
تحف به من اهل نجد عصابة	يرون المنايا لا ابا لك مغنما
رماهم بسيف العزي شيخ مقدم	عليهم وما اجتازوه الا مقدما
اعبناء نجد انتموا جمرة الوغى	اذا اصطرمت نار الحروب تضرما
وفي العام قد شيدتموها مبانيا	من المجد يابى الله ان تتهدما

وهي قصيدة طويلة اكتفينا منها بإيراد هذه الابيات وهي مما تنبي عن صدقها وفصاحة قائلها ثم استرسل في هذه القصيدة فقال:

وماهي الا وقعة طار صيتها	وانجد في شرقي البلاد واتهما
رفعتم بها شأن العميد وخضتموا	مع النقع بحرا بالصناديد قطما
غداة دعاكم امره فاجبتموا	على الفور منكم طاعة وتكرما
وجردكم لعمري صوارم	اذا وصلتك جمع العدو تصرما
ومن لم يجردكم سيوفا على العدى	نبا سيفه في كفه فتثلما

ثم إن هؤلاء العربان ومن معهم بعد وقعة البصرة المشهورة نزلوا على كابدة وكويبدة وعلى الجهراء، فلما وصلت أخبارهم الى الإمام فيصل وعلم بمسير العجمان ومن معهم من المنتفق وأن قصدهم محاربة أهل نجد فحينئذ أمر على جميع رعاياه من الحاضرة والبادية بالجهاد وواعدهم بالحفنة وهي ماء معروف بالعرمة فلما كان في آخر شعبان من سنة سبع وسبعين بعد المئتين والألف أمر الإمام فيصل أن يسير بجنوده لقتال عدوهم فخرج عبدالله من الرياض ومعه أهل الرياض[١] والخرج وضرما والدواسر و أهل الجنوب كلهم، ومن البادية

---

[١] نهاية ص ٥٩ من المخطوطة

سبيع والسهول وقحطان فتوجه إلى الحفنة وأقام عليها حتى اجتمعت عليه جنوده من أهل الوشم وسدير والمحمل وبواديهم ثم رحل بهم ونزل الوفرة فلما استقر بها وصلت إليه غزوان مطير وبني هاجر ثم إنه بعدما اجتمعت عليه جنوده من كل فج ومن كل قبيلة رحل بهم مسرعا فتابع السير عاديا على العجمان ومن معهم وهم على الجهراء القرية المعروفة قرب الكويت وكان النذير قد سبقه إليهم وأنذر العجمان فاستعدوا لقتاله وأرسلوا إلى من حولهم من العربان يندبونهم على الحضور معهم لقتال عبدالله وجنوده فلما وصلتهم الأخبار تداعوا إلى النصرة أفواجا وتعاهدوا على الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود وجاءوا بالنساء والأولاد والأموال فأقبل عليهم عبدالله وجنوده وهم على تعبئة يهللون ويكبرون فلما قربوا منهم ابتدرهم الطغاة وحملوا عليهم حملة شعواء لا تحتاج الى مزيد فنهض إليهم جنود عبدالله ومن معه وقابلوهم ببأس أشد من بأسهم وأظهروا من البسالة والشجاعة ما يعجز الوصف عن الإحاطة به فتجالدت األابطال بالسيوف حتى تقطعت وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت وحمي الوطيس والتهبت نيران العزايم عند أهل الحمية والحفاظ وأظهر الفرسان من الشجاعة ما يذهل العقول وصبر الفريقان ودام القتال على أشده ما يزيد على أربع ساعات ثم نزع الله يده عن العجمان ومن تبعهم وناداهم منادي الهزيمة والفرار، لايلوي أحد منهم على أحد ولا والد على ما ولد، وتبعتهم جنود عبدالله يقتلون كل من ظفروا به والجئوهم الى البحر ووقفوا على الساحل فسد البحر على العجمان فاغرقهم وكانوا نحو ١٥٠٠ شخص بين الرجال والنساء والصغير والكبير وغنم عبدالله وجنوده من الغنايم ما

لا يحصى له عدد فأقام عبدالله يقسم الغنايم بين الناس وأرسل البشير لأبيه فيصل من ذلك الموضع وكانت هذه الوقعة جرت في ١٠ أو ١٥ رمضان سنة ١٢٧٧هـ وتسمى وقعة الطبعة الثانية ثم إن عبدالله قفل هو ومن معه من الجنود الى نجد ولما وصل الدهناء بلغه أن سحلي بن سقيان ومن تبعه من مطير نازل على المنسف قريبا من الزلفي فعدى عليهم من موضعه ذلك وصبحهم واخذهم وقتل منهم عدة رجال منهم حمدي بن سقيان أخو سحلي قتله محمد ابن الإمام فيصل، فتوجه الى القصيم ونزل الربيعية ولما وصل الخبر لأمير بريدة عبدالعزيز المحمد ال بو عليان[١] خاف على نفسه فركب هو وأولاده حجيلان وعلي وتركي ومعهم عشرون رجلا من خدامهم وعشيرتهم وهربوا الى عنيزة ثم خرجوا منها وتوجهوا الى مكة ولما بلغ عبدالله خبرهم أرسل في طلبه سرية يرأسها أخوه محمد بن فيصل فلحقوهم بالشقيقة مسيرة ست ساعات من عنيزة وأخذوهم وقتلوا منهم سبعة رجال واسماؤهم : الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وولده حجيلان وولده تركي وولده علي وعثمان الجميضي من عشيرة العليان وخادمهم جالس بن سرور وأخوه عثمان بن سرور وترك الباقين، ثم إن عبدالله بن فيصل رحل من روضة الربيعية ونزل بلدة بريدة وكتب الى ابيه يخبره بمقتل عبدالعزيز ومن معه ويطلب منه أن ينصب في بريدة اميرا، فأرسل الإمام فيصل عبدالرحمن بن إبراهيم وجعله اميرا فيها ثم إن عبدالله ابن الإمام فيصل هدم بيت الأمير عبدالعزيز المحمد وبيوت أولاده، ولما اقام في بريدة قدم عليه طلال بن عبدالله بن رشيد بغزو أهل الجبل من البدو

---

[١] نهاية ص ٦٠ من المخطوطة

والحضر ولما فرغ عبدالله من هدم البيوت المذكورة عدى على عقيل والعصمة والنفعة من عتيبة من برقا وهم نازلين على الدوادمي فصبحهم وأخذهم ثم قفل الى الرياض ظافرا منصورا وأرخص لمن معه من الغزوان بالرجوع الى أهليهم وبلدانهم وكان عبدالله ولد عبدالعزيز المحمد ال أبو عليان مع غزو عبدالله الفيصل فلما قاربوا الدخول الى بلد الرياض هرب عبدالله منهم فالتمسوه ووجدوه مختف في غار فأخذوه وأرسلوه الى القطيف فحبس فيه حتى مات . ثم دخلت سنة ١٢٧٨هـ وفي شعبان من هذه السنة وقع الحرب بين الإمام فيصل و أهل عنيزة فأمر الإمام فيصل على العربان أن يغيروا على أطرافها فأغار عليها ال عاصم من قحطان في اخر شعبان وأخذوا أغناما وأرسل الإمام فيصل سرية مع صالح بن شلهوب الى بريدة وكتب معهم الى أمير بريدة عبدالرحمن بن إبراهيم يأمره أن يغير بهم على أطراف عنيزة فلما كان في شهر رمضان أغار عبدالرحمن بن إبراهيم ومن معه وأخذ إبلا وغنما، وفزع عليه أهل عنيزة وحصل قتال وتكاثرت الأفزاع من أهل عنيزة فترك ابن إبراهيم لهم ما أخذه منهم وانقلب راجعا الى بريدة[١] ولما كان في شوال من هذه السنة قدم على عنيزة محمد الغانم ال بو عليان وهو من رؤساء بريدة وهو من الذين قتلوا ابن عدوان امير بريدة كما تقدم وقد قدم من المدينة المنورة فشجعهم على الحرب وزين لهم السطوة في بلد بريدة فخرج معه أهل عنيزة وهو على خمس رايات وقصدوا بريدة فدخلوها آخر الليل من غير أن يشعر بهم أحد وصاحوا في وسط البلد وقصد بعضهم بيت مهنا الصالح وبعضهم قصد القصر وفيه الأمير

---

[١] نهاية ص ٦١ من المخطوطة

عبدالرحمن بن إبراهيم ومعه رجال من أهل الرياض ورئيسهم صالح بن شلهوب فانتبه بهم أهل البلد ونهضوا لقتالهم بالأسواق وأتوهم من كل جانب حتى أخرجوهم من البلد فولوا هاربين ورجعوا الى بلادهم بعد ما قتل منهم عدة رجال ولما وصل الخبر الى الإمام فيصل وتوضح له ما حصل من أهل عنيزة ومن معهم، أرسل سرية من الرياض وأقامت في بريدة عند عبدالرحمن بن إبراهيم ثم أمر على غزوان الوشم وسدير وأمرهم بالمسير الى بريدة وأمّر عليهم عبدالله العبدالعزيز بن دغيثر فلما وصلت السرية الى بريدة كثرت الغارات منهم على أهل عنيزة ثم إنه حصل بين ابن إبراهيم وبين أهل عنيزة وقعة في رواق فدارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه وقتل من قومه نحو عشرين رجلا منهم رئيس السرية عبدالله بن دغيثر وأشخاص من قومهم وهي التي يقول فيها شاعر أهل الرياض:

بيض الله وجه زامل وربع له　　　يوم ما حمد باثرنا الى الصاير
ايزته منا البواريد والحلة　　　والدبش مع باقي الخاير

وهذه الوقعة هي التي قيلت فيها هذه الابيات وليست بالأولى، بعد هذه الوقعة غضب الإمام فيصل على عبدالرحمن بن إبراهيم لأمور نقلت عنه وأخذ ما عنده من مال وسلاح واستدعاه الى الرياض وأمر بالقاء القبض على جميع ما يملكه.

فصل ثم دخلت سنة ١٢٧٩هـ ولنذكر ما جرى فيها من الأحداث ففي هذه السنة أمر الإمام فيصل على ابنه محمد بن فيصل بالغزو على عنيزة وقتالهم فخرج من الرياض ومعه غزوهم

وكل من كان قريبا من الرياض، وواعد باقي غزوان نجد في بريدة ثم قصد هو ومن معه بلد بريدة واجتمع عليه خلق كثير من بادية وحاضرة وقدم عليه غزو أهل حايل حضرهم وبدوهم ورئيسهم عبيد العلي ابن رشيد وابن أخيه محمد العبدالله ابن رشيد[١] فلما اجتمعت عليه جنوده سار بهم الى قتال عنيزة وحصرهم في بلدهم فلما وصل الى الوادي خرجوا عليه أهل عنيزة بما يملكونه من قوة من رجال وسلاح وعتاد فالتحم القتال فكانت الهزيمة على أهل عنيزة وقتل منهم في تلك الوقعة نحو عشرين رجلا ثم إن محمد الفيصل ضرب خيامه في الوادي المذكور وشرع يقطع النخيل ويحرقها بالنار وفي هذه الوقعة يقول زامل بن عبدالله بن سليم هذه القصيدة ويقال إنها للدمعاني قالها على لسان زامل وهو من أهل الرس:

سلام يامن سار لبلادي حريب … الحكم لله ثم محد عصاه
أرسلت مرسولي وعيا يستجيب … ومن الغضب ردت خطوطي ما قراه
يا فيصل اصحبني وخلن لك قريب … مثل الولد وان داره الوالد لقاه
يوم ان نجد تختبط لك بالشعيب … مع حاكم كل القبايل في سناه
ابديت مجهودي وعديتك قريب … واليوم يا عرق الندى هذا جزاه
والله ما يجلى عن القلب اللهيب … لين الفرنجي يوم يظهر من خباه
ومصقلات معتبينه للحريب … تصرخ الى اونست اللحم علق شباه

في قصيدة له طويلة وقد أورد منها ما يبرهن عن بعض الواقع وسيأتي اخره إن شاء الله، ولما أصدر أمره الإمام فيصل على ابنه محمد أن يضرب الحصار على عنيزة إذا دخل أهلها فيها وتحصنوا فيها وتركوا الخروج لمقابلته في خارج بلادهم، وكان أهل القصيم كافة غير عنيزة تابعين لإمارة بريدة فا تفقوا

[١] نهاية ص ٦٢ من المخطوطة

جميعا على حرب عنيزة، وكان أمير عنيزة يومئذ هو عبدالله اليحيا السليم الذي قتل والده في وقعة بقعاء المشهورة بين ابن رشيد وبين أهل القصيم، وكان زامل ابن عمه المشهور هو أمير البر في المغازي وغيرها وكان ساعده الأيمن فقال في ذلك حسين السليمان ابن عقيل ويسمى تارة بلقب له فيقال حسين الحريول ويقول:

يا الله انا لحكمك صبرنا   يوم جتنا علوم النذاير
اعتذرنا وابى ما عذرنا   واعتصمنا بوالي السراير
واعتصمنا بشيخ عمرنا   حاضر الباس يوم الحشاير
دارنا ما ورا ما صبرنا   حقك الغايب اليوم حاضر
من حقوقك علينا عبرنا   نارد حوض من الموت حاير
خبر اهل القصيم بخبرنا   لا يطيعون شور المخاير
ان درنا درتوا باثرنا   والتفرق ذهاب العشاير

في قصيدة طويلة أوردنا منها صدرها وتركنا باقيها خشية الإطالة والملل[١]

وقال في ذلك شاعر عنيزة المشهور محمد العبدالله القاضي:

راكب فوق حر جفله ظله   من شواحيف شط الحي ركابه
سر وملفاك فيصل حاكم قل له   يقطع الحبل كثر المس جذابه
ان حربنا فحنا للعدو علة   وانصفينا كما السكر لشرابه
خبر اهل القصيم وقل بكم علة   حار فيها الطبيب وضاعت اطبابة
لو تعرفون لو تدرون بالخلة   انكم قصر عزواننا بابه
لابتي حية رقطا بصدع له   مسها لين والسم بانيابه

[١] نهاية ص ٦٣ من المخطوطة

فرد عليه اللوح واسمه عثمان بن منيع من حمولة العناقر أهل ثرمدا ويقول:

حيتك جاتها حية رسول الله	تلهم اللي صنع فرعون واصحابه
عنزكم لا حليب ولا بها ثلة	ما تربح نهار السوق جلابه
واحسايف غديتوا بين خلق الله	مثل جلدية في كف لعابة

يشير بالبيت الثاني بقوله عنزكم هي عنيزة وبالبيت الأخير أنكم عرضتم أنفسك وبلدكم لرشق السهام من كل القبائل، وقوله جلدية هي الكورة المعروفة إذا دفعها واحد ردها عليه الثاني وهكذا تفعله الجنود في بلدكم وفي رجالكم، ويقول ابن منيع في اخر شعره عن حصاره لعنيزة يعني محمد الفيصل

دارت الحضف ثم عيت تبين له	واخمرت يوم سمعت صرخة انيابه

والحضف في اللغة هو ذكر الدواب أي أنكم لم تخرجوا له في ميدان القتال بل هو حصركم ولم تقابلوه في الصحراء، وذلك لم يعبهم بل هو حزم منهم ومحافظة على بلادهم وحريمهم وهو الرأي السديد والعقل الرشيد، فلو أراد الله أنهم تحصنوا في بلادهم لكان خيرا لهم وذلك من أول وهلة ولم يخرجوا لمقابلته خارج البلد، ولكن أمر الله غالب، فلما كان اليوم الحادي عشر من جماد الآخر من السنة المذكورة خرج عليهم أهل عنيزة من البلد بقوة هائلة وعدة وعدد فتقاتلوا قتالا شديدا فصارت الهزيمة أولا على محمد الفيصل وجنوده حتى ابتدأوا أهل عنيزة يقلعون أطناب الخيام بعدما أبعدوهم عنها وكانت الهزيمة لولا قدر الله الذي ليس فيه حيلة، وفي ساعة ما كانوا ينهبون الخيام وما فيها، أمر الله سبحانه وتعالى السماء

فأمطرت مطرا غزيرا فطفت نيران الفتيل وكان غالب سلاحهم هي بندق الفتيل فانهزم أهل عنيزة قاصدين بلادهم وتبعتهم خيول محمد الفيصل يقتلون ولا يأسرون فقتل منهم ما يزيد على ٤٠٠ رجل وكان معهم أناس معهم رماح فاحتموا بها وحموا من دخل في حوزتهم من أهل البنادق فمن أهل الرماح خزعل الجريفاني واسمه محمد ومنهم رجل يسمى جهيم ومنهم رجل سمى بليهيص واسمه ناصر ومنهم رجل يسمى قعدان مطيري من العبيات[١] ومنهم علي العليان من حمولة العيال المشهورة بعنيزة وهكذا جرى أمر الله وكانت تسمى هذه الوقعة وقعة المطر وفي هذا يقول الشاعر مخاطبا محمد الفيصل

لو الجدى قومك تعديت الخيام   مير ان والي العرش مدك من سماه

وإن القارىء المنصف ليحار فكره ويعجب من هذا التهور من أهل القصيم بكثرة قيامهم ومسارعتهم الى حرب ملوك يملكون معظم هذه الجزيرة، أيريدون أن ينزلوا هم بمكان الملوك فيملكون ما ملكوه، أو يريدون الاستقلال في بلدانهم منسلخين عن التعاون مع الملوك الذين هم أقوى منهم شوكة وأكثر منهم جندا وهم الذن يحمونهم إذا نصحوا مع الملوك بصداقة خالصة ووفاء بالعهود، ولا يعرضون بلادهم وأرواحهم بسخط الملوك فإن الملوك لهم أتباع كثيرة من بادية وحاضرة، ولا يسألون عمن يقتل من جنودهم، بل يقولون سقطوا من كيس أهلهم فلا يهمهم ذلك، فلو فرضنا أنهم خرجوا يقاتلون الحاكم وقتل منهم عشرة لا غير وقتل من الحاكم مئة فإنهم يصبحون أكبر رزية من الحاكم لأن الحاكم لا يسأل عن جنده من أين هم ! ومصيبة أهل البلد على رجالهم أكبر لأن المقتولين أبو هذا وأخو هذا

---

(١) نهاية ص ٦٤ من المخطوطة

وعم هذا وولد هذا، فكلهم تضمهم بلدا واحدة وتنشر مصيبتهم في البلاد كلها وكما يقول المثل "الحاكم غصن جرار " فلما لا يخلدون الى السكينة ويخضعوا لحكم من فوقهم ويعطونه ما طلب من زكواتهم فيكون ملاذا لهم عن جور الجائرين واعتداء الغاصبين فإن الحاكم العادل المنصف لا يرضى بالخذلان على أحد من رعيته السامعة المطيعة التي ألقت اليه زمام أمرها ونصحت له وأذعنت لأوامره وجعلت الطاعة له خير حجاب عنه، فلا يجد حجة تبيح له ظلمهم، مع أننا نروي عن أشياخنا القدماء أنهم شاهدوا عدة وقائع مع امرائهم أهل القصيم فما ظهروا منها منتصرين ولا وقعة واحدة، وإليك سرد أسماء الوقائع الكبار :

الأولى وقعة بقعاء المشهورة انهزم فيها أهل القصيم وقتل رئيسهم يحي بن سليم

والثانية وقعة الجوي في سنة ١٢٦١هـ خرج عبدالله بن سليم وهو يومئذ أمير عنيزة وهو اخو يحي السليم المقتول في بقعاء وكان سبب هذه الوقعة أن طلال بن رشيد أغار على غنم عنيزة في جريدة خيل معه فأخذها وقصده من ذلك استجرار أهل عنيزة ليخرجوا اليه فخرجوا مسرعين وهم صيام وذلك في ١٧ رمضان من السنة المذكورة فاقتتلوا ثم انهزم أهل عنيزة وقتل منهم ٧٠ رجلا وقتل أميرهم عبدالله بن سليم أبو زامل المشهور[١] .

والوقعة الثالثة وقعة المطر وقد شرحنا ذكرها وتفصيلها أعلاه، والرابعة وقعة المليداء وقد شرحنا خبرها وتفصيلها سابقا

---
[١] نهاية ص ٦٥ من المخطوطة

مستوفيا فما حاجة الى الإعادة، وهذه الوقائع الأربع كلها انهزموا فيها أهل عنيزة وقتل منهم عالم كثير وقتل رؤساءهم معهم عسى الله أن يعفو عن الجميع بلطفه وفضله، وروينا أنه جرت وقعة من دولة الاتراك على بلاد عسير، وكان امراؤها ال عايض وهم محمد بن عايض وأخوه حسن بن عايض، وهم أمراء عسير وعاصمتهم أبها، فتقاتلوا هم والترك قتالا شديدا وداموا أشهرا والقتال بينهم لا يفتر، ودولة الترك لا يريدون منهم إلا الخضوع الى الطاعة وبعد القتال الطويل تراجعوا في الصلح فيما بينهم وركنوا الى الطاعة بعدما قتل منهم خلق كثير، وقتلوا من الترك اضعاف ما قتل منهم، ثم حضروا عند قائد الترك ويسمى سعيد باشا لعقد الصلح بينهم وأعطاءهم الطاعة له ولعسكره، وكتبوا الصحيفة وتم الصلح والأمان فيما بينهم، وسألهم سعيد باشا القائد قائلا : أنتم العرب تفوقون غيركم بالشجاعة والحمية وإني سائلكم فاجيبوني، فقالوا له : اسأل ما بدى لك ونجيب عليه، فقال اسألكم إذا وقع الجريح في معركة القتال اكنتم تحملونه وتبعدونه عن المعركة أو تتركونه في المعركة يقتل أو يموت ؟ فقالوا له لا: ليس كذلك بل إننا نحمله ونبعده عن المعركة ونجعله في الخيام أو في اقرب بلد لنا تكون لنا عند المعركة، فإنه اخو هذا وهذا ابن عم هذا وهذا من عشيرة هذا فلا يسمح لهم أن يتركوه، بل يعيرون بتركه في المعركة، فقال لهم أنا اخبركم بضد ذلك، فإني جئت لقتالكم ومعي عشرون الف جندي وخلفت ورائي في الحديدة أربعون الف جندي أطلب المدد منهم متى شئت ودعت الحاجة، وكان كل من جندي لا يعرف الاخر ولا اسمه ولا يعلم من أي بلد هو، وإذا وقع جريحهم بينهم دعسوا على صدره بالكنادر

ومشوا الى حريبهم مسرعين ولا يلتفتون الى الجريح حتى تنتهي المعركة، فإن كانوا منتصرين حملوهم الى الخيام، وإن كانوا منهزمين تركوا الجريح والقتيل في المعركة على السواء، فاين عقولكم منكم يا معشر العرب ! تقاتلون جنودا هذا نظامهم وهذه عادتهم معكم ومن مع سواكم ممن يحاربهم ! وهذا ضربه مثلا للعرب فكيف بأهل القصيم يقابلون الحاكم ويشهر عليهم الاف السيوف ولا يعرف أحدهم بلد الثاني. ولنضرب للقارىء مثلا مفيدا لمن يتمسك بطاعة من هو اقوى منه واشد باسا واكثر جندا فانظروا الى نفع الطاعة وحسن[1] عاقبتها فهؤلاء امراءنا ال سليم الموجودين الان، عاهدوا الإمام عبدالعزيز بالكويت في سنة ١٣٢٠هـ وكل وفى لصاحبه ما عاهده عليه، وتناصروا جميعا على كل من حاربهم، واعتصموا بالله ثم به، واعطوه زمام قيادتهم فلا يخالفونه في شيء يكرهه فكان يحميهم مثل ما يحمي نفسه وعاصمته ويغدق عليهم العطايا الجسيمة ولا يكلفهم فوق طاقتهم فامنهم فامنوا منه ومن ضد يتعدى عليهم، وإني اضرب مثلا قياسيا للملوك مع بداية نجد وخصوصا من خالف من الرعية لأوامر الملك القاهر فإنهم يقاسون في ذلك شقاء وعنتا وإني وجدت أهل القرايا الصغار مسكة ونفي وضرية والاثلة ارشد من أهل المدن رايا حيث إنهم يعطون الاعراب شيء قليل من زروعهم وهو ما يسمى الاخاوة فبذلك يأمنون على دمائهم واموالهم ومواشيهم، حتى إن المطرود ليلتجيء عندهم فيلجئونه ويحمونه بوجه من يأخذ منهم الخفارة من قبيلة الطارد وهو نزر قليل يحميهم من شيء كثير، فكان عبدالله بن سبيل الشاعر

[1] نهاية ص ٦٦ من المخطوطة

المشهور من أهل نفي يتجاوب مع الشاعر نامي بن ثعلي من العضيان عرب الضيط وكان ياخذ الاخاوة لقبيلته من ابن سبيل وجماعته من أهل نفي فقال لابن سبيل

حط الاخاوة يا غميصاني يا قايد البقرة باذانيها

فرد عليه ابن سبيل بقوله

اعطيك شلوٍ مثل سحماني تنبح وراء القرية واهاليها

وهو يشير بقوله إن الذي انا اعطيك ليس بفخر لك ولكن لتنبح دوني لتحميني من أبناء عمك المعتدين .

وكان امراء عنيزة حينما سلموا زمام امرهم الى الولاية حدبت دونهم وحمتهم ولم يمسسهم سوء ولا حضروا معركة وهم منفردين فيها الا تحت راية من هو اقوى منهم واقدر وكان لسان حالهم يستشهد بقول المتنبي لسيف الدولة حيث يقول

يامن الوذ به فيما اؤمله وما اعوذ به عما احاذره

ولا يستغرب من الملوك إذا اخذتهم الغيرة على ملكهم متى عبث به عابث صغير مالا يرضونه، وكان قائد من قواد بني العباس كلما جاءه من عند الخليفة[١] مال أو كسوة يقول هذه الكلمة (الحمد لله الذي الزمني طاعة امير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق) والحق الصائب يتعين على كل منصوب لمن فوقه أن يخلد الى السكينة ويلزم طاعة من فوقه ويعتبر بامراء سلفوا خالفوا أوامر ملوكهم فتسلطوا عليهم فاخذوا أموالهم وقتلوا معظم رجالهم، فهل تحس منهم من أحد

---

[١] نهاية ص ٦٧ من المخطوطة

أو تسمع لهم ركزا، والسعيد من له عبرة بغيره، ونرجع الى إتمام شرح وقعة المطر .

ثم قال الراوي لنا ممن حضر الوقعة هذه، أن أهل عنيزة بعد الهزيمة، دخلت فلولهم عنيزة أتاح الله لهم بناس شجعوهم وابرزوا الطبول وعرضوا ولعبوا واشعلوا النيران في كل سوق وتفرقت العرضات في الأسواق كلها واخذوا يعزفون بما قال شاعرهم تلك الليلة:

ما نبالي خسرنا ربحنا الى حصل ما يدانا حمانا
بالاعمار الغوالي سمحنا دون صوت محامل نسانا
يقتبس شرنا وان دبحنا والحرايب تعسكر حذانا

وكان محمد الفيصل بعد الهزيمة قد ارسل في اثرهم عدد أربعين خيال، وكان يقصد من ذلك الاكتشاف على البلد إن كانوا مشغولين باحزان قتلاهم، فهو يريد أن يقتحم على سور البلد ويدخلها عنوة والا فإنه رأى راي ثان، ولكن أهل الخيل الذين ارسل اخبروه إن البلاد قوية ودونها أهلها ولا اقعد الباقين عن الشجاعة ما قتل منهم، فالعجب من مدينة تقتل رجالهم وكلهم رجال حرب وقوة ويصمد باقيهم في وجه عدوهم، إنها لشدة بأس منقطعة النظير فأقام محمد بن فيصل بعد الوقعة هذه بالوادي واشتد بقطع النخيل فقطعوا اكثرها واحتصر أهل عنيزة في بلدهم وقدم طلال بن رشيد في بقية غزوه على محمد بن فيصل بالوادي ولم يحضر الوقعة الا عبيد ومحمد بن عبدالله الرشيد، ثم إن الإمام فيصل امر على ابنه عبدالله بالمسير بغزو أهل الحساء وبباقي غزوان نجد وسار معه بالمدافع والقبوس

فلما وصل بلد شقراء ارسل المدافع والقبوس الى أخيه محمد وهو بالوادي، ثم عدى على عربان من عتيبة فاخذهم ثم توجه الى عنيزة ونزل عليها ونزل عليه اخوه محمد بمن معه من الجنود واجتمع هناك جنود عظيمة لا يحصي عددهم الا الله فاحاطوا بالبلد من كل جانب وثار الحرب بينهم وعظم الامر واشتد الخطب ونصبوا عليها المدافع ورموها رميا هائلا بالقبوس ودام الحرب بينهم أيام ثم إن أهل عنيزة طلبوا الصلح من الإمام عبدالله الفيصل[١] وأن ابوه فيصل قد أوصاه أنهم إن طلبوا منك الصلح فاصلحهم، واياك وحربهم واكد عليه في ذلك ولكن بشرط أن عقد الصلح معهم يكون على فراشي وعلى يدي، فخرج عبدالله اليحيا السليم الى عبدالله الفيصل وعقد معه الصلح وقفل عبدالله الفيصل الى الرياض ومعه عبدالله اليحيا السليم ومعه أيضا عبدالله اليحيا الصالح، فوصلوا الى الرياض وانتظم الصلح على يد الإمام فيصل وكساهم كسوة فاخرة واعطاهم عطاء جسيما واذن لهم بالرجوع الى وطنهم واخذ عليهم العهود على السمع والطاعة وملازمة الجماعة ولما انتظم الصلح بين الإمام فيصل وبين أهل عنيزة استعمل الإمام فيصل محمد بن احمد السديري اميرا على بريدة وعلى سائر بلدان القصيم، فقدم بلد بريدة ومعه خدامه ومعه اشخاص من أهل الرياض ونزل في قصرها المعروف وصلحت الأمور وانحسرت الشرور ثم دخلت سنة ١٢٨٠هـ وفيها قدم وفد من أهل الاحساء ورئيسهم الشيخ احمد بن علي بن شرف، ومقصودهم من هذه الوفادة أنهم يطلبون أن يرد عليهم اميرهم

[١] نهاية ص ٦٨ من المخطوطة

محمد السديري فسمح لهم بذلك وارسل الى محمد السديري وامره بالقدوم عليه بالرياض فقدم عليه وارسله الى الاحساء اميرا مع الوفد المذكور، وجعل مكانه في بريدة سليمان الرشيد عليها وهو من قبيلة ال بو عليان، ثم وقع اختلاف بين أهل بريدة واميرهم وكثرت منهم الشكايا فعزله الإمام فيصل عنهم وولى مكانه مهنا الصالح ال أبا الخيل وال أبا الخيل قبيلة من عنزة، وفي هذه السنة توفي تركي بن صنهات بن حميد من اكبر شيوخ عتيبة وكان موته بعد طعنة طعن بها وهو في طراد الخيل مع قبيلة مطير، فتوفي من الطعنة بعد ثلاثة أيام وفي سنة ١٢٨٢هـ في سبعة جماد الأول توفي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابابطين العائذي رحمه الله من وهو من قحطان وقد فاق أهل عصره في زمان شبابه الأول، ولما استولى الإمام سعود بن عبدالعزيز في عام ١٢١٨هـ ولاه قضاء الطائف فباشره في عفة وصيانة ثم بعد ذلك ارسله الإمام تركي بن عبدالله قاضيا في بلد عنيزة وكان قضاؤه يشمل القصيم كله، وتوليته قضاء عنيزة في سنة ١٢٤٨هـ فباشر القضاء هناك سنين عديدة وفي سنة ١٢٨٢هـ لتسع بقين من شهر رجب توفي الإمام فيصل بن تركي في بلد الرياض رحمه الله وقد خلف أربعة من الأولاد وهم عبدالله ومحمد وسعود وعبدالرحمن ثم تولى بعده ابنه الامبر وهو عبدالله وبايعه المسلمين ودخل تحت طاعته كل من كان تحت ولاية ابيه فيصل، فضبط الملك وساس الرعية احسن سياسة وسار بهم سيرة جميلة ونشر العدل على الناس[1] ولكن لم تتم له الولاية على نجد فقد نازعه اخوه سعود، فجرت بينهم حروب ووقائع

[1] نهاية ص ٦٩ من المخطوطة

ومنافسات على الملك يأتي ذكرها إن شاء الله، وكانت ايامها كلها مناغصة عليه ومكدرة له من كثرة المخالفين من رعيته حينما اضرب عليه الحبل، ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائتين والالف وفيها توفي طلال بن عبدالله بن رشيد وقد أصابه خلل في عقله فقتل نفسه، وتولى الإمارة بعده اخوه متعب، وفي هذه السنة خرج سعود بن فيصل من الرياض مغاضبا لاخيه عبدالله وقصد محمد بن عايض بن مرعي في عسير، وهو رئيس بلدانها فقدم عليه واكرمه واقام عنده مدة وطلب منه النصرة على أخيه عبدالله، ولما علم الإمام عبدالله باستقرار أخيه سعود عند محمد بن عايض ارسل لمحمد بن عايض هدية جسيمة بمصاحبة الشيخ حسين بن الشيخ وكتب اليه بأن خروج سعود من الرياض ليس له سبب يوجب ذلك، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق وكتب الى سعود أيضا يأمره بالقدوم عليه وأنه يعطيه ما طلب فابى سعود أن يرجع الى أخيه عبدالله واقام الشيخ حسين هناك مدة أيام ولما يأس من روح سعود معهم الى أخيه عبدالله طلب من محمد بن عايض أن يرخص لهم وياذن لهم بالرجوع الى الرياض فرخص لهم واعطاهم كسوة ودراهم واكرم وفادتهم واعطاهم هدية جسيمة للإمام عبدالله الفيصل، فتوجهوا الى الرياض وكتب معهم رسالة للإمام عبدالله على أن أخاه سعود قدم علينا وطلب منا المساعدة والقيام معه فلم نوافقه على ذلك واشرنا عليه بالرجوع وترك الشقاق وضمنت له أن اسعى معك الى اخيك عبدالله بالصلح على كل ما يرضيك فلم يقبل، فتركناه ورأيه .
وأما سعود فهو خرج من بلدان ابن عايض وقصد نجران ونزل على رئيس نجران المسمى السيد، وطلب منه النصرة فاجابه

إلى ذلك، وقدم على سعود وهو في نجران فيصل المرضف من شيوخ ال مرة وعلي بن سريعة من شيوخ ال شامر وكتب إليه مبارك بن روية أمير السليل يأمره بالقدوم إليه ويعده بالنصرة والقيام معه، فاجتمع عليه وهو في نجران من يام وغيرهم، وأمده رئيس نجران بمال كثير وطعام وأرسل معه اثنين من أولاده فسار سعود بمن معه من الجنود وقصد السليل ونزل على مبارك بن روية، ولما وصل الخبر الى الإمام عبدالله أمر على أخيه محمد بن فيصل أن يسير بغزوان أهل نجد[١] لقتال أخيه سعود فسار محمد بن فيصل بمن معه من الجنود فالتقى مع أخيه سعود في موضع يسمى المعتلى، فكانت الهزيمة على سعود ومن معه، وقتل من جند سعود قتلى كثيرين ومن مشاهير القتلى على بن سريعة وابني السيد رئيس نجران وجرح سعود جراحات كثيرة في يديه وفي سائر جسده وسار مع عربان المرة الى الأحساء، وقتل من جند محمد عدة رجال ثم قفل محمد بن فيصل الى الرياض، وأما سعود بن فيصل فإنه أقام مع عربان المرة إلى أن برئت جراحاته ثم قصد عمان وأقام فيه ثم دخلت سنة ١٢٨٤هـ وفيها توفي محمد العبدالله القاضي الشاعر المشهور في بلدة عنيزة وكان أديبا لبيبا كريما موصوفا بالعقل والذكاء ومكارم الأخلاق ولنذكر له ترجمته في حياته ونبذة من أشعاره فنقول :

هو محمد العبدالله القاضي نسبة من الوهبة من تميم وهو شاعر عنيزة الذي يذب عنها وينافح الشعراء دونها وله عدة قصائد نقتطف منها مايلي ونورد من كل قصيدة صدرها فمن قوله:

---

[١] نهاية ص ٧٠ من المخطوطة

الى ابصـرت بالدنيا وتكدر لي الصـافي تعذر زماني ما حصل صاحب صافي
افيض عليه اسـرار ما التج بالحشـا وكل شـعيب لـه مفيض ومطافي
ومن عاش مالـه في زمانـه منادم تجرهم عمى رايـه على جرف ميهافي
ومن طاول اطول منه ما استر سـاعة يجاهد جنود وينجسـم رايه انصـافي
ومن شـاف بالدنيا قبول كمت له بخيل مغاوير وهجن لـه اردافي
ومن لبس تاج الكبر ما صان عرضه ولو مطر جوده على النـاس هتـافي
ومن شـال حمل الزوم كاد امتحانه ولا حمل الله عـاجز حمل الاسـرافي
ومن عاش يزرع بالتماني رياضـه يحصـد الهوا ومن وافي الغبن يسـتافي
والله وعد عسر الليالي ييسرها جانا دليل بالم نشرح وهو كافي

هذا ما نقتطف منها للقراء ونترك باقيها خشية الملل والإطالة ويقول في قصيدته الثانية ونقتطف منها مايلي:

ابصـرت بالدنيا وهيضـت مكتوم مـا حن في ليحـان صـدري وحـامي
افكر ولي بـابكـار الأفكـار مفهوم بقلب شـوى جاشـه لهيب الغرامي
شـاهدت بالدنيا غيارات وعلوم وعجايب بـاحوال حـام وسـامي[١]
اسـجم واسـج بها كما الغرق في النوم او من على لـوح بـه الـموج طـامي
لو يسأل اللي عاش به شهر او يوم كما عمر من عاش به الف عامي
والامر لـه حد بالاوراق مرسـوم والرزق عند الله حسـابه تمـامي
ولا تقترب يا سـاهر بت مهموم ترى الفرج عندك قراب الحزامي
وازبن الى ما حدك الدهر مضـيوم عد يصـدر حـايمـات الظوامي
ونفسـك وطيب الخيم معطى ومحروم وهـايب تعطى النفوس الكرامي
كم جامع مـال وهو منـه محروم سـلط على مـالـه عيـال الحرامي
وكم ساير باسود الليل منجوم يصبح بضحضاح بعيد المظامي

هذا ما نقطتف منها ونترك اخرها خشية الاطالة

وله قصيدة عصماء وهذا صدرها:

[١] نهاية ص ٧١ من المخطوطة

الصبر محمود العواقب فعاله والعقل اشرف ما تحلت به الحال
والصمت به سر سعد من يناله والهذر به لوم وشوم وغربال
لا يفتخر من ساد جده وخاله هي بالهمم لا بالرمم مثل من قال
الجمر يمسي كالخلاص اشتعاله ويصبح رماد خامد مغبر بال
والنبل معروف بالأيدي عقاله والخيل توثق بالشبيلي والاقفال
والرجل بالواجب عقاله لسانه الى قال قول تم لو حال به حال
كم خير ما نال منها مناله وكم ثور هور ساعفت له بالاقبال
وكم فاتت العليا غلام يناله وكم حصل العليا غشوم بالاجزال
السبع رزقه من جيفها ختاله وجند ضعيف مرغد رزقه اشكال

وقد أوردنا منها هذه الابيات وتركنا باقيها خشية الملل

وله هذه القصيدة قالها يمدح بها بلد عنيزة وأهلها وسبب ذلك أنه حينما مدح طلال العبدالله الرشيد غضب عليه أمير عنيزة ومقدم رجالها محتجين عليه أن طلال الرشيد أضداد لنا، وهم قتلوا رجالنا ورؤساءنا فكيف يمدحه بعد ذلك، وهي قصيدة طويلة وقد صدرنا بعضها في صدر كتابنا هذا ومطلعها قوله:

طلال لو قلبك حجر وحديدي يمديه من حامي وطيس الوغى ذاب
شبيت يا النادر بنجد الوقيدي واحرقت فيها اعداك واذريت الاصحاب[1]

فغضبت عليه رجالات قومه مع أميرهم حيث مدح ضدهم، حتى قال فيه علي الخياط وكان فارسا شاعرا وله مواقف جميلة بصف جماعته ودون وطنه وله قصائد رنانة، وكل قصائدة حماسية تنويها دون وطنه، وكانوا يلقبون محمد العبدالله

[1] نهاية ص ٧٢ من المخطوطة

القاضي زبادة فقال فيه علي العبدالرحمن الخياط يعيب عليه في مدحه طلال وهو ضد لبلده ولجماعته ومطلعها هذين البيتين

علام هرجك يا زبادة يزيدي	**في مدح ضده ولا سر الاقراب**
طلال ماله من مديحك مزيدي	**نجم ظهر عزي لربعه اذا غاب**

في قصيدة طويلة وعلي الخياط المنوه بذكره، هو سخي عند مواجيب السخا وسخاؤه يتضاعف وقت الحروبات ودون وطنه وأهله ولقد رأيت له مخزنا كبيرا ممتلئا من أصناف الأسلحة من سيوف ورماح ودروع وبنادق على اختلاف أصنافها وكلها قد أوقفها وسبلها وكانت ناجزة شرعية، ونص في وصيته أنها وقف مرصود لا يباع ولا يوهب وأنها دون عنيزة متى بليت بحرب مثل ما جرى وشاهدت، وأنها لا تخرج عن سور البلد، ثم توفي هو في بريدة سنة ١٣٠٦هـ وكان نزوحه الى بريدة بسبب موجدة أتت عليه من أمير عنيزة وهو زامل العبدالله السليم فلم يوفق الى إرضائه، فمن ذلك السبب اختار الجلاء في بريدة وسكن فيها عزيزا مكرما حتى مات رحمه الله وكان له دار في قرارة عنيزة قلما يكون مثلها سعة وقوة عمارة، فالتفت الى الدار وهو يحمل رحله على الجمالة ليبارح البلد الى بريدة فقال هذين البيتين:

يا دار لو الزمل يقوى يشيلك	**لشد بك من ديرة جزت منها**
الهد بالفاروع ما يستوي لك	**والبيع ما كل يقدر ثمنها**

يعني ما كلٍ يعطيها قدرها من الثمن الذي تستحقه، و أما مخزن الأسلحة الذي ذكرنا فقد بقي على حسب نص الموصي نحوا من سبعين سنة وهو معلق عليه بهذه الصفة وقد مر عليه عدة قضاة انتصبوا في عنيزة فما منهم من هم بصرفه خلاف نص

الموصي، وبعد السنين العديدة قدم حفيده واسمه علي العبدالرحمن الخياط وذلك في سنة ١٣٧٤هـ فاستفتى أحد المشايخة بأن يباع وينقل ثمنه بعقار فيه ريع ويكون ريعه وقف على المستحق من ذرية الموصي فانزلوه الى الحراج وقاموا في حراجه ثلاثة أيام لكثرة ما به من أنواع الأسلحة وبيعت بندقه المشهورة على حفيده بمائتين ريال والمذكور اهداها على جلالة الملك سعود ومعها سيف واحد من سيوفه فكافئه عنها وعن السيف بالف ريال وهي فتيل، ومثلها اثر خالد يجب أن تدخر في خزائن الملوك، وهذه البندق هي التي يقول فيها

لي بندق ترمي اللحم لو هو بعيد　　　ملح الجريف محيل يعبا لها

وقد صار صيت هذه البندق وصيت قائلها وشرق في البلاد وغرب، ويشهد لذلك ما روى لي بعض أصحابي النبلاء فذكر أنه في سنة ١٣٢٦هـ لما فرغ الملك عبدالعزيز من قتال بريدة اتى في عنيزة على عادته، وكان يوما في بعض الأسواق فاصدا بيت ابن سليم امير عنيزة وكان يمشي معه كعادته في كل عزائمه فمر ببيت الخياط وسمع فيه رجل يصيح صياحا منكرا فسأل عبدالعزيز[١] ابن سليم عن هذا الذي يصيح داخل الدار فقال هذا حمد العلي الخياط مصيبه آكلة في رجله، أول ما ابتدأت في قدمه فصارت تصعد في رجله حتى بلغت ركبته ولم يدع شيئا من العلاج ما عاملها به فلم تنجح، فقال له الملك ارسله الى الكويت مع يد خفية على حسابي وأنا اكتب لوكيلي بالكويت يعتني بعلاجه، فال فاستدعاني عبدالعزيز بن سليم واكراني عليه الى الكويت فحملته على ركابي وجعلته في محمل وجعلت للمحمل عيدان من خشب تطلع من المحمل

---

[١] نهاية ص ٧٣ من المخطوطة

أمامه ليمد رجله عليها فخرجنا من عنيزة مع حدرة كبيرة يرؤسها صالح العلي السليم فلما انتهينا في معظم الطريق ووردنا على ماء مشهور يسمى اللصافة، ونحن قد بلغ بنا الظمأ اشده من طول المحال فوجدنا اغلب مطير قاطنين على الماء، منهم ابن لامي وجماعته الجبلان ومنهم مشاري بن مصيص وجماعته والقريفة وابن عشوان وجماعتهم فنزلنا ونحن على ظمأ ولم نعلم متى يفرزون لنا حتى نشرب من الماء حنا وجمالنا، وكان معنا من المرحول ما يزيد على الف بعير ولم يكفنا من الوقت الا يوم كامل لشربنا وتعبئة الماء بقربنا وكنا حينما نزلنا على الماء وابتنينا شراعنا ونمنا فيه ثم انتبهنا بعد ما زالت الظهيرة عنا واخذنا نحرك معاميل القهوة ونارها والعدة فإذا قبالة شراعنا بيتين من بيوت البدو، فقام رجل من واحد منها ولبس ثيابه واخذ سيفه بيده كعادة من أراد التسيارة على من بجواره، وقصد خيمتنا فوصل وسلم ورددنا عليه السلام فجلس وإذا حمد الخياط في طرف الشراع يولول ويجضر ويصيح من وجع رجله، فسالنا عنه وعن علته فاخبرناه فسالنا عن اسمه فقلنا اسمه حمد الخياط فقال هو الخياط راعي البندق؟ [قلنا] هذاك مات وهذا ولده، فقال ولده مكان ابوه فقال انتم شربتوا من الماء فقلنا لا، ولا شرب من الحدرة ولا بعير واحد، فاجابنا على فوره بحماس بأن قال خيال صبحى جبلي، خيال صبحى جبلي وأنا اخو نهاب والله إن تشرب بعارين راع البندق ماء والا دم هالحين . قال فدفعنا له القهوة وشرب منها فنجالا واحدا وقام مرتبشا وقد الى جهة البير التي تشرب عليها البدو وابلهم واغنامهم، فغرز لنا معهم مشرب وكان ابلنا عددها ٣٠ بعيرا فاستدعانا لنشرب وقال لنا:

كل عشر ورّدوها وحدها، فتراسلت إبلنا على الحوض وشربت كلها حتى رويت، ودعا بما معنا من القرب فقال : املأوها قبل زحام الناس على الماء، فملبناها وشربت جمالنا حتى رويت نهلا وعللا، فلما فرغنا رجع معنا الى خيمتنا فلما جلس قال الان طاب لي شرب القهوة حينما رأيت أنكم رويتم أنتم وجمالكم، ثم مد يده يتناول القهوة ويشرب كفايته، ويقول لنا: الذي ما يقدر الرجال الشجعان الطيبين ماهوب رجل طيب، ولو أنهم كانوا في قبورهم . فانظروا يا إخواني[1] الى كل رجل طيب مشتهر بالشجاعة أو بالكرم يقدره من لا يعرفه وإن كان ميتا فذريته من بعده يستمر هذا التقدير . ونرجع الى ما قصصناه سابقا من سيرة محمد العبدالله القاضي وأشعاره، فمن شعره الذي استعطف فيه امير عنيزة وافراد رجالها حينما عابوا عليه مدحه لطلال بن رشيد، فقال في ذلك يمدح البلد وأهلها

لعل براق صدوق خياله مزنٍ مرنٍ مرجحنٍ وهطال
الى ارتكم كنه شوامخ جباله مترادف ذيله يجي سيلٍه ارسال
لجب الى ربرب ربابه ضباله نسم من المشرق يرد الأول على التال
لا كن طفاح الرباب اجتواله هجمة مغاتير حداهن خيال
تنظر خشوم المزن يوضي بجاله صفايح الفضة بصالوخ وشعال
نضناض برقه في مثأني خياله الى نشروا شره المراكب بالادقال
كن الرعد والبرق به واشتعاله تتييع اطواب الفرنجي الى صال
الة هل طار غبار خده وشاله والتج وديان الوعر والسهل سال
يسقي جوانب ديرة ضم جاله ما يعجب الناظر بشوفه ويهتال
لي ديرة واد الرمة هو شماله غربيه الضاحي وشرقيه الجال
دار لنا دار السعد والشكالة ما ساقت الخاوة للأول ولا التال
دار لنجد مشرع كم عنا له لاجي ومحتاج وراجي ونزال
حموا حماها بالمراجل رجاله لين اوحشوا من جا لجاله بالافعال
بضرب وتدبير وعقل وصمالة وراي يبرك كل باغي وعيال
اخيار اشرار الى جا مجاله عقال في حال وفي حال ابطال

[1] نهاية ص ٧٤ من المخطوطة

ان بركوا للراي شالوا احماله زمل التخوت اللي يشيلون الاثقال
شالوا حمول ما يراوز مشاله العفو ما اصبرهم على كل الأحوال

تم ما أوردنا منها وتركنا باقيها خشية الملل، وكان رحمه الله سمحا يحب النكت والمداعبات فمن ذلك أن له صديق يدعى موسى الجريد، وكان قد أعطاه نقودا على سبيل المضاربة معه وكانت هذه النقود مع موسى الجريد لم يكن فيها كبير فائدة وقد اطلع محمد القاضي أنها تنقص وخشي عليها من التلف فاحتال رحمه الله على ابن جريد بأنه يعطيه حوالة جسيمة على وكيله بالكويت وهو عبدالله الصميط وذلك حيلة منه بعدما رأى أن ابن جريد لا يسمح بدفع النقود لمحمد القاضي ويخشى منه أن يقول[1] تلفت، فلا يكون في يده حيلة من ذلك فاستدرجه بهذه الحيلة بأن يكتب معه حوالة لوكيله بالكويت واشترط عليه الا يعطيه التحويل حتى يصفي هذه الحوالة ويدفعها لمحمد القاضي صاحبها (أي المضاربة التي مع موسى الجريد لمحمد القاضي) واجتهد في تصفيتها وربما أنه رقع ما تخرق منها من ماله طمعا بهذه الحوالة الجسيمة، فدفع ما معه من

[1] نهاية ص ٧٥ من المخطوطة

المضاربة للمذكور محمد العبدالله القاضي كاملة، ثم كتب له التحويل عندما حان سفره و أودعه في ظرف وشمعه ودفعه لموسى، وموسى لا يقرأ ولا يكتب ولكنه قال له : الحذر من أحد يفك هذا الكتاب إلا المحول عليه، لأنه لو رآه مفكوكا من غيره لم يقبل التحويل، فاحتفظ به موسى حسب وصية محمد العبدالله القاضي حتى وصل الى الكويت ودفعه لوكيله، ففض الكتاب فقرأه، وضحك وسكت، وكان في ذلك الوقت عنده جلوس من أصحابه، ولم يخبر موسى بما في الكتاب ولكن موسى لم يقنع بالسكوت فألحف عليه بالسؤال، حيث إنه استنكر من ضحكة عبدالله السميط، فقال له : أخبرني عن الحوالة ! فقال له: أخبرك عنها سرا مني إليك، فاستشاط موسى غضبا وقال : أنا أعرفُ منك بزبادة، وكانت لقبا لمحمد القاضي فإنه صاحب مكر وحيلة، فلن أبرح من مجلسي هذا حتى تخبرني بما في الكتاب الذي أنا دفعته لك، فحينئذ قال له عبدالله السميط: إذا قلت ما قلت فاقبض ما في هذا الكتاب وإليك هو، وكان يحتوي على بيتين من الشعر لا غير يقول فيها:

من بضّع ابن جريد ... ما اظن عقله جيد
ان جاه يطلب حقه ... لقاه ضرع سويد

ويشير بقوله ضرع سويد، أنه هو ضرع الأتان من الحمير، فقنع الرجل من عبدالله السميط ووجه اللوم على محمد القاضي.
ومما يروى لنا عن حب المذكور للمداعبة أن له صديقا يدعى إبراهيم العبدالله الربيعي وكان ملازما للقاضي وهو الذي يروي أشعاره للناس، فقال له ذات يوم: إن أهل بلدة الروغاني

أتوا الينا أن نذكر لهم خطيبا يصلي بهم يوم الجمعة ويخطب بهم، والروغاني قرية صغيرة من ضواحي عنيزة القريبة منها، وإني أرى أنك يا إبراهيم تصلح لهذا الطلب، فاعتذر منه ابراهيم بعدم المعرفة بالخطابة، وأنه يأخذه الحياء والخجل إذا صعد المنبر ولا يستطيع ذلك، فأقنعه القاضي بقوله لا تخف من انتقاد أو ذوق فيما تقول في خطبتك، والله لو قلت حينما تصعد المنبر

يا محلا الفنجال مع طلعة الشمس .... لم تسمع منهم إلا أن يقولوا: آمين[١] ولم يعلموا ما تقول .

ومما يروى لنا عن مداعبته، أن له صديقا يدعى عبدالعزيز بن عمر، وكان يرتب قهوة الفجر عند هذا الشخص عبدالعزيز، وكانوا أهل نجد في ذلك الوقت يستعملون القدح (زناد وصلبوخ) يقدحون بالزناد على الصلبوخ المذكور فيوري نارا ويولعون منه برقعة في يدهم تلصق بالصلبوخ المذكور، ولا يعرفون الكبريت ولا بإسمه، وكان محمد العبدالله القاضي بسبب صحبته مع طلال العبدالله ال الرشيد قد أتحفه طلال بهدية بأن أرسل إليه علبة كبريت وقد ورد منها لطلال عدة علب، فأرسل واحدة منها الى محمد القاضي، وكان في ذلك الوقت عادة أهل نجد كافة يورثون جمرا عندما ينامون من أول الليل، فتارة يجدونه حيا في الفجر ويولعون به، وتارة يجدونه رمادا فيرجعون الى الزند والصلبوخ، فإن كل صاحب قهوة لا يخلو منهن، وكان الجيران بعضهم يقرع باب بعض يسألونهم هل عندكم ورثة نولع منها نارا، فإذا كان عندهم شيئا أعطوهم

(١) نهاية ص ٧٦ من المخطوطة

جمرة يولعون منها وإلا اعتذروا منهم، وكان القاضي محمد قد أتى الى صديقه المذكور عبدالعزيز بن عمر وحمل معه عود من الكبريت وهو الذي يشب ناره بالحجر وبالمدر وفي كل شيء، فالتفت عبدالعزيز لمكان النار ليولع ناره منها فلم يجد شيئا إلا الرماد، فقال له محمد القاضي : وش تعطيني إن كان شببت لك نارك من عود حطب ؟ فقال أعطيك داري، ولكنك لن تقدر تشب النار من عود حطب ! فقال له القاضي : ناولني عود الحطب من يدك، فناوله عودا من حطب وكان عود الكبريت في يده فالصق عود الكبريت الى عود الحطب وشخط على حافة الوجار والكبريت وهو ملصق بعود الحطب، وكان عبدالعزيز ينظر الى ذلك فظن أنه يشخط عود الحطب، ولم يعلم بالكبريت الذي معه، فلما ولع العود أخذ سعفة كانت في يده قد أعدها لقبس النار فاشتعلت نارا فجعل عبدالعزيز يكذب ويرى أنه سحر حتى أنه وضع يديه قريبا من النار يقيس حرها فألهبت يديه الى أن رفعها عن النار فالتفت الى محمد القاضي وقال له أشهد أن هذه معجزة فلو تدعي النبوة فأول من يتبعك أنا .

وكان رحمه الله شغوفا بالعشق يحب الجمال ويشبب به، وكان شاعرا ببلدة الرس يدعى زامل بن عفيسان له قصائد بالعشق، وكان شعره يبلغ محمد القاضي ويعجبه، فبلغه عنه قصيدة قالها ومطلعها هذين البيتين[١]:

يا القلب صافح مرقب ماتنوله	جنب عنه يا القلب عسرة مراقيه
ناب الردايف قبلة الحي زوله	هني من فرك محانيط ناميه

---

[١] نهاية ص ٧٧ من المخطوطة

فلما سمع بهذا محمد العبدالله القاضي قال قاتله الله، والله لو أتاني بهذه القصيدة قبل أن يطلع عليها أحد لأعطيه ما طلب مني، وكان له معشوقة كثر غرامه بها وهام بحبها وكان كثير ما كتب إليها يخطبها من نفسها وكان يقول هذا الشعر متلهفا على أنه لم يدرك منها ما طلب

كل القلم من كثر شكواي للشوق هو داير كيفه واناعفت روحي
همه يحط الورد من فوق مفروق اشقر به اللولو شقيق يلوحي
مدري بلاه النصر مطغيه والموق او البلا حظي هو اللي سدوحي
لولاه غالي كان افاجيه بالبوق وارقى عليه بعاليات السطوحي

وله رحمه الله هذه الابيات:

حربت انا النوم من هلة شهر شوال لما تمثنى الدهر بجمادنا الثاني
وانا ارتجي وصلها بالموسم الأول وان زل الأول فلو بالموسم التالي
والله والله وبحق الذي نزل صحايف الكتب والفرقان للتالي
ان لك بقلبي محل ما ينحل لو حل بالأرض رجاف وزلزال
بالحلم والعلم وفروض الصلاة الكل تطري طواريك ياسيدي على بالي
البارحة دمع عيني من نظري هل والكبد يا مشكى خالي على فالي

هذا ما نورده من هذه القصيدة، وكان يقول في معشوقته هذه وقد قال أخ له اسمه علي : إن الشاعر الذي يشبب بالنساء يقتل، وربما استفتي بذلك بعض المشايخ، فقال مجيبا لهذا السؤال:

حل الفراق وبيح الصدر مكنون قلبي تعايوا فيه شطرين الاطباب
حيران قلبي بالزناجيل مسجون في سجن ابن يعقوب انحى وهو شاب
بي علة أيوب وغربال ذا النون وبي دعوة المظلوم انا جبت ما جاب

وبي علة كل الملا ما يطيقون ... لو طاح معشارها على صم الصفا ذاب
من حال غطروف برى الحال ما ذون ... يا حيف شاب الراس مني وانا شاب[1]

[2]فمن ذلك أنه ثور إخوانه من عتيبة بغنم نفي، وهم جماعته حين أخذها بجاد الخراص من الروقة من عتيبة، فقال وهو يشعب إخوانه الذين يعطيهم الخفارة كل سنة ليحموهم من عشائرهم فقال في ذلك شعرا:

اخذ غنمنا الخراص ... واحتدانا بالرصاص
يا اخواني مابه مفراص ... ينقى به والا يديها
اخذها وفي بطنه ملحتها ... وهي مازلت وجبتها
وتالي قراهم في حكرتها ... ياعتيبة هذي وش فيها
اخذ غزايزها طامي ... ابو ثنتين القسامي
يوم اخضرن النوسامي ... خمس وعشرين ناقيها
لا وا شاتي واسفابه ... ملاية كوز الحلابة
عليكم منها جنابة ... والماء ما ينظف راعيها
ان زل العشب الممدوح ... تجي شاتي والا تروح
لولا الزبدة والصبوح ... وش ابي به يوم اقنيها
عطوها ام بجاد رضىً له ... يقول امي فيها علة
وتصخن حليبه بالدلة ... تشرب صخين يبريها
تشرب صخين بالجهمة ... لما تقطع عنه الرهمة
كل يوم هذا له سهمة ... الله بالدر يهنيها
رحت اثور فيها مارق ... لقيته مسكور وذارق
ما تقيمه عكف المطارق ... ينظر فيها ويخليها
لا فيها تيس ولا عودة ... اصغرها كبر المفرودة
حسبة خمسمية معدودة ... واشق جيبي يوم اطريها

---

(1) نهاية ص ٧٨ من المخطوطة

(2) عند هذا الموضع من المخطوط إما أن يكون ثمة صفحات ساقطة أو خلط من الناسخ بين شعر ابن سبيل وشعر القاضي. بداية ص ٧٩

هذا ما نورده من هذه القصيدة وعددها ٦٠ قارعة من هذا النسق فتركنا باقيها، ثم إن الغنم بعد هذا ردت إلى أهلها وآخر أمرها أودت بحياة رئيس الغزية وهو بجاد الخراص، قتلوه قبيلة الغبيات، إخوان ابن سبيل عند آخر ما أودى من هذه الغنم، ومثله كثير عند البادية، وإنهم يحافظون على تنقية وجوههم وعلى ما التزموا به لسواهم، وسواء كان وجه بخفارة، أو أعطاه وجهه بدون خفارة فإنه يفي له بذلك، فمن ذلك ما وقع لأهل شقراء في سنة ١٣١٥هـ لنورد على قصتهم دليل يشهد بقيامهم دون وجوههم ودون ما التزموا به لغيرهم وإنهم متى نكص منهم الذي يعرض وجهه لهم ثلبوه بالسب عند القبائل كلهم، وجلس طول حياته لا يوثق به وعاش ممقوتا محقرا عند قبيلته وعند غيرهم من القبائل الأخرى، فتبقى حياته دائما وهي مهددة بالذل والهوان، وإن كان عاجزا عن القيام بما يجب عليه قاموا عشيرته وأبناء عمه وشدوا عضده وساعدوه حتى يتم ما التزم به، وكانوا يرون بذلك أن المعيرة لا تخص واحدا بل تشمل القبيلة كلها حتى يغسلوا العار الذي لصق بهم من طريق هذا الشخص الذي وصمهم بهذا العيب، وفي زماننا هذا ولله الحمد، محته الشريعة المحمدية، فلا يمشي بين القبائل حاضرة كانت أو بادية، وإذا ظلم أحد من الضعفاء بينهم دخل على أقواههم بالشريعة فلا يصل إليه خصمه لا بما تحكم عليه الشريعة[١] .

ونرجع إلى قصص الخفارة وما تفعله سابقا في وقتها الذي درجت فيه، فمن ذلك أن أهل شقراء البلد المعروفة من بلدان الوشم، أرادوا الحج الى بيت الله الحرام، حينما قرب سفر

---

(١) نهاية ص ٧٩ من المخطوطة

الحجاج من أوطانهم وكان لزاما عليهم أنهم لا يسيرون إلا في خفارة تحميهم، فاستدعوا برجل من الروقة من قبيلة معروفة يسمون الدلابحة وهم قبيلة معروفين بالحماية عن الجار والذمار واسم هذا الرجل مشعل الغويري وشرطوا له أربعين ريالا وكسوة له ولأهله على أن يمشي مع هذا الحاج وهم في وجهه من كافة عتيبة حتى ينتهي بهم الى مكة وبعد انتهائهم من الحج يردهم إلى وطنهم، فالتزم لهم بذلك ثم إنه بعدما سار بهم وقطعوا أكثر الطريق حدث شيء لم يكن بالحسبان فإنهم لما وردوا على ماء يسمى هكران وكان على الماء أخلاط من عتيبة قطين، فمنهم الدلبحي والغبيوي والغنامي والعضياني والمرشدي، فاشتبكت فتنة بين الحاج وبين البدو عند سقي الماء كما هي عادة مضطردة، فتقدم أمير الحاج وأشخاص معه إلى محل الفتنة قصدهم يفرعون بين الطرفين ويخلصونها قبل أن يلتحم بينهم شيء أشد مما حصل، واسم أمير الحاج عبدالله بن هدلق ويلقب بالهريفي، وبينما هو يفرع ويحول بين البدو وبين أصحابه اذ أتته رصاصة طائشة من البدو فأصابته في رأسه فأردته قتيلا ومات من ساعته رحمه الله ثم أتت رصاصة أخرى فأصابت رجل يدعى دحيم بن صالح وكسرت ساقه، وهو من أبناء عم الأمير المقتول فافتك النزاع على مروق هذين السهمين ورحل الحاج عن هذا الماء وقفلوا إلى وطنهم شقرا، وأكرموا صاحبهم هذا الذي هم ساروا في خفارته وحرضوه أن يفي بما التزم لهم في وجهه وأعطوه جميع ما شرطوا له على التمام وزادوا، فتوجه من عندهم وهو يرغي ويزبد ويعدهم بالوفاء والقيام بنصرتهم حينما يصل الى قبيلته، فلما وصل عند أهله وعشيرته رأى أن القيام بما يجب عليه

صعب لتفرق الدم بين القبائل وخفي عليه القاتل بنفسه، فانثنى عن الأخذ بالثأر لا عقل ولا قصاص، ودام شهرين وهم لم يروا منه قيام بشيء، فأرسلوا له وطالبوه بما في وجهه لهم، فزاد جمودا، فقال أولياء المقتول لن يشعب الرجال على القيام بما في وجوههم إلا القصيد، فانظروا إلى إبراهيم بن جعيثن، من أهل التويم فهو شاعر يجيد القول وهو المجرب ويحيط بعلوم البادية وما يشعبهم به مما يجعلهم ينهضون لأداء لزومهم على وجه السرعة، فأرسلوا له وشرطوا مئة ريال أن يقدم عليهم وينظم قصيدة على الوضع المناسب لمهمتهم، فقدم عليهم ونظمها في يومين ودفعها لهم مكتوبة بالقرطاس وعمدوا الى رجل يجيد قراءة الشعر ويبوج الفجاج فأعطوه مئة ريال ليركب بهذه القصيدة ويسردها على من يعنيهم الأمر ففعل، وكان اسم الرجل فهد بن مقرن[١]

وقد جعل القصيدة على لسان أخي المقتول وهو الأكبر وإليك نظمها:

الله من علم فجاني مسيان	تحطمت منه الضلوع الصحاحي
عيني يلوح بحجزها تقل عيدان	وقلبي يلوفه مثل شوك الطلاحي
الناس في راحة وانا ابات سهران	والسد مني طول ليلي انباحي
لو صحت انا ما قالوا الناس فسقان	مفجوع يا جابر عزا اللي مجاحي
من قيل ابن هدلق رمي يم هكران	ودحيم خلي عظم ساقه لياحي
سعيت وادنيت النجيرة وشقران	ما شال غرب السانية بالمناحي
مرباعه الصمان في ضف قطعان	يرعى مع الجبلان نبت الفياحي
يجفل الى طالع مع الدو زيلان	ما يلحقه بالسبق خفق الجناحي
مثل القطات ان طالعت حوم عقبان	طارت وصاعتها هبوب الرياحي
عليه من يازن حديته بميزان	مهوب هلباج هذور سداحي
ممشاه من شقرا الى انضاح فجران	يدع اوله يم ابرقية مراحي
والصبح يمشي في فراقين عتبان	دور فريق الدلبحي وين راحي

(١) نهاية ص ٨٠ من المخطوطة

نوخ عليهم واعقل النضـو ببطان وعطهم وكيـد العلم مـابـه مزاحي
خويكم مـا تنوخذ فيـه الاثمـان ريف الهزالا راح عمره سـمـاحي
عمره مضـــى والعمر من ذاك ما شـــان ينـدى الى كلت وجيـه الشـحـاحي
اجال وأســـباب تجري بالاكوان ومن لامني تفجـاه وقـت الصـــباحي
حجاجنا ما ثوروا كود بحصـان تخيروا مشـعـل قعود ضـيـاحي
يبون به زود وهو صار نقصان وذبحت قرايعهم ســوات الاضـــاحي
لا انتب ضعيف ولك مخالب وجنحان وربعك على العايل تراهم ذحاحي

ولنتم اهـل بورة ولا انتم بـذلان يم الحـريـب تتيـهـون اللـقـاحي
ليت الرفق من عزوة أولاد شـيبان حـامـي سـلـوم السـيرة مثـل نـاحي
انظر فليفل مع هل الضـلـع ما شـان دون الحســب داس الخطر واســتراحي
يا كثر مثله بين لمات الاضـعـان وكـل علـى ســالـف جـدوده يـنـاحي
ومع مثلها وش صار فيصل بن سلطان ولـد الـدويش ان كنـت للعلم صـــاحي
ولا تنسدح واذكر سوايا ابن سجوان خـلـى ابـن عـمـه عـنـد فـذه يـنـاحي
والطايلة كسـبها السـويطي صـنيتان من دون جاره صـــار للشـبـل مـاحي
يوم انتهض فرخ من الوكر سكران صـــاده حـمـد وبرقـعـه واســتراحي
وانشـد من المشـهـد الى قصـر برزان وما حدرت جودة وقصـــر ابن ضـاحي
ومن الكويت اجنب الى عين فرزان وما حدت السيفة وماها الملاحي[1]

وهذه تتمة القصيدة:

واشــــمـل من العـارض الى بـاب حوران واعرض على الشنبل وصبه صياحي
وســنـد على مكة ونشــد بالاوطان ان كان في لوم الاخوة ســماحي
ترى الخوي مـا ينوخـذ فيـه حقـان الا بضـرب مذلقات الرماحي
وقطع الخشـــوم وهد الاشـــفاق وايمان وسـبع تصـبحهم وهم بالمراحي
وقلـب قطوع حـد زوغـات الأذهـان وفعل يعدونه شـيوخ النواحي
وتلبس الى شـــبيـت للحرب نيران ثوب من البيضا عريض الشلاحي
وا لـى كـويـت اودع الكـي نـجـحـان ترى البرى يـذكر بكي النجـاحي
فـان كنـت عجز عن خوي وجيران فـادخـل على برقى يفكـك منـاحي
وابرك لـحـمـل الـذم في كـل ديوان وحثل مع اللي يصـنعون المسـاحي
ترى الدعث يقصـر مشـابر دهامان ويشـره على السبقة حصـان المتاحي
وترى التفق نيشـــان والخيل ميدان وهذي علوم اهل القضــا والفلاحي
فالى قضـــيت اللي بوجهك فلا شـــان تنام عن كل المســبة ســطاحي
وصلاة ربي عد كاين وما كان على نبي دعوته بالفلاحي

[1] نهاية ص ٨١ من المخطوطة

فبعدما قرئت عليهم هذه القصيدة قاموا بالواجب خير قيام وأشعلوا نيران الحرب، حتى اعترفوا أنهم هم اللي قتلوه قبيلة معروفة، ثم إن مشعل الغويري وقبيلته خيروا أهل شقراء بين أمرين إما أن يقبلوا أربع ديات وإلا أن يرغبوا في أخذ القصاص منهم، فأنا مستعد لما يرغبون، فرغب أهل شقراء بأخذ الديات لتنفع من خلفه، وللمقتول ذرية وأولاد صغار، فقبلوا الدية وصرفوها على حساب الأيتام، فانظر أيها القارىء الى عوائد العرب الأولى وقد اضمحلت هذه بالكلية ونسختها الشرعية المحمدية والحمدلله على ذلك . ونرجع الى تسطير التاريخ ونقول ثم دخلت سنة ١٢٨٥هـ وفيها سار عبدالله بن فيصل بجنوده من الرياض ومن غيره من أهل نجد الى وادي الدواسر فنزل عليهم وهدم بيوتا وقطع نخيلا وأخذ أموالا ونكل بهم أشد التنكيل وذلك لقيامهم مع أخيه سعود ثم قفل راجعا الى الرياض بعدما أقام في الوادي نحو شهرين، وفي هذه السنة عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر القعدة توفي الشيخ العالم الفاضل قدوة العلماء الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان هذا الشيخ رحمه الله قد نقله إبراهيم باشا[١] مع من نقل من ال الشيخ ومن ال سعود، ولما كان في سنة ١٢٤١هـ خرج من مصر وقدم على بلد الرياض وأكرمه الإمام تركي غاية الإكرام واستبشر الناس بقدومه وفرحوا به وجلس للتدريس فانتفع الناس بعلومه واخذ العلم عنه خلائق كثيرة رحمه الله، وفي هذه السنة ١٢٨٥ هـ توفي الأمير عبدالله اليحيا السليم امير عنيزة وتولى الإمارة بعده زامل العبدالله السليم، وفي هذه السنة قتل أمير حايل متعب

---

[١] نهاية ص ٨٢ من المخطوطة

العبدالله ال الرشيد قتله بندر وأخوه بدر أولاد طلال ال عبدالله وتاريخ قتله في هذه السنة هو أصح من القول المتقدم وكان أخوه محمد العبدالله الرشيد في الرياض، فلما بلغه مقتل أخيه متعب أقام في الرياض عند الإمام عبدالله الفيصل الى السنة التي بعدها كما سيأتي تفصيله إن شاء الله، ثم دخلت سنة ١٢٨٦هـ وفيها أغار بندر بن طلال على عربان بريه من مطير وقتل رئيسهم هذال بن بصيص وأخذ مواشيهم وهم على الشوكي، وفيها وفد بندر بن طلال على الإمام عبدالله الفيصل بهدية جليلة من الخيل والركاب، فأكرمه و طلب من عمه محمد الرجوع الى الجبل معه وأعطاه عهودا ومواثيق على أنه لا يناله بسوء، فرجع معه الى حايل، وفيها كان ابتداء حفر قناة السويس وانتهت سنة ١٢٩١ هـ فكان مدة حفرها خمس سنوات، ثم دخلت سنة ١٢٨٧ هـ وفي هذه السنة خرج سعود بن فيصل من عمان وقدم على ال خليفة في البحرين وطلب منهم النصرة والقيام معه فوعدوه بذلك، وقدم عليه وهو في البحرين محمد بن عبدالله بن ثنيان ومعه جنود، واجتمع معه على سعود خلائق كثيرة فتوجه بهم الى قطر واشتبكت بينه وبين السرية التي جعلها الإمام في قطر ورئيسها مساعد الظفيري والعسعوس فاشتبكت بينهم معركة شديدة انهزم فيها سعود وأتباعه وقتل محمد بن عبدالله ثنيان وقتل من جنده نحو خمسون رجلا ورجع سعود بعد هذه الوقعة الى البحرين وأخذ يكاتب رؤساء بادية العجمان فقدم عليه منهم خلق كثير، ولما كان في شهر رجب من هذه السنة سار سعود بمن معه من البحرين ومعه أحمد بن العتم بن خليفة، وتوجهوا الى الاحساء ونزلوا في بندر العقير، واجتمع عليهم من العجمان ومن المرة

وممن هناك من العربان جند كثير، وكان رؤساء العجمان يكاتبون سعود ويعدونه بالنصرة ويأمرون على عربانهم بالمسير اليه والقيام معه، ثم إن سعود نهض من عقير وتوجه الى الأحساء فلما وصل الجفر وهي قرية معروفة هناك، دخلها الجنود ونهبوها وعاثوا في[1] قرايا الأحساء بالنهب والسلب، وقام ابن حبيل أمير بلد الطرف مع سعود، واشتد الامر واضطربت الرعية وهذا ما يصدق قوله تعالى (إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة) ثم قام راكان وعمه حزام ومنصور بن شافي بن منيخر عند الأمير ناصر بن جبر يحلفون عنده وعند فهد بن دغيثر الأيمان المغلظة على التعاون والتناصر معهم، ويحضونهم على قتال سعود، وذلك مكر منهم وخديعة، فخرج أهل الأحساء معهم، فلما وصلوا الى الوجاج وهو نهر معروف غدروا بهم وانقلبوا عليهم وأخذوا سلاحهم من أيديهم وسلبوهم ثيابهم وقتلوا نحو ستين رجلا، فرجعت فلولهم الى الهفوف وتبعهم العجمان ولم يدركوهم حتى تحصنوا في بلدهم وحموها من العجمان وشمروا للحرب واستعدوا لها، ثم إن سعود بن فيصل بعد هذه الوقعة زحف على الأحساء بمن معه من الجنود ونزل على البلد وحاصرها ودام الحصار أربعين يوما، وكان الإمام عبدالله الفيصل لما بلغه الخبر بمسير سعود من البحرين أمر على أهل نجد بالجهاد عموما وأمر عليهم بالقدوم عليه في بلد الرياض وكان أهل الهفوف يتابعون عليه الرسل ويطلبون منه تعجيل النصرة فكان أول من قدم الرياض أهل ضرما والمحمل وسدير، فأمر الإمام على أخيه محمد بن فيصل أن يسير بهم مع غزو أهل الرياض

---

[1] نهاية ص ٨٣ من المخطوطة

وسبيع والسهول لقتال سعود فسار بهم مع ابن فيصل، فلما سمع سعود بمسير أخيه محمد لقتاله رحل وترك حصار الاحساء، وأخذ وجهة أخيه ونزل على جودة، ماء معروف، ومعه خلق كثير من العجمان وال مرة، فأقبل محمد بن سعود[١] ومن معه من جنوده وقد سبقه أخوه سعود الى نزول جودة قبل أن يصل فنزل محمد بالقرب منه، ونشب القتال بين الطرفين وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة وأظهر أهل الرياض الذين مع محمد بن سعود في ذلك اليوم واشتد الخطب وتعانقت الفرسان وتصادمت الأبطال فكان من قضاء الله وقدره أن بعض جنود محمد دخلتهم الخيانة، وهم سبيع، وينقلبون مع سعود على محمد وجنوده، ينهبونهم ويسلبونهم فصارت الهزيمة على محمد بن فيصل وأتباعه، فقتل من جنود محمد الفيصل نحو اربعمائة رجل، ومن مشاهير القتلى عبدالله بن بتال المطيري ومجاهد بن محمد أمير الزلفي وإبراهيم بن سويد أمير جلاجل وعبدالله بن مشاري بن ماضي وعبدالله بن علي أمير بلد ضرما، وقتل من سعود عدد كثير وقبض سعود على أخيه محمد بن فيصل[٢]، فأرسله الى القطيف وحبس هناك، فتأمل أيها القارىء في حكمة الباري جل وعلا وتيقن أن الحرب سجال، فقد هزم سعود الفيصل في عدة معارك فدارت له في هذه المعركة واستدارت على خصمه فهزمه، فسبحان القاهر القادرعلى كل قوة، ولم يزل محمد في حبسه في القطيف الى أن فكه عسكر الترك في السنة التي بعدها، وأما سعود فإنه بعد هذه الوقعة رحل الى الاحساء

(١) طبعا المقصود هو محمد بن فيصل حيث جرت المعركة بين عبدالله ومحمد من جهة ضد شقيقهما سعود أبناء فيصل بن تركي
(٢) نهاية ص ٨٤ من المخطوطة

ودخله فاذعن أهله واخذ منهم أموالا عظيمة وفرقها على العجمان، وقد تركنا باقي أخبارهم خوفا من الإطالة . ثم دخلت سنة ١٢٨٩هـ وفي هذه السنة قام محمد العبدالله بن رشيد على أولاد أخيه طلال فقتلهم، وهم خمسة ولم يبق منهم الا ولد صغير اسمه نايف، وقد أوردنا القصة بأكملها بصدر هذا التاريخ وذكرنا أسبابها، ثم تولى محمد العبدالله ال رشيد الإمارة على بلد الجبل حاضرة وبادية، وفي هذه السنة أتى مسلط بن ربيعان بعربانه من الروقة وضيق على أهل عنيزة بقطع سابلتهم فانتدب له امير عنيزة زامل العبدالله السليم وجماعته أهل عنيزة وبادية مطير النازلين حولهم فغزوا على مسلط بن ربيعان وعربانه وأخذوه في نفود صعافيق مما يلي وثيلان وأخذوا (سبلا) أباعر ابن ربيعان المشهورة التي هو يعتز بها فيقول إذا انكر شيئا (خيال سبلا مسلط) ثم إن مسلط بعد الوقعة المذكورة طلب الأمان من زامل، والاجتماع به فأمنه زامل ودعاه الى ضيافته في عنيزة فأمنه وأكرمه ورد عليه شيئا من إبله، وكان يشاهد الجزازير وهو في عنيزة يسوقون الناقة من إبله وينحرونها فيشق عليه ذلك ويقول متمثلا

ياليت سبلا يوم جاها بلاها … ما هيب عند مصرفة خضر الاربإع

ومراده من هذا أنه يتمنى أن أباعره حين أخذت يكون اللي يأخذها بدو، لما يرجوه من أنها تؤخذ من البدو ويأخذها هو أو يأخذونها قبيلته من عتيبة فتأتي عرايف كما هي العادة، أما الحضر فإنهم إذا أخذوها نحروها وأكلوها، فبهذه الصفة ينقطع أمله منها، وهذه الوقعة مشهورة عند أهل عنيزة خصوصا القدماء منهم فيؤرخون السنين بها وبأمثالها من الوقائع فيقولون

سنة سبلا وسنة بقعاء وسنة الجوى وسنة المليداء وسنة المطر ويشيرون الى وقعة الوادي ثم يعدون من الوقائع الى حوادث السنين فيقولون سنة البرد بفتح الراء وسنة البرد بسكون الراء وسنة الجوع وسنة الرحمة حينما حل الوباء سنة ١٣٣٧هـ وسنة الزعابة وهي سنة ١٢٤٧هـ ماتت الإبل كلها التي يسنونها على مزروعاتهم فكانوا يزعبون[١] على ظهورهم فسميت سنة الزعابة وأشكالها كثير.

ثم دخلت سنة ١٢٩٠هـ وفيها ظهر سعود بن فيصل من الخرج وقصد بلد ضرما وأخذ من أهلها أموالا عظيمة ظلما، وقسمها على من معه من الجنود، ثم سار منها الى بلد حريملاء وقتل منهم نحو ثلاثون رجلا، ثم إنه بعدما انهزموا نزل بجانب البلد وحصرها وقطع اكثر نخيلها فصالحوه على مال يؤدونه له فارتحل عنهم وقصد الرياض، فقابله اخوه عبدالله بمكان يسمى الجزعة ومعه أهل الرياض فتصادموا واشتد القتال بين الفريقين وانهزم الإمام عبدالله بمن معه من أهل الرياض، ثم إن سعود بن فيصل بعد هذه الوقعة دخل الرياض وخرج منها اخوه عبدالله وقصد قحطان وهم فوق الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت ثم إن سعود بعد هذه الوقعة وبعد دخوله الرياض دعا أهل الرياض وطلب منهم البيعة، ثم استدعى رؤساء بلدان نجد فبايعوه على السمع والطاعة ثم امرهم بالتجهز للجهاد، ولما كان في ربيع الثاني من هذه السنة المذكورة خرج من الرياض واستدعى غزوان البلدان واستنفر ما حوله من البادية واجتمع خلق كثير من الحاضرة والبادية فسار بهم وقصد مسلط بن ربيعان فصبحهم وهم على طلال الماء المعروف في

---

[١] نهاية ص ٨٥ من المخطوطة

عالية نجد مما يلي المدينة المنورة وكان ابن ربيعان معه جند كثير وكلهم الروقة، بني عم يقاتلون حمية وعصبية وشجاعة ودون حريمهم وأولادهم وإبلهم وأغنامهم فحصل بينهم وبين سعود وجنوده معركة عظيمة واستحالت الهزيمة على سعود وجنوده فقتل منهم خلق كثير، فمن مشاهير القتلى سعود بن صنيتان ومحمد بن احمد السديري امير الغاط، واخوه عبدالعزيز بن احمد السديري وعلي بن إبراهيم بن سويد امير جلاجل، وقتل من أهل شقراء فهد بن سعد بن سدحان وسعد بن محمد بن عبدالكريم البواردي وكلاهما من قبيلة بني زيد وغيرهم، وغنم العتبان من سعود من الأمتعة والاثاث والركاب مالا يحصى له عدد، ثم إنه رجع بفلوله الى الرياض، ونذكر للقارىء ما فيه عبرة لمن يعتبر، ولنصدق من قال أن التاريخ يعيد نفسه، فهؤلاء الاخوين سعود وعبدالله أبناء الإمام فيصل فالذي جرى بينهم كان عبرة في التاريخ وقد ذاق منهم أهل نجد عناء شديدا، إن أطاعوا لواحد غضب الثاني عليهم ومقتهم، وإن دخلوا بلدة قهروا أهلها وأخذوا منهم ما يريدون جبرا لا اختيارا وقد شاهدنا في زماننا مثله أو قريبا منه وهو خروج أولاد سعود على الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن وهم سعود بن عبدالعزيز وأخوه فيصل[١] واخوه محمد وابن عمهم سلمان بن محمد المسمى غزالان وابن عمهم الثاني فهد بن سعد بن سعود فخرجوا على عبدالعزيز في سنة ١٣٢٨هـ وحاربوه واجلبوا عليه كل من يطيعهم على حربه الى سنة ١٣٣٣هـ ففاؤا للطاعة وردهم الله عليه وكانوا تلك السنين نازلين بالخرمة عند الأشراف آل لؤي، وسبيع، وحدث ذات يوم أني

[١] نهاية ص ٨٦ من المخطوطة

جالس في دكاني بالطائف سنة ١٣٣٣هـ فأتاني خالد بن منصور بن لؤي، فاسر لي أن معه كتاب وارد عليه من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن وهو يومئذ في الاحساء قبل وقعة جراب المشهورة ويطلب مني أن اقرأ عليه الكتاب سرا لا يطلع عليه أحد فكسرته ونظرت فيه فإذا هو يفيد بقبول اعتذار خالد بن لؤي منه من كون أن الشريف حسين انزل العرايف عند الأشراف ال لؤي بالخرمة ويقول الملك عبدالعزيز في كتابه لخالد

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال فيصل الى جناب المكرم الأمير خالد بن منصور ال لؤي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وصلنا كتابكم وتبلغنا باعتذاركم منا وأن الشريف حسين هو نزل عندكم العرايف بدون اختياركم، وأنا ما عندي شك أنه باليكم بهم بلوى، والله إني لم احسدهم ماقف الذل الذي هم فيه وليعلم كل من يجهل ذلك أن جدهم سعود الفيصل هو الذي اتلف ملك اجدادنا ال سعود بخروجه عن الطاعة بدون سبب يدعيه واسالوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فإنهم والله حصن شقر، من قادهم ما ربح فأنتم كونوا مطمئنين أنكم يا آل لؤي ما نحسبكم إلا من حساب المقرن ونعتقد فيكم الثقة، لا تخافوا أن يجيكم منا إلا مايسركم ودم سالم والسلام.

هذا الكتاب نقلته حرفيا من املاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بخط ناصر بن سويدان كاتب الملك الخاص وبهذا تكون الويلات من حيث لا يعلم الا الله .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر في بلد جلاجل رحمه الله وهو من أهل شقراء من بني زيد . ثم دخلت سنة ١٢٩١هـ وفيها امر سعود بن فيصل على أهل بلدان نجد وامرهم بالحضور عندهم بالرياض بغزوانهم فلما حضروا عندهم سار بهم الى بلد القويعية ونزل عليها واقام بها عدة أيام وكان الإمام نازلا مع عربان عتيبة، وكان سعود قصده أن يغزيهم جميعا فبلغه أن عربان عتيبة قد اجتمعوا وحشدوا وأنهم في شوكة عظيمة وقوة هائلة فانثنى عزمه عن ذلك[١] وارتحل من القويعية ورجع الى الرياض، واذن لمن معه من غزوان البلدان بالرجوع الى أوطانهم فرجعوا، وفي شهر رمضان من السنة المذكورة قدم الإمام عبدالرحمن الفيصل الى الاحساء من بغداد، وقام أهل الاحساء مع الإمام عبدالرحمن على العسكر الذين عندهم واقفين على أبواب بلد الهفوف فقتلوهم جميعا ثم حصروا العسكر الذين في قصر خزام وهو القصر المعروف خارج الاحساء ونصبوا عليه السلالم واخذوه عنوة وقتلوا جميع من وجدوا فيه من العسكر، وتحصن أهل الكوت فيه هم ومن عندهم من عسكر الترك الذين في كوت إبراهيم وفي كوت الحصار فحاصرهم الإمام عبدالرحمن جميعا ومعه العجمان والمرة و أهل الحسا عموم، فلما اشتد عليهم الحصار ارسلوا الى باشة البصرة يطلبون منهم النجدة فأمر باشة بغداد على باشة البصرة أن ينتدب لنصرتهم ناصر ابن راشد بن ثامر بن سعدون شيخ المنتفق أن يسير بعربانه الى الاحساء، وعقد له على إمارة الاحساء والقطيف وجهز معه عدد عظيم من عساكر الترك من بغداد ومن البصرة فاستنفر رعاياه من

---

[١] نهاية ص ٨٧ من المخطوطة

المنتفق وغيرهم من بادية العراق فاجتمع عليه جنود عظيمة فسار بهم الى الاحساء فلما قرب من بلد الهفوف خرج عليه الإمام عبدالرحمن ومن معه من الجنود وهم العجمان والمرة وأهل الحسا وغيرهم فحصل بين الفريقين وقعة هائلة فانكسر أهل الحسا وتتابعت الهزيمة على جنود الإمام عبدالرحمن وبعد الهزيمة توجه الإمام عبدالرحمن الى الرياض هو ومن التف معه من المنهزمين ودخل ناصر السعدون الحسا دخول الظافر المنتصر ونهب جنوده بلد الهفوف واباحوها ثلاثة أيام وخرج عسكر الترك الذين كانوا محصورين في الكوت فكانوا على الهفوف شر من الذين اخذوه عنوة فعاثوا في البلاد قتلا ونهبا وسلبا وفعلوا جميع ما قدروا عليه من أنواع الفساد وجعلوا يثأرون للعسكر الذين قتلوا، فقتلوا كل من ظفروا به من أهل السنة ومن أهل نجد ولم يتعرضوا للرافضة في شيء، فقتل خلائق كثيرة ونهبت أموال عظيمة لا يحصي لها عدد، وكان اكثر من باشر القتل هم عسكر الترك اخذا بثار من قتل منهم أيام الحصار وكانوا لا يتعرضون لكل من رأوه من الشيعة لا رجالهم ولا نساءهم وربما أنهم لم يدخلوا بيوتهم، وممن قتل من الاخيار بهذه الفتنة عبدالعزيز بن نعيم ومحمد بن عامر وعمه احمد ورشيد بن عبدالعزيز الباهلي[١] ومحمد بن حسن الباهلي وضربوا الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الوهيبي ضربا شديدا كاد أن يودي بحياته لولا عناية الله، وابتلى الله المسلمين في تلك الوقايع خطوب عظيمة ومحن جسيمة، وكانت هذه الوقعة الأخيرة في ذو القعدة من السنة المذكورة، وفي تلك السنة من شهر جمادى الاخرة توفي في عنيزة الشيخ العالم

---

(١) نهاية ص ٨٨ من المخطوطة

الورع الفاضل محمد بن عبدالله أبو مانع الوهيبي التميمي رحمه الله تعالى، وفي هذه السنة خرج سعود بن فيصل من الرياض غازيا في شهر القعدة فلما وصل الى حريملاء مرض مرضا شديدا ورجع الى الرياض وهو في مرضه ولما دخل الرياض اشتد عليه المرض ولزم فراشه وقام في مرضه قريبا من شهر ثم توفي في ١٨ الحجة من السنة المذكورة رحمه الله وعفى عنه، فإن كل مسلم له حسنات وسيئات وإن الحسنات يذهبن السيئات بعدما ذاق أهل نجد مرارة الفتن المضنية من جراء ما جرى بين الاخوين المتنازعين على الملك وهم سعود واخيه عبدالله أبناء الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، ثم قام بالامر بعده اخوه الإمام عبدالرحمن الفيصل وكان الإمام عبدالله بن فيصل واخيه محمد بن فيصل نازلين مع عتيبة، ثم دخلت سنة ١٢٩٢هـ وفيها امر الإمام عبدالله على أخيه محمد أن ينزل مع عتيبة الاخرين ثم يدعوهم الى الغزو معه ويرحل بمن معه من جنده ومن أنقاد للغزو معه من عتيبة ثم ينزل على شقراء ويأمرهم أن يجهزو غزوهم معه بعدما استغرقت مدة اخيهم سعود ثمان سنوات وكلها قلاقل وفتن، فكم قتل فيها من الرجال واخذ من الأموال التي لا تحصى ونسال الله أن يجبر مصيبة كل من تكبد المصيبة في ماله ورجاله، ثم إن أهل شقراء اذعنوا للطاعة وجهزوا غزوهم مع محمد الفيصل بعدما مكث فيها عدة أيام فسار محمد الفيصل بمن معه من أهل الوشم وبادية عتيبة الذين انضموا معه فقصد بلد ثرمداء وكان الإمام عبدالرحمن حينما بلغه الخبر بمسير أخيه محمد الى ثرمداء خرج من الرياض بجنود عظيمة بادية وحاضرة ومعه أولاد أخيه سعود وقصد الوشم بمن معه فصادف أن أخيه محمد ومن

معه من الجنود نازلين في ثرمداء وهي قرية من قرايا الوشم، وهي اكبر قرايا الوشم بعد شقراء، فحصروهم فيها وحصل بين محمد الفيصل واخيه عبدالرحمن وقعة شديدة فقتل من جنود محمد عدة رجال وقتل من أهل ثرمداء ثمانية رجال ثم إنهم تصالحوا على تسليم محمد الفيصل لاخيه عبدالرحمن وتسليم سلاحه هو وسلاح أصحابه وجميع ركابهم وما معهم من الخيام والأمتعة والأثاث فتسلمها الإمام عبدالرحمن كلها فقبض على أخيه محمد وامسكه عنده ثم إن الإمام عبدالرحمن اقام على بلد ثرمداء أياما ثم إنه عدا على عتيبة وهم على الدوادمي ورؤساؤهم مسلط بن ربيعان ومحمد بن هندي وهذال الشيباني فصبحهم الإمام عبدالرحمن بمن معه من الجنود[1] فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من الفريقين عدة رجال فكانت الغلبة لعتيبة على الإمام عبدالرحمن ومن معه واحتموا حلالهم عنه ورجع عنهم بدون هزيمة وفي هذه السنة قتل مهنا الصالح ال أبا الخيل واصله من النجيد بطن من وايل، قتلوه ال أبو عليان وهم امراء بريدة قبل إمارة مهنا، ولكنه تغلب عليهم وسلب الإمارة منهم، وكان مهنا المذكور ذو مال جسيم فاستمال اعيان رجال بريدة فكثر اعوانه وتغلب على البلد وأهلها فاجلى من عشيرة ال بو عليان كل من يخافه منهم ويخشى شره، فسار كل من اجلى منهم الى بلد عنيزة وسكنوا بها، و أما نسب قبيلة ال بو عليان فهم من العناقر أهل ثرمداء، والعناقر من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم وقد خرجوا من ثرمداء من سبب الحرب التي وقعت بين العناقر أهل ثرمداء وبين ال زامل من أهل وثيثية وهي قرية صغيرة لم تبعد عن ثرمداء سوى مسيرة

---

[1] نهاية ص ٨٩ من المخطوطة

ساعة واحدة، ثم إن العناقر خرجوا من ثرمداء بعد هذه الفتنة ونزلوا ضرية القرية المعروفة بأعلى نجد، وكان رئيس العناقر يومئذ راشد الدريبي، وكانت بريدة في ذلك الوقت ماء لآل هذال المعروفين من شيوخ عنزة فاشتراها منهم راشد الدريبي المذكور وعمرها وسكنها هو ومن معه من عشيرته العناقر وذلك في عام ٩٨٥هـ وراشد المذكور هو جد حمود بن عبدالله بن راشد الدريبي، ولم تزل الرئاسة لهم على بريدة الى أن غلبهم عليها مهنا الصالح الذين قتلوه وهو خارج لصلاة الجمعة، ثم إنه بعد امارته اجلى من بقي من عشيرتهم ونزلوا عنيزة كلهم ثم إنهم اخذوا يكاتبون من بقي من عشيرتهم ممن لا يلتفت اليه ولا يخشى بأسه ويشاورونهم في قتل مهنا المذكور فاتفق رأيهم على قتله وتواعدوا معهم على يوم معلوم فخرجوا من بلد عنيزة قاصدين بلد بريدة وعددهم اثني عشر رجلا وذلك ليلة الجمعة الموافق ١٦ من الشهر المحرم من السنة المذكورة فدخلوا البلد في اخر الليل من ليلة الجمعة ودخلوا بيتا على طريق مهنا إذا خرج لصلاة الجمعة واختفوا فيه فلما خرج لصلاة الجمعة على عادته ومر من سوق ذلك البيت خرجوا عليه فقتلوه ثم ساروا الى قصر مهنا فدخلوه وتحصنوا فيه فقام عليهم أبناء مهنا وعشيرتهم و أهل بريدة فحصروهم في القصر المذكور وثار الحرب بينهم فهجم عليهم علي بن محمد الصالح أبا الخيل على باب القصر يريد كسره فضربه أهل القصر برصاصة[١] فوقع ميتا، ثم رموا حسن ال عودة أبا الخيل برصاصة فوقع ميتا، فقام ال أبا الخيل ومن معهم من أهل بريدة فحفروا حفرا تحت المقصورة التي هم

---

[١] نهاية ص ٩٠ من المخطوطة

متحصنين بها فوضعوا في الحفر بارودا كثيرا فثار البارود وسقطت المقصورة فبعضهم مات تحت الهدم ومن خرج منهم سالما قتل من ساعته ولم ينج منهم الا رجلا واحدا واسمه إبراهيم بن غانم، ثم تولى إمارة بريدة حسن المهنا الصالح بعد ابيه وكان أربعة من قتلى ال بو عليان كلهم جدهم عبدالعزيز المحمد ال بو عليان وهو عمش بريدة المذكور كما وصمه بهذا اللقب عبيد العلي بن رشيد، ثم إن حسن المهنا في السنة التي بعدها قام على من بقي عندهم من ال أبو عليان فحبسهم وكان يوشى بهم عنده أنهم يكاتبون من بقي منهم في عنيزة ويحسنون لهم السطوة على حسن وعشيرته، وبعد حبسهم بمدة هربوا من الحبس فلحقوا اثنان فامسكوهم وقتلوهم ونجى الثالث . وفي هذه السنة قتل فهد بن صنيتان في الجامع بالرياض يوم الجمعة رحمه الله وكان فهد هذا ينتهي نسبه الى عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن قتله محمد بن سعود بن فيصل الملقب غزالان . وكانت عشيرة ال بو عليان قد تواعدوا وتعاهدوا مع زامل العبدالله السليم امير عنيزة وضمن لهم أنه حينما يبلغه الخبر أنهم قتلوا مهنا فإنه يمدهم بالرجال من أهل عنيزة ويمشي معهم الى بريدة رئيسا لهم، فلما قتلوه ارسلوا اليه معتوقا لهم يدعى زيد فأركبوه فرسا واستحثوه بالعجلة حتى يخبر زامل فيقوم بما يجب عليه، ثم إن جماعة أهل عنيزة وذوي الحل والعقد منهم حينما بلغهم ذلك الخبر استدعوا اميرهم زامل وهم مجتمعين في قهوة محمد بن فوزان فسألوه عن جلية الخبر وأعطاهم الخبر الصدق على وضعه من أنه عاهد ال بو عليان أن يمدهم إذا قتلوا مهنا، وكان العهد هذا منفرد به دون اطلاع رووساء جماعته ففتوا في عضده وأنبوه

وقالوا ليس هذا رأيك رأي رشيد وليس لنا فائدة من قتال ال مهنا وال بو عليان، فلو قتل رجل من أهل عنيزة لكان يعدل عندنا كثير من أهل بريدة فغلبوه على امره وقالوا له إن كان تحب أن تمدهم فبنفسك وخدمك وعبيدك وأما أهل عنيزة فلن نسمح أن يخرج منهم ولا شخص واحد، وكان يعلم أن ليس له شوكة بدون مناصرة جماعته له فعدل عن رأيه قانعا مسلما .

ثم دخلت سنة ١٢٩٣هـ وفيها حصل منافرة بين الإمام عبدالرحمن الفيصل وبين أولاد أخيه سعود بن فيصل[١]، فخرج الإمام عبدالرحمن من بلد الرياض وقصد أخيه عبدالله وهو نازل مع عتيبة ثم قدم عليه وفرح به فرحا شديدا واكرمه اكراما زائدا ثم إن الإمام عبدالله الفيصل جمع جنوده من الحاضرة والبادية وتوجه بهم الى الرياض فلما قرب من البلد خرج أولاد سعود منها بغير قتال وقصدوا جهة الخرج واقاموا به، ودخل الإمام عبدالله الفيصل بلد الرياض واستقاموا بها، وقدم عليه رؤساء البلدان وبايعوه على السمع والطاعة، وفي هذه السنة قدم على الإمام عبدالله الفيصل وهو في الرياض عبدالله بن عبدالمحسن و محمد بن عبدالله بن عرفج وحمد ال غانم وإبراهيم بن عبدالمحسن بن مدلج وكلهم من عشيرة ال عليان رؤساء بلد بريدة سابقا ممن اجلاهم منها حسن المهنا ال أبا الخيل وقدموا معهم بكتاب من زامل العبدالله بن سليم امير عنيزة يطلبه القدوم عليه في بلد عنيزة ويعده بالقيام معه والمساعدة له على أهل بريدة، وطلب ال عليان من الإمام وهم الذين قدموا عليه أن يساعدهم على ال مهنا الذين غصبوهم إمارة بلادهم، وذكروا للإمام أن لهم عشيرة في بريدة وأنهم

---

[١] نهاية ص ٩١ من المخطوطة

إذا وصلوا الى البلد ثاروا معهم على قتال ال أبا الخيل واخراجهم منها وأنهم يفتحون لهم الأبواب حينما نقرب حولها، فسار الإمام معهم بجنوده الحاضرة والبادية حتى قدم بلد عنيزة ونزل خارج البلد، وكان حسن المهنا لما بلغه خبر مسيره هذا كتب لمحمد بن رشيد يستنجده ويطلب منه النصرة، وكان قد اتفق معه قبل ذلك على التعاون والتناصر، فخرج محمد بن رشيد من حايل بجنوده، بادية وحاضرة والتف عليه من حوله من البوادي وتوجه الى بريدة ونزل عليها بمن معه من الجنود، ولما علم بذلك الإمام عبدالله الفيصل اخذ يستعد للحرب عدته وكان معه من البادية مسلط بن ربيعان وعربانه من الروقة، ومنزله الروغاني قرية صغيرة بجوار عنيزة ويعزب ابله جهة صعافيق، وكان منزل الإمام عبدالله قبلة البلد مما يلي الخريزة وكان الجميع ينتظرون عقاب بن حميد على وعد منه أنه سيأتيهم بعربان برقى، وكان عبدالله العبدالرحمن البسام يشير على زامل وجماعته أهل عنيزة أن يتجنبوا هذه الفتنة وأنهم لم يطلبوا من حسن المهنا شيء لهم، لا مال ولا ثأر، فجنحوا الى رأيه ورأوه صائبا، ومن عادته رحمه الله أنه لا يشير الا بخير ولا يتوسط في مسألة الا وتكون عاقبتها خير وصلاح، وكان موفقا لفعل الخير والقيام به متجنبا للشر وأهله، ثم إن[1] أهل عنيزة ورئيسهم زامل قرروا عدم القيام على غزو حسن المهنا وجماعته وزد على ذلك أن عقاب بن حميد ابطأ وتأخر عن الحضور لنصرة الجميع، فلما علم بذلك مسلط بن ربيعان من أن أهل عنيزة صدهم عن الغزو شور عبدالله العبدالرحمن البسام وأن عقاب بن حميد تأخر عن موعده لهم

---

[1] نهاية ص ٩٢ من المخطوطة

بالحضور بعربانه، فأتى مسلط بن ربيعان الى صيوان الإمام عبدالله الفيصل وهو يقول:

عقلت سبلا كم لي من يوم ... ما سايلت انا عن بيرق الشام
ياشيخنا مالك علينا لوم ... لومك على برقا وابن بسام

ومراده أن برقى تأخروا بالمناخ معهم، وابن بسام فل عزم الأمير زامل وجماعته عن النصرة لآل أبو عليان وقال في تلك المناخ بعض شعراء العصر:

لولا محمد يا حسن صرت شودة ... ما قبلك احد فك حدب الجريدي
توك عرفت اللي تفكك جنوده ... من جاك جاه الشيخ سيدك وسيدي
حماك اخو نورة بوافي وعوده ... وسلة سناعيس تشيب الوليدي
يوم ان ابن فيصل يحضب جروده ... بدو وحضر وجمعة للعبيدي
ابابطين ومسلط هم جنوده ... خلوه في دمث المبارك وحيدي
احد شرد واحد تذيل قعوده ... واحد يقول فراقها اليوم عيدي
وزامل تغره فضة في فروده ... هو يحسب انه خالد بن الوليدي

ثم إنه بعد ذلك سعى عبدالله العبدالرحمن البسام بالصلح بين الإمام عبدالله الفيصل وبين محمد بن رشيد كعادته لسعيه بالإصلاح في كل وقت، ووفق بينهم على أمر يرضاه الطرفين وهو أنه كل منهم يكون آمنا من نظيره حتى يدخلوا بلدانهم، فبعد ذلك ارتحل الإمام عبدالله الفيصل من عنيزة ومر بالمجمعة فلم يعطوه طاعة فنزل عليها بضعة أيام وقطع قسم من نخيلها ورحل منها الى الرياض ولم يستولي عليها، وأما

أهل عنيزة فهم بعد هذا اخلدوا الى السكينة وقروا في بلادهم وتفرقت العربان وكفى الله المؤمنين القتال، وكذلك محمد بن رشيد أقام في بلد بريدة أياما قليلة ثم رجع الى بلده حايل .

وفي هذه السنة توفي الشيخ العلامة وقدوة العلماء الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكانت وفاته رابع عشر ذي القعدة رحمه الله وتوفي في البلد الرياض[١]. ثم دخلت سنة ١٢٩٤هـ وفيها توفي الشريف عبدالله بن محمد بن عون وله من الذكور ولدين وقد توفي وهو مصاب بالفالج وأولاده هما علي ومحمد وكان رحمه الله شهما كريما عادلا يحب العرب وكان حليما عن السخط والحق أنه خير من تولى منصب إمارة مكة من أسلافه الأشراف وفي هذه السنة وفد حمد الغانم وإبراهيم بن مدلج من ال بو عليان وفدوا على محمد بن رشيد أمير الجبل، فعلم بهم حسن المهنا أمير بريدة فبعث لهم سرية يرأسها صالح العلي أبا الخيل يتخطفونهم إذا خرجوا من حايل، فصادفوهم في روضة تسمى بقرية راجعين من محمد بن رشيد قاصدين بلد عنيزة ومعهم عبدالله الجالس المعروف من موالي ال عليان فقتلوهم جميعا نعوذ بالله من شر الفتن .

ثم دخلت سنة ١٢٩٥هـ نزل حزام بن حشر رئيس ال عاصم من قحطان على دخنة ومعه قبيلته ال عاصم وغيرهم، فأكثروا الغارات على ضواحي عنيزة بالنهب والسلب، فغزاهم أميرها زامل العبدالله بن سليم فاستنفر معهم قبيلة الجبلان من مطير فصبحهم وأخذ حلالهم ولم ينج إلا القليل فقتل رئيسهم حزام

---

[١] نهاية ص ٩٣ من المخطوطة

وقتل معه خمسة من رؤساء قبائلهم وأجلوهم بعد هذه الوقعة عن محارم بلادهم وما كان يقرب منها، فقال شاعر من قحطان يسمى ابن مسفر القحطاني متلهفا على حزام ويقول:

لا واجملنا الي يشيل الروايا | وان قربوا للشيل وثنات الاجمال
لو ان الأربع من دفوفه دمايا | ما هوب من شيل العلايق بملال
شلنا وخلينا زبون الونايا | حطوه في خرب الجبل مظلم الجال
عسى السحاب الى ترزم عشايا | يمطر على قبر به الشيخ نزال

وكان هذا المغزا من زامل بأمر من قاضي عنيزة الشيخ علي المحمد من أهل علقة من الزلفي من قبيلة الاساعدة عتيبة، وذلك أنه لما أمر زامل بن سليم، هؤلاء الأعراب مطبقا عليهم الاية الشريفة **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله .. الاية)**[١] فإنهم قطعوا الطريق ونهبوا وسلبوا وقتلوا ما قدروا عليه، فمن ذلك تعين جهادهم شرعا، ولنذكر للقارىء أعجوبة، هي أن زامل حينما خرج قاصدهم كان ذلك يوم الأربعاء، وزد على ذلك أنه لما خرج صاحب الراية من البلد وصل باب البلد كان للباب سقف فغفل صاحب الراية عن السقف فاصطدم بالراية فكسر عودها فتشاءم زامل من ذلك، وإنه خرج يوم الأربعاء، فاجتمعت عليه خروجه يوم الأربعاء وهو يوم يكره فيه السفر، واختلج في صدره شك من ذلك، وبعد خروجه من[٢] البلد وشاهد عود الراية منكسر لم تسمح نفسه عن سفرهذا اليوم إلا بعد سؤال القاضي، ثم ركب جواده ودخل وسأله وأخبره بما حصل، فخجله الشيخ وقال له ما ظننيت أن يصل بك الشك الى

---

[١] سورة المائدة اية ٣٣

[٢] نهاية ص ٩٤ من المخطوطة

ذلك، فإن عقيدتك راسخة وإيمانك قوي، أما عود الراية فبدله عود مثله يركب في الحال، وأما السفر يوم الربوع فليس عند الأيام علم أو دليل من التوفيق وعدمه، فامض لما دبرك الله عليه، ودع الأيام لخالقها ومدبرها، فمن ساعته خرج من البلد وأزمع على السفر، ومع يومين من خروجه صبحهم وحصل له النصر .

ثم دخلت سنة ١٢٩٨هـ وبها ظهر رجل بالسودان التي هي تحت حكم المصريين يسمى محمد احمد واشتهر عند كثير من العامة أنه المهدي المنتظر، وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر وقائع كثيرة ثم بعد ذلك أفل نجمه، وليعلم القارىء العزيز أننا قد تجاوزنا ثلاث سنوات من تسلسل التاريخ وهي سنة ١٢٩٦ و١٢٩٧ و١٢٩٨ ليس بها إلا رجل السودان المذكور، وحيث إننا لم نحط علما بما تحوي عليه من الحوادث تلك السنين الثلاث ونخشى من التخبيط بغير علم صحيح. ثم دخلت سنة ١٢٩٩هـ وفيها حصل الاختلاف بين أهل المجمعة وبين الإمام عبدالله الفيصل، ثم اشتعلت الحرب بينه وبينهم وكان أهل المجمعة قد اتفقوا مع محمد العبدالله بن رشيد أمير الجبل أنهم يدخلون تحت ولايته وأنه يقوم بحمايتهم، واتفقوا ثانية على حرب الإمام عبدالله الفيصل وكان ابن رشيد قد طمع في ولاية نجد حينما رأى اختلاف ال سعود فيما بينهم، وما حصل بينهم من الحروب فإن ذلك قد ضعضع من أركان ملكهم، ولما كان في اخر المحرم من هذه السنة أمر الإمام عبدالله الفيصل بالتجهز للجهاد وواعدهم جميعا بلاد حرمة ثم خرج من الرياض بمن معه من الجنود وانضمت معه بادية عتيبة، وساروا معهم بأهاليهم ومواشيهم ونزلوا على بلد حرمة

واجتمعت عليهم بقية الغزوان وحاصروا بلد المجمعة وقطعوا أكثر نخيلها وكان أهل المجمعة يتابعون الرسل على محمد بن رشيد ويستحثونه أن يعجل عليهم بالقدوم فخرج من حائل بجنوده واستنفر من حوله من شمر وحرب ومطير بني عبدالله، وتوجه الى بلد بريدة ومعه جنود عظيمة ونزل عليها، وكان حسن ال مهنا قد جمع جنود كثيرة من أهل القصيم وبداوينهم واستعد للمسير مع ابن رشيد لنصرة أهل المجمعة، ولما تكاملت على ابن رشيد جنوده ارتحل من بريدة ومعه حسن المهنا بجنوده، فلما علم بذلك جنود عتيبة لم يثبتوا بل تفرقوا فارتحل الإمام بمن معه ودخل الرياض وكانت مدة إقامته محاصرا لبلد المجمعة أربعين يوما[١] .

وأما محمد بن رشيد فإنه ارتحل من المجمعة ونزل الزلفي ثم ارتحل من الزلفي ونزل بريدة ومنها ارتحل ونزل الكهفة، ثم ارتحل ودخل بلاده حايل وتفرقت جنوده كعادته، وفي هذه السنة تولى إمارة مكة الشريف عون بن محمد بن عون بعدما انعزل عن امارتها الشريف عبدالمطلب أبو غالب، وكان قد بلغ عمره ما يقارب تسعين سنة وقد تولى إمارة مكة ثلاث مرات وقد طالت حروباته مع قبيلة حرب القاطنين بين مكة والمدينة وفيه يقول شاعر حرب:

قولوا لعبدالمطلب سيد الجميع ... ما همني جمعه ولا جمع وراه

ان كان عنده قصر تبنيه اليمين ... فانا عندي قصور بانيها الاله

يشير الى الجبال المنيعة التي هي من صنع الباري جل وعلا.

---

[١] نهاية ص ٩٥ من المخطوطة

ثم دخلت سنة ١٣٠٠هـ، وفيها حصل مناخ عروى المشهور، بين محمد بن رشيد، وبين عتيبة، ومعهم محمد بن سعود بن فيصل، المسمى غزالان، وعروى ماء لعتيبة جنوب ثهلان مسيرة يوم واحد للراكب المجد، وقد تقدم أننا أوردنا هذه القصة مفصلة فلا تحتاج الى الإعادة، وفيها غزا محمد بن سعود ومعه غزوان كثيرة من أهل الخرج، ومن ال شامر، ومن الدواسر وغيرهم، فعدا على مطير ورئيسهم نايف بن بصيص، وعمه علي بن بصيص أبو مشاري الفارس المشهور، فصبحهم وهم على الإثلة، وحصل بين الفريقين قتال شديد فأخذ منهم إبلا وأغناما وقتل من الفريقين عدة رجال، وممن قتل من غزو محمد، أخوه دحيم وهو عبدالرحمن بن سعود بن فيصل.

ثم دخلت سنة ١٣٠١هـ وفيها كثرت الأمطار والسيول وعم الله بها جميع بلدان نجد واعشبت الأرض وكثرت الكمأة واخصبت الأسعار ولله الحمد والمنة وفي هذه السنة أمر الإمام عبدالله الفيصل على رعاياه من أهل نجد أن يتجهزوا للجهاد فخرج من بلد الرياض بمن معه من الجنود ونزل على بلد شقراء واستدعى بقية غزوانه، فقدموا عليه وأمر على عربان عتيبة الحمادة المعروفة فنزل العربان الروضة التي تسمى ام العصافير وهي قريبة من بلد وشيقر، ورحل بمن معه من الجنود ونزل على عربان عتيبة هناك، وكان أهل المجمعة لما بلغهم خروج عبدالله الفيصل من الرياض، تابعوا الرسل على محمد بن رشيد يستحثونه، وأرسلوا أيضا الى حسن، يطلبون نصرته، فخرج بمن معه من غزو بريدة، والتف هو ومحمد بن رشيد ومن تبعهم من الغزوان، وكان الذي مع محمد بن رشيد من البادية شمر وحرب ومطير والظفير وهتيم، ثم رحلوا

من بريدة جميعا وساروا سيرا حثيثا حتى أغار على عبدالله الفيصل ومن معه في ذلك الموضع[١]، فصبحهم وأخذهم جميعا، وقد تقدم أن أوردنا خبر هذه الوقعة مفصلة، ولكننا لم نعلم عن أسماء القتلى إلا بعد انتهاء سرد الوقعة، والى القارىء أسماء من قتل من جند الإمام عبدالله الفيصل بعدما انهزموا، فمن مشاهير القتلى من أهل الرياض تركي بن عبدالله بن تركي بن سعود، وفهد بن سويلم، ومحمد بن عياف وفهد بن غشيان وفهد بن سلطان وقتل من أهل شقراء عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله ابابطين ومحمد بن عبدالعزيز بن حسين وعبدالعزيز بن محمد بن عقيل وقتل من أهل الغاط احمد بن عبدالمحسن السديري وهو أمير الغاط وقتل عقاب بن شبنان بن حميد وهو يومئذ رئيس عتيبة وفارسها وقتل من غزو ابن رشيد خلق كثير، وبعدها أقام محمد بن رشيد في موضعه ذلك واستدعى رؤساء الوشم وسدير وألزمهم طاعته وحذرهم عن مخالفته، وكل بلد نصب فيها أميرا من أهلها، ثم رحل من ذلك الموضع مارا على بريدة فدخلها حسن المهنا وجنوده، و أما هو فقد تابع السير حتى دخل بلده حايل وتفرقت جنوده، وبعد هذه الوقعة طمع محمد بن رشيد بالاستيلاء على نجد كلها لما رأى من انحلال ملك السعود.

فسبحان من لا يزول ملكه ولايضعف سلطانه، وفيها حصل وقعة بين ال ماضي من تميم وبين ال ابن عمر من الدواسر وهم كلهم ساكنين في روضة سدير فاقتتلوا بينهم فكانت الغلبة للماضي فاجلوا ال ابن عمر الى جلاجل بعدما قتل رئيسهم محمد بن زامل بن عمر وقتل من اتباع الماضي عبدالعزيز

---

[١] نهاية ص ٩٦ من المخطوطة

الكليبي وإبراهيم بن عرفج وكان ضلع محمد بن رشيد مع الماضي على الدواسر فقال شاعرالدواسر في ذلك

اه لولا ضواري قصر حايل　　　كان التميمي مرتحل عن وطنا

فرد شاعر الماضي بقوله

كان عذرك ضواري قصر حايل　　　فهم ربع من غلب منكم ومنا

ولقد صدق في قوله لأن الحكام دائما يركنون مع القوي على الضعيف فهم يميلون مع من انتصر على خصمه .

وفي هذه السنة قُتل محمد بن الحميدي الدويش اخو سلطان قتلوه ال سويط رؤساء الظفير لدم كان بينهم وقد صادفوه راكبا لمحمد بن رشيد .

وفي هذه السنة توفي الشيخ حمد بن عتيق وهو والد الشيخ سعد بن عتيق الذي كان قاضيا في الرياض في زمن الملك عبدالعزيز رحمهم الله جميعا .

وفي تلك السنة سلخ شوال، وفد محمد الفيصل على محمد بن رشيد ومعه كتاب من أخيه عبدالله الفيصل فأكرمه محمد إكراما يليق بمقامه، ثم دخلت سنة ١٣٠٢هـ وفيها رجع محمد الفيصل الى الرياض ومعه هدية جليلة لأخيه الإمام عبدالله وكتب له محمد بن رشيد بأنه تنازل له[١] عن بلدان الوشم بعدما مد يده عليها في العام الماضي، فعزل الإمام عبدالله من أراد عزله عن إمارته وأبقى من أراد بقاءه فكثر الخلاف واضطربت الرعية ونجم الشقاق بين الرعية وامراءهم وتغلبت الرعية على الأمراء وتغلب بعض البلدان على بعض وضعف سلطان

[١] نهاية ص ٩٧ من المخطوطة

ال سعود بسبب اختلافهم وتفرقهم، وكثر تنازعهم فثارت بينهم حروب عظيمة وخطوب جسيمة، فكتب الشيخ احمد بن إبراهيم بن عيسى من العيسى المشهورين في شقراء وقبيلتهم بني زيد كتب رسالة نصح جليلة يحضهم فيها على التعاضد والتناصر واجتماع الكلمة ويحذرهم من سوء عواقب التفرق والاختلاف ويذكرهم ما حصل عليهم بسبب اختلاف كلمتهم وتفرقهم من الذل والهوان وهو سبب خروج ملكهم الواسع من أيديهم ويذكرهم طمع اعداءهم بملكهم، وهو سبب ما حدث بينهم من الشقاق فارسل النصيحة وارسل معها هذه القصيدة وهي شاهدة لمن شرح لهم من وعظه ونصيحته فقال فيها:

متى ينجلي هذا الدجى والدساكر ... متى ينتهض للحق منكم عساكر
متى تنتهوا عن غمرة النوم والردى ... وتنهض لنصر الدين منكم اكابر

متى تتجدد منكم دعوة حنفية ... يكون له بالصدع ناه وآمر
متى ترعوي منكم قلوب عن الردى ... متى ينقضي هذا القلى والتجابر
فحتى متى هذا التواني عن الردى ... كأنكم ممن غيبته المقابر
واموالكم منهوبة وبلادكم ... تبوأها منكم اصاغر
واشياؤكم في كل قطر وبلدة ... اذلا حيارى والدموع مواطر
واطفاله هلكى تشتت حالهم ... وساءت لهم حال اذ الجد عاثر
فمالككم قد قسمتها ملوكها ... وانتم احدوثة ومساخر
فان ذكرت او ذكرت بعض ما مضى ... إجابة ببيت ضمته الدفاتر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
الم يكن للاسلام منكم مناقب ... الم يك للاخلاق منكم مفاخر
وفي آية في الفتح قد جاء ذكركم ... وقد حرك التفسير فيها اكابر

وقصده من هذا البيت قوله تعالى (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) فقد ذكر بعض المفسرين للقرآن إنها نزلت في بني حنيفة[١]

---

(١) نهاية ص ٩٨ من المخطوطة

تتمة القصيدة:

وفتيان صدق من رجال حنيفة بايديهم القنا والمرهفات البواتر
يرون شديد البأس اربح مغنما قاوساط المنون والنقع ثائر
فسل عنهم يوم الصبيحة التي انفتحت للحق منها بصائر
وسل عنهم يوم الطبعة التي به اشتهرت واله او وناصر
وسل عنهم يوما بجانب جودة وليس لا مر حمه الله قاهر
فقد بذلوا غالي النفوس لربهم وامسوا لايدي الارذلين مجابر
أيا مفخر العوجا ذوي البأس والندى اجيبوا جميعا مسرعين وبادروا
واجدادكم اهل الشهامة والعلا الا فاقتفوا تلك الجدود الغوابر
فكم لهم يوما به الجو مظلما وقد نشرت للحق فيه شعائر
وان ذكرت اركانكم ورؤسكم فان أبا تركي شجاع يفاخر
فكم مشهد وكم معهد تعرفونه كما عرف الاقوام باد وحاضر
فما فارس الشهباء وما الحارث الذي اباد لظاها والرماح شواهر
فلله أيام له ومحاسن تشبه بالاعياد والامر ظاهر
وحسن ختام النظم صل وسلم على المصطفى ما هل في الأفق ناظر

ثم دخلت سنة ١٣٠٣هـ وفيها كثرت الأمطار ورخصت الأسعار وأخصبت البلاد، وفي هذه السنة توفي الشيخ على المحمد بن علي بن حمد بن راشد قاضي بلد عنيزة رحمه الله وكانت وفاته في اليوم الخامس من شهر رمضان وكان عالما عابدا ورعا تخرج على الشيخ عبدالله ابابطين رحمهم الله أجمعين، وكان قد تولى قضاء عنيزة بعد خروج اميرها منها، جلوي بن تركي وخروج الشيخ عبدالله ابابطين معه وذلك في سنة ١٢٦٩هـ فكان مدة قضاؤه في بلد عنيزة ٣٤ سنة، ثم تولى قضاء عنيزة بعده الشيخ عبدالعزيز بن مانع . ثم دخلت سنة ١٣٠٤هـ لم يكن بها شيء مهم يذكره التاريخ . ثم دخلت سنة ١٣٠٥هـ وفيها في آخر المحرم سطوة أولاد سعود بن فيصل على عمهم عبدالله بن فيصل بالرياض وقبضوا عليه، فكتب

الإمام عبدالله الى محمد العبدالله يستنجده على أولاد أخيه سعود، فسار محمد بن رشيد الى الرياض ومعه أمير بريدة حسن بن مهنا وتابع السير ونزل على بلد الرياض فحصرها أيام قليلة ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبين أولاد سعود على أن أولاد[1] سعود يخرجون من الرياض وينزلون الخرج، فخرجوا ونزلوا الخرج فأقام محمد بن رشيد عدة أيام في الرياض ثم نصب محمد بن فيصل أميرا في الرياض وجعل المتصرف بالرياض سالم السبهان ثم ارتحل راجعا الى حايل ومعه الإمام عبدالله الفيصل وأخوه عبدالرحمن الفيصل وولد عبدالله تركي، فاستقر امر أولاد سعود بالخرج بعد خروجه من الرياض، وكان أكبرهم محمد بن سعود بن فيصل وهو رئيسهم، فقال وهو في الخرج هذه القصيدة بعث بها لمحمد بن رشيد وكان هو الملقب بغزالان وكان شجاعا لا يشق له غبار وقال في ذلك:

بديت ذكر الله على كل شاني ... ومن وحد المعبود حق بلا ظن
وخلاف ذا يا راكبين ثماني ... اكواعهن لازوارهن ما ينوشن
سار من البطحاء قريب الاذاني ... قبل الطيور برزقهنه يطيرن
بواطن كله ضرايب عماني ... من قصر جدي يا سعد وين يمسن
يمسن بوادي سدير يم الشباني ... كل يقول بجيرته ما يشتن
وعند الفهيد معزب مرحباني ... وسوالف يطرب لها البال وان جن
ويلفي اخو نورة زبون الحصاني ... وسوالف يطرب لها البال وان جن
قل لا تحسب اني عن بطاك متواني ... والى لفنه ان بغى لا يردن
وحياة رب البيت محيي البناني ... اتيك ثم اتيك حق بلا ظن
حتى ايش يا نقالة الشيشخاني ... يا جموعنا وجموعكم الى تلاقن
والى اعتليت بسرح بنت الحصاني ... معنا افرنجيٍ على الروح يشفن
اضرب بحد السيف وارخي العناني ... علي ردة خيلهم لين ينحن
واشل راس فيه مثل النواني ... لين العذارا يا سعد لي يعذرن
والزين ما يدقم شبات السناني ... مثل الشعق بغرو ليل يصبن
فالى اجتمع زين وضرب اليماني ... والشين ما يقصر يدين يطولن

---

[1] نهاية ص ٩٩ من المخطوطة

عز الله انه جامع للظفر والحســاني	لذة نعيم بالجســـد وان توافن
عز الله انه جامع للظفر والحساني	لولاه طاوع بايع التتن والبن

وكان يقصد من هذا البيت الأخير أن مهنا الصالح أبو حسن المهنا كان جمالا بين حلب وبغداد، وكان يحمل الدخان والبن كما قال، وهو يعير بذلك محمد الرشيد حيث طاوع حسن المهنا بأشواره، ولما كان في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة هجم سالم السبهان على عيال سعود غدرا فقتلهم وهم ثلاثة محمد[1] وعبدالله وسعد رحمهم الله، وكان أخوهم عبدالعزيز بن سعود الرابع قد ركب لمحمد بن رشيد في حايل في أول الشهر المذكور فلما استقر عبدالعزيز بن سعود في حايل وإذا بالخبر يأتي لمحمد بن رشيد بمقتل أولاد سعود وهم إخوان عبدالعزيز المذكور فحينئذ أمر محمد بن رشيد بالمقام عنده في حايل فأقام هناك. ثم دخلت سنة ١٣٠٦هـ وفيها كثرت الأمطار ورخصت الأسعار ودام المطر إحدى عشر يوما لم يروا الشمس، وعم الغيث جميع نجد وأعشبت الأرض وكثرت الكمأة، وبكثرة الأمطار خاف الناس من الغرق وكثر الهدم في البيوت، وفي هذه السنة توفي سعود بن جلوي بن تركي في بلد الرياض رحمه الله. ثم دخلت سنة ١٣٠٧هـ وفي أولها توفي تركي ابن الإمام عبدالله في بلد حايل رحمه الله، وفيها خرج الإمام عبدالله بن فيصل متوجها الى بلد الرياض ومعه أخوه عبدالرحمن بن فيصل وكان الإمام عبدالله مريضا فلما وصل الرياض توفي بعد قدومه بيوم واحد، وذلك يوم الثلاثاء ثاني يوم من ربيع الثاني رحمه الله.

---

[1] نهاية ص ١٠٠ من المخطوطة

وكان ملكا جليلا مهابا وافر العقل غيرمحب لسفك الدماء شفيقا على الرعية حليما كريما شجاعا حازما سهل الاخلاق محبا للعلماء، وكانت أيامه كلها قلاقل وفتن، ومكدرة لباله ومقلقة لراحته ومنغصة لحياته، وذلك لكثرة المخالفين له من عشيرته ومن رعيته رحمه الله وعفى عنه، فإن رحمته أوسع من ذنوب العباد. وكنت اروي قصة له وانسبها عن عبدالله بن محمد بن بليهد امير القراين التي بضواحي شقراء وكانت ولادته سنة وقعة اليتِيمة من محمد بن فيصل على عبدالعزيز المحمد ال عليان وجماعته من أهل بريدة في سنة ١٢٦٣هـ، بأنه قال لي اشهد على عبدالله الفيصل بحسن النية، وإني لارجو له حسن الخاتمة بما سمعته منه، وذلك إني كنت يوما جالسا عنده في صيوانه وهو نازل ببلدنا القراين المذكورة وسلطانه يومئذ قد ضعف، وحكمه قد تقوضت اركانه فكان في محاورة مع أحد خواصه فقال له ذلك المتكلم وكان جريئا عليه : انت الذي فلتّ حكمك بيدك، حيث إنه يحدث امير البلدة من رعاياك ولا تعاقبه، ويقوم فلان من رعاياك ويركب لابن رشيد بدون اذنك ولم تعاقبه، ويأتون رجال جبل ابن رشيد الى البلدة الفلانية ويدفعون لهم الزكاة بدون امرك، ولم تكلمهم ولا تمقتهم، ثم عدد له أشياء غيرها كثيرة، فكان جواب الإمام عبدالله الفيصل له بأن قال: يا فلان، وسماه باسمه، إني[1] عرفت أنك لم تكن ناصحا لي بمقالك هذا، فقط إنك تبي توغرني على ظلم رعيتي فأحمل أوزارا على ظهري يوم لقاء ربي، والا فإني لو فعلت كل ما قلت لي ما نفعني شيء ولا رد الملك علي، فملكي قد تقلص ظله مني وادبر عني كما ادبر امس عن اليوم، فإن كنت

[1] نهاية ص ١٠١ من المخطوطة

محبا لي فلا تكثر علي العذل بذلك، فلن يفيدني شيء، وكان رحمه الله توفي ولم يعقب ذكورا سوى ابنه تركي الذي ذكرنا أنه مات في حايل قبله . وفي هذه السنة حصل بين محمد بن رشيد وبين حسن المهنا امير بريدة تنافر واختلاف، وذلك أن ابن رشيد ارسل عماله الى شوايا حسن المهنا ليزكوهم، فوجدوا عامل حسن يزكي عندهم، فحصل بين عمال حسن وعمال ابن رشيد كلام فاحش وشتائم وسباب فرجعوا عمال ابن رشيد عنهم، واستحكمت العداوة بينهم وكان حسن المهنا قبل ذلك بينه وبين زامل عداوة شديدة وهو امير بلد عنيزة وياليتها دامت تلك العداوة ولم تسفك دماء طاهرة زكية، لكانت سلامة تلك الدماء خير من صداقة زامل وحسن، وإذا سلمنا الامر الى القدر فليس لأمر حمه الله دافع، فرحم الله رجالا سالت دماؤهم بتلك الرمال فهم والله صفوة البلدان وفخر لمن بقي بعدهم من ذراريهم، فالله يغفر لهم إنه غفور شكور، فمن ذلك الحين التفت حسن المهنا الى زامل واخذ يكاتبه ويطلب منه المصالحة وأن يكونوا يدا واحدة على محاربة ابن رشيد، فاجابه زامل الى ذلك وتواعدوا للاجتماع في موضع من نفود الغميس، وركب زامل ومعه عدة رجال من خدامه وركب حسن بمثل ذلك واجتمعوا في النفود وتعاهدوا على التعاون والتناصر وأن لايخذل بعضهم بعضا، واقاموا هناك ثلاثة أيام، ثم رجع كل منهم الى بلاده، وكان محمد بن رشيد حينما تولى على الرياض جعل فيه محمد ابن الإمام فيصل اميرا عليه ولكنه مقيدا بأوامر سالم السبهان، وجعل سالم في الرياض ومعه عدة رجال من أهل الجبل ونزل في قصر الرياض وصار سالم المذكور هو المتصرف بشؤون الرياض وكانت

تصدر عليه أوامر محمد بن رشيد مع كل بريد، ولما كان في شهر ذي الحجة من هذه السنة بلغ الإمام عبدالرحمن أن ابن سبهان يريد الغدر به والقاء القبض عليه فلما تحقق الإمام عبدالرحمن هذا الخبر ودخل سالم السبهان بمن معه من الخدام على الإمام عبدالرحمن للسلام عليه كعادته وكان الإمام عبدالرحمن قد انتبه بالمكيدة وقد جمع رجالا عنده في القصر وامرهم بالقبض على سالم السبهان ومن(١) معه إذا دخلوا القصر، فلما دخل القصر هو ورجاله قبضوا عليهم وحبسوهم وقتلوا خلف بن مبارك من الاسلم من شمر لأنه هو الذي قتل محمد بن سعود بن فيصل بيده واحتوى الإمام عبدالرحمن على جميع ما في قصر الرياض من الأموال والسلاح، وفي هذه السنة توفي الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع قاضي بلد عنيزة، وكان عالما فاضلا نبيلا نبيها رحمه الله . ثم دخلت سنة ١٣٠٨هـ فلما كان في أول شهر من السنة وهو شهر المحرم توجه محمد العبدالله ال الرشيد بجنوده الى الرياض حاضرة وبادية ونزل عليها في الخامس من شهر صفر من السنة المذكورة وحاصر البلد نحو شهر وقطع جملة من نخيلها فرحل عنها ولم يحصل على طائل وقبل أن يرتحل وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض واطلقوا له سالم السبهان ومن معه، ورجع الى بلده حايل فلما وصلها اخذ يستعد لحرب أهل القصر، ولما كان في جماد الأولى من هذه السنة خرج محمد بن رشيد من حايل بجنوده ونزل القرعاء وخرج زامل ال سليم ومعه جنوده وخرج حسن ومعه جنوده لقتال ابن رشيد فحصل

(١) نهاية ص ١٠٢ من المخطوطة

بينهم وقعة شديدة في القرعاء فصارت الغلبة فيها لأهل القصيم على ابن رشيد، وبعد وقعة القرعاء هذه قدم على ابن رشيد امداد كثيرة من شمر ومن الظفير ومن عنزة، فاجتمعت عنده بذلك قوة هائلة، فارتحل ابن رشيد الى غضى، ومنها الى المليداء، وهو يريد [من] الارتحال أن ينزل محلا واسعا فيه مطرد للخيل، وأن يُخرج أهل القصيم من الذي هم فيه، لأن منزلهم في القرعاء محاجي ومزابن، وهو أيضا ضيق على مجاولة الخيل، فجاءه الامر على غاية ما يقصده، فالتقى الفريقان في المليداء وصارت الهزيمة على أهل القصيم بعد قتال عنيف وذلك في اليوم الثالث عشر في جماد الاخرة من السنة المذكورة، فقتل من أهل القصيم واتباعهم قتلى كثيرين، ومن مشاهير من قتل من أهل عنيزة، اميرها زامل، وولده علي وخالد العبدالله ال سليم، وعبدالرحمن العلي ال سليم، وعبدالعزيز البراهيم ال سليم، وولد سليمان المحمد بن سليم، ومحمد بن روق، وسليمان الصالح القاضي، واخوه عبدالله، وعبدالعزيز المحمد القاضي، واخوه حمد، ومن عيال الخرب، ثلاثة، وناصر العوهلي، وعبدالله بن صالح بن عيسى، وعلي العبدالله بن حماد، وأبناء منصور الغانم، وعبدالرحمن العلي الخياط، ومحمد الناصر العماري، وعبدالعزيز بن عبدالله الخنيني، وعثمان المنصور، وعبدالله السليمان الطجل، وسليمان الأشقر، وغيرهم كثير رحمهم الله جميعا[١]، وقتل من أهل بريدة خلق كثير، ومن مشاهير القتلى عبدالعزيز بن عبدالله ال مهنا، وعبدالعزيز بن صالح ال مهنا، ومحمد العودة أبا الخيل، وعودة ال حسن أبا الخيل، واخوه عبدالله وعبدالرحمن

---

[١] نهاية ص ١٠٣ من المخطوطة

الحسين الصالح أبا الخيل، وعبدالله بن جربوع، وعيال ناصر العجاجي، وهم خمسة وصالح ال مديفر، ومن مشاهير أهل المذنب، صالح الخريدلي، امير المذنب، ومنصور العبوش. ثم إن حسن المهنا بعد هذه الوقعة انهزم جريحا مكسورة يده برصاصة، ودخل بلدة بريدة واراد الامتناع فيها، ولكن أهل بريدة لم يساعدوه على ذلك، فخرج منها الى بلد عنيزة، وارسل ابن رشيد سرية في طلبه من عنيزة، فامسكوه بها وجاؤا به الى ابن رشيد، فارسله هو وأولاده ومن ظفر به من ال أبا الخيل الى حائل، الى أن توفي سنة ١٣٢٠هـ، وقتل من اتباع ابن رشيد خلائق كثيرة، وانتشر حكم ابن رشيد على بلدان القصيم كلها، ونزل بريدة، وولي إمارة عنيزة عبدالله اليحيا الصالح، وكان الإمام عبدالرحمن الفيصل لما بلغه وصول ابن رشيد الى القصيم وخروج أهل القصيم لمقابلته اسرع اليهم بالمدد بادية وحاضرة، ولكن الهزيمة قابلته وهو في بلدان سدير، فرجع من وقته، ونزل مع بادية العجمان. وكان إبراهيم ال مهنا الصالح، قد انحدر بقافلة كثيرة لأهل بريدة قبل خروج ابن رشيد من حايل لمحاربة أهل القصيم، فلما بلغهم خروجه خرجوا من الكويت، وعند خروجهم من الكويت وصلهم نجاب من حسن المهنا يستحثهم ويعجلهم بالقدوم عليه للحاجة الداعية للذي معهم وخصوصا الطعام، فساروا متوجهين الى القصيم، ولما توسطوا بين الغاط والمجمعة وافاهم خبر الوقعة وانهزام أهل القصيم واستيلاء ابن رشيد على بلدان القصيم انقلبوا راجعين الى الكويت، وقبل الوقعة المذكورة بستة أيام توفي الشيخ محمد ال عمر ال سليم، وكانت وفاته في جماد الثانية من السنة المذكورة وله من العمر ٦٣ سنة رحمه الله، وكان

إماما عالما عابدا ناسكا ورعا جلس للتدريس في بلد بريدة، وانتفع بعلومه خلق كثير، وكان محبا لطلبة العلم محسنا اليهم وفضائله كثيرة رحمه الله، ونحب أن ننبه القارىء أننا نكرر في كتابنا هذا بعض القصص عن الوقائع مرتين أو تزيد، تكملة في بعضها، وذلك لشيئين، إما إننا نهمل شيء منها ثم نورده في القصة الأخيرة، أو الشيء الثاني هو اننا نروي بعض القصص من مصدرين فنذكر العبارتين فتكون القصة موضحة جلية حينما تتعانق النصوص[1]. ثم إن محمد ابن رشيد، ارتحل من بريدة ونصب فيها حمود بن زيد اميرا، وهو والد عبدالعزيز ، المقيم بالشام سفيرا لجلالة الملك عبدالعزيز ثم لجلالة الملك سعود من بعد والده، وابقى مع حمود عدة رجال من أهل الجبل، ثم رحل من بريدة ودخل حايل . ثم دخلت سنة ١٣٠٩هـ وفيها خرج إبراهيم المهنا من الكويت ومن معه من أهل بريدة، وقدموا على الإمام عبدالرحمن بن فيصل وهو مع بادية العجمان، وقد اجتمع عليه جنود كثيرة فتوجه بهم الى الدلم، من قرايا الخرج، وكان في قصرها عدة رجال من جنود ابن رشيد، فلما وصل البلد فتح أهل البلد بابها للإمام وجنوده ورحبوا بهم واستبشروا وفرحوا، فدخل الإمام ومن معه البلد وحصروا جنود ابن رشيد في قصرهم ودام حصارهم أياما ثم انزلوهم بالأمان، واقام الإمام بالدلم عدة أيام ثم ارتحل منها وتوجه الى بلد الرياض، واميرها اخوه محمد الفيصل والذي نصبه محمد بن رشيد كما مر ذكره سابقا فدخل الإمام عبدالرحمن الرياض بدون قتال وكان محمد بن رشيد حين بلغه خروج إبراهيم المهنا ومن معه من الكويت ونزولهم على

[1] نهاية ص ١٠٤ من المخطوطة

عبدالرحمن الفيصل وجنوده ومسيرهم معه الى الخرج، خرج من حايل بجنوده بادية وحاضرة وقدم بلد القصيم وامر عليهم بالغزو معه، وارسل الى الوشم وسدير يتجهزوا للغزو وواعدهم بلد ثرمداء، ثم إنه سار من القصيم وقصد بلد ثرمداء وكان الإمام عبدالرحمن الفيصل قد خرج من الرياض ونزل بلد حريملاء بمن كان يتبعه من الجنود، وهو لا يعلم بمسير ابن رشيد من حايل ونزوله ثرمداء، ولما بلغ ابن رشيد نزول عبدالرحمن الفيصل على حريملاء نهض من ثرمداء وقصد الإمام عبدالرحمن ومن معه في حريملاء ولم يعلم الإمام بمسير ابن رشيد اليهم وكانوا على غير تعبئة، وكان الإمام ومعه بعض القوم داخلين في البلد، واكثر القوم في خيامهم خارج البلد، وقتل من الطرفين قتلى كثيرون، ومن القتلى إبراهيم بن مهنا أبا الخيل، وكانت الوقعة ضحوة ذلك اليوم وقيل بالمثل اخذهم على غرة، وان القارىء ليحار فكره من هذه عند الإمام وجنوده وهو الحذر الفطن المجرب فكيف اهمل نفسه وجنوده بث العيون عن يمينه وشماله كما هي عادة الامراء والملوك، فهذا دليل على تغلب القدر[1] وانه إذا نزل لا يفيد فيه الحذر ولا تجلبه الغفلة، وبعد الوقعة توجه الإمام عبدالرحمن بفلوله ودخل الرياض ثم إن ابن رشيد بعدما برحت له الأرض نزل على حريملاء واخذ يكاتب أهل الرياض ويعدهم ويمنيهم ولما تحقق الإمام ذلك خرج من الرياض هو وأهله وأولاده ثم ارتحل منها وقصد بلد قطر، ثم رحل من قطر ونزل الكويت، وجعلها موطنا له، ثم إن ابن رشيد رحل من حريملاء ونزل

---

[1] نهاية ص ١٠٥ من المخطوطة

على بلد الرياض وهدم سور البلد، وهدم القصر أيضا ونصب محمد بن فيصل اميرا على الرياض، وبعد هذا رجع الى بلاده حايل فدخلها في اخر صفر من السنة المذكورة، وفي هذه السنة تناوخوا عتيبة وابن بصيص من مطير ومن معه على الحرملية واقاموا في مناخهم نحو أربعين يوما فاستنجد ابن بصيص بقحطان وبقبيلة حرب فجاءته جريدة من خيل قحطان ورئيسهم محمد بن حشيفان رئيس ال روق وجاءه من حرب صلبي بن مضيان من زعماء بني سالم ومن تبعه من حرب وحصل بين الفريقين قتال شديد وصارت الهزيمة على عتيبة، وقتل من الفريقين خلق كثير ومن مشاهير القتلى محمد بن حشيفان وهو الفارس المشهور عند قبائل نجد بادية وحاضرة وقتل من حرب صلبي بن مضيان وقتل من عتيبة عبدالله الجلاوي وهو الذي يقول في زوجته من محسن بن زريبان حينما طمحت عنه:

لوا عشيري حال من دونها قيف	علوى وحرب وشمر وقحطاني
وابن رشيد اللي جموعه مراديف	وبيارقه تاطى الغبي والبياني
ان كان مقبل يا ظبي العجاريف	تاصلك سايجة الحقب والبطاني
وان كان مقفي لو انك ورا السيف	ما يتبع المقفي يا كود الهداني

وهؤلاء القتلى هم مشاهير أهل المناخ، والجلاوي هو من الرباعين . ثم دخلت سنة ١٣١٠هـ وفيها غزا محمد بن رشيد، على محمد بن هندي، وعربانه من عتيبة، وهم في صحراء تسمى الرحى، قريبة من الخنفرية، وهي ماء بين حضن وهكران فصبحهم، وحصل بينهم طراد خيل فاخذ جانبا من إبلهم وسلم الجانب الاخر، وقتل من مشاهيرهم بندر بن عقيل،

من عتيبة، وقتل من شمر، نمر بن برغش بن طواله . ثم دخلت سنة ١٣١١هـ وفيها توفي محمد بن سعود وكان سمحا كريما توفي في بلد الرياض وكان محبا للعلماء مجالسا لهم عفيفا شجاعا مقداما، وكان يسمى المطوع لتمسكه بدينه وعبادته رحمه الله . ثم دخلت سنة ١٣١٢هـ وفيها وفي اخر السنة التي قبلها توفي مسلط بن محمد بن ربيعان، وكان امتد عمره حتى انه خرف، ويعد من المعمرين[١] وله وقايع مشهورة وكلها يظهر بها على عدوه منتصرا ظافرا، سنوردها في موضعها إن شاء الله، وفيها توفي عبدالله اليحيا الصالح وكان اميرا على عنيزة من جهة محمد بن رشيد، فخلفه في الإمارة بعده اخوه صالح اليحيا، وفيها كثرت السيول والامطار في الوسمي وعم الغيث جميع بلدان نجد جنوبا وشمالا وشرقا وغربا وتتابعت الامطار وخشي الناس من الغرق وانهدم كثيرا من البيوت في مختلف البلدان وهلك أناس تحت الهدم، وفيها كثر الجراد والدبا واكل كثيرا من البساتين والخضر، والمؤرخ يقول ما اشبه الليلة بالبارحة ففي سنة نظير هذا التاريخ كثر الغيث في نجد وهي سنة ١٣٧٦هـ واقمنا شهرا كاملا ما رأينا الشمس، وكلها والسماء تثج والأرض تمج، ثم تتابع الغيث بعد ذلك الشهر المذكور ففي كل أسبوع راتبا لا يتأخر يهطل الغيث بكثرة وتجري الأودية الفحول وتربو على مجاريها السابقة، وانهدم بيوت ومات من وفى يومه تحت الأنقاض واعشبت الأرض بنبات لم يشهد القدماء مثله، فلا تجد من البادية من يقول برز رعيتك عن رعيتي، ولا تجد من الحاضرة من يقول لصاحبه

[١] نهاية ص ١٠٦ من المخطوطة

ابعد عن موضعي هذا الذي انا اعشب منه، فكل قانع ومملوء قلبه بالخصب وبكثرة ما يشاهده من نعم ربه، وانا نسال الله المزيد من ذلك، ثم اعقب ما ذكرنا جراد ولم ينتقص الأرض في شيء ولكن الضرر اتانا من أولاده، وهو الذي نقص النعمة على الناس وهاهو ماكث في ضواحي بلادنا عنيزة ما يزيد على شهر وهم يكافحونه بالسم ولكن جند الله هو الغالب، فإذا تسلط مثل هذا الجند فلا شك انه نقص ساقه الله على من يشاء ويصرفه عمن يشاء ولا اعتراض على حكم البارىء فيما يقدره (انتهت).

وفي هذه السنة قتل نايف بن شقير بن محمد بن فيصل بن وطبان الدويش قتله ابن عمه فيصل بن وطبان الدويش محتجا عليه بانه ضرب جاره هزاع البراق من الروقة، وحجته عليه واهية، بل قتله الرئاسة يريدها لنفسه، وفيها صبح محمد بن رشيد محمد بن سقيان واخوه الحميدي فاخذهم وقد أوردنا القصة بأكملها بما يغني عن الإعادة . ثم دخلت سنة ١٣١٣هـ وفيها اجتمع خلق كثير من مطير بني عبدالله ونزلوا على ماء يقال له ثرب بين بلدان نجد وبين المدينة المنورة واخرج عليهم خالد باشا وهو في المدينة عمال فزكاهم وكان خالد هو الوالي على المدينة وكان محمد بن رشيد كلما عرضوا عليه قبيلة حرب ان يغير على هؤلاء[١] فيقابلهم بقوله قارعتني عنهم الدولة، حتى انها تكررت عندهم الأخبار بذلك فاخذت قبائلهم يتواردون عليهم وينزلون عندهم على مائهم فكل من شذ عنهم أتى ونزل معهم بعد هذا الخبر، فلما أيقن انهم تكاسلوا على

(١) نهاية ص ١٠٧ من المخطوطة

مائهم شهر عليهم من حايل واستدعى عربانه من حرب وشمر ومن تبعه من غيرهم، فصبحهم واجتاح ابلهم واغنامهم وبيوتهم وحلالهم ثم رجع الى حايل، وارسل لخالد باشا هدية جسيمة ثم اجتمع رؤساؤهم بعد الوقعة وركبوا للباشا بالمدينة فلما حضروا عنده كلموه وقالوا له : اخذنا محمد بن رشيد فقال لهم الباشة باي مكان اخذكم؟ فقالوا له اخذنا على ثرب، فقال لهم لو اخذكم بالحفنة أو بالحناكية لقمت عليه واديت حلالكم، و أما إذا كان اخذكم بثرب فثرب من حدوده وليس من حدود المدينة، فأيسوا ورجعوا على عربانهم يسترفدون منهم، والرفد كما هي عادتهم، بأن السالم يرفد المأخوذ من قبيلته . فإنه بعدما غادر الإمام عبدالرحمن الفيصل قاصدا قطر صفت لمحمد بن الرشيد فأمن الحاضرة وجعل تحمله على البادية، وكان يقول في كل وقت وينادي مناديه بين خيامه اسمعوا يا بدو لا تعرضون للحضر، وكان لا يفتر عن توصيته لخدامه على تأمين الحضر وعلى مراعاتهم وكان إذا ارسل مرسوله يطلب من البدو، ويطلب منهم شيئا اخذوه للحضر، يأمر على خادمه انه لا يركب جمله حتى يستلم النقيصة التي اخذت، وعنى من أجلها، وكانت سيرة محمد ال الرشيد قريبة من سيرة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، فمن ذلك انه كانت له عين لا تنام عن حماية رعاياه بادب صارم على المخالف ومما يروى لنا عنه رحمه الله انه اتاه جمال من أهل السر فقال له اخذ جملي القضاع وهو من العبيات من مطير وفوق جملي المسامة واخذ معه محش ونعال فكتب له الإمام فيصل كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من المحفوظ الى القضاع، أما بعد واصلك الجمال فلان، سلمه جمله وسامته ومحشه ونعاله برؤوسهن، وإن فقد منهن شيئا فالمسامة بريالين، والنعال بنصف ريال، والمحش بربع ريال، وإن عدت قطعت يدك ورجلك، وأنت أشح مني على نفسك والسلام .

ثم دخلت سنة ١٣١٤هـ غزا محمد بن الرشيد وصبح سبيع ومطير على رماح واخذهم وهي والله اعلم اخرمغازيه الى ان مات في رجب سنة ١٣١٥هـ فكانت مدة ٢٧ سنة، ثم تولى الإمارة بعده ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب الرشيد، وكانت امارته كلها قلاقل وفتن وكان عزارا جزارا لا يعرف[١] للسياسة موضع، حتى إن الرعية كرهته وملت حكمه ولم يترك له محبا، حتى عشيرته وذوي رحمه، فكان ظله ينقص ويتقلص وكانت الرعية لا تهابه على قسوته وشدة بأسه، فإنه إذا ظفر بعدوه قتله على الفور لم يتثبت، وكان يشبه سيرته من المقرن فهد بن عبدالله بن جلوي هذا وقد أوردنا سيرته كاملة فلا حاجة الى التكرار، ولنختم المقال بابيات قالها حمد السبيعي الملقب أبو جراح حينما ارسل مبارك الصباح البشائر للبلدان بانه اخذ نجد قبل ان يجتمع بخصمه عبدالعزيز ال الرشيد فقال في ذلك:

كزيت للديرة ركاب يلالن	تقول اخذت ام الجماجم نهابة
وام الجماجم سبع قلبان يصنن	وخسرت جيرانك على غير ثابة
بشرت باخذة نجد والعلم عن من	تفلج وخصمك ما حضر للطلابة

[١] نهاية ص ١٠٨ من المخطوطة

فبعد هذا حضر خصمه وهزمه، وهذا الوقعة تسمى وقعة الصريف بين مبارك الصباح وعبدالعزيز الرشيد.

ونحن نبدأ اليوم بولادة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ونشاته وحياته، أما ولادته فرأينا تاريخها يختلف بين المؤرخين فمنهم من يقول انه ولد في عام ١٢٩٧ هـ ومنهم من يقول انه ولد في عام ١٢٩٩هـ واصح ما ارويه للقراء هو ما نقلته عن عبدالرحمن العبدالعزيز السليم فكان يقول لي كنت جالسا يوما عند الإمام عبدالرحمن الفيصل فسألني بقوله : متى كون جدك زامل السليم على قحطان فوق دخنة؟ فقلت له في سنة ١٢٩٥هـ فقال انه أتاني بشير جدك زامل باخذه فحطان على دخنة وبشير ولادة ولدي عبدالعزيز بيوم واحد وهذا اصح ما نقلته عن ولادة الملك عبدالعزيز، ثم إنه لما نشأ وترعرع في حجر ابيه ثم انتقل مع والده الى قطر وانتقلوا بعائلتهم جميعا لكننا مكثنا زمنا طويلا، ولا عين تطرف من السعود ولا نعلم من الذي منهم على الوجود ما عدا الإمام عبدالرحمن الفيصل، وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله يتحدث مع الشيخ عبدالله بن بليهد لما كان بقصر شبرا بالطائف، وكنت انا وغيري واقفين بالباب فقال في بعض خطابه للشيخ انه حينما اتاني محمد بن رشيد ليهدم سور الرياض كنت واقفا اتفرج أنا و أولاد معي كلهم من سني وذلك في سنة ١٣٠٧هـ وكان محمد بن رشيد نفسه واقف يحض العمارة على الهدم، والى جانبه حمود العبيد، وكنت في ذلك الوقت لم يكن على راسي غير كوفية حمراء وكانت عيوني فيهن رطوبة وتثقلني جفوني عن تنهيضهن الا بتكلف، فدنا مني محمد بن رشيد بنفسه ووضع

يده على رأسي ثم التفت[١] على حمود العبيد وهو واقف معه فقال يا حمود لا تحقر هذا تراه يشره على الحكم، فلم اعلم من الذي دله على اني ولد عبدالرحمن الفيصل، وهو لم يعلم أيضا عن اسرار الغيب ولم يعلم ذلك، الا الله فإن هذا الغلام الذي نوه به صار انقراض ملك الرشيد على يده فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضعف سلطانه، فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويرزق الجنين في ظلمة الحشا سبحانه وتعالى، ولنختم القول بقول اصدق القائلين (قل اللهم مالك الملك) الى آخر الاية، وأول ما تحققنا ان لعبدالرحمن الفيصل أولاد كبار هي ظهورهم مع مبارك الصباح هم ووالدهم عبدالرحمن حينما حصلت وقعة الصريف في ١٣١٨هـ فكان هذا الولد المبارك على ابيه وعلى عشيرته وعلى المسلمين كافة، فحينما قارب سن البلوغ اخذت تلوح على وجهه اثار النجابة والشهامة والشجاعة والسخاء ومكارم الاخلاق كلها زفت اليه بحذافيرها، فصانه الله عن فعل الفاحشة ولم نعلم أحدا من الكبار والزعماء ومن دونهم يشهدون له الناس شهادة جازمة مثل ما شهدوا للملك عبدالعزيز بنزاهة عرضه وسلامته من الوقوف على مواضع الريب والشكوك ولم تجد أحدا يعد عنه شيئا من المكروه، فتلك عصمة الله يحرس بها من يشاء من عباده، والمسلمين شهود الله في ارضه، مع اننا نعترف ان الشباب له نزعات لا تطاق فقد قال العتبي[٢] مثلا في الشباب عن امرأة تخاطبه بان قال :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الشباب جنونا برؤه الكبر

---

[١] نهاية ص ١٠٩ من المخطوطة

[٢] أبو عبدالرحمن محمد العتبي شاعر اموي

فهذا الشاب النادر عصمه الله ولا نهاية لعصمته جل وعلا، فحينما قتل امير الرياض عجلان واستولى على ملك ابائه واجداده استدعى بوالده عبدالرحمن الفيصل وبعائلاتهم جميعا أن يخرجوا من الكويت ويقدم عليه في الرياض، وطيلة تلك المدة قبل ان يصل والده الى الرياض وأهل الرياض يعرضون عليه المبايعة ويمتنع، قائلا المبايعة لوالدي عبدالرحمن متى حضر، فلما حضر عبدالرحمن أراد عبدالعزيز ان يحيل البيعة لوالده فأبى عن قبولها، قائلا انت احق بها مني يا عبدالعزيز، انت الذي فتحت بلادك بنفسك وانت اميرها وانا أول من يبايعك على ذلك قبل مبايعة أهل الرياض، فبايعوه أهل الرياض وتابعوا الإمام عبدالرحمن على بيعته وانتظمت احوالهم . ثم دخلت سنة ١٣٢٠هـ فخرج من الرياض ببعض جنوده وقوته واشاع هو عند الناس ان بينه وبين والده عند الإمارة وان عبدالعزيز خرج من الرياض مغاضبا لابيه وانحدر الى الكويت فزحف عبدالعزيز[١] بن رشيد على الرياض وكان يحمل معه ثمانية سلالم صنعهن في بريدة، فلما قرب من الرياض بالليل انتقى من جنده مئتي فارس، ثم انتقى أيضا مئتي رجل يردفون لأهل الخيل، ثم حمل السلالم على جمال وحمل معهم قرب الماء وهو يريد أنهم إذا تسوروا حيطان السور، يغير بخيله وجيشه ليبغتهم وهم نائمون، ومن حسن الصدف ان رجلا يحطب بالبر ليجلب حطبه على الرياض، وهو من قبيلة السهول وذلك انه رأى عبدالعزيز بن رشيد وقومه بعد العصر قاصدين الرياض فترك حطبه واخذ

---

[١] نهاية ص ١١٠ من المخطوطة

يسايره بالخفية من وراء الاكام والجبال فلما رأى ان ابن رشيد قد نزل للمبيت، رمى الحطب عن بعيره ودفعه الى الرياض يسير حثيثا من الليل، ثم إنه وصل الى باب سور الرياض فوجد الباب مغلقا على عادته بالليل، ومن خلفه الحراس، ونادى أهل الباب، إنه فلان السهلي افتحوا لي اخبركم، جاكم ابن رشيد، فحينئذ نبهوا الإمام عبدالرحمن من نومه وأتى الى الباب واخبره الرجل بما رأى، ثم امر الإمام على رجاله بجمع الحطب الكثير وتشعل النار في سطوح المقاصير، وفي كل محل عالي، ثم أمر أن يجعل في كل سوق بلعب وعرضة، وتشب عندهم النيران فلما رأى ابن رشيد ان النيران قد شبت في سطوح المقاصير وفي المرتفعات من البلد طلب الخيل التي ارسل وامرها بالرجوع، بأن قال لهم انتذروا أهل البلد وليس لنا عليهم قدرة ثم إن ابن رشيد حينما اصبح قنع الرياض بغارة شعواء واخذ ما ادركه من ماشية وغيرها، وعرف انه ليس له مطمع ببلد الرياض نفسها وعليها سور ضخم ومن وراء السور اسود كواسر، فاخذت غارته تفترق عن الرياض يمينا وشمالا حتى انتهت الى موضع يقال له صياح على شفير الباطن ونزل البيرق كله هو وجنوده على صياح وشرع يقطع في نخيله، واقام فيه خمسة عشر يوما لم يدرك شيء من الرياض بل إن الطمع انقلب يطلب من جانبه، فمن ذلك أن في الرياض عدة خيل تطلع من الباب في كل صبح وتطارد خيل ابن رشيد وترجع، وقد طاردهم في ذلك اليوم عبدالملك بن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف مع خيل الرياض التي تطارد ابن رشيد، ثم إن ابن رشيد ارتحل من حصار الرياض وإذا بعبدالعزيز قد استنجد بأهل الحوطة وأهل الحريق، فإنه دخل

بلادهم بليل من حيث لا يشعر ابن رشيد بدخوله الحوطة، وكان مع عبدالعزيز ما يزيد على الف ذلول و٢٥٠ خيال، فلما انضمت جموع الحوطة والحريق عليه قويت شوكته واستعد للهجوم على خصمه عبدالعزيز بن رشيد[١]، وكان ابن رشيد على قرية من قرى الخرج تسمى الدلم، ثم إن عبدالعزيز الرشيد ومن معه نزل موضع يقال له نعجان وحصلت بينهم وقعة شديدة انفصلت عن عدة قتلى من الطرفين، وبعدها استخف ابن رشيد ورحل ونزل على ماء لسبيع يسمى الحسي واقام على ذلك الماء ثلاثة شهور وكانت ركبان عتيبة تحوفه بالليل وتسرق منه خيلا وابلا وغيرها، ثم إنه رحل من الحسي وزحف على شقراء فصمدوا له وحربوه وانتزع الله هيبته من قلوب الناس اجمعين وحاصرها قريبا من شهر ورحل عنها ولم يحصل على طائل بعدما افقدوه خيلا ورجالا، وبرحيله ذلك مر بقرايا سدير وحصر قرية يقال لها التويم وهي التي يقول فيها حميدان الشويعر هذا البيت

والتويم راس الحية   من وطاها ينقل خطره

وقتلوا منه عدة خيل ورجال، ورحل عنهم ولم يستفد منهم شيئا وبرحيله عمد الى بلد بريدة فدخلها. وأما عبدالعزيز بن سعود فقد دعاه مبارك الصباح ليغزو على مطير الدوشان هو وجابر المبارك الصباح، ثم إنه أجاب دعوة مبارك واجتمعت عليهم جنود كثيرة، وذلك في مبتدأ سنة ١٣٢١هـ وتوجهوا من الكويت قاصدين الدويش لأنه عصى ابن صباح وعبث بالأمن

---

[١] نهاية ص ١١١ من المخطوطة

في محارم الكويت فخرجوا من الكويت جميعا، الملك عبدالعزيز تحت رايته وجنوده، وجابر الصباح على رايته وجنوده، وامير الكل جابر، عقد له الإمارة على الجيش مبارك الصباح، فكان عبدالعزيز يمتثل أوامر جابر، والرأي مشترك بين الاثنين، ثم إنهم قصدوا جميعا جهة الصمان، وكان الملك عبدالعزيز حشو ثيابه دهاء ورأي صائب ولكنه يتأدب مع جابر، فحينما قربوا من العرب تلك الضحوة وافاهم رجلين على مطية واحدة وإذا هم رشايدة من خدام صباح سابقا، وهم نازلين بأهلهم مع الدوشان التي ستقصدهم هذه الجنود، فأوقفوهم يسألونهم عن العرب، فلم يعطوهم عن العرب بل ادعوا انهم لهم ثمانية أيام عندهم، وان مدة ايامهم هذه وهم يدورون جمال ضاعت لهم، وكان دليلة الزاعمين المذكورين مثعي بن هدبا، وهو رشيدي من أبناء عم الرجلين وهو والد مشلح بن هدبا الذي هو دليلة الملك عبدالعزيز في شرقي نجد وشمالها، فعذلوهم على أداء الصحيح فاصروا على ما قالوا سابقا، فقال جابر بن صباح يا عبدالعزيز هؤلاء رجاجيلنا بني رشيد صدقان ما يكذبون علينا[١]، فحينئذ انفعل عبدالعزيز وكان متأكدا انهم كاذبون لما رأى أن ذلولهم سمين بدين ولم يطوها طول السفر، فخلع عباءته من ظهره على الشداد ونزل من المطية مترجلا على الأرض وعمد الى الرديف فأخذ برجله وجذبه من الذلول جذبة منكرة، ثم قاده بشعر رأسه وأبعد به عن الجيش، حتى أتى به على شجر ملتف فأخذه برجله وصرعه على الأرض ثم وضع رجله على صدره وسحب الفرد من بيته وهو معلق على جنبه ثم ضرب برصاصها

(١) نهاية ص ١١٢ من المخطوطة

الأرض بثلاثة انداب، يوري من يراه أنه قتله، ثم قال له متهددا إن كان تحرك منك يد أو رجل أو صوت رجعت اليك وقتلتك شر قتلة، فحينما لقنه هذه الكلمات رجع على صاحبه الذي على البعير والفرد في يده فقال انت نظرت بعينك اني ذبحت رديفك، ووالله لئن لم تعطني الصدق لالحقك برديفك، وكان يقول له هذه الكلمات وهو مصوب الفرد الى دماغه، فقال الرجل من فوره فقال: يا عبدالعزيز عطني الأمان على أهلي وحلالي فهم مع العرب الذي انتم قاصدينهم، فاعلمك بالصدق، فأعطاه الأمان على أهله وحلاله فجعل الرجل يقصد عليه أسماؤهم ومنازلهم وقلهم وكثرتهم، وهم بهذاك المكان فقنع، واقتدى بعلمهم، ومشوا على ذلك وكان دليلهم في تلك الفجاج المذكورة مثعي بن هدبا الرشيدي، وكان له فريق من عشيرته مجاورين للدويش، فأراد أن يبعدهم عن طريق العرب شحا بعشيرته بان يقول اشتبهت علي الأرض يا عبدالعزيز بالليل، واخاف اخطي مكان العرب، ففطن له عبدالعزيز فتهدده واقسم له بالله إن طلع الفجر ولم نصل العرب إني لأعدمك، فلما تهدده عبدالعزيز بهذه الكلمات القاسية اذعن ومشى سويا حتى أوردهم العرب، فصبحوهم واجتاحوهم وقتلوا منهم قتلى كثيرة وكان من بين القتلى سبعة فرسان كلهم من الدوشان، ثم انقلبوا جميعا الى الكويت ظافرين منتصرين وكانوا حينما خرجوا من الكويت والقيادة بيد جابر الصباح قد عقدها له والده الشيخ مبارك الصباح رسميا ولكن جابر حينما رأى من عبدالعزيز الكفاءة الفائقة والرأي السديد فاطلق القيادة بيده، وكان لها أهلا، ولا بدع في ذلك فقد تجافى جابر عنها مختارا غير مجبر وايم الله انه اعطى القوس باريها، فهو والله منطبق عليه قول شاعر

العرب حينما كان مقيما عند الفرس ورأى تجهيزهم الهائل لغزوهم العرب يوم وقعة ذي قار المشهورة وكان اكثر من حضرها من العرب هم بني شيبان حينما التجأت اليهم الحرقة بنت[١] النعمان بن المنذر فكان كسرى مجد في طلبها منهم، فلم يسلموها له فصمم على حربهم والايقاع بهم فارسل اليهم شاعر العرب المقيم عندهم بهذه القصيدة يحضهم على الصبر والثبات وأن يقدموا لقيادتهم رئيسا غذته الحرب بلبانها وجرب حلو الأيام ومرها فقال:[٢]

قوموا جميعا على امشاط ارجلكم ... واستشعروا الصبر لا تستستشعر الجزعا
وقلدوا امركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به جزعا
ما زال يحلب هذا الدهر اشطره ... متبعا في ورده طورا ومتبعا
حتى استقامت على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم يكاد حشاه يقصم الضلعا

ولعمر الله إن هذا الوصف منطبق على عبدالعزيز، وانه لحاو لهذه الخصال كلها، فقد صحبته في عدة من مغازيه وقد رأيت منه ما هالني من الجراءة وإحكام التدبير، فكان رحمه الله شرادا ورادا فهو إذا رأى الوردة على عدوه فرصة سانحة ورد، غير هياب ولا جبان، وإن لم ير الورود على عدوه لن يأتيه بنصر ونتيجة احجم عن عدوه، أو أبعد عنه، وسيأتي عنه تفصيل بعد هذا، كل يعرف ويعترف لمهارته وحسن تدبيره في الحروب. ثم إننا نرجع الى متابعة القصص فنقول انه لما استقر في الكويت راجعا من غزوته التي فصلناها آنفا، استأذن

---

[١] نهاية ص ١١٣ من المخطوطة
[٢] للشاعر لقيط بن يعمر الايادي

من الشيخ مبارك الصباح بالرجوع الى أوطانه وعاصمة مملكته، فأذن له وساعده بما سمح به ثم ظهر من الكويت قاصدا بلاده ودخلها وكان قد تيقن أن خصمه عبدالعزيز بن رشيد لم يتوجه الى الجنوب غازيا له، لمارأى من العواكيس والأتعاس التي مني بها، وكانت تقول العرب امرؤ من غير حظ شقي، أيضا وتشقى رعيته بشقاوته:

اذا كان عون الله للمرء مسعف	تهيا له من كل شيء مراده
فان لم يكن عونا من الله للفتى	فأغلب ما يجني عليه اجتهاده

صدق رسول الله إن من الشعر لحكمة، ويقول أبو الطيب المتنبي في هذا المعنى، هذا البيت:

وهل ينفع الجيش الكثير التفافه	على غير منصور وغير معان

وكان أهل شقراء قد اخرجوا اميرهم كرها واسمه محمد الصويغ وقد نصبه عندهم عبدالعزيز بن رشيد وذلك حينما أرادوا صداقة عبدالعزيز بن سعود ومقاومة خصمه عبدالعزيز بن رشيد لما رأوا من غلظته وفظاظته على رعاياه ومعهم خاصة[١]، فلما خرج من بلد شقراء عمد إلى أهل وشيقر فدخل عندهم ولم ينالوه بسوء ومكث عندهم بضعة أيام كان يتجهز ليلحق بابن رشيد في بريدة، فارسل اليه مشاري العنقري وهو امير بلدة ثرمداء من لدن عبدالعزيز بن رشيد وقال له اخرجوك بني صليب من بلدهم وكان يقصد بهذا اللقب لأهل شقراء قول حميدان الشويعر حيث يقول:

بني زيد قبيلة اوي والله من قبيلة	لولا ان فيهم من صليب طبوع

---

[١] نهاية ص ١١٤ من المخطوطة

فأقبل علي وانا أبو عبدالرحمن، المزبن عندي، فحينئذ حول وجهه نحو العنقري وتوجه مع رسوله الى ثرمداء ونزل بها هو ومن معه من خدامه، ثم أهل البلد رأوا منهم ما يكرهون ومن اميرهم مشاري أيضا من الظلم وتسخير الناس لخدمة مشاري وخدمة رجاجيل ابن رشيد الذي ادخلهم مشاري معه في البلد فكانوا كانهم محصورين في البلد، وكان يوجد في البلد حمولة يسمون ال يوسف وكان لهم نفوذ في البلد فتشاوروا مع كبار أهل البلد سرا واتفق رأيهم على انهم يرسلون رجلا يثقون به الى الإمام عبدالعزيز بن سعود فيطلبون منه سرية يبعثها لهم ويدخلون البلد، وكانوا قد بعثوا له خط من الجميع خفية عن مشاري وعن الصويغ ومن معه من رجاجيل ابن رشيد وكانوا قد ضمنوا له في كتابهم انه حينما يسمعون بقدوم السرية يثورون على من عندهم ففعلوا، فقد حصل بهجومهم هذا نادرة غريبة، فمن ذلك انهم اتفقوا مع الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وكان هو قاضي البلد وإمام مسجدهم بأنه يطيل القراءة في صلاة الفجر، واتفقوا مع نائب المسجد أيضا انه حينما تقام الصلاة ويكبر الإمام تكبيرة الاحرام بأنه يغلق باب الخلوة على الجماعة، وان الإمام يطيل القراءة، وكان مقصودهم من ذلك انهم متى هجمت السرية التي يرأسها مساعد بن سويلم فإنهم يشغلون الجماعة ويصدونهم عن مدد مشاري ومن معه، وكان الناس في ذلك الوقت في شتاء قارص ويصلون بالخلوات فشرع الإمام بعدما قرا الحمد بسورة الواقعة وكان يصلي وراءه رجل يدعى ناصر البقعاوي وكان معه شيء من الجنون، وتارة يأتي بكلام مصيب ما يأتي به العاقل، فلما قرأ الإمام تلك السورة قال يرد عليه وهو في

صلاته والله يالخاين ان عندك علم من الواقعة قبل اليوم هذا، والبنادق تشتغل على سرية ابن رشيد في قصرهم، فامسكوهم جميعا من صبيحتهم وقتلوا امير السرية محمد الصويغ ومعه رجال، ثم امنوا الباقين واطلقوا سراحهم بعدما قبضوا سلاحهم، وأما مشاري فإنه وقع اسيرا وارسلوه الى الرياض فحبس في دباب، حتى مات[١] وكان يعرف هذا الدباب بدباب العنقري عند أهل الرياض وغالب أهل نجد، فكان بعدها كل من غضب عليه عبدالعزيز غضبا شديدا أمر به أن يدخلوه دباب العنقري، وبعد ان اخضعت ثرمدا لولاية الملك عبدالعزيز تتابعت مدن نجد كلها بهذه الصفة رغبة من أهلها طائعين غير مكرهين، وكان فتح اغلبها فتحت باعجوبة مثل هذه، كلها بهذه الصفة أو قريب منها، حتى دخلت في حوزته وكان منها بعض المدن لو أراد الامتناع لأمكنه ذلك ولكن الناس راغبين في ولايته وكان يفتحها بلدة بعد الأخرى وينطبق على مكانة حظه قول المتنبي حيث يقول:

فتتابع الأزمان في الناس خطوه لكل زمان في يديه زمام
ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وإيهامها فيما يريد قيام

وهكذا مسيرته في نجد كلها حتى أكمل فتوحاته بالتعاون مع أهل البلدان نفسها، ثم إنه لما كملت له الولاية على الجنوب كافة ما عدا المجمعة، فهي متحصنة وبها سرية لعبدالعزيز بن رشيد وبقيت في حالة حرب مع عبدالعزيز بن سعود حتى إنه بعد قتل عبدالعزيز بن رشيد في شهر صفر من عام ١٣٢٤هـ دعاهم عبدالعزيز بن سعود بأمان فامتنعوا عن طاعته وكان

[١] نهاية ص ١١٥ من المخطوطة

عندهم سرية لعبدالعزيز الرشيد وعددها تسعون رجلا، وكان بعد قتلة عبدالعزيز بن رشيد يعطونه الطاعة ويدفعون له الزكاة ويدفعون له الجهاد من ضمن أهل نجد، غير انهم مشترطين عليه أن يكون بعيدا عنهم ولا يقرب بلادهم، فقد [طلب] من عبدالله بن عسكر امير المجمعة أن يواجهه ويتحدث معه بما يرضيه فقال في ذلك ابن عسكر متمثلا:

قال الزكاة وقلت ذا ابرق حمر	قال الجهاد وقلت هذي دراهمه
قال المواجه قلت عدلاة القطر	من هاش دون العمر محد بلايمه

فأصرت من ذلك الحين حتى سنة ١٣٢٦ من الهجرة وعلمت أن الرشيد تقاتلوا بينهم وأن ظلهم على حكم نجد سيتقلص، وأن سلطانهم على نجد قد وهت اركانه، وقارب العدم بعد الوجود، فسبحان العزيز في ملكه القوي بسلطانه في كل زمان ومكان، فبعد ذلك سلمت لعبدالعزيز بن سعود واشترطوا عليه الوفاء بكل ما تضمه صحيفة الاستسلام فمن ذلك انهم أول ما شرطوا عليه أن رجاجيل ابن رشيد الذين عندهم يفسح لهم فيسافرون الى حايل بأمان ويحملون كل ما ملكوه من مطية أو سلاح، فوفى لهم بذلك الشرط، والشرط الثاني أن كل من دخل[1] في حوزتهم ممن اجرم مع عبدالعزيز بن سعود أن يشمله أمان بلادنا وان كل غائب من أهل بلادنا في الكويت أو في نجد أو في الحجاز سواء مجرم أو محسن فإنه يدخل في هذا الأمان، فكتب لهم عبدالعزيز الصحيفة بكل ما شرطوه ووفى لهم، ودخل بلادهم وأكرموه، كما أن الكرامة تليق بجنابه فبعدما اخضع بلدان الجنوب كلها يريد الاستيلاء على القصيم فوصل الى الزلفي يوم تسعة من رمضان سنة ١٣٢١هـ، ثم ذكر له

---

(١) نهاية ص ١١٦ من المخطوطة

أن رجاجيل لابن رشيد في قصر الدويحرة فأرسل لهم سرية فقتلهم جميعا وكان عددهم ستة أشخاص ورئيسهم رجل من شمر يدعى عقاب السدحان، وكان يومئذ عبدالعزيز بن رشيد في قصر بريدة ولكنه قد تفرقت عنه جنوده وضعف وكانت خيله وجيشه كلها هزيلة ما تنجده وكان عبدالعزيز بن سعود حينما نزل بلد الزلفي معه جند عظيم كثير العدد ولكنهم ليس معهم جيش فاغلبهم من يمشي على رجليه، وكانت هذه السنة مجدبة قاحلة على نجد كله، فلما أراد ان يرتحل من الزلفي نادى مناديهم بالرحيل قائلا كالمعتاد حوفوا على جيشكم فجاوب المنادي رجل من اقصى القوم بان قال حوفوا على نعالكم بدلا من جيشكم، فكانت الأرض شهباء مغبرة فارتحلوا بعدما أقام على الزلفي مدة أيام فقتل اميرها من قبل ابن رشيد واسمه محمد الراشد قتله ابن عمه عثمان الراشد وتولى الإمارة بعده، ثم إن عبدالعزيز بن سعود كاتب أهل القصيم وهو في الزلفي وخصوصا أهل عنيزة ويطلب منهم ان يسمحوا له بالقدوم عليهم بمن معه من جماعتهم ال سليم، فردوا عليه قائلين حنا في ارقابنا بيعة لابن رشيد، وهذا هو في بريدة قريبا من منزلك فإذا غلبته أو قتلته دخلنا في طاعتك، فلم يرضه جوابهم ولم يقنعه ذلك فأرسل من فوره نجاب لمبارك الصباح في الكويت يخبره بما وقع ويطلب منه ان يصادر أموال أهل عنيزة المجاورين عنده في الكويت، وأن يقبض على مواشيهم التي عند مطير فامتثل كتاب عبدالعزيز، فكان ما قبضه من المواشي ما يقارب عشرون رعية، كلها لأهل عنيزة فبعضها في الجهراء وبعضها في الصبيحية، ثم إنه حبس أهلها عنده

في الكويت، وقد افادني رجل من أهل عنيزة من المحبوسين يدعى عبدالله المحمد الربع بأنه قال : بينما كنا يوما جالسين في حبس ابن صباح اذ دخل علينا الأمير جعيلان بن سويط شيخ الظفير محبوسا معنا، فاستكبرنا ذلك لأنه رئيس كبير، وهانت عندنا مصيبتنا فالتففنا حوله نسلم عليه ونسأله عن السبب الذي دخل الحبس من أجله، فقال من فوره مجيبا لنا : هذا أبا السمك يعني الشيخ مبارك، يقول ان صالح البسي من أهل بريدة يشتري في بيوتكم إبلا للبسام وقد كمل[١] في مشتراه ثمان رعايا، ابيها تجيني هي وصاحبها الذي اشتراها، فكان يبينا نسلم له ضيفنا الذي بوسط بيوتنا وهو ما درى اننا ذبحنا ولدنا عند جارنا، ! وقصته في ذلك مشهورة في عموم الجزيرة وما والاها، وكان المؤلف يفهمها تماما وذلك أن امراء الظفير وهم ال سويط وهم صنيتان وجعيلان وحمود هؤلاء إخوان اشقاء واكبر الإخوان الثلاثة وهو الرئيس على الظفير كافة فصدف ان لهم جيرانا من بني خالد ورئيسهم يومئذ عبدالله الفارس بن منديل، وله ولد اسمه برغش فأراد الله ان يرى ولد صنيتان بن سويط يتجهز للغزو على قبيلة عنزة فاستأذنه ولد عبدالله بن منديل المذكور ـ وهؤلاء القبيلة من بني خالد وهم اخوال عبدالله بن عبدالرحمن السعود اخو الملك الراحل ـ فأذن له ورحب به، فغزوا جميعا، فأغاروا على قبيلة عنزة واخذوا ابلا كثيرة، فاراد ابن صنيتان ان يأخذ من اباعر ابن منديل قسم كما هو المعتاد بينهم مما يسمونه العزل، فامتنع ابن منديل قائلا انا شيخ مثلك وانا الذي اعزل على جماعتي وانت تعزل على جماعتك. فتفاقم بينهم النزاع حتى زين له الشيطان قتل

---

[١] نهاية ص ١١٧ من المخطوطة

ابن منديل فقتله، وكان هذا المقتول هو رزية ذلك الغزو، فلما قدموا على أهلهم وعلموا بالمقتول، قامت نساء بني خالد وهدمن بيوتهن واخذن ينادين بالويل والثبور لانهم جيران مستضعفين بين هذه القبائل، وبعد يومين من يوم المصيبة رحلوا وعمدوا الى الجنوب يريديون مطير، و أما الولد القاتل فإنه استراب ثم اختفى بمكان مجهول، فلما كظ مجلس ابن سويط بالرجال كعادته من أصحاب واجناب قامت ام الولد القاتل وهي زوجة صنيتان فتكلمت بين الرجال بصوت رفيع وقالت يا صنيتان والله لئن ماقتلت ولدك وبيضت وجهك عند الناس والله يا نساءك فلا يتجوزونهن الرجال، ولا يجيك المضيوم زابن بيتك، فإن كان ما صاحن السويطيات على ولدهن مثل ما صاحن الخالديات على ولدهن فإنك لن تفرح بالعز بعدها، وهذه المتكلمة هي ام الولد القاتل وهي التي تحرض أبيه على قتله، فلما انقطع كلامها وكان من قبل متأثرا في نفسه وناقم عليها فمشى من يومه الى اخيه حمود : أن اقتل الولد لتبيض وجوهنا حيث إن يدي لن تجترىء على قتله، فقال له أخيه حمود اخشى يطول الزمان أو يجيء شي يحول بيني وبينك، عينت فلان في بطنك، فواثقه صنيتان على الوفاء مع أخيه حمود مدة حياتهم، فبذلك جسر حمود على قتل ولد أخيه، ثم إن حمود نقب عن مكان اختفائه فوجده مختفيا في بيت عمته فقتله، وكان يثاري بقتلة جارهم، "ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون "[١] وبعدما علموا بني خالد بقتل السويط لولدهم رجعوا ونزلوا معهم وقالوا الآن حيا ولدنا وكأنه لم يقتل ولم يمت ولم نفقده، وفي ذلك يقول الشاعر حينما

---

[١] نهاية ص ١١٨ من المخطوطة

حينما ذكر من وفاء العرب دون ان يلصق العار بهم وفرارا من المسبة بأن قال:

والطايلة كسبها السويطي صنيتان من دون جاره صار للشبل ماحي
يوم انتهض فرخ من الوكر سكران صاده حمود وبرقعه واستراحي

وهي في قصيدة صدر الكتاب .

ونرجع الى خطاب أهل عنيزة للملك عبدالعزيز فكان منه ما ذكرنا سابقا، ثم ارتحل من الزلفي ودخل الرياض فتعيد فيه عيد رمضان، فأقام فيه شوال كله وأول شهر القعدة ثم إنه خرج من الرياض في آخر شهر القعدة فواعد غزوانه على البرة وكنت أنا مقيما عند هذال بن فهيد الشيباني في موضع يقال له خبرا البرزات فورد عليه كتاب من عبدالعزيز بن سعود مع خادم له يدعى شداد الدغيلبي ثم إنه تناول الكتاب من المرسول ودفعه الي لاقرأه عليه وكانت كتابا ملفوفا بدون زرف[١] فقرأته عليه وإذا هو يقول

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب المكرم الأمير هذال بن فهيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد حنا بان لنا عرب مجتمعين من مطير ومن العجمان، فإن كان انك تحب أن تخاوينا للغزو معنا فالله وعدك البرة، بعد قرائتك كتابنا هذا بثلاثة أيام، وأنت نازل في البرة تنتظرنا أو تجدنا فيها قد

---

[١] ظرف

سبقناك إليها، وأنت عجل المرسول علينا الذي أتاك بكتابنا، فحنا معجلينه يجينا بالجواب منك فوق البرة، ومنا السلام على جهز، ودم سالم والسلام. ثم إنه من ساعة ما قرأت عليه الكتاب استدعى بذبيحة وذبحها للضيف المذكور فما وجبت صلاة الظهر إلا والمرسول المذكور قد قرب مطيته بعد أن فرغ من

الغداء فاستدعاني هذال في ذرى البيت وهو مكان خال من الونس فقال لي اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

من هذال بن فهيد الشيباني الى حضرة المكرم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، كتابك الشريف وصل وفهمت ما فيه، تذكر انك تدعيني على المغزا برفقتك، فافيدك اني مالي رغبة في المغازي مع الحكام وتحت بيارقهم، وانما رغبتي أن يكون مغزاي منفرد وحدي، وها انا إن شاء الله ثالثة الليلة من تاريخ كتابكم لنا وانا مثور غازي على قحطان على حصاة[١] ابن حويل وسلم لنا على محمد ودم سالم والسلام .

فشمعت الكتاب ومددته لهذال ومده بيد مرسول ابن سعود وأمره ان يحث السير حتى يصله، ثم قال له الرسول انا لا اعلم وش بالكتاب ولكني إذا واجهت الإمام قبل أن يقرأ الكتاب، أبشره انك خوي له أو لا ؟ فقال له هذال لا تبشره والبلغة

---

[١] نهاية ص ١١٩ من المخطوطة

بالكتاب، فقام اليه وديد الجلاوي وهو من ابناء عم هذال القريبين منه، وكان ينادي هذال بعمي فاخضع عليه وسلم على رأسه وقال يا عم ابيك ترخص لي اغزي مع ابن سعود، فقال له هذال مرخوص، فمشى من صبح الغد بأربع ركائب لا غير ويقود فرسه، فوافى ابن سعود فوق البرة، فلما استخبر الإمام اين يريد فقال له حنا فوق الفيضة، فمشى معه وصبحوا حسين الجراد وسريته ومعه حرب بني سالم ورئيسهم ماجد بن مضيان، فاخذهم وقتل منهم خلق كثير من الرجال والخيل وانهزموا هزيمة منكرة وجعل الله في حضور وديد خير وبركة على قوم ابن جراد فكان هو ومن معه من الفرسان يمنعون ولا يقتلون بل انهم يرشدونهم على شعاب يسلكونها تبعدهم عن جنود ابن سعود، ويقال انه منع ما يقرب من ماية وخمسين كل سلامتهم من الله ثم من أسبابه، فأتوا الى ماجد الحمود الرشيد في عنيزة وكلهم يعترفون بالبيضاء لوديد الشيباني لما كانت سلامة ارواحهم على الله ثم عليه . وكان هذال قتل في مغزاه ذلك، قتلوه قحطان، فوافى قتله في اليوم الذي عبدالعزيز قتل ابن جراد في يوم واحد وهو اليوم الذي قتل فيه هذال، كلهم قتلوا في يوم ٢٦القعدة سنة ١٣٢١هـ، فلم يعلم وديد عن قتلة عمه هذال الا حينما وصل الينا، فاخبروه بقتلة عمه وعزوه به، وكان وديد قد غادر الإمام عبدالعزيز قبل أن يصله خبر مقتل هذال، وحينما استقر وديد عند أهله مدة يومين اذ ورد عليه كتاب من الإمام يعزيه بقتل عمه هذال، وكذلك ورد لجهز كتاب من الإمام يعزيه بوالده هذال، أما كتاب وديد فقد قرأته عليه وهو يعزيه فيه كالعزاء المعتاد، وزاد في الكتاب قوله كلمة مبهمة يقول في آخره (ثم اذكر دعوة الرجال عليه)

فسألت وديد عنها فقال لي: انا اخبرك عنها وهو اني حينما سلمت على الإمام قال لي: هو عمك يبي يغزي معنا أو مهب غاز معنا ؟ فاخبرته بما اعلم من عمي، فقلت له: يبي يغزي على قحطان، فقال الله لا يرده من غربته . وقرأت كتابا اخر من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ابن الشيخ يعزي جهز بفقد والده هذال ويقول له في اخر كتابه[1] عسى الله أن يتغمده برحمته، يوم المنية مندفعة وهو يبول من فخذه ولا ضره ذلك، ويوم المنية حقت ما دفعها شيء وهذا يومه الموعود، فصدق له جهز بكلامه انه يبول مع فخذه، وقد اقمت في بيته أربعة شهور لطلب لي عليه، فكانت كلها مضت أيام أعياد، لما رأيت منه من الحشمة على صغر سني يوم كنت عنده وعمري ١٨ سنة لا غير، ومنها أني احضر في مجلسه ولا اغيب عنه دائما، وانا استفيد من حضور فرسان نجد وشجعانهم وشيخانهم عنده، واستمع حديثهم بالفروسية وكلها بين غزينا وانكفنا وبين قلعنا وظعنا وبين أخذنا وأُخذنا وكانت الروايات والقصص تفوه من افواههم بنكت وعجايب، وكان هذال كريما شجاعا لا يباريه أحد لا في الكرم ولا في الشجاعة لا من عتيبة ولا من القبائل الأخرى، فقط يذكرون الناس ان خلف بن ناحل هو نادرة حرب بالكرم، كما ان هذا هو نادرة عتيبة بالكرم وهو من شيوخ بني سالم من حرب ويندر كرمه في قبيلته وكان هذال معطافا متلافا يعطي الخيل والجيش والابل، ومن مغازيه غزا يوما على حرب واخذ عليهم ابلا واغناما كثيرة فأتته امرأة من أهل الغنم فقالت: (الحذية يا هذال، ارفدني يا خوي هملا من حلالي هذي غنمي التي تساق) وأشارت الى رعية من إحدى الرعايا فقال

[1] نهاية ص ١٢٠ من المخطوطة

لها : الحقي غنمك ثم الله عطاك ما لزمت يديك ولو حضنتيها كلها حضنا، فأخذت تجمع رؤوس الغنم بأيديها وتضمها على صدرها فإذا رأتها قليلة أفلتتها تريد أن تضمن أكثر منها فتكررت منها مرارا وهو واقف ينظر ويضحك والغنم محجوز أولها عن المشي فلما فحمت وتعبت، قال سوقي الرعية كلها لك فاخذت تأخذ اقدامه وهو راكب على مطيته فتقبلها ثم شكرت له وساقت غنمها، فمن كرمه انه لا يذبح للضيف واحدة، إلا اثنتين فاكثر، ولو كان الضيف واحد ولم يذكر عنه ان ذبح لضيفه شيء من المعز ذكرا كان أو انثى، وقد شاهدت مقدم بيته وهو ينطف من الدهن وذلك أن عادة الأضياف متى فرغوا من اكل طعامهم عمدوا الى مقدم البيت يمشون أيديهم فيه فيكون الدهن تحته كالحبل الممدود، و أما فروسيته فحدث عنها ولا حرج عليك فمن ذلك ما شاهدته بعيني فقد حدث ذات يوم والعرب يرحلون وكانوا نازلين في نفود قريبا من ماء يسمى دلقان فإذا بالصايح يرفع صوته عند عرب من بني عمر ورئيسهم حبيليص بن عديس، وبجوارهم فريق من الدغالبة ورئيسهم اسمه[1] سعود بن وران، وبيننا وبينهم كثيب رمل عال يحجب الأنظار، فما راعنا الا والقوم ينحدرون علينا من الكثيب ولم يعلموا بمنزلنا هذا حتى خالطونا وقد غنموا إبلا وهم يسوقونها، أما جيشهم فلما رأى هذال وعربه انهم خالطوهم ركبوا على ظهور الخيل من ساعتهم، فلما رأوا انهم خالطوا العرب تركوا الإبل التي غنموها من موقفهم ذلك، واقتصرت فتنتهم لحماية انفسهم، وكان عدد خيل هذال الذين كروا معه خميسن فارسا، وكان الغزو المذكورين يقال لهم

(١) نهاية ص ١٢١من المخطوطة

الغيثيات من قبيلة الدواسر، وكان هذال لما ركب على فرسه أمر على خيله بالركوب، ثم أ مر على الجيش أن يركبوا جيشهم ويحملون معهم قرب من ماء ثم يقفون أثر الخيل، ثم تتابعت الأفزاع من عرب هذال ومن العربان المجاورين له، فلما علم الغزو انهم واقعين في خطر داهم عمدوا على جيشهم فقرنوه بأرسانه وجعلوا كل اربع من الركاب في قرن واحد، ونزلوا أهله عنه يمشون على اقدامهم خلف جيشهم، وعن يمينه وشماله وبأيديهم البنادق والخناجر، وكانوا يزرفون وراء جيشهم، ثم افترقت خيلهم يمين الجيش وشماله ليحمون جيشهم من جوانبه، وأما هذال وفرسانه الذين معه، فهو صبر عن الكر عليهم حتى تكاملت افزاعه عنده، فجمع خيله وجعله كردوسا واحدا ثم إنه أمر على أهل خيله بان قال لهم: ترانا نبي نكر على جيشهم كرة واحدة ونضربه من الخلف حتى نشطره شطرين، والحي منا لا يقف إلا أمام الجيش، ومن مات منا فهو مرحوم، وكان عدد غزو الدواسر ثمانين مطية وثلاثين فارسا، ثم إنهم فعلوا ما أمرهم به هذال، فدفعوا انفسهم كردوسا واحدا فشطروا الجيش شطرين على ما يريده، ولكنه في كرته تلك هو وفرسانه سقط من فرسانه سبعة، منهم ولده جهز، أصابه سهم في رجليه الثنتين على قلب فرسه، فماتت الفرس من ساعتها وسقط هو على الأرض مكسورة رجليه، ومنهم ثقل بن رويفع مكسورة فخذه، ومنهم خدر بن سعيني قتيل، ومنهم اخوه دحيم بن سعيني، كسرت رجله، ومنهم هلال بن مصلح قتيل، وهذال هو عم المذكور، وغيرهم[١]، ومراد هذا حينما

[١] نهاية ص ١٢٢من المخطوطة

أمر فرسانه أن يشطروا الجيش شطرين يريد تعويقهم حتى يلحق بهم جيشه فحصل له ما قصد، وكانت خيل الدواسر تطارد خيل هذال حتى لحق بهم جيشهم الذي لحقهم من خلفهم، وهم المدد، وكان عددهم ما يزيد على تسعين ذلول وبايديهم البنادق، وكل ذلول برديفها، وقد وقع من الغزو عدد كثير بين قتيل وجريح، وقتل من خيلهم خمسة أفراس، فلما أمر هذال على جيشه وخيله أن يحيطوا بهم من كل جانب ففعلوا، فحينئذ علموا أن لا مفر لهم من أن يطلبوا المنع من هذال فابتدرهم هو وناداهم بالمنع وأول من انقاد الى المنع أميرهم ومعه عدة جيش من أصحابه وتتابع الباقون فامتنعوا، وكان هذا المنع هو ان ينادي المتغلب ويقول للمغلوب لك وجهي وأمان الله أن تسلم من القتل مني ومن قبيلتي وما كان معك من ذلول أو فرس أو بندق فهي لي فيمتنع على ذلك، فهرب من جيشهم ما يقرب من عشرين ذلول، واثنى غشر فرسا، وما بقي عن هذا العدد من خيل وجيش فقد سقط بيد هذال وجنده بين قتيل وأسير، ثم رجع الى البيوت ومعه الأسارى ثم عمد الى ثنتين من الابل ونحرها للأسارى ولجماعته، ثم قال للأسارى: يا دواسر اليكم جلود الابل حينما تسلخ فصلوها لكم نعالا تحتذونها الى أهلكم، وها انا قد ابرزت لكم جملين من شدائد أهلي التي يرحلون عليها، وساحمل لكم فوقها زادا وماء، وهذا ابن عمي هميلان بن فهيد، يمشي معكم الى أن تصلوا أهلكم ثم تردون جمالي علي مع ابن عمي، وليس لكم فيها طمع، فقالوا نفعل ما ذكرت وليس لنا فيها معروف بل المعروف يعود لك علينا، فحينٌ من ضيفتهم لبسوا حذائهم التي احتذوها من جلود الابل

وساقوا الجملين ومشوا هم وهميلان، وبعدما مضى اثني عشر يوما رجع هميلان بالجملين ولم يلحقها كلل، وهميلان هو والد نوار الملحق بحاشية الوزارة السابقة، ولقد شاهدت بعيني جميع ما سطرته بكتابي هذا، ومن شجاعته انه حينما كر على غزو الدواسر هو وفرسانه الذين معه كان بيده بندق ميزر ام حبة واحدة فرمى بها ثم نشبت الصفرة ببطنها فحذف بها على الأرض، ومشع سيفه فكان يضرب بها الفرسان برؤوسهم، فقد امتاز بالشجاعة والكرم فلم ينكر ذلك أحد حينما يعرض ذكره في المجالس[١]، واذكر للقارىء عنه خصلتين حميدتين وقد شاهدتها كلها بعيني فالأولة منها انه يحافظ على صلاته هو ويأمر جماعته بالصلاة مع الجماعة ويعاقب الذي يتخلف منهم عن الصلاة مع الجماعة، وكان عنده إمام مخصوص من أهل الدوادمي يسمى عبدالعزيز بن شعلان، وكان ملازما له في حضره وفي سفره، وكنا إذا رحلنا معه حينما يأمر بالرحيل، فإنه إذا أراد النزول أناخ راحلته هو ومن معه مما يسمى السلف قبل ان تأتي الظعائن، ثم يقوم هو بنفسه ويخط المسجد بيده قبل كل شيء، ثم يعين لذويه كل منزله، بأن يقول يا فلان هذا مكان بيتك، وانت يا فلان هذا مكان بيتك، فكل منهم يعرفه بمنزله فينزل فيه ولا يتعداه الى غيره، وأما الخصلة الثانية الحميدة فهي عفته عن حلال الحضر كلهم، فلا ذكر أنه طمع في مال أحد من الحضر ولا مرة واحدة، وانا بنفسي من جملة ما أخذ حلالي مني، بندقي وذلولي وعشرين جنيه عصملي

---

[١] نهاية ص ١٢٣من المخطوطة

في خرجي وكلها ردها علي، ولم يكن في وجهه مني شيء يلتزم به، وكنت مرة جالسا عنده في مجلسه اذ أتاه رجل من أهل مرات القرية المعروفة، ويسمى الرجل سعود بن داغر، فوقف على رأس هذال وقال له يا امير : حمارتي اخذها رجل من عربكم اسمه هليل بن غلاب، اعطني إياها يا هذال فقال له هذال ليس بوجهي منها لزم فأديها لك، فقال الرجل بلى لي عندك خوة يا الأمير، فقال له ومتى هذه الاخوة جتني منك، فقال له الرجل هي أخوة الإسلام، انا اخوك المسلم والمسلم لا يطمع، فما وسعه إلا أن قال له صدقت، ثم أمر على رجل عنده يسمى عليان بن مخيمر وهو دعجاني أن قال له قم ياعليان اطلق رباط الحمارة من بيت هليل وعطها صاحبها، فاطلق رباطها وسلمها لصاحبها، والشيء بالشيء يذكر ولو كان حقيرا، ومن ذلك ان ولده جهز صدف في بعض مغازيه انه قابل أناس من أهل عنيزة ومعهم اربعة الاف ريال، قصدهم يشترون بها أباعر من عتيبة، وكانت الفلوس بيد رجل من مطير يسمى ضيدان الرخل الميموني، فقال ضيدان لجهز هذه فلوس البسام، فقال انت بدوي، ولو انها بيد حضري غيرك ما اخذتها منه، ولكن انت إذا جيتني بخط من ابن بسام إنها حلاله انزل ضيف عندي واقبض فلوسك ولك علي ضمان انها لن تفك توابيك المزاود التي فيها الفلوس حتى أشوف وجهك، فمن ذلك المكان رجع الى البسام وأخبرهم بالخبر، وقد افادني محمد الجريفاني الملقب خزعل إنه قال لي انا الذي ركبت بكتاب البسام الى جهز وابوه هذال، ووجدتهم قاطنين على عشيرة القريبة من مكة، فدفعت اليه الكتاب، فحينما قرأه أمر برد

الفلوس علي وقبضتها على توابيكها لم ينقص[1]، ثم اشتريت بها إبلا من القاطنين على الماء المذكور، فجئت بها الى عنيزة فربحت بها ربحا كثيرا واخذت نصف الربح كما هو المشروط بيني وبين أهلها، وكان جهز في مغزاه ذلك قد أغار على أباعر شمر وهم قاطنين على الدويحرة الماء المعروف بطريق الزلفي للخارج من عنيزة فاخذ منهم ثمانون رعية ولا يعلم انه مضى مثلها ولا من الحكام، ورجع بها الى عشيرة، ثم غزا ابوه هذال وأغار على جيش محمد بن رشيد فوق الكهفة وهي القرية المعروفة بطريق حايل للمسافر من القصيم فاخذه ورجع به الى عشيرة، وخلاصة القول أن هذال هذا شهما نهابا وهابا متلافا ومعطافا، واليك ما قاله فيه من الشعر مخلد القثامي:

بديت ذكر الله على كل الأحوال ... وذكر الرسول مختم به كلامي
سبحان هاديني على رد الامثال ... ومفهم خلقه بخط الختامي
وخلاف ذا يا راكب وسق مرحال ... عملية من قاطعات المظامي
انص الأمير وطقها عند هذال ... لعل عود عقبه للرحامي
وسلم على شيخ من اليل زعال ... وخص الحرار النادره بالاسامي
لزما يقلط لك من البن فنجال ... فيه البهار مخلطات الاسامي
من مكرمات نارها يشعل اشعال ... ما يهتني عمالها بالمنامي
مع منسف من فوقه الصفو زلال ... عليه من حيل الجلايل ايدامي
في ربعة يبدي لها كل عيال ... مدهل لسمحين الوجيه الكرامي
تلقى اشقر عنه الشياهين تنجال ... وكره شوا هين الهضاب القطامي
صقر تحدر من طويلات الاقذال ... يدير هاجوس بعيد المرامي
شيخ يتل الخيل سمحات الاقبال ... والجيش من حوله جراد تهامي
وان شاف غرات العدا جاه ولوال ... رفرف بجنحانه ورقرق وحامي
كم شيخ قوم زوله عقب الامهال ... بيضه تنوحه نوح ورق الحمامي
وقلط سبوره يوم في الضجى مال ... وجنه عجالى حزب باغتنامي
يا نجد لا ترهب ترى الحرب ما طال ... ترى شراع الحرب ما ساع قامي
ابشر بخيل قب وجموع وعيال ... ما زال أبو سلطان والراس حامي
ودلى يعزلهم ببندق وخيال ... والنشر الأدنى قنعوه العسامي

[1] نهاية ص ١٢٤من المخطوطة

وركبوا عليها في ظهر كل مشوال يردون حوض الموت والموت حامي[1]
وتواجهت عجلات الاقفى والاقبال حمر وصفر مثل بلي العظامي
وعنده الى يبسن الارياق محوال بالمارتين منزحات المرامي
يا نجد والله ما نبيعك بالابدال يا مدهل الشقحا ردوم السنامي
بكرة الى علك من الوسم همال وصار الزهر غاش ردون العدامي
اما تحدرنا من العرض وشمال والا علينا للطلايع ملامي
ضليت للدوشان مربى ومنزال واليوم ذكرك مثل ذكر الحلامي
عابينه لراس المصعفق الى عال الى سيقت العطفة نهار الزحامي
اما كلاب الوبر شينين الاعمال والا مطير اهل الجموع الزوامي
حنا عتيبة ربع الاقفى والاقبال نرمس الى ناسن علينا العلامي
وغاراتنا بادنى حريب على البال ومن ضامنا ما يهتني بالمنامي

انتهى كلامنا عن هذال الشيباني وسيرته . ونرجع الى تاريخ الملك عبدالعزيز بن سعود مع خصمه عبدالعزيز بن رشيد، ثم إنه بعدما فرغ من وقعته على حسين بن جراد انقلب سريعا ودخل الرياض وعيّد عيد الأضحى بالرياض، ثم إنه بعدما فرغ من العيد ومضى عليه خمسة أيام خرج من الرياض واستدعى من حوله من البادية وأغلبهم بادية عتيبة، فلما فرغ من جمع جنوده اندفع الى عنيزة خاصة لأن امراءها وقسم من جماعتهم معه في مغازيه كلها، وكان عبدالعزيز بن رشيد من سوء حظه أنه فرق جنوده كلها وجعلهم سرايا فمنهم من هو مع حسين بن جراد وقد لاقى حتفه ومنهم من جعله مع فهيد السبهان ليكون عضدا لأمراء عنيزة ال يحيا، وأغلب رجاله جعلهم مع ماجد الحمود واخوه عبيد وأمره أن ينزل بالقصيم، وأما عبدالعزيز بن رشيد فإنه بعدما وزع جنوده على هذه

[1] نهاية ص ١٢٥من المخطوطة

الصفة انحدر بجنوده الذين بقوا معه، وكان مقتفيا شمر قبيلته، ويرقبهم حتى يمتارون من العراق ثم يرجع بهم الى نجد، ولكن السرايا التي عددنا كلها أُكلت في مغيبه، أما سرية عنيزة ورئيسها فهيد السبهان فقد قتل الرئيس المذكور وقتل معه عدة من[1] أصحابه، واستمنع الباقون ممن كان في قصر عنيزة فأُعطوا الأمان وسلموا، وأما ماجد ومن كان معه فإنهم نزلوا في محل يسمى الملقى من ضواحي عنيزة واقاموا فيه شهرا تقريبا، وحينما تيقن امراء عنيزة وهم أولاد عبدالله اليحيا حمد وصالح بان عبدالعزيز بن سعود ومن معه قادم على بلدهم لامحالة ومعه السليم امراء عنيزة والمهنا امراء بريدة، لذلك

استدعوا ماجد الحمود من الملقى وأنزلوه على حافة البلد فصبحهم عبدالعزيز بن سعود في عنيزة فما قاتلوا الا مدافعة قليلة ولاذوا بالفرار، وتبعتهم خيول عبدالعزيز تقتل منهم وتغنم ثم إن بقية من نجى منهم لم يثق ان يجلس ببريدة لعلمه أن ابن مهنا وجماعته كلهم مع ابن سعود، فرأى أنهم لا محالة قادمين على بريدة، فاخذ يرتب بالقصر جندا مع اميرها عبدالرحمن بن ضبعان، ويستعدون للحصار ثم هو ينقلب على حايل، وقد جرى ذلك فاحتصر ابن ضبعان في قصر بريدة كما رتبه ماجد، واحتصر معه بالقصر ثلاثمئة رجل بين محارب ومحبوس، وقدم ابن مهنا بريدة بعد ثلاثة أيام من دخولهم عنيزة ومعه جنده، وأما عبدالعزيز بن سعود فإنه ضرب خيامه على حافة البلد وتسمى الجهيمية، وكان دخوله عنيزة في خمسة

[1] نهاية ص ١٢٦من المخطوطة

محرم من ابتداء سنة ١٣٢٢ هـ فاستقر السليم في بلدهم، واستقر ابن مهنا في بلده، ولما كان يوم ١٢محرم ١٣٢٢ انزل الله مطرا عظيما ومشت الأودية وكادت عنيزة كلها [أن تغرق][1] من ذلك المطر، لولا أن الإمام انذر البلد بفارس أرسله على فرسه، يقول لهم جاكم السيل يا أهل عنيزة لأنه ضارب خيامه على شفير الوادي ويرى السيل يجري في الوادي وهو واقف ينظر بعينه، وكان السيل هذا قد دخل البلد بليل قبل أن يقيموا دونه سدا منيعا، وهدم من البلد نحو ٣٤٠ بيتا، وقتل في ذلك الوقعة من الرؤساء من جند ابن رشيد، عبيد الحمود الرشيد قتله عبدالعزيز بن سعود بيده، وقتل رئيس السرية فهيد السبهان وانهزم ماجد ومن تبعه ونهبت خيامه واخذ غالب جيشه فلم ينجو منه إلا الخيل وجيش قليل، وأما من قتل في عنيزة صبرا فعسى الله ان يرحمه فهو وخصمه قادمين على رب كريم وعند الله تجتمع الخصوم، ونقف على ذلك، وفي هذه الوقعة اعتزل ال سعود عن ماجد وهم كانوا قديما عند الرشيد صفة ضيوف مكرمين ودخلوا في حوزة ابن عمهم عبدالعزيز[2]، فمن ذلك اليوم سموا العرايف ولصق بهم هذا اللقب الى يومنا هذا، فيقال للرجل منهم المفرد فلان العرافة ويقال مجمل العرايف ذرية سعود بن فيصل وهو جدهم جميعا واليك أسماؤهم: سعود واخيه سلمان هم ذرية محمد الملقب غزالان، سعود واخيه تركي وفيصل ومحمد وهم ذرية عبدالعزيز وفهد ابوه سعد بن سعود و تركي وسعود أولاد

(١) زيادة يتطلبها السياق
(٢) نهاية ص ١٢٧من المخطوطة

عبدالله بن سعود بن فيصل وقد تربوا في حجر جدهم لأمهم عبدالله الهزاني أمير الحريق في وقته و أما عبدالعزيز بن سعود فهو اخر من بقي من ذرية سعود وهو مقيم عندالرشيد في حايل هو وأولاده بعدما قتل إخوانه الثلاثة في الخرج كما تقدم ذكرهم وقد شهد وقعة الصريف، وهو مع عبدالعزيز بن رشيد وكان ابن رشيد يقتدي برأيه، وهو رجل شجاع، وله رأي صايب، فكان عبدالعزيز بن رشيد يشركه في الرأي ويعمل به، وكان الإمام عبدالعزيز بعدما استولى على عصمة ملكة، استظهر تركي وأخوه سعود من الحريق وأكرمهم وكانوا دائما معه في أسفاره ومغازيه، وكان يواسي جميعهم بنفسه وأولاده وإخوانه، وأول من تزوج منهم، سعود تزوج نورة العبدالرحمن اخت الملك، ولم يمض الا بضع سنين حتى تزوج أربعة من أولاد سعود بأربع من بنات عبدالرحمن، والخامسة بنت عبدالعزيز نفسه، تزوجها تركي بن عبدالله، والحق أقول أنْ أوجد الله عبدالعزيز بن عبدالرحمن رحمه الله لال سعود كافة، فهو الذي لم شعثهم وجمع متفرقهم وانتصر لهم من اعدائهم واحاطهم بعنايته واسبغ عليهم نعم الله ظاهرة وباطنة واشركهم في ملكه، فكثيرا ما يسهر وهم نائمون ويتعب وهم يستريحون، فالشكرواجب لله ثم لعباده الواصلين لرحمهم العادلين مع أقاربهم على السواء، فالله المسؤول أن يرحمه رحمة الأبرار ويسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم إنه بعدما فرغ عبدالعزيز من وقعة ماجد وإخضاع أهل عنيزة لإمارة ال سليم، وجد همته لحصار قصر بريدة، مساعدا لأمرائها ال مهنا، وكان الأمير عليهم صالح الحسن ال مهنا

فزحف عليها وحصر قصرها وطال الحصار فقد دام اكثرمن ثلاثة شهور، وقد نفد ما عندهم من الطعام واكلوا الخيل الذي عندهم في القصر، وكانوا قد نقبوا نقبا في المقصورة الشمالية ينزلون منه[١] بحبال قد أعدوها وربطوها بسقف المقصورة، فكانوا ينزلون في الليل كلما يجدون غفلة، ثم يهجمون على من كان قريبا من القصر، فإن وجدوا طعاما أخذوه أو وجدوا غنما أو بقرا ساقوها وذبحوها تحت المقصورة ثم أمروا اصحابهم وأنزلوا الحبال فزعبوها وأكلوها، وهذا دأبهم طيلة حصارهم، وكان فيهم رماة قلما يخطئون الهدف فلا يرون شيئا يمشي تحت القصر إلا قتلوه، ليلا كان أو نهارا، وكانوا يحمون ببنادقهم ما تراه اعينهم في الصحراء البعيدة عن القصر. ولكن ما فعلوه من الاسباب لم تفدهم نجاحا مع حصر عبدالعزيز ال سعود، فلما ملوا وضجروا من طول الحصار مع ما يطرق لهم من الجوع انزلوا رجلا من شمر بالليل وارسلوه الى قصيبا قرية معروفةوسار يمشي الى ان وصلها راجلا، وحينما وصل اخذ ذلولا من أبناء عمه وركبها ودفعها الى حايل، فلما وصلها وجد حمود العبيد وولده ماجد في حايل، ثم إن الإمام لغم على القصر مرتين، ويقال إنه أشعل من البارود في القصر ما يقارب من سبعين صاعا من البارود، وكلا المرتين والبارود يفتك بالقصر ولكنه لم يصل الهدف المقصود حيث إن بنيان القصر قد جعل على سورين وكل واحد يحيط بالثاني وكلا السورين فيها مقاصير منيعة فكانت الألغام تنسف المقاصير الخارجية، وحينما ثار اللغم الأخير تحفز الناس للهجوم على القصر وأهله وهم يغتنمون السرعة في الهجوم لأجل تحميهم

---

[١] نهاية ص ١٢٨من المخطوطة

الغبرة والدخان، ولكن الواقع أتى بخلاف ما حسبوه، فإنهم كروا هاجمين ووجدوا من وراء المقصورة المنهدمة مقصورة عامرة وبنيانها محكم، فلما وصل الناس هذه المقصورة رموهم من في المقصورة العامرة فاسقطوا منهم سبعة قتلى وجرحى كثيرين، فحينئذ نادى عبدالعزيز في الناس أن ارجعوا وتحصنوا بالبيوت، ففعلوا، ثم إنه بعد ذلك عمل لهم حيلة ليفتحوا باب قصرهم وذلك انه استعد بجريدة خيل تقلد خيل شمر وصفة ركوبهم على الخيل، فدفعهم على القصر كأنهم مدد أتاهم من ابن رشيد، فاحجم أهل القصر عن اطلاق بنادقهم على أهل الخيل، فنظر اليهم رجل من شمر المحصورين في القصر نظرة صدق وتدبر فحلف لمن عنده ان هذه لم تكن من شمر، ولكنكم اطلقوا عليهم الرصاص، ففعلوا، ورجعت ودخلت بريدة من غربيها ففطن عبدالعزيز ومن معه أن الحيلة بطلت، وبعد ذلك وطن نفسه على الحصار بدون أن يزعجهم، ثم إنه ناداهم بنفسه من البيوت وأعطاهم الأمان الشامل على جميع من في القصر وعلى أموالهم، أمانا صادقا ما يقفاه غدر، فلم يذعنوا للتسليم[١]، وبعدها تركهم وما يريدون، أما من جهة مرسول أهل القصر الذي وصل حايل فإنهم قبضوا كتابه وأرسلوه مع نجاب هميم الى عبدالعزيز بن رشيد فوجده النجاب مقبل على حايل فدفع اليه كتاب أهل القصر فاعطاه جواب الكتاب لأهل القصر وشكرهم فيه وشجعهم وحثهم على الصبر وقال في كتابه بعد ذلك، احسبوا لي سبعة أيام بعد وصول خطي عندكم وترون خيلي تفترق عند قصركم يمينا وشمالا بعد ما يكسوكم عجاجها وانتم في قصركم وانا أخو

[١] نهاية ص ١٢٩من المخطوطة

نورة، وإلا فلست نجل متعب، وإن لم يصدق قولي فعلي فانتم مني في عذر واسع إذا سلمتم القصر لعبدالعزيز بن سعود واستسلمتوا له جميعا تحت أمانه، ثم إنه دفع كتاب أهل القصر بيد النجاب وكتب معه لحمود العبيد وهو يومئذ اميرا على حايل بالنيابة عن عبدالعزيز، وقال له إذا وصلك كتابي هذا فاعمل على تنفيذ ما أمرتك به، وهو أنك تنتخب أربعين فرسا من جياد الخيل ويركبها فرسانا مجربين وتدعي سراي بن زويمل وتعطيه فرسك الطويسة، وتدفع كتاب أهل القصر مربوطا بحجر، وتنتدب عددهم، رجال على جيشهم يحملون لأهل الخيل زادا وماء، ثم يجدون السير الى بريدة فإذا وصلوا قريبا منها كمنوا فيها الى الفجر، ثم يتقدم سراي بالكتاب فيفك عنان فرسه حتى يصل الى جذع المقصورة الذي ينزلون منها فيحذف بالكتب تحت المقصورة و أهل القصر يشاهدون ذلك ثم يرجع، وخيله التي معه، تحمي ظهره حينما تفزع عليه خيل ابن سعود، ففعل حمود العبيد كل ما أمره به عبدالعزيز، وأتى سراي الى جذع المقصورة فحذف بالكتاب بالمكان المنصوص عليه مشدودا بحجر كما امر عبدالعزيز بن رشيد، أتى كل شيء على حسابه، فتبعته الخيل حينما انقلب، ورموه أهل القصر قبل أن يعرفوه فأومأ لهم وعرفوه فكفوا عنه البنادق، فرموه أهل بريدة من سطوح البيوت فلم يصبه شيء مما رمي به، ولن يقدر ان يأتي بليل لأن ابن سعود قد أحاط القصر بحراس لا ينامون ومن وراء الحراس اضراب محيطين بهم، فلا يصل الى القصر أحد في الليل، وقد أعمى الله أبصار أهل القصر عن رؤية الكتاب حينما رمى به الفارس المذكور تحت المقصورة فلم يعلموا به أهل القصر ولا يعلمون أهل القصر

عن الفارس بماذا أتى وبماذا رجع، وكان سراي بن زويمل الذي رمى بالكتاب لا يشك أن أهل القصر ينظرون اليه حينما رمى الكتاب، ولكن حظ عبدالعزيز بن سعود وتعاسة خصمه عبدالعزيز بن رشيد قد طمس الله على أ،عينهم فلا يرون الكتاب الذي رمى به هذا الفارس فتطاردت خيل ابن رشيد مع خيل الفزعة وكل منهم رجع مع طريقه الذي أتى منه، ثم إن أهل القصر بعد ثلاثة أيام من هذا الحادث قد[١] أضر بهم الجوع، وفي اليوم الرابع دعاهم عبدالعزيز بن سعود بالأمان كعادته، فأجابوه الى التسليم على شروط اشترطوها، أولها أنهم أمنين على أموالهم ودمائهم، ومنها أن ما كان يخصهم من سلاح وفراش يحملونه معهم، وما كان لابن رشيد يسلمونه لابن سعود، وأن لهم الأمان الكامل مجرمهم ومغرمهم وأن ابن سعود يزملهم جيشا من عنده حتى يصلون معزبهم، فوفى لهم عبدالعزيز كل ما قطع على نفسه وعادته الوفاء، أما الكتب التي رماها الفارس في حائط القصر فإنها بقيت مكانها لا يعلم بها أحد الا الله، وحينما سلم القصر وفتح بابه انتشر أهل بريدة يجمعون الحشيش من تحت القصر ويحصدونه حصادا من جودة نباته لأنه ظل طيلة أشهر الصيف الثلاثة والسماء تجود عليه بأمر ربها مرات عديدة، وهو حمى لأهل القصر لا يرعى فيه سائمة إلا قتلوها، فما راعهم الا رجل يلتقطها (وهي الكتب) وهو يصرم الحشيش فيأتي بها الى صالح الحسن، ولما قراها صالح وهو امير بريدة دفعها الى الإمام عبدالعزيز، فلما قرأها علم ان ابن رشيد قرب مجيئه الى القصيم فاخذ يجهز من حوله من الغزو ويستدعي كل من كان صديقا له من

---

[١] نهاية ص ١٣٠من المخطوطة

البادية، وشرع أهل بلدان القصيم يستعدون لتجهيز غزوهم، أما أهل القصر فلم يسح لهم عبدالعزيز بن سعود بمخالطة أحدا من الناس حتى تم تجهيزهم، وسمح لهم بالسفر وأرسل معهم رجال له من العجمان يدعى حمد بن رثوان ليسلموا له الجيش الذي هو زملهم بعدما يصلون مأمنهم، وكان عدة الجيش ثمانية وثلاثون ذلولا، فوصلوا معزبهم عبدالعزيز بن رشيد حينما وجدوه نازلا بالقوارة القرية المعروفة، فلما وصلوه نزلوا عنده وفرغوا جيش الملك عبدالعزيز وسلموه لخادمه المذكور بعدما كساه عبدالعزيز بن رشيد وخرجه، وكنت انا ممن اصابته قرعته في ذلك الغزو فخرجنا من عنيزة وعددنا اربعمئة رجلا تقريبا واميرنا صالح الزامل بن سليم فنزلنا في ضاحية بريدة محيطين بمرقب يسمى مرقب الشماس، ويعد في ذلك الوقت من ضواحي بريدة وأما الان فهو في وسط البلد قد أحاط به البنيان من كل جانب، واقمنا فيه نحو خمسة عشر يوما، والغزوان ترد علينا من كل فج وصوب، ثم رحلنا من ذلك المنزل ونزلنا البصر وهو خب من خبوب بريدة، فاقمنا فيه نحو خمسة أيام حتى تلاحقت علينا الغزوان، ثم رحلنا منه في اليوم السادس من نزولنا فيه بعد العصر، وسرينا حتى نزلنا بلد البكيرية صباحا، وإذا بنا نرى ابن رشيد رأي العين في قصور تدعى الجينيات[١] تبعد عن البكيرية مسيرة ساعة ونصف، فحينما رآنا نازلين وهو يتهيأ ويدبر جنوده لملاقاتنا في ذلك اليوم، فما قام قائم الظهيرة الا ومدافعه تزجر وتقذف علينا قذائفها فتقع أمامنا وخلفنا، والخيول قد اخذ بعضها يموج في بعض، ولما قرب العصر أمرونا بالصلاة، فصلينا الظهر

[١] نهاية ص ١٣١من المخطوطة

والعصر جمعا، وكنا في حال مسيرنا للقتال مشينا صفوفا كل يعرف الصف الذي يليه، فكان الأوسط منا الإمام عبدالعزيز وغزوه، أهل الرياض ويليهم من اليسار غزو الخرج وضرما والحوطة والحريق والوشم وسدير، ويليه من اليمين غزوان القصيم كلها عنيزة وبريدة والرس والخبرا والبكيرية والمذنب ومعهم غزو أهل الغاط والزلفي، وكان الإمام عبدالعزيز بيده منديل اخضر كبير فحينما أراد المشي على خصمه أومأ بالمنديل إشارة للمسير كل على صوته ونسمع صوته العالي الرفيع حينما قال توكلوا على الله، وقبل أن تختلط الجموع ونحن نرى الإمام ورايته وجموعه وهو يرانا وبعد قليل حالت بيننا وبينه كثبان من رمال لا نراه ولا يرانا وقد بلغنا أن بعض من يشير على عبدالعزيز بن رشيد ان يجعل قوته وشوكته أمام ابن سعود فإن هزمت ابن سعود وانهزم، فأهل القصيم ينهزمون بدون قتال إذا رأوا هزيمته وقد أصاب من أشار عليه بهذا الرأي، فلو رأوه أهل القصيم لانهزموا، ولكن من لطف الله بهم أن كثبان الرمال حالت بينهم فلم يروه ولم يشعروا وهم يقاتلون إلا وخيل ابن رشيد تغير عليهم بعدما رجعت من هزيمتها لابن سعود ومن معه، فلما أغاروا على أهل القصيم وخالطوهم وهم يحسبون أنهم غنيمة باردة فأصلوهم نارا حامية من افواه البنادق، وقتلوا عليهم خيلا ورجالا لا تعد، ومن بين القتلى ماجد بن حمود العبيد الرشيد ومعه فرسان لهم شهرة، وانهزم ابن رشيد على خيامه وقد اشتغل بنفسه من حيث أنه قتل تحته ثلاثة من الخيل وركب الرابعة فقتلت وسقطت عليه وكسرت ترقوته، واشتغل قومه بمصيبته، ثم إن أهل القصيم أخذوا راياته ومدافعه وركزوها في موضع المعركة، وبعدما

التحمت الجموع بعضها ببعض وكان رئيس غزو عنيزة صالح الزامل ال سليم، ورئيس غزو بريدة صالح الحسن المهنا، فقام النزاع بينهم على المدافع والرايات كل يريد أن يجرها الى بلاده، فلما طال النزاع بينهم أتاهم من ينذرهم وهم في ثلث الليل الأول : اندملت جروحه وهو يريد أن يصبحكم بخيله وجموعه[١]، فسروا من ليلهم ودخلوا بلدانهم وتركوا المدافع والرايات في موضعها، وكان مع ابن رشيد أربع طوابير عسكر واغلبهم من أهل حلب والموصل، فلم يكن معهم قوادا يحسنون قيادتهم، ولم تأت منهم فتنة يحمون بها انفسهم، حيث إنه قتل منهم قسم كبير وهم لم يقاتلوا، أما أهل عنيزة فدخلوا بلدهم يوم الجمعة وأما أمير بريدة ومن معه من الشوكة فقد دخل عنيزة أيضا لأنه يخشي أن ابن رشيد قد سبقه على بريدة ونزلها لأنها خالية من أميرها ومن حاميتها فكلهم قد برزوا لقتال ابن رشيد، وفعلا قد أشاروا على ابن رشيد مشيرين بعد الوقعة أن يرحل وينزل بريدة أو يرحل وينزل وادي عنيزة فيفصل بين البلدين، وكلها لم ترق في عينه فإن هؤلاء الجبابرة يعتريهم طائف من الجبن حينما يرتفعون الى منتهى ذروتهم، وبعد أن أقام امير بريدة بعنيزة ثلاثة أيام واحاط علما بأن بلاده بريدة لم يأتها أحد، وأما ابن رشيد فإنه رحل بعد الوقعة على البكيرية ونزل في جوانبها وانتظر باقي جنوده الذين لم يحضروا الوقعة، واخذ ينكل بأهل البكيرية ويغرمهم ويأمرهم بجمع العيش والتمر الجيد لجنده وهم لا يطيقون دفعا ولا يملكون كشف الضر ولا تحويلا، وكان قد حكي بعنيزة إن أهل البكيرية خانوا لابن رشيد واستدعوا به وأنزلوه في بلدهم

---

[١] نهاية ص ١٣٢من المخطوطة

وذلك كذب محض وليس لهم طاقة أن يمنعوه من النزول في بلدهم فقال شاعر من أهل البكيرية اسمه محمد بن سابل:

يا هل الفيحاء ذكرتوا بنا شارة	راقبوا وال السموات ما خنا
جانا عقاب غشوم تشتعل ناره	مالكم طاقة بحربه ولا حنا
نطلب المولى بعزه وتدباره	يبعده عنكم وحنا يقلعه عنا

ثم إن أهل عنيزة حينما اصبحوا، أركبوا لابن سعود يطلبون منه الرجوع عليهم ولو كان وحده، فلحقه الرسول بالمربع، من أعمال المذنب وعرض عليه أن يرجع على بلادهم وهم يعدونه أنهم يواسونه بأموالهم وانفسهم، ولكنه رفض ذلك، ثم إنهم أركبوا له خادمه شلهوب وهو يثق بصدقه واعطوه ختم ماجد، وحلفوا له بالكتاب ان أهل القصيم من بعد هزيمتك هزموا ابن رشيد وقتلوا اغلب خيله ورجاله وقتلوا ماجد الحمود وهذا محبسه يصلك مع الرسول قطعوه من اصبع يده واخذوا مدافعه وبيارقه وبعد علاج طويل وأيمان مغلظة على صدق ما ذكرناه لك، حول وجهه الى عنيزة فدخلها بمن بقي معه، فضم جنودا عظيمة وأغلبهم من عتيبة والتفت عليه فلول قومه[1] واستنفر أهل القصيم كله، ثم إنهم خرجوا لغزوه مرتين وكلها يرجعون من ضواحي عنيزة ويدخلون البلد، وفي الثالثة اندفعوا الى ابن رشيد بالبكيرية فصبحوه بها واعترضت خيل ابن رشيد لهم قبل أن يصلوا، فاشتبكوا معها في معركة وكان في نظر عبدالعزيز بن سعود انه لم يرغب مقابلة ابن رشيد حتى يجمع جنودا اكثر مما معه ولكن محمد بن هندي بن حميد

---

[1] نهاية ص ١٣٣من المخطوطة

رئيس عتيبة هو الذي جزم عبدالعزيز على التقدم على البكيرية، فتقدموا جميعا وهزموا عبدالعزيز بن رشيد ونزلوا البكيرية واخذوا ما خلف عبدالعزيز بن رشيد من الطعام المجموع له، أما ابن رشيد فمن البكيرية عمد الى رياض الخبرا ونزل عليها وحاصر الخبرا المعروفة ورماها بالمدافع وكان عدد ما قيل عنه انه رماها بسبع ماية وخمسين قلة وعجز عنها ونزل على رياض الخبرا واخذ يقطع في نخيلها ويحرق وكان أهل الخبرا في مدة حصاره لهم قد أرسل الله عليهم الوباء وهو ما يسميه الأطباء بالداء الأصفر[١]، فكانوا كل يوم يدفنون رجالا ونساء واطفالا، فلم يعطوه الطاعة رغما عما نزل بهم، وكان كلما ثلم المدفع ثلمة من سور البلد رقعوه في الحال وكان فيهم رجلا يدعى محمد الناصر المطوع، فجاءهم مرسول من عبدالعزيز بن رشيد معه كتاب لم يعلموا ما فيه فسبق اليه هذا الرجل واخذه من رسول ابن رشيد ويده في الطين وهو يبني جدار السور وبنى عليه الجدار قبل ان يقرأه ويعلم ما فيه وهو الذي يقص علي هذه القصة من لسانه، وكانوا يتيقنون أن ليس في كتبه الا تهديد وتوعيد كما هي عادته، وكانت عنيزة وبريدة يحيط بهن اسوار ضخمة قد بناهن أهلهن حينما دخلوا ولم يلتفتوا الى شيء قبلهم، ثم إن ابن رشيد اقام محاصرا للخبرا مدة خمسة عشر يوما، ثم إنه ارتحل عنهم قاصدا اعلى بلدان الرس، ثم صادف فزعة لأهل الرس، فأغار عليهم، فدخلوا في قصر الجندلية من ضواحي الرس واحتصروا فيه فاحاط بهم واشعل النار من تحتهم بحشيش كان في المخازن السفلى فقتلهم جميعا وعددهم سبعة وعشرون، ثم إنه اندفع ونزل الشنانة

---

[١] الكوليرا بحسب الريحاني و فايز البدراني

واخذ يقطع من نخيلها ويحرق، ولم يسلم منها الا القليل ثم إن عبدالعزيز بن سعود طال المناخ بينهم ومكث ما يربو على شهرين فابن سعود منازله تحيط ببلدة الرس أما ابن رشيد فهو بالشنانة وكانت تتطارد الخيل بينهم كل يوم في قتال، وكانت بلاد الرس مجدبة، فأما ابن سعود فهو متوسع ولم تكن صفته محاصر فكان يرسل جيشه جهة الشقيقة وفيها مراعي للابل خصبة[١]، وكانت وقعة البكيرية المشهورة التي فصلناها سابقا وقعت يوم ٣٠ ربيع الاخر سنة ١٣٢٢هـ وكانت وقعة الشنانة يوم ١٨ رجب من السنة المذكورة وكل المدة التي بين الوقعتين كلها حصار وغارات على بعضهم الى ان أتت الوقعة الحاسمة وتاريخها كما ذكرنا أعلاه، فانهزم ابن رشيد وترك ما معه من خيام وعتاد وأخذت ابل كثيرة على شمر عربانه، وكان القتل فيها قليل إلا أنها على المنهزم اكثر، ثم رجع ابن رشيد الى وطنه ولم يدخل حايل لانه قد آل على نفسه ان لا يدخل بلده حتى يقتل عبدالعزيز بن سعود أو يقتل دونه، وقفل أهل القصيم كل الى وطنه، وكذلك ابن سعود انقلب الى الرياض ودخله وساد السكون في نجد حيث إن كلا من الحاكمين قد كلوا وملوا من الحرب، ثم دخلت سنة ١٣٢٣ ثم اكان عبدالعزيز بن رشيد على عتيبة في أول سنة ١٣٢٣هـ ثلاث غارات في ثلاثة شهور وكلها يقتل شيوخا ويغنم غنائم، ومن ضمن من قتله من الشيوخ هم المحيا عيال سداح بن محيا وهم تركي ومتروك، ثم بعد ذلك خشي عبدالعزيز بن سعود أن عتيبة ينطلقون من يده، فنهض بغزو قليل ما يزيد على المائة وقصده ينزل مع عتيبة خوفا منه ان يصبّحوا ابن رشيد فتشتد عليه الوطأة فصدف أن

---

[١] نهاية ص ١٣٤من المخطوطة

نجد كلها مجدبة في تلك السنة، فأول ما نزل على الروقة وهم على كبشان ثم إن مشايخ الروقة اجتمعوا ونزلوا حجرة الثريا، في وسط شعباء وهي الجبال المتشابكة فنزل معهم في ذلك المكان وكانوا يلتفون حوله، وكان يقدم الحذر دائما عن ابن الرشيد، وقد ابقى محمد اخوه في بريدة ومعه رجال من حاشيته ومن خدامه وقصده من إبقاء أخيه محمد في القصيم زيادة لثقتهم، وكان قد اكد على أخيه محمد ان يعاقب السبور على ابن رشيد فإن وجد عنده حركة نحو عبدالعزيز بن سعود فليسرع بالنذارة له حسب ما امكنه ذلك، ثم إن أخوه محمد ابقى جاسوسا مديما بالكهفة يدعى عاتق الرباب، وكان ابن رشيد مخيما على الكهفة نفسها، فتبلغ جاسوسه الخبر وتأكد ان عبدالعزيز بن رشيد نهار باكر يغادر الكهفة بعد الظهر غازيا على عبدالعزيز بن سعود وعربانه الذين معه، فقد انكشف الخبر لمن في الكهفة وكانوا في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان الإمام قد ابقى عند أخيه محمد ذلوله المشهورة التي تدعى مصيحة فما علم محمد الا والرباب يدخل عليه في بيته، فقال له محمد هات خبرك، فقال خذ مني الخبر الصحيح وهو أن عبدالعزيز[1] بن رشيد مشى من الكهفة أمس قبل العصر قاصدا اخوك عبدالعزيز وعتيبة التي معه، فلما تحقق محمد ال عبدالرحمن أن ابن رشيد قد قصد أخيه عبدالعزيز استدعى أحد خدامه وهو رجل من النفعة من برقى واسمه سواد بن ركيان في تلك الساعة التي أتاه بها الخبر فقرب له مطية أخيه عبدالعزيز المذكورة مصيحة فركبها سحرا من بريدة، وكانوا في رمضان وكان حين ركب من بريدة لا يعلم

[1] نهاية ص ١٣٥ من المخطوطة

أين مكان عبدالعزيز من ديرة عتيبة، ومر بالأثلة وفي نفي من ضحوته يسأل عن مكان الإمام عبدالعزيز فلا يجد من يعطيه الخبر عنه، فدفعها الى كبشان وعليها المراشدة من الروقة وهم عرب أبو خشيم وقد نزل عليهم حلول مضوى حلالهم في مرحانه[1]، فحينما سألهم أفادوه بأن عبدالعزيز مع شيخان الروقة، وأنهم كلهم متنازلين على حجرة الثريا فما أكل عندهم ولا شرب ولا أناخ، غير أنه من وقفته تلك أرخى لها حبالها وجعلها تضبح وتعدو عديا منكرا وكانت تعدي وكأن السباع تنهش من أعقاب رجليها، فوصلهم وقد مضى من الليل ثلثه الأول، فأناخها على صيوان عبدالعزيز فلم يجد فيه إلا أخ له اسمه سعد، فحينما رأى سعد مصيحة علم أنها لم تأت إلا لأمر مهم، فأخرج الكتب ليناولها سعد، فقال له سعد أبقها في يدك حتى يحضر الإمام، وكان الإمام متزوج تلك الليلة على بنت لطاس الضيط، من مشايخ الروقة وكانوا قد أبرزوا له بيت شعر وحجبوه عليه، كعادة البادية، فقام أخيه سعد في الحال ومشى الى البيت الذي فيه عبدالعزيز وكان أولاد الإمام عبدالرحمن الفيصل مشهورين بحسن الأدب لبعضهم، فلما وصل قريبا من البيت الذي فيه عبدالعزيز تكلم له[2] برفق وكان من عادته قليل النوم، وما طالب الوتر الغشوم بنائم، فجاوبه عبدالعزيز من فوره بأن قال له خير يا سعد، فقال سعد خير إن شاء الله، هذا خادمك سواد بن ركيان مرسله محمد

(١) بمعنى وقت ضم الحلال في حظيرته مساء

(٢) تكلم له أي صوت له من دارج لهجة نجد فتقول الأم لإبنها تكلم لأخيك أي ازهمه أو صوت له إذا كان بعيدا

على مصيحة، ومع إحاطة عبدالعزيز بأن مصيحة لا تركب إلا في المهمات الجسيمة رد عليه الإمام قائلا له خير يا سعد، ها أنذا ألبس ثيابي وأخرج عليكم، فأنتم شبوا النار، فقاموا على النار وأشعلوها وطلع عليهم عبدالعزيز فسلم عليه الخادم ومد الكتب بيده، ولما قرأه عبدالعزيز أرسل خدامه كل واحد منهم الى شيخ من شيخان الروقة ويدعيه للمشورة، وكان عبدالعزيز من سجيته أنه ثابت عند نزول الشدائد وينظم أمره برباطة جأش ودون ارتباك، فلما حضروا قال لهم اني دعيتكم لخير[٢]، هذه الكتب وردت علينا من اخوي محمد من بريدة والمرسول هذا هو جالس ومطيته التي أتى عليها مصيحة، ذلول شدادي، ومحمد يقول في كتابه عدى عليكم ابن رشيد أمس العصر، راح من الكهفة، وانا أعلم انه ما يريد إلا أنا ولا تغير خيله على عرب قبلي أنا، ومن نزل معي، ولكن عطوني رايكم، وكان شيخان الروقة عنده كثيرين فمنهم عبدالرحمن بن تركي بن ربيعان ومارق بن صنيتان الضيط وفاجر بن شليويح وعفاس بن محيا وشليل بن نجم وبجاد أبو خشيم وضيف الله بن رازن وضيف الله بن تنيبيك ودعيج بن جبار الغنامي وفارس الزحاف وسويد بن طويق وغيرهم رؤساء، فلما تكاملوا عنده قال لهم عطوني رايكم، فبدأهم بالرأي عبدالرحمن بن تركي بن ربيعان، وكان اكبرهم سنا، قال نركب على الخيل ونضف علينا الشاذ من عرباننا ثم نحط بالبل على عقالين ثم نخلي له البيوت وتظهر جموعنا وخيولنا رزو واحد ثم إذا اصبح انقضينا عليه، وبراي الله اننا نهزمه، فقال عبدالعزيز هذا راي ولكنكم اعرضوا علينا غيره، فتكلم مارق بن صنيتان

---

(٢) نهاية ص ١٣٦من المخطوطة

الضيط بأن قال: يا عبدالعزيز أنا متأكد إن ابن رشيد معه قومان[1] وأكثرها خيل، والرأي عند الله ثم عندي ـ لما إني أعرف يقينا ـ إنه ما يفوت[2]صباحه باكر علينا، هذا وما أدري لعل سبوره تديرنا هذه الليلة، وكان الملك عبدالعزيز يستمع لرأيه فقال: إني أرى يا عبدالعزيز إن أطيب الرأي عندي، انت وهؤلاء الشيخان[3] الحاضرين، انك انت وحضرك وخيامك، أسر هذه الساعة وتوكل على الله وحنا نخلي البل تسري بها الخيل معك، وحنا نقفاكم بالبيوت والغنم، وآخر وعد لكم النير، لأن حنا بدو وضارين بالهجايج والتصابيح، فوافق هذا الرأي لعبدالعزيز، وكان عبدالعزيز لا ينساه لمارق الضيط، وكان عبدالعزيز لما وافقه هذا الرأي ليس معه جنود حضر كثيرة فيتحرز بهم من عدوه، وأما البدو فلو كثروا فإنه لا يعتمد عليهم ولا يثق بهم أيضا، إن رأوا فيه ضعف أن ينهبوه هو قبل نهب عدوه له فهو شيء حدث مرارا، وقد وصفهم الريحاني برحلته حيث قال البدوي يغدر والبدوي يخون البدوي، إذا استنصرت به كان سيف في يدك وخنجر في ظهرك، وعينه دائما مركزة للنهب والسلب فهو إن أفلس من نهب عدوه رجع ينهب صديقه، وحينما طرح مارق الضيط هذا الرأي بمجلس الإمام عبدالعزيز رضيوه جميعا حينما رأوا أنه[4] موافقا للإمام، فانفض مجلسهم على ذلك، ومن ساعتهم شلعوا أطناب الخيام وقد مضى من الليل نصفه، ثم سروا جميعا كما ذكرنا، فأما العرب البدو فهم حينما سرت إبلهم تبعوها بالمظاهير وكتبت

---

[1] جمع قوم وليست مثنى

[2] في الأصل يوفة

[3] صيغة جمع كمعهود كلامهم ضيفان وبدوان وحضران

[4] نهاية ص ١٣٧من المخطوطة

لهم السلامة جميعا، أما ابن رشيد فقد صبح موضع العرب وعالت غارته فلم يصل منزلهم إلا وقد غار النهار واحترت الشمس وكفاهم الله شره، ولكنه بعد هذه الغارة انقلب على مطير الصعبة وهم على الرضم ورؤساؤهم ابن ضمنة وابن دويش وابن قرناس وابوقرنين فخفرهم وأخذ منهم ستة وعشرين فرسا وأخذ كرائم إبلهم كما هي عادة الخفر، ثم انقلب على الكهفة التي هو رجع منها، وأما سجية عبدالعزيز بن سعود إنه شراد وراد، ولا يرى من الشردة عيب متى الجأته الضرورة لها، فكان يرى أن الهزيمة التي تقرنها السلامة هي بمثابة نصر له، فيشرد حينما تلجؤه الضرورة على الشردة، ويرد حينما يرى ثمرة للورد يجنيها من عدوه، وهكذا لعمري سيرة الرئيس الذي عركته الحوادث بثفالها وغذته المعامع بلبانها فانظر الى الفرق بينه وبين خصمه عبدالعزيز بن رشيد، هذا عبدالعزيز بن سعود يأتيه النذير فيهرب ويرى أن الهرب في موضعه كالكر في موضعه، وبضده عبدالعزيز بن رشيد فإنه ليلة قتله أتاه نذير من الهوامل من مطير وكان يرى عبدالعزيز بن سعود وجنوده قد قرب من الهجوم على ابن رشيد وهذا النذير لم يحمله على إنذاره إلا أنه يريد الجزاء منه، فلما قال له وصلك عبدالعزيز بن سعود، فلم يسأله اين هو وكيف رأيته بل بادره بسحب الفرد من جنبه ورماه منها بثلاث طلقات كلها في رأسه ولكن القاتل لم يمض عليه أكثر من أربع ساعات حتى قتل في منزله ذلك برصاصة في رأسه عينا، فخر صريعا ميتا واستولوا عليه أعداؤه، يجزون رأسه ويرسلون به الى المدن، بريدة وعنيزة فتأمل في العقول بين الرفق والأناة وبين النزق والطيش فبين ذلك بعد شاسع، أما

عبدالعزيز بن سعود بعدما وصل النير هو ومن معه سالمين وإذا هو يعد جنوده الذين وصلوا معه فلم يكونوا أكثر من ثلاثمئة رجل من الحضر، وكان في ذلك الوقت، نجد مجدبة من كل نواحيها، والبرد قارس، فاختار الرجوع الى عاصمته الرياض حتى تخصب نجد، فدخل بلاده وأقام فيها شهرين، من سنة ١٣٢٣هـ ثم دخلت سنة ١٣٢٤هـ فحينما دخل الشهر المحرم من تلك السنة أمر على بلدان نجد بالجهاد وواعدهم في بريدة[١]، وخرج هو من الرياض قاصدا بريدة، ثم أقام فيها مدة ثم ظهر من بريدة في آخر الشهر المحرم، وكان عبدالعزيز بن رشيد يتابع الغارات ولم يفتر، تارة على عتيبة وتارة على مطير فأغار يوما على الصعران والحمادين من عرب ابن بصيص ومعه تركي بن سداح بن محيا، ومعه فريق من جماعة الحناتيش، فأخذهم ابن رشيد جميعا، من مطير والعتبان الذين معهم، وقتل تركي بن محيا المذكور والجميع نازلين فوق النبقية شرقي بريدة، وفي أثناء غزواته تلك صادف حواشيش لأهل بريدة وعدتهم خمسة وعشرون رجلا فقتلهم جميعا وكان من بينهم شيخ مسن ومعه ولد له، فلما قدموهم للقتل وقد قرنوا بالحبال قال الشيخ يا عبدالعزيز هذا الولد ولدي له ثمان اخوات بناتي، فتفضل علي بإبقائه واقتلني مكانه، فقد روي لنا أنه قال لهذا الشيخ الآن اقتل ولدك قبلك وأنت حي تشاهده فقتله ثم الحق أبيه به، وإنا نعوذ بالله من قلب لا يرحم فإن قتلة هؤلاء الضعفاء ليس لها مبرر، وإنها ظلم وعدوانا وسيقدمون جميعا على الله وعند الله يجتمعون، وكان المكان الذي قتلهم فيه يسمى روضة مهنا فما مضى بعدها شهرين وقتل هو في ذلك

---

[١] نهاية ص ١٣٨من المخطوطة

الموضع الذي قتل به الحواشيش، وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي ذلك يقول شاعر بريدة في تلك الوقعة:

يا نهار جا على روضة مهنا والفشق فيها كما ضيق المخايل
اترك اللي يوم سرنا غاب عنا ما حضر كوبان ذبحة شيخ حايل

ثم إن عبدالعزيز بن سعود بلغه أن مبارك الصباح اصطلح مع ابن رشيد، وإنه أمر مناد ينادي في سوق الكويت على أن بلد حايل سوق من أسواق الكويت، وكان من حسن حظ عبدالعزيز بن سعود أن كل من عقد له نية سيئة أو حفر له بئر فإن الله يوقعه فيه، وإن كل من أضمر له عداوة أو حقد أو خيانة فإنه يقع بين يديه غالبا، وقد تنطبق عليه هذه الابيات للمتنبي حيث يقول:

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من اعدائك القمران
ولله سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان
اتلتمس الأعداء بعد الذي رأت قيام دليل او وضح بيان
رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى بغدر حياة او بغدر زماني[١]

وفعلا شاهد ذلك عبدالعزيز بعينه، وذلك أنه وهو في سفره المذكور ورد عليه خطابات من مبارك ال صباح فبدأ بكتابه من مبارك وكسره[٢]، وإذا الخط الذي داخل الزرف لعبدالعزيز بن رشيد، وعنوان الزرف باسم عبدالعزيز بن سعود، فقرأه

---

(١) نهاية ص ١٣٩من المخطوطة

(٢) كسر ختمه الذي عادة يتخذ من طين او شمع

وعلم أن الكاتب غلط فجعل كتاب عبدالعزيز بن رشيد في زرف عبدالعزيز بن سعود، فتيقن أن كتابه في زرف عبدالعزيز بن رشيد، فلما قرأ عبدالعزيز بن سعود كتابه لم يتمالك الدهشة من خطاب مبارك في خطابه لابن رشيد وتواثقهم على الصلح فيما بينهم، وقال الآن رخصت عندي حياتي، إما في بطن الأرض أو في ظهرها تمثلا بقول الشاعر العربي

إذا خانك الأدنى الذي انت حزبه فواعجبا ان سالمتك الاباعد[1]

ثم استعد لمقابلة عبدالعزيز بن رشيد بأي مكان يجده، ولنرجع الى قصة الحواشيش الذين قتلهم ابن رشيد فنكملها ، فيقال إنه بعدما قتل الشيخ هو وولده بالصفة التي ذكرنا أخذت تساوره قتلته لهم وتنغص عليه طعامه وأنه لا يزال يراه في المنام وكأنه متعلق بجيبه ويقول له يا عبدالعزيز قتلتني وظلمتني وقتلت ولدي معي، والله لن أفك يدي منك حتى أقف أنا وأنت أمام الله، وكان كلما يرى هذه الرؤيا ينتبه مرعوبا ثم يقص الرؤيا على أصحابه صباحا، وهذه القصة مستفيضة لدى عامة أهل نجد وخاصتهم والله أعلم بصحتها، ثم إن عبدالعزيز بن سعود بعد قراءته للكتاب الذي ذكرناه صمم على الإندفاع الى خصمه عبدالعزيز بن رشيد، ورتب جنده لملاقاته، فصدف أنه في يوم ١٦ من شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ أن عبدالعزيز بن رشيد قد أغار على عرب من الهوامل من مطير وهو في محل يسمى الخوابي من شمال المستوي فأخذهم وانقلب سريعا، فهمّ عبدالعزيز بن سعود أن يلحق في إثره، فحينما صلى الظهر جمعا بالتقديم انتقى من جنده فرسانا ورجالا من كل من يعقد

---

(١) علي بن المقرب العيوني

به ويعلم منه الكفاءة وتابع السير بمن معه وكان أغلب من معه حضر من أهل نجد ولم يكن معه من البادية إلا القليل، وكان عدة فرسانه على ما يقال ٢٠٠ فارسا وعدة رجاله ٨٠٠ هذا ما قدر لنا من حضر الوقعة بنفسه، فجد بالسير في طلبه ووجده نائما هو وجنده في مكان يسمى روضة مهنا ولم يكن يخطر ببال عبدالعزيز بن رشيد أن عبدالعزيز بن سعود يتبعه في إثره وكان نائما آمنا فما أيقظه إلا صهيل الخيل مع عدوه، فانتبه دهشا مرعوبا[١] فركب فرسه ليدبر جنده، وكان من عادة هجوم الليل تنعمس فيها الأبصار لأن القائد لا يرى وجوه جنوده ولم يميز الشجاع من الجبان، بالرغم من أنها كانت ليلة مقمرة وهي ليلة ١٧ صفر فاختلطت الجموع ببعضها وأخذت تموج الخيول والجموع على السواء، وكان جند ابن رشيد يشعلون النيران في محلاتهم ولم تكن هذه النيران إلا وبالا عليهم، حيث إن جند ابن سعود يرونهم على ضوح النار ويرمونهم فلم يخطئهم الرصاص، فاندفع عبدالعزيز بن رشيد على فرسه يريد أن يدبر أصحابه، فقصد جمع ابن سعود وهو يحسب أنهم جنده، فلما أقبل عليهم وهو يطالب " من هي له هذه الدبرة يالفريخ!" والفريخ حامل رايته، فهو يريد أن يعاتبه بذلك، فأول ما قابله فارس من المقرن واسمه هذلول، فلما رآه أنكره وعلم أنه من جند ابن سعود وليس من جنده، فضربه عبدالعزيز بن رشيد بسيفه فقطعه نصفين، فلما أراد الإنحراف بعدما تبين أنهم ليسوا أصحابه' نادى حامل راية ابن سعود نداء رفيعا واسمه عبدالرحمن بن مطرف قائلا بأعلى صوته : عبدالعزيز بن متعب يا طلابته، فدوت عليه أصوات البنادق

---

[١] نهاية ص ١٤٠ المخطوطة

بكثرة وأصابته رصاصة بين عينيه فخر صريعا من ظهر فرسه وهربت الفرس ولحقت بجنده فلما رأوها وظهرها عارية من فارسها أيقنوا أنه مقتول فانهزموا، وكان القتل في تلك الليلة قليل من الطرفين لأنها لم تمكث المعركة طويلا، وكذلك جند ابن رشيد حينما انهزموا استتروا تحت جنح الليل، فلما أصبح عبدالعزيز بن سعود وجنوده في مكان الوقعة قطعوا رأس عبدالعزيز بن رشيد ثم أتوا به لعبدالعزيز بن سعود ووضعوه بين يديه، وحمد الله الذي شفى صدره من عدوه بعدما كان عبدالعزيز بن رشيد يرسل عليه الرسل ويقول له يا عبدالعزيز بن سعود: أنا وأنت ظلمنا المسلمين، بحملنا لهم على القتال من أجلنا، ولكن أنت ابرز لي فوق فرسك المعضادية وأنا ابرز لك فوق فرسي الشهيب، ومن قتل صاحبه منا فله الملك، وبذلك تنحقن دماء المسلمين، فرد عليه عبدالعزيز بن سعود قائلا أنت ميت وأنا حي، ومعناه إنك:

عائف من حياتك وأنا ما عفت حياتي ويقول الشاعر البليغ محمد العوني شاعر بريدة:

ترك اللي يوم سرنا غاب عنا ... ما حضر كوبان ذبحة شيخ حايل
يا نهار جا على روضة مهنا ... والفشق فيها كما ضيق المخايل[1]
يوم أبو تركي ندبنا ما تونا ... كم جادل نقطع رجاه من الحلايل
نمشي باثر شيخ يحامي عن وطنا ... مصواط بقعا نلطم براسه كل عايل

[1] نهاية ص ١٤١من المخطوطة

وكما أن لعبدالعزيز شعراء ومحبين، كذلك لعبدالعزيز بن رشيد مثله، فسبحان المفاوت بين عباده، وقد ينطوي عمر ابن أدم وهو بين مادح وقادح، فهنا شاعر يدعى السكيني من أهل ثرمداء يرثي عبدالعزيز بن رشيد بعد قتله، وكان يشاهد الوقعة بعينه ويقول:

البارحة والدمع بالخد سفاك ... واعزتي لك يالعيون السهارى
مرحوم ياللي بالخوابي دفناك ... مرحوم يا مرث غويش صغارا
يا نجد عقب مبيد الهجن عفناك ... عفناك عيفة مرخصين العمارا
يا نجد والله ما نجيبك بطرياك ... الا ان ظهر متعب سوات النهارا
يا متعب اتعب ثم اتعب سباياك ... والعز فوق مطيرات الكرارا

ويقال إن سحلي بن سقيان، قيل له: سمعنا مناد ينادي في موسم الحج بمنى ويقول بيض الله وجه سحلي بن سقيان ثم سمعنا مناد آخر في ليلتنا يقول سود الله وجه سحلي بن سقيان فقال لهم كل يعد الذي واجه وانا أبو علوش، الذي يبيض علي سويت معه خير فهو يكافيني بعوائد العرب وهو البياض، والثاني سويت معه شر فهو يجازيني بالسواد، ومن كانت حياته كلها خير فلن يعيش محترما مهابا، ومن كانت حياته كلها شر فلن يعيش مكرما محبوبا، وكل شيء من هذه الخصلتين حسن في موضعه، فمن جمع في حياته بين الخير والشر فهو يعيش محبوبا لخيره ومهابا لخيره[١] وبذا يقول حميدان الشويعر:

---

(١) لعله يقصد محبوبا لخيره ومهابا لشره

الارنب ترقد ما توذي ما اشوف الناس تخليها
والسبع اللي يدرى شره ما توطى ارض هو فيها

رجعنا الى تتمة قصيدة السكيني أعلاه قوله:

ما نيب أبو عيلة ولا نيب ملاك ولا نيب مربوط برجله هجارا
انا خفيف الحمل واسعى بالافلاك والذل يبرك فوق فرخ الحبارا

وقد قال شاعر العرب بيتا واحدا في التحرز والمنعة وهو:

إذا لم تكن ليثا على الأرض اطلسا كثير الأذى بالت عليك الثعالب[1]

وصواب القول أن العفو خير من العقوبة ولو عظم الذنب والعدل خير من الظلم .

وبعد قتلة عبدالعزيز ال الرشيد تولى الإمارة بعده ولده متعب، وهو الأكبر وكان هادئ البال وليس شبيها بأبيه، لبغضه للفتن والشرور وكان عنده في حايل سجناء من السليم والمهنا حابسهم عمه محمد بن رشيد في سنة ١٣١٣هـ، وصرح لمن عنده من الرشيد أن قال لهم ليس لنا من سجنهم فائدة، وليس سجنهم مما يرجع علينا ملكنا، فأطلق سراحهم وأتوا الى بلادهم، وكانوا شمر وحضر الجبل يحبونه ويتخيلون عليه آثار النجابة والهدوء والسكينة لا سيما وأنهم ذاقوا طعم الراحة بما ذاقوه من قوة جبروت والده، وكان إخوته إثنان كلهم أشقاء والرابع هو سعود وأخواله السبهان، والثلاثة هم متعب ومشعل

(١) نهاية ص ١٤٢من المخطوطة

ومحمد وأخوالهم أعمامهم، جدهم حمود العبيد، وأمهم موضي الحمود، ومن حين ما قتل أبوه عبدالعزيز ونحن لم نسمع أنه ظهر من حايل غازيا، غير إنه مثابر على الإصلاح من داخليته.

(سابقة) كان في زمن محمد العبدالله ال الرشيد، رئيس من قبيلة بلي، وكان يعرف بمنقرة ومنازله في الساحل الشمالي، وهو من رؤساء بلي، فغزا يوما وأخذ جيش محمد بن رشيد، قريبا من قرية السليمي، المعروفة من قرى حايل، ثم إنه قال لوكيل الجيش بعدما أعطاه الأمان واسمه عيادة بن زويمل : أن إذا وصلت عمك ابن رشيد، قل له يقول لك الذي أخذ الجيش بعيد المناطيس وانا اخو سند، فلما بلغه الوكيل مقالة منقرة، قال ابن رشيد : بعيد المناطيس أنا، وانا اخو نورة، ثم خطرت عليه هذين البيتين من نهار الغد:

يا ابن زويمل ما هجاني نوم   من يوم جاني علم الجيش
ما احسب ذروة يأخذونه قوم   وراسي على الدنيا يعيش

فقام متعب في حايل كل هذه المدة، وباديته وجنوده ينهضونه للمغزا فلم يكن في نظره أن يخرج منها، وكان قد علق الثقة بخواله وهم حظوته ومستشاريه، وأسماؤهم سلطان وهو الأكبر وفيصل وسعود وهم أولاد حمود العبيد، وكان حمود أبوهم مقيما في حايل عندهم، فدبت عليهم نزغات الشيطان وتآمروا الثلاثة على قتل الثلاثة، فقال سلطان أنا أكفيكم قتل متعب، وقال سعود أنا أكفيكم قتل مشعل، وقال فيصل أنا أكفيكم قتل طلال النايف، وهو ابن عمهم، والثلاثة الآخرون هم ذرية عبدالعزيز، وهم متعب ومشعل ومحمد، فأول ما شرعوا به بالغدر أن حسنوا لوالدة عيال عبدالعزيز وهي أختهم شقيقتهم وهي موضي الحمود وحسنوا لبنت عبدالعزيز منيرة أن تحج مع أمها في تلك السنة سنة ١٣٢٤هـ، وهي السنة التي قتل في أولها عبدالعزيز بن رشيد، وكان حينما حسنوا لأختهم موضي وابنتها، فانهم قد رأوا شوقهن إلى الحج فشجعوهن وقالوا لهن هذا عمكم عبدالله العبيد، وهو الذي يصحبكم إلى الحج، ثم سعوا بتجهيزهم على الوجه الأكمل من خيام وركاب وقرب وزاد، وكل ما يحتاجون إليه، وتوجهوا من حايل في يوم ١٢ من ذي القعدة وكان قصدهم المدينة أولا ثم إلى مكة، فلما بارحوا البلد هم ومن معهم، أخذوا يدبرون الحيلة على ما أضمروه من الغدر والشر، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وكانوا قبلها قد هموا أن يغدروا بعبدالعزيز ولكنهم فطنوا لحذره منهم فصدوا عما اتفقوا عليه، وقصتهم أنهم[1] تآمروا على قتله ودخل معهم في تلك المؤامرة ضاري بن فهيد ال عبيد، وكانوا قد عقدوا المؤامرة في يوم عيد، حيث إنهم إذا أكلوا عيدهم

[1] نهاية ص ١٤٤من المخطوطة

خرجوا للصحراء على خيلهم يتفسحون ويلعبون، وتلك عادة لهم في كل عيد، فأتاه عبدالله، مملوك كان قد ملكه ثم أعطاه لسلطان الحمود، فقال له : يا عم إن عماني العُبيد تعاهدوا على قتلك إذا خرجت معهم للبر، فمن حين ما بلغه المملوك استعد لهم بدون أن يبدي لهم شيئا يريبهم، فأمر على عبيده ورجاله الذين يثق بهم أن يلبسوا سلاحهم وأن يكونوا فطنين يقظين لما يفعله فيتابعونه فورا، ثم خرج على عادته واستعد بسلاح غير المعتاد، وقد قال لعبيده ورجاله : إذا رأيتموني قد أدليت بسيفي على واحد منهم فأدلوا معي بسيوفكم، كل على من يليه حتى لا يبقى من ذرية عبيد أحد، ثم ارجعوا على من بقي منهم بالبلد واقتلوهم، وكانوا حينما جبنوا عن قتل عبدالعزيز أن رأوه غير فرسه التي يركبها وزاد بسلاحه الذي يحمله عادة، ورأوا الخدام والعبيد قد استعدوا بأسلحة غير المعتاد، فبذلك خافوا من الفتك بهم، ولم يتمكنوا بمد أيديهم على عبدالعزيز فلم يريبهم عبدالعزيز بعدها بشيء، ولكنهم لم يكونوا عنده على منزلتهم السابقة، فلما قتل عبدالعزيز وانفردوا بمتعب وأحكموا له تدبير الغدر والخيانة، فطلبوا منه أن يخرج بهم يتنزهون في البر فأجابهم إلى ذلك فورا لحسن سريرته، وكانت أمهم قد داخلها الشك قبل مسيرها إلى الحج لما رأت من حرص أخوها سلطان على إبعادها إلى الحج، فأخذت المصحف وألقته في حجر أخوها سلطان فقالت له يا اخوي انا داخلة عليك بالله ثم بما في حجرك إن كنت ناويا لأولادي غدرا، وإن الذي حملك عليه طمعا في الملك، أن تبقيني أعزلهم عنك، وأن تكون انت مكانهم بالحكم لتسلم حياتهم لي، فاستكبر ذلك واستعظمه أمامها، فقال لها : ايحسن من مثلي أن اقتل أولاد اختي، مع أني لم اذكر

منهم إلا الجميل. وقد جعلوني والدا لهم، فكيف يوحي لي إيماني أن اتطرق على ذلك، سبحانك هذا بهتان عظيم، فثقي بالله أن مقامي عندهم كصفة عبد لهم، حارس عليهم، وعاهدها بالله ثم بحرمة هذا الكتاب الذي بين يديها ثم بحرمة الكعبة التي هي حولت وجهها شطرها أنه لن يمسهم بسوء ولا خطر بباله شيء من ذلك(١)، فتوجهت إلى ربها وتركتهم، فلما كان يوم السادس عشر من ذي القعدة أي بعد سفرها بأربعة أيام، طلبوا من متعب أن يخرج بهم إلى البر كالعادة وتآمروا عليهم كما ذكرنا، فكل منهم قتل صاحبه، فالثلاثة قتلوا ثلاثة، ثم رجعوا إلى محمد الثالث من أولاد عبدالعزيز وهو الأصغر وعمره ثماني سنوات فقتلوه، فكان يتلوى بجدته لأمه، وكان الفرد في يد قاتله وهو يراوغه، والطفل يقول: يا خالي انا وش عملت، حتى قتلهم، وبذا تقول اختهم منيرة العبدالعزيز:

يا فاطري يا بعد سلطان   **يجفل الى طالع الذيرة**
ذبح ثلاثة من العقبان   **حكم غدى يا الله الخيرة**
الحكم موهوب للشردان   **قل له تقوله لك منيرة**

وكان الذي أخذ الرئاسة على حايل سلطان الحمود، وهو الأكبر، ودخل يوما حائل فارسا من شمر يدعى الوجعان وافدا على سلطان بن رشيد أول يوم جلس على العرش وهو يقول:

جيناك يا الشيخ الجديد   **نبي ندور وش وراك**
ذبحت مفراص الحديد   **فكوك ريقك من خراك**

(١) نهاية ص ١٤٥من المخطوطة

وأول ما غزا سلطان على هتيم وهم أضعف القبائل فهزموه، ثم غزا في الصيف بشدة الحر على عتيبة، وأغار على الحفاة على سجى، ولم يحصل منهم على طائل، بل إنهم طردوه وقلعوا عليه خيلا كثيرة، ثم إنه بعدما انقلب من سجى أصابه هو وقومه العطش العظيم ومات عليه خيول كثيرة حقنا وعطشا، وكان ينادي بعض القوم في الناس ويقول من يسقي الوغد[١] وياخذ الفرس، فورد على شعب العسيبيات وعلى أشر الخلق، الصعبة من مطير، فأرسل اليهم ابن عمهم وهو مليح الحميداني بأن يخلوا له الماء حتى يشرب ويصدر عنهم فأبوا ان يزحفوا من الماء وقالوا لمليح أما الجنود فلا يردون علينا، وإن وردوا صحنا عليهم وأخذناهم، ولكن كرامة لك يا ابن عمي ثم يرتوي صملانه ويتوسع عنا، فلم يمكنوه من شيء غير هذا، ثم ارتحل منهم وورد الجثوم وعليه ابن زريبة من رؤساء الروقة، وقالوا له ملثما قالوا له أهل الشعب، ثم تهلك الرضم وهو ماء هماج بل هو ملح أجاج، ولا دخل حايل إلا ونصف قومه قد تلف، وقد زين الشيطان بأعين أهل بريدة أنهم يكتبون لسلطان بن رشيد ويستعينون به على حرب ابن سعود، وهو[٢] رأي أخطل فأخرجوه من حايل ونزل قريبا من بلدهم وخرجوا معه مقاتلين لابن سعود، وكبسهم عبدالعزيز بن سعود جميعا بالليل فهزمهم، ودخل أهل بريدة بلدهم، وكان فيصل الدويش قد سمع بمجيء ابن رشيد في ضواحي بريدة فأتى من الزلفي يريد ان ينضم معه لمحاربة ابن سعود فنزل الطرفية

---

[١] الوغد بلهجة شمال الجزيرة يعنون بها الصبي أو الغلام
[٢] نهاية ص ١٤٦من المخطوطة

وتواثق مع أهل بريدة على حرب ابن سعود، فأتى الإمام على فرسه ويقول:

حتى ايش لو شد الدويش	سرقان بواق العهد
ترى الوعد ديرة نغيش	عيب علي خلف الوعد

ونغيش لقب لأمير بريدة وهو محمد العبدالله المهنا، وهو الذي خان ابن سعود، ثم إن ابن رشيد رجع إلى حايل مخذولا ولم يهم بالرجوع على القصيم، ثم إن ابن سعود صبح الدويش فوق الطرفية وأخذه وانهزمت شرائده وحاصرها من سنة ١٣٢٥ إلى سنة ١٣٢٦هـ أي سنة كاملة حتى استدعاه محمد بن شريدة، ورجال من وجهاء أهل بريدة وفتحوا له باب البلد ودخلها بدون قتال، وهدأت الأمور لعبدالعزيز بن سعود وانطفأت الفتن وقدم لها أميرا وهو محمد ال عبدالمحسن السديري، فلبث سنة في إمارتها وقتل غيلة، فبعدها تأمر بها عبدالله بن جلوي إلى سنة ١٣٣٠هـ حينما دخل الاحساء عبدالعزيز بن سعود أميرا على الاحساء، أما سلطان الحمود الرشيد فإنه لما كان في اثناء سنة ١٣٢٦هـ سئم من المُلك ورأى الضربات المشئومة كلها في وجهه وضاقت الدنيا عليه بما رحبت، وكان من قبل يكاتب يحي الأطرش زعيم الدروز، ويطلب منه المقام عندهم في جبلهم قرب الشام، فلبى له يحي الأطرش بالنزول عنده، فحمل من الخزنة ما يظنه كاف لحاجته ونزع من حائل متوجها لطريقه، ففطن به أخوه سعود وأحاط علما بما هو يقصده، فتولى طلبه بنفسه ولحقه بالطريق وقبض عليه وعلى ما معه من النقود وأمر بيديه أن تجمع ويسمر عليها خشبة، فرجع به إلى حايل، فلما وصل بلد حايل قابله

شيخ مسن يدعى عبيد بن زويمل، فقال له صبح بالخير يا الامير، فقال سلطان مجيبا له ياملا الصدق أمير ومضبب، فذهبت مثلا فلما قدم به حايل حبسه في القصر ثم بدى له بعد ذلك أن يقتله ويستريح منه ويتولى الحكم بعده ففعل ما سول له الشيطان فأدخل عليه عبدان فشنقوه في حلقه، ودفنه في[1] بالوعة في نفس الحبس الذي هو فيه ليوهم الناس أنه باق في حبسه، ولم يشهد له على جنازة، فمن حفر لأخيه بئرا وقع ـ لا شك ـ فيه، ثم جلس على الإمارة، وكان عما يروون عنه أنه شجاعا ولكن الغدر الخيانة لم يمهلن من عاملهن، فغزا بعد هذا الحادث مغزا واحد وأغار على ذوي شطيط وهم فخذ من مطير بني عبدالله وأخذهم وقتل رئيسهم واسمه فاجر بن دغداش، والغارة هذه هي على ثرب، أما ولد عبدالعزيز الرابع واسمه سعود وليس شقيقا للثلاثة، وهو أخوهم من أبيهم، وخاله حمود السبهان، وجده سبهان السلامة، فتحاموا عليه خواله من القتل بأن ضمنوه عندهم، ووقت ما يطلبونه ال عبيد يحضرونه لهم، وكان قصد ال عبيد من قتله أن يستأصلوا رجال العبدالله ليأمنوا منهم، وهب أنهم فعلوا أو أمنوا منهم، فمن يؤمنهم من الله ! وكان عمره في ذلك الوقت إحدى عشرة سنة، فلما رأوا خواله السبهان اشتغال ال عبيد فيما بينهم وأنهم وقعوا بجزاء ما فعلوا اغتنموا الفرصة وهربوه الى المدينة، وهربوا معه وأخذوا يبرمون الرأي على سعود العبيد ومن معه فقال شاعر من شمر:

متى يجينا العلم عن طير شلوى اللي تجلوى واحترز بالمدينة

---

[1] نهاية ص ١٤٧من المخطوطة

هذا وقد نذرت منيرة العبدالعزيز الرشيد، نذرا إنها ستتجوز من يقتل سلطان الحمود ولو يكون دليم بن براك شيخ هتيم لما تحس به في كبدها من القهر، فلما استقر سعود بن رشيد هو وخواله بالمدينة أخذوا يفدون عليهم القبائل من حايل ومن شمر، وكان زعيم الجاليات خال سعود بن رشيد وهو حمود السبهان، ولعمر الله إنه أهل للزعامة فقد جمع رأي وكرم وشجاعة، وفي أثناء قيامهم بالمدينة أتتهم كتب من أهل حايل يبايعونهم على نصرتهم على ال عبيد إذا قدموا عليهم في حايل، فلقد صدقوا ما عاهدوهم عليه، وهو على الخائنين الغادرين فالله لكل غادر بالمرصاد، فجمعوا جنودهم وكل ما يقدرون عليه من القوة، فتوجهوا من المدينة المنورة ويمموا حايل بما حصل معهم من الجند، فدهموا حايل بليل ولم يحدث فيها قتال يذكر واستولوا على البلد ودخل ال عبيد وأتباعهم قصر برزان واحتصروا فيه، وقد أبقى السبهان سعود بن عبدالعزيز ال الرشيد لصغر سنه، فكان حمود السبهان يناديهم بالأمان على إحسان ابن رشيد وإساءته، وكانوا يقولون له أعطنا أمانك أنت ونخرج، فلا يجيبهم إلا على الأمان الأول، وهو على حضور ابن رشيد، فلما صمم حمود السبهان أن يزيدهم شيء على هذا الأمان[١] الأول، وهو حضور سعود بن عبدالعزيز ال الرشيد، فلما أتى عليهم يومان وهم في حصارهم أرسلوا الى حمود السبهان يطلبون منه أن يرسل اليهم إبراهيم

[١] نهاية ص ١٤٨من المخطوطة

بن عبدالرحمن بن إبراهيم لنستشيره في أمرنا، وهو والد عبدالعزيز الذي كان أميرا بالطائف، ثم نقلت إمارته الى المدينة المنورة، وكان إبراهيم المذكور قد قص علي الواقعة من لسانه ونحن وإياه في مكة في سنة ١٣٢٧هـ حينما قدم ضيفا على الشريف الحسين هو وعائلته جميعا، بأن قال لي : لم يدم حصارهم أكثر من يومين، فقد خانهم الفعل القبيح، فما علمت بعد العصر إلا ومرسول حمود السبهان يأتيني في بيتي، فقال لي إن الأمير يدعيك لتحضر عنده هذه الساعة، فأجبته فورا، فلما حضرت عنده قال لي إن المحتصرين في القصر من ال عبيد طلبوا مني أن أسمح لك فتدخل عليهم في قصرهم يشاورونك في أمرهم وماذا يصنعون، وكان الغريق مثل هؤلاء يتلمس أسباب النجاة ولم يعلم أين طريقها، فقال لي حمود السبهان : اذهب إليهم وشر عليهم بالرأي الذي يحسن بالفرار، فهو خير لنا من مدامات الرشيد، قال فاندفعت إليهم وفتحوا لي باب القصر ودخلت عليهم وجهشوا يبكون في وجهي كأنهم نساء، فقالوا ماذا ترى لنا ؟ أننزل على حكم ابن رشيد والسبه[1] ؟ فقلت لهم إن أعمالكم الماضية معهم لم تجلب لكم منهم حسنى، ولكن إذا أردتم رأيي فعندكم في هذا القصر أربعين فرسا وكلها من أصايل نجد السوابق، وأنتم عددكم خمسة عشر رجلا، انتقوا منها عددكم واركبوها واظهروا مع باب البطحاء واقصدوا عربان شمر، ولن يقفاكم أحد في إثركم وإن ثار عليكم رمي من أهل حايل قبل خروجكم مع باب البطحاء فأنتم ونصيبكم، ما أرى لكم نجاة إلا بالمغامرة في ذلك، فقال أميرهم سعود : كيف يا إبراهيم ننهزم عن عيالنا ومحارمنا وحلالنا ؟

---

[1] جمع سبهان

فقلت له : أنا ما أرى لكم غير هذا الرأي، فخرجت منهم آيس من قبوله بمشورتي هذي، فلما وصلت حمود السبهان أخبرته الخبر الجلي على وضعه، ماذا قلت لهم وما ردوه علي، فما تكامل الخبر من لساني لحمود السبهان حتى إن عبدالله العبيد أول من فتح باب القصر وقال: أنا الذي جيتكم على حسنى ابن رشيد وسيئته، والله لم أخبر ما يعثرن، وكان حين قتلة عيال عبدالعزيز وهو في طريقه الى الحج، وهذا الذي حداه أن يفتح الباب ويخرج بدون أمان، فلما رأى الجنود أن باب القصر قد فتح غشيهم الجنود من كل جانب وأغلبهم ال عبيد[٢]، وكل رجل من ال عبيد يتعلق بثوبه عشرة من أهل حايل ومن عبيد الرشيد، فقتلوا بعضهم وأمسكوا البعض الآخر فحبسوهم، و أما رئيسهم سعود ال عبيد فهم حبسوه ولما دخل الحبس دخل عليه رجال من السبهان للسؤال والجواب فوجدوا في الحبس ريحة سيئة، فقالوا له ما هذه الريحة، فقال هذه ريحة أخوي سلطان قتلناه وقبرناه في هذه البالوعة، فقالوا له كيف نرحمك وأنت ما رحمت أخوك ! اقتلوه يا عبيد وادفنوه في بالوعة أخيه، ففعلوا ما أمروا به، فقتلوه في ساعته ودفنوه فوق أخيه وهدموا عليهم تلك البالوعة، وهكذا تكون بالغالب خاتمة الجبابرة القاطعين لرحمهم، الفارغة قلوبهم من الرحمة، فان كثيرا منهم تختم حياته بمثل حياة هؤلاء، نسأل الله العافية من فجايع الزمان ومن الإقدام على الموبقات العظام، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون، فما علمت عقوبة نزلت على أحد ممن اقترف الذنوب أشد وأسرع وأشنع من عقوبة ال عبيد، فإنه لم يمض عليهم إلا قليلا من الزمن بعدما

---

(٢) نهاية ص ١٤٩من المخطوطة

قتلوا أولاد عبدالعزيز حتى رماهم الله بهذه العقوبة الشنعاء، فلم يمض عليهم شهرين حتى قتل منهم ما يزيد عدده على ثلاثين رجل بين صغير وكبير فإن خصماءهم بعد قتلهم للزعماء الكبار استأصلوا باقيهم وهم في حبسهم ولم يشهد على جنائزهم فكان قد بقي بالحبس عدد أربعة عشر وكلهم صغار فأدخلوا عليهم من يقتلهم غيلة وهم في حبسهم ثم يخرجونهم بالليل ويدفنونهم، ولم يبق منهم إلا الذين التجئوا بالملك عبدالعزيز بن سعود، وهم نفر قليل وأكبرهم فيصل الحمود وهو الذي باشر بنفسه قتل عيال عبدالعزيز من ضمن إخوانه سعود وسلطان وقد نجى من القتل حيث إنه حينما قدم السبهان على حايل لحصارها وهو في الجوف، فحينما بلغه الخبر هرب من الجوف والتحق بجوار الملك عبدالعزيز فعاش عنده مكرما حتى مات، ولقد روى لي شخص موثوق به عن لسان فهد العبدالله المهنا، إنه يقول قد قال لي فيصل الحمود الرشيد شفهيا : يا فهد حنا يا ال عبيد فعلنا فعلة شنعاء لم تنته عقوبتها عنا فما دام باقي من حمولتنا أحد ولو كانت امرأة واحدة فأحسب أن عقوبتنا لم تنته، فكانت تزاوله هذه البادرة الشنعاء، وهذه عواقب الذنوب وأعظمها القتل، فقد قال صلى الله عليه وسلم " لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما " فكيف من جمع بين سفك الدم الحرام وبين قطيعة الأرحام، فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، نعوذ بالله من[١] شؤم الذنوب، وكان حمود ال عبيد حاضر في حايل

---

[١] نهاية ص ١٥٠من المخطوطة

حينما فعلوا أولاده هذا الفعل القبيح وبعدها نزع الى المدينة وسكن بها، وكان الناس فيه قسمين منهم من يقول أن عنده علم من الحادث، والقسم الاخر وهو الأكثر يبروؤه من ذلك، وربما يكون بريئا منها إن شاء الله ولا يعلم الغيب الا الله، وقد استدل كل من يبرؤه بهذه القصيدة قالها وهو في المدينة المنورة، والى القارىء قصيدته المشهورة التي يبرىء نفسه بها عن دخوله بالمؤامرة مع أولاده ويقول فيها:

يا الله يا للي لاشرف الخلق حبيت ... ياريف بالحال رف لي بحالي
يا الله ما غيرك لحي تلاحيت ... راضي بحكمك يا عزيز الجلالي
طلال يلجى لي وأنا له تلاجيت ... وانا اشهد انه من ضناين عيالي
متعب ولد بنتي بحبه تعريت ... وعز الله انه اغلى من عيالي ومالي
مشعل يداوي الجرح لو ما تداويت ... الى شفت زوله تورد الماء حبالي

يا ليتني قنصت معهم ولا جيت ... ولا شفت ذبحتهم جميع قبالي
ما ينفعن كثر المنى لو تمنيت ... ولا ينغرف دم نثر بالسهالي
فزيت يا دار الخطا منك واقفيت ... مثل البعير اللي مصيبه جفالي
والمسجد اللي من على ابوي خليت ... الى اذن المذن نصيته لحالي
سلط على سلطان وسعود وسبيت ... من شانهم فارقت انا كل غالي
عز الله انـي بالعهد ما ترديت ... من ذخر عبدالله قديم وتالي
بالعين اراعيهم الى اقبلت واقفيت ... لا شك جا نقض العهد من عيالي
ذكرت لي خلج ترزم على بيت ... قد ضيعن حيرانهن المتالي
سلطان يا قاطع برحمه تعريت ... يا اللي عهوده كثر صرف الريالي
كزيت لي خط كما ريح كبريت ... توعد باخذة جرود الزوالي
ميزتك فرش محمد شايع الصيت ... وفرش أبو متعب نحاز العيالي
محمد عقيم وبالنقا حصل الصيت ... وحاز المراجل دقها والجلالي
وسبهان زكى له جميع العفاريت ... اهل السهل واللي بروس الجبالي
وصلاة ربي عد ما اقبلت واقفيت ... على نبي دعوته بالكمالي[١]

وكل هذه الوقائع التي أعددناها اعلاه لم تتجاوز عشرين شهرا حتى أبيد خصماؤهم عن أخرهم، وطول عيشتهم من قبل

---

[١] نهاية ص ١٥١ من المخطوطة

الإبادة وهم في قلق بال وتكدير العيش وسهر وعدم راحة، وقد رموهم أهل نجد كافة بقوس من البغضاء والدعاء عليهم، وكان استئصالهم في الشهور الأولة من سنة ١٣٢٦ ثم تأمر في حايل حمود السبهان وكانت الإمارة حق له دون سواه فهو الذي انتصر لأولاد عبدالعزيز المذكورين ظلما وعدوانا اذ لم يبق لهم حي ينصرهم من عشيرتهم، ومن قتل مظلوما فقد جلعنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا، فسبحان من يمهل ولا يهمل فقد سلط الله الخونة، يقتل بعضهم بعضا قبل أن يظفر بهم عدوهم، وقد اطلعنا على رواية تنقل عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه حينما قامت الحرب بين علي ومعاوية، لما كان معاوية يطلب بدم عثمان الشهيد فقال لمن حوله إني ارى أن معاوية يغلب علي، فقالوا لم يا ابن عم رسول الله فقال بنص كتاب الله و أورد هذه الاية (ومن قتل مظلوما)[1] ثم قال إن عثمان قتل مظلوما ومن قتله كان ظالما، وإن معاوية هو ولي عثمان، مع اننا والمسلمين كافة المتقدم والمتأخر يبرؤون الإمام علي من دم عثمان وكان بريئا ولا يشك في برائته أحد من أهل السنة والجماعة .

ثم إن حمود السبهان لم تطل مدة إمارته في حايل وتوفي في تلك السنة، وتولى الإمارة بعده زامل السالم السبهان بوصاية من ابن عمه حمود، فعاش اميرا في حايل حتى قتل في سنة ١٣٣٢ قتلوه بني عمه فكانت إمارته ثماني سنوات كلها على أهل حايل خير وبركة، وهو الوصي لسعود بن رشيد، وفي ١٣ القعدة من سنة ١٣٢٦ قدم الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون وكان يحمل معه فرمان من رؤساء دولة الترك

[1] (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) اية ٣٣ الاسراء

بعدما خلع السلطان عبدالحميد، فتولى إمارة مكة حسين بن علي وكانت ولايته فاتحة شر على نفسه وعلى أولاده وعلى الحجاز بل وعلى العرب اجمعين فبشدة طيشه وغروره ونشر ظلمه قد فقد الحجاز بهذه الخصال الذميمة وهو ملك ابائه وأجداده منذ ألف سنة وطيلة ما كان ملكا على الحجاز لم يأت يوما بمزية تسر المسلمين من يوم ولايته الى أن غادره، فعليه جزاء ما يستحقه مع ما باء به من الذل والعار، يقول ذلك رجل منصف يهمه امر الأمة الإسلامية وقد شاهد طيشه وخطراته كلها بعينه فلا يحتاج الى ان يقول رويت عن فلان بل ان ما سطره يرويه عن نفسه وعن ما شاهده بعينه، ولكن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وسيأتي تفصيل سيرته، ثم يعلم القارىء أن الله جازاه بأفعاله كيلا بكيل ووزنا بوزن، ولما علم السلطان عبدالحميد المخلوع، سأل عن الحسين بن علي وتوليتهم له على الحجاز، فلما أخبروه قال يخلف الله الحجاز على دولة تركيا، فقد وليت على الحجاز رجل مستبد وفكره مطشر فكان طبعه[١] كما قاله عبدالحميد وسنسرد للقراء إن شاء الله جميع هفواته في موضعها.

ثم دخلت سنة ١٣٢٧ وفيها غزا الإمام عبدالعزيز ال سعود، يريد الغارة على بادية شمر، وكان امير حايل زامل السبهان، وقد خرج منها غازيا يريد أن يغير على بادية عنزة، وكان معه قوة عظيمة، بادية وحاضرة، وكان قد صدر من الشعيبة، وهو ماء معروف، فوصله خبر عبدالعزيز بن سعود فعطف برايته وجنده لملاقاة عبدالعزيز فجمع الله بينهم على غير ميعاد وهم في نفود من الدهناء يسمى الأشعلي، فلم يتصادفوا

---

[١] نهاية ص ١٥٢من المخطوطة

إلا بالليل وكان عبدالعزيز بن سعود لم يكن معه جند كثير وكان ابن سبهان يزيد عليه بالجنود اضعافا فحينما ابتدأت المناوشات بينهم أمر عبدالعزيز على جنده ان ينفضوا ايديهم من الجيش والخيام ويتركونه لابن سبهان يغنمهن ويجتمعون برأس الكثيب القريب من موضع المعركة خيلهم ورجلهم، وكان عبدالعزيز بن سعود يريد أنهم إذا اشتغلوا بالنهب طبق عليهم هو وجنوده، ولكنهم نهبوا غالب جيشه، اخذته بادية بن سبهان وانهزموا تحت الليل حتى إن ذلول عبدالعزيز مصيحة اخذت مع الجيش ولكن عبدالعزيز بن سعود ادرك بعلو حظه وبحسن تدبيره أن أخذ من ابن سبهان جيش كثير، ومن حسن الصدفة التي سيقت لعبدالعزيز وهو أنه بعدما اصبح في منزله والخيام على مبناها إلا والجيش والابل تنصب عليه من النفود، وكان أهلها يغرهدون، وهي إشارة بالفرح بالغنيمة، فركبت خيل عبدالعزيز عليهم وعصبتهم وردت أولهم على اخرهم، وقامت عليهم الرجل والجيش من الخيام وأخذوهم جميعا، جيشهم وابلهم، ونظروا الى رئيسهم وإذا هو عقيد من شمر من الأسلم يدعى عمش الفريد فقد أغار على عنزة واخذ منهم ثمانية اقطاع من الإبل فجاء بغزوه وبإبله يريد زامل السبهان ليعرض عليه وليوريه كسبه، وحينما رأى الخيام منصوبة كان لا يشك أن هذا ابن سبهان صاحب الخيام، فساقها الله لعبدالعزيز غنيمة باردة فأخذها جميعا، وأعطى لأهلها الأمان من القتل . ويقول المتنبي:

فرب مريد ضره ضر نفسه ... وهاد اليه الجيش اهدى وما هد ى
ومستكبر لم يعرف الله ساعة ... رأى سيفه في كفه فتشهدا
هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا ... على الدر واحذره اذا كان مزبدا

فتلك والله صفة عبدالعزيز وما منحه الله من التوفيق العظيم .

وفي تلك السنة اشتد القحط والغلا في نجد، واشتد الجدب في البراري، فما تجد منها ارض مخصبة، وجلت كثير من البادية الى المشارع وهي الكويت والاحساء وعمان، واغلبهم طاح في مكة وهم خاصة عتيبة، ونجع كثير من الحضر عن أوطانهم الى هذه البلدان المذكورة[1]، وتسمى هذه السنة عند البادية سنة دمغاني فكان الرجل يأكل فيها ولا يشبع، وكانت تعرف عند الحضر سنة الجوع، وكانت جملة تواريخ أهل نجد في الحوادث، حتى انك لو تسأل الشيخ المسن متى ولادتك ؟ لقال لك انا في سنة الحادث الفلاني، ولم يقل سنة كذا من الهجرة، حيث يقولون سنة البَرَّد وسنة البْرْد وسنة الجراد وسنة الدبا وسنة الربيع وسنة الدهر وسنة الوقعة الفلانية وعلى هذا، وفي تلك السنة من شهر صفر ظهر عبدالله بن الحسين بن علي من مكة غازيا على مطير ومعه جنود من عتيبة ومن الشلاوى ومن البقوم ومعهم مائة من أهل بيشة وهم عساكر الأشراف من قديم، فأغاروا على عربان من مطير بني عبدالله يقال لهم الدياحين وذوي ميزان وذوي عزيز والغارة في شعيب يسمى هدان قريبا من حفر بني حسين المعروف، فهزموه وقتلوا عليه عدة رجال ومن بين القتلى ثلاثة من الأشراف، منهم محمد بن

---

[1] نهاية ص ١٥٣من المخطوطة

صالح ال حارث، ولم يدركوا منهم شيء من الغنيمة، وفي تلك الوقعة يقول شاعر مطير:

ياذيب يا اللي في شعيب هدان	لا تاكل الا من شريف
بمسلب نرفع له النيشان	بارودها يزرف زريف

ثم انقلب الى مكة خائبا مخذولا، ومما يروى لنا عن ضيف الله بن عقاب الذويبي، أن الشريف عبدالله بن محمد بن عون، توعده وتهدده بأن يصبحه حينما ينقطع الليل من النهار، فقال يرد عليه على لسان المرسول الذي أتاه : والله ونعم يا بو شرف، بزين الموكب بين مكة وعرفة، لاسيما إذا كانت الموسيقى تخفق بين يديه، وأما تصابيح العربان والغارة عليهم، فليتركها لأهلها وهم الرشيد والسعود. وكان عبدالله بن الحسين حصان اشقر، كل من قاده ما ربح، فلم يأت بيوم خير، الى ان خرج من الدنيا، لا لأبيه ولا للمسلمين.

ثم دخلت سنة ١٣٢٨هـ، وفيها استدعى مبارك ال صباح، عبدالعزيز ال سعود، أن يتجهز بجنوده من أهل نجد، ليغزو معه على سعدون المنتفق، لإختلاف حدث بينهم، فأجابه عبدالعزيز من فوره، حيث إنه كان يحترم مبارك، ولا يقف عنه بطريق يريده، ويستصغر له، ويتقيد بأوامره، ويرى أن كل ذلك ردا للجميل الذي صدر من مبارك على عبدالعزيز، فجهز ما قدر عليه من جنود نجد، وعند خروجه من الرياض، خرج مسرعا لإجابة مبارك الصباح، لأنه يتابع الرسل عليه ويستحثه على السرعة، لذلك مشى من الرياض بما اجتمع عليه من الجند، وترك بقية ال سعود يتجهزون ويتبعون أثره، فلما

تجهزوا وخرجوا من الرياض، اعتزل ال سعود عن غزو الناس التابعين لعبدالعزيز، وقالوا لهم حنا لنا درب غير درب عبدالعزيز، فمن شاء أن يتبعنا ومن شاء أن يلحق عبدالعزيز فهو بالخيار، ولا نكره أحدا منكم، فمن الناس من تبعهم وهم القليل[1]، وأغلب القوم اقتفى أثر عبدالعزيز بطريقه الى الكويت، وأما ال سعود فقصدوا الاحساء، وهم أولاد سعود، وعددهم ستة، وأكبرهم سعود بن عبدالعزيز ثم تركي بن عبدالعزيز، وإخوانهم فيصل ومحمد، ثم فهد بن سعد، ثم سلمان بن محمد بن غزالان، وكان اخوه الكبير سعود بن محمد قد قتل في وقعة الطرفية الأخيرة، وهو من أعوان عبدالعزيز بن سعود وقد ثبت معه على نية صادقة، وكان شجاعا مقداما مهابا مخلصا للملك عبدالعزيز، وهؤلاء من عددناهم الذين يسمون العرايف، فلما وصلوا الى الاحساء إذا عبدالعزيز قد وصل الكويت بمن معه، فاطلع على مفارقتهم له وهو في الطريق، فلما وصل الكويت، واطلع مبارك الصباح على قضيتهم اجتهد مبارك أن يصلح بينهم، فلم يتوفق، وكان أولاد سعود يقدمون طلبهم من عبدالعزيز أن يعطيهم إمارة الخرج ويسكنون فيه فأبى عليهم ذلك عبدالعزيز، وقال له : يا ابن العم يا سعود بن عبدالعزيز، وكان هو أكبرهم سنا، والله لو طلبتني من نجد شجرة عرفجة تستخص بها دوني فلن اسمح بها لك، أتريد أن أجلس بقصري بالرياض ويقال لي يا محفوظ، وانت تجلس بالخرج مثلي ويقال لك يا محفوظ، ما يجتمع فحلان في ذود، ولكني أجعلك اخوي الشقيق، وأواسيك بنفسي وإخواني، فانا بهذه الصفة حملتك على رأسي، وانت شريكي بكل خير يرد

---

[1] نهاية ص ١٥٤من المخطوطة

لي، وإن كان تبيني اشطر لك من نجد شطر تملكه، فذاك بعيد عنك، فافترقوا من ذلك المجلس بحضور مبارك الصباح بالكويت على غير اتفاق من الطرفين، أما سعود وإخوانه فتوجه الى الجبيل، وأما عبدالعزيز بن سعود، فتجهز مع ابن صباح غازيا على سعدون ، كما قدم الكويت من أجل ذلك، بعدما عرض على ابن صباح أن يدخل بينه وبين سعدون في الصلح، فأبى مبارك ألا أن يغزوه، فغزوا جميعا بقوة وعدة رجال، فأغاروا على سعدون في موضع يقال له ابو غار، فتكاثرت عليهم الافزاع من كل قبيلة، وهم المنتفق والظفير والبدور والزياد، فهزموا ابن صباح وابن سعود جميعا ومن معهم، وكان رئيس غزو أهل نجد عبدالعزيز بن سعود ورئيس أهل الكويت جابر المبارك الصباح، وكان يتبع هذا الغزو مئات من الجيش المحمل بالنقود من ذهب وفضة وكلهم تجار يقصدون المشترى من الغنيمة، فانهزموا جميعا واخذت الشوكة والتجارة، أما عبدالعزيز بن سعود ومن سلم معه من جنده بعد الهزيمة، فإنه توجه الى نجد، ولم يلبث في الكويت إلا قليل لا سيما وقد بلغه أن الشريف الحسين رجع من مكة متوجها الى نجد فاستخف واستراب من ذلك لأنه لم يعلم بمقاصد الشريف، لخروجه من نجد، فلما وصل الرياض، جهز غزوه وأمر على غزو البلدان[1] المجاورة له بالقدوم عليه بكل ما يملكونه من قوة، ثم بلغه وهو في اثناء تجهزه أن الشريف الحسين قد أغار على اخيه سعد بن عبدالرحمن، قريب القويعية هو وسريته التي معه، وأخذهم وهزم اخاه سعد وقبض عليه وحبسه، وقتل منهم عدة قتلى، ومن القتلى خادم سعد الخاص

---

[1] نهاية ص ١٥٥من المخطوطة

واسمه فراج المليحي السبيعي من بني ثور، وهو والد شامان الملتحق بخدمة الامير فيصل ولي العهد، ثم بلغه ايضا أن العرايف دخلوا الحريق، وقام معهم الهزازين، على عبدالعزيز، وبلغه ايضا أن ابن رشيد ـ وكان زعيمهم زامل السبهان ـ قد نزل قصر ابن عقيل، وهو القصر المعروف بأعلى (مر) الرس، وأن الشريف الحسين نزل على نفي، ومعه اخوه سعد محبوس، وأن الرسل بين الشريف وبين ابن رشيد مستمرة كل يوم، وهي للموافقة فيما بينهما على حرب عبدالعزيز بن سعود، كل هذا تحققه عبدالعزيز بن سعود وهو في غزوانه نازل بعين علي بن ناصر بن قنور المسمى علي الجليفي، وبلغه ايضا ان تركي بن عبدالعزيز بن سعود نزل مع العجمان بضواحي الاحساء، ويطلبهم النصرة، لأنهم اخوال جده سعود، واليك ايها القارىء ثبات عبدالعزيز عند الشدائد، بعدما تتابعت عليه هذه الأحداث، بعدما ذكرنا أعلاه، فإنه حينما ثبتت لديه هذه الأخبار، ابتدأ بابن رشيد يطلب منه الصلح، وكان هو الأهم لديه لأنه عدو قوي، ويترقب الفرص، وكان مع ابن رشيد ثلاثة ألاف خيال وأضعافها من الجيش فحينئذ اركب لابن رشيد يطلب منه أن يرسل اليه برجل يعتمد عليه، ونتفاوض فيما بيننا بالصلح، ويبعث معه ايضا ورقة يكتب بها الشروط التي يريد أن يشترط علينا وننظر فيها ، فأرسل ابن رشيد له خادمه الفايز، وهو مشهور بالعقل والحلم، وأرسل معه رجلين عاقلان يشدان ساعده، فلما حضروا عنده تفاوضوا في [الأمر] وعرضوا عليه اللائحة التي كتبها ابن رشيد، وعين طلبه فيها، وإذا هو يقول : اطلب عليك يا عبدالعزيز بن سعود أن ترفع يدك عن حرب وعن مطير بني عبدالله وعن هتيم،

فإنهم جندي وأنا الذي اجبي زكاتهم، فلو تمعكت ابلهم بحيطان الرياض فإنك لا تعترضهم ولا تزكيهم، فأنا الذي أزكيهم بأي مكان، فحينما قرأ اللائحة عبدالعزيز بن سعود، وتبين له أن هذا الذي يطلبه ابن سبهان، اخذ القلم بيده وامضى على هذه الشروط كلها بالرضى والتصديق، وأعطى الخادم الفايز ثلاثمئة جنيه، وأعطى للرجلين الذين معه على مائة جنيه، فانصرفوا منه وهم راضين يشكرون، وأرسل معهم رجلا من قبله يحمل رسالة بوفاء العهد لابن رشيد، ويطلب منه أن يكتب له بالوفاء على ما تواثقوا عليه، فكل منهم واثق صاحبه بالنية الصادقة، وبه انقلب ابن رشيد من وقته متجها الى بلده حايل، وترك الشريف حسين وهو مقيم على نفي ومعه فزعة من قبائل عتيبة ومعه ما يقرب من ثلاثمئة[١] ذلول من الحضر، واغلبهم من عسكر بيشة، وكان الأمر الذي رغب ابن سبهان لقبول الصلح، هو أنه لما اخذ يراسل الشريف الحسين، وجد أن اقواله شاذة، وانه يريد الرئاسة على ابن رشيد، وابن سعود، وعلى كل من بالجزيرة، وأنه يكاتب ابن رشيد ويحرضه على حرب ابن سعود، يريد أن يجعله كصفة خادم، ويكون هو الأكبر، الآمر الناهي، فأنكر منه ابن رشيد ذلك أن يجعل كخادم له، يأمره وينهاه، وهذه صفة أحرار نجد ما يخضعون لمن فوقهم، فمن ذلك نفض يده ابن رشيد من صحبة الشريف، ورأى أن لا فائدة له منها فتركه ورجع الى بلده . وكانوا أهل نجد كافة يشكرون زامل السبهان في ذلك المنزل الذي نزله في قصر ابن عقيل، فكان قد تفرد في القصيم، وزروعهم كلها بالبر، فلا عرض لأحد منهم بسوء، بل إنه جعل من جنده خداما

[١] نهاية ص ١٥٦من المخطوطة

يذودون جنوده عن ضرر الناس، فلا يمكنونهم أن يضروا أحدا، وأما عبدالعزيز بن سعود فإنه حينما أتته رسله بقبول الصلح من ابن رشيد، وعلم أن ابن رشيد قد رحل وتوجه الى بلاده اخذ يوجه الهمة الى هذا الملك المغرور، وهو الشريف حسين، ويسعى معه بتخليص شقيقه سعد بأسلوب حسن حتى تعجزه الحيلة، فاخذ يكاتبه ويراسله ويلطف له بالقول في بادىء الأمر، فاتفق أن الشريف الحسين، أمر خالد بن لؤي أن يركب الى عبدالعزيز بن سعود، في موضعه الذي هو فيه، فأتاه في ذلك الموضع الذي ذكرنا، ودفع اليه كتب الحسين، وكان عبدالعزيز من قبل لا يشك إلا أن اخوه سعد مع خالد حينما أقبل، فلما نزل خالد عنده دفع اليه كتب الحسين فقرأها فلم تعجبه، فأمر على جنده بالعرضة أمام خالد ومن معه، وأن على كل من أهل البلدان، يظهر على رايته، ويعرض وحده تحت رايته، وكان الأشراف ال لؤي من عنصرهم المتقدم وهم عيبة نصح لآل سعود خاصة، ومحبين لهم، ومتمسكين بعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وكانوا من أخلص أنصارها، وكانت عقيدتهم سلفية محضة، على إنهم يتشبهون بالبادية، فكنت أنا قد اقمت عندهم في الخرمة سنتين، سنة ١٣٣٠هـ والسنة التي بعدها ١٣٣١هـ وكنت اقرأ عليهم الوعظ والأحاديث، فيصغون بقلوب واعية مستصغية، وكان في ذلك الوقت الأمير هو غالب بن ناصر، وهو ولد عم خالد، وأما الإمام عبدالعزيز فإنه حينما استقر عنده خالد ومن معه، أمر بالرايات فأبرزت، ثم أمر على الجند بالعرضة، وكل أهل بلد

تحت رايتهم، فكان أول من نهض الصوت، شاعر أهل شقراء واسمه عبدالرحمن بن سعد البواردي فقال[١]:

يا سعد يا بعد حي قعد	كيف تسهر وحنا نايمين
يا سعد والوعد حس الرعد	من خشوم الموارت له رطين
يا سعد وابتهج يا بو فهد	جاك لطام روس العايلين
جاك نمر يصيد الى هدد	يقود له نمرى تشيب المرضعين

ثم إنه ارخص لخالد ومن معه يرجعون الى الشريف، وأمر لهم بكسوة وشرهة، وأعطاهم الكتب للشريف، وكان قد أيس أن الشريف يطلق أخاه سعد، إلا بفعل يليق بالمقام، فالتفت على عبدالله بن عسكر، أمير المجمعة وهو جالس عنده فقال يا ابن عسكر والله انه وقع علي قول زامل بن سليم حيث يقول :

ارحم اللي لاحرب ماهوب ناير   كل عجمان الألسن يطلبونه

فاخذ يستعد لحربه، وكان الشريف قد جعل أخاه سعد في خيمة وحده، وجعل حبسه بيد اثنين، وهما علي بن عريد وعبدالله ابو يابس، وكلهم أشراف، وأعطاهم أمر أنكم متى سمعتوا علينا هجوم من ابن سعود ليلا كان أو نهارا فاقتلوا اخوه سعد، ولقد قصوا علي هذه القصة كلا الاثنين، وإنها كانت صدق، فكانت شبيهة بقصة فهد بن عبدالله بن جلوي مع ضيدان بن حثلين، أما عبدالعزيز بن سعود فمن سجيته دائما، أنه يجعل كلمة العوام نصب عينيه وهو قولهم (اجعل اقشر ما عندك هو اتلى ما عندك) فكتب لمحمد بن هندي بن حميد كتابا وكان نازلا مع الشريف، وكان هو رئيس عتيبة قاطبة يأتمرون بأمره ولا

---

[١] نهاية ص ١٥٧من المخطوطة

يعصونه فيما يريد، وقد روى لي رجل ثقة، عن سعد بن محمد، الملقب سعيدان وهو إمام مسجد نفي، ويعرف اسمه مطوع نفي، بأنه قال عنه وهو يحدثه، إني كنت نائما في بيتي قبل الظهر، فلم اعلم إلا وأهلي يوقظونني، يقولون إن بالباب رجل يناديك باسمك فقمت وفتحت الباب وإذا به الأمير محمد بن هندي، فقلت له : خيرا أيها الامير فقال لي معي كتاب اريد منك تقرأه علي، فقلت حلت البركة تفضل وادخل فقال لا، أخاف نقرأه بالبيت فيسمعه عبد أو حرمة أو وغد[1]، ولكنك اخرج علي، قال فخرجت معه ومشى بي حتى تغيبنا عن الناس، فلما استقرينا بالمكان الذي هو يريده، أخرج الكتاب من جيبه، وقال لي هذا كتاب من الإمام عبدالعزيز فاقرأه علي، قال فكسرته وإذا عنوانه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، الى جناب المكرم الامير محمد بن هندي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد

من خصوص هذه الحية اللي جبتوها ياعتيبة، وحطيتوها بحثلي، وفعل بنجد ما فعل[2]، وحبس اخوي سعد عنده، ولم يطلبه شيء، فوالله الذي رفع السماء بغير عمد، وبسط الأرض على ماء جمد، إن كان ما اطلق اخوي سعد، (يا صمط لحية درويشك لاخليها تذراها الهبايب مع طين نفي، والامر كله من

[1] وغد بمعنى صبي او غلام بلهجة شمال الجزيرة ولا تزال تستخدم
[2] نهاية ص ١٥٨ من المخطوطة

رأسك، إن شئت تسهلها تسهلت، وإن شئت تعسرها تعسرت، وختم كتابه بقوله (سور العوجا) وانا ابن مقرن والسلام .

فلما قرأته عليه، قال : أهب .. حضري ما أظفرك، ثم التفت علي وقال : ياسعيدان انت توصيني اطلق اخوه ؟

ثم إنه حين ما صلى العصر، سير على الشريف حسين كعادته، وقال له : ياحسين هذا الورع الذي انت ربطت، هل تطلب أخوه رقبة، أو حلال تربطه به ؟ فلم يرد عليه الشريف بشيء، فلما رأى ابن هندي أن الشريف متحير في أمره طلب منه الرخصة إنه يركب لابن سعود، وانا يا ابن هندي اسبر لك غور ابن سعود وما عنده، فأذن له أن يركب لابن سعود، فركب له محمد بن هندي، ونزل عليه وتفاوض معه في حبسة أخيه ثم قال له : أنت تبي أخوك ينطلق ويجيك ياعبدالعزيز ؟ فقال : واي شيء اكبر عندي من هذا !

فقال له : إني رأيت حصانين، مربوطات في نخل علي الجنيفي، فأمر شلهوب بان يشتريهن، فأرسل شلهوب واشتراهن في ثمانمئة ريال، واخذهن محمد بن هندي معه، وطلب من ابن سعود أن يرسل معه خادم وجيه متكلم، فأرسل معه عبدالعزيز الرباعي ومعه عدة خدام وكتاب فيه لين وتعطف، فمن حين ما وصل ابن هندي وسلم على الشريف وتريث ابن هندي قليلا، حتى أكمل قراءة الكتاب، فقام بن هندي وسلم رأس الشريف حسين، وطلب منه السماح والعفو وأن يطلق سعد، فسمح له بذلك، واطلقه من حينه، وركب سعد هو وخدامه الى أخيه، وأما الشريف فهو ارتحل من غبه راجعا الى الحجاز، لم يأكل إلا لحم لقلة الزاد معه، حيث إنه حينما

نزل نفي، ارسل خادما معه اسمه ابراهيم بن معتق، ودفع له سبعمئة جنيه، وأمره ان يشتري بها زهاب، للجند، وشعير للخيل، ثم إن ابن معتق مشى من عنده وقصد الفيضة من قرايا السر، يشتري له زهاب، فاشترى برا وواجر على من يطحنه، واشترى عليقا للخيل، وحينما سمع بتهديد ابن سعود للشريف حسين من قبل اخوه سعد، هرب ابراهيم بن معتق الى الشريف حسين، وترك البر والشعير الذي استعد به ووافق رحيل الشريف حسين الى الحجاز، فرحل معه وخلف جميع مشتراه عند أهل الفيضة، فعلم عبدالعزيز بن سعود، فارسل عليه واخذه من أهل الفيضة[١] .

[٢] **(ثم إنه لما تحقق ـ ابن سعود ـ برجوع الشريف الى وطنه وقد افتك اخوه سعد، ادار وجهه جهة الحريق وخصماؤه الذي فيه، وهم العرايف والهزازين من ساندهم من البادية، فصبحهم عبدالعزيز بغارة شعواء في موضع يقال له الجرعى، واصطدم هو وسعود العرافة وهم على خيلهم وجها لوجه وكان عبدالعزيز يسأل أهل الخيل يا من شاف القعود الأزرق ياهل الخيل، فردها عليه سعود، وكان كليهما لا يشك في شجاعته، فتبادلا السهوم من أيديهم، أما عبدالعزيز فضرب فرس سعود بالشلفا، على الكلوة، وأما سعود فضرب فرس عبدالعزيز بالبندق فسقطت الفرسين كلهن ميتات، كلا منهما اركبوه أصحابه أهل خيله، ولقد سمعت سعود العرافة بإذني لما كان في الخرمة، أيام كان ضيفا على الشريف حسين، وأنزلهم الشريف بالخرمة، عند**

[١] نهاية ص ١٥٩من المخطوطة

[٢] ما بين القوسين ساقط من مخطوطة العبيد التي بين يدي وتم إكماله نقلا عن نسخة البطحي

آل لؤي، وكان يتحدث في ذلك المجلس عن وقعة الجرعى مع ابن عمه عبدالعزيز بن سعود، ويقول لهم في تلك الوقعة والله يا الأشراف انتم وحظكم، لو أني بغيت قتل عبدالعزيز تلك الساعة فإنه اقرب لي من زرار ثوبي، ولكني أرخيت خشم البندق، أريدها بالفرس ولا بعبدالعزيز فجاءت على ما بغيته.

ثم إنه هزمهم عبدالعزيز وانهزموا الى الأفلاج وطلبهم عبدالعزيز طلب حاد، أما سعود ومن معه فإنه انفرد عنهم وسلم، وأما الهزازين ومن معهم فقد أدركهم وقتلهم جميعا، ورئيسهم عبدالعزيز بن عبدالله الهزاني. ثم إنه لما فرغ من هذه الوقائع والكروبات، انقلب ودخل بلاده ظافرا منتصرا، ثم قبض على من بقي من الهزازين، وكان عددهم احد عشر رجلا، فحبسهم في الرياض، وكان رئيسهم راشد بن عبدالله الهزاني. وأقاموا في حبسهم سنة كاملة، ثم إن الشيخ قاسم بن ثاني، راجع عنهم عبدالعزيز بن سعود، وافتداهم منه وبذل له أربعين الف روبية، على أن يطلقهم، وقبض عوض ذلك أسلحة، ثم إنهم توجهوا اليه ضيوفا، ونزلوا عنده واقاموا عنده سنتين، ثم إنه نزل عنده فهد بن سعد العرافة، ضيفا ثم نزل عنده ايضا عبدلله بن نادر، أمير السليل من وادي الدواسر، وكان هذا الأخير يحب ال سعود الفيصل فخاف عبدالعزيز، لأن هؤلاء اجتمعوا عند قاسم وكلهم عدوان له، فكتب للشيخ قاسم يتهدده فيه، حتى يفسح لهم ويبعدهم منه، وكان كتابه كما أخبرني به راشد الهزاني من رأسه، وقد اطلعه عليه الشيخ قاسم ابن ثاني وهذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب المكرم الشيخ قاسم بن ثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فانك زبنت عدواني،)[١] وجمعتهم عندك فهذا فهد العرافة عندك، وهو يدور على راسي، وهذا عبدالله بن نادر، وانت تعلم وش أفعاله مع عيال سعود، وهؤلاء الهزازين عندك، ولا يجهلك ما أجروه معنا بالحاضر، فإذا وصلك كتابي هذا، ترخص لهم، ويرحلون ولا يجلسون أكثر من ثلاثة أيام بعد وصول كتابي هذا اليك، وإلا فانت احتسب بضد ما عاملتك به سابقا، ليكون معلوما والسلام. (أي فيكون بعد السلم الحرب) وبعد الصداقة عداوة، فاختر لنفسك ما ترى هو الأمثل، فلما قرأ الشيخ قاسم كتاب الإمام عبدالعزيز، فاخذه المقيم المقعد، فدعا برجل من ضيوفه، محنك قد عركته الحوادث، فاختصر معه سرا، وأطلعه على كتاب عبدالعزيز واستشاره، ماذا يرد جوابه؟ وكان المرسول حاضرا في الضيافة من قبل عبدالعزيز، ومؤجل برجوع الجواب، فقال له المستشار : ياحضرة الشيخ قاسم، هذا ملك حشو ثيابه الدهاء، وقد أعطي فكر ثاقب، وغور عميق. والدهاء معناه أنه يدهي قرنه بأمر عظيم، يفل من عزمه حينما يلقى منه الخطاب، ففي خطابات عبدالعزيز، سحر صائب، قلما تجد من الرجال من يقابله بمثل ما يقول، ثم قال له المستشار : ايها الشيخ إني أرى اليوم معاملة الخطاب باللين لم يبق لها محل، فأنت عامله بالغلظة والشدة

---

(١) نهاية النقل عن نسخة البطحي

في كتابك له، ولا توريه[1] لين، فيطمعه ذلك فيك، ثم إن الشيخ قاسم دخل على كاتبه في غرفة السر وأمره ان يكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

من الشيخ قاسم بن ثاني، الى جناب المكرم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال الفيصل، تحية ووقار، تلقينا كتابكم الكريم، وتلوناه مسرورين بصحتكم، ونهوض عزكم، وكان جوابكم لنا، أن قلنا ونحن نقرأه، يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأما الجواب المودع ببطن الصحف، فاليك نص خطابه، فقد ذكرت لنا في كتابك، اننا نطرد عن ضيافتنا فلان وفلان، أما الهزازين فقد جاوبتك عنهم مرارا، أيام كانوا في حبسك وبذلت لك جاهي ورجائي شافعا اليك بهم أن تطلعهم، فلم تسنعني فيهم، ثم آل الأمر ان تجعلهم رقيقا ومماليك يشترون بدراهم معدودة، فاشتريتهم منك بمالي، اربعين الف ربية، دفعتها اليك وخلصتهم من حبسك، ومن رقك، ودخلوا في رقي أنا وحدي، ولا فخر في ذلك، وأما فهد بن سعد السعود، وعبدالله بن نادر، فهم ضيوف عندي مكرمين، ومعاملتي للضيف احمله على راسي، وإن نزل من راسي فعلى أكتافي، الى أن تحين الفرصة لمغادرتي رغبة منه، فحينئذ هو[2] حر بنفسه، ولن أجد مسوغا لمنعه، ومعاذ الله أن يتحدث العرب، عن قاسم بن ثاني، إنه طرد ضيفه وضيوفه، وأما هذا الكتاب الذي أتاني منك، تهددني به، هو خير جزائي منك، حينما أتاني والدك عبدالرحمن الفيصل، ومعه حريمه وعياله، فأخرجت حريم ال ثاني من غرفهن وصناديقهن وملابسهن واصواغهن، وانزلت حريمكم

---

[1] لا تريه

[2] نهاية ص ١٦١ من المخطوطة

مكانهن، فكانوا جميعا في ضيافتي، وهم في كل يوم لهم عندي عيد يتجدد، حتى استكملوا عندي ثلاث سنوات، فرغبوا في الرحيل الى الكويت، فما وسعني أن أمنعهم، فتركتهم وحريتهم، فغاية ختام القول إن كنت ترى بنا ضعفا عنك، وتشتهي حربنا، فلا تدخر من قوتك شيء، ولكل باغ مصرع، السلام عليكم.

فختم الكتاب، وبدل مطية النجاب بأطيب منها، وأمره أن يحث السير، ثم بعد أن مضى اثني عشر يوما لا غير، وإذا الرباعي عبدالعزيز، خادم الملك عبدالعزيز قد أناخ مطيته عند باب الشيخ قاسم ومعه أهل اربع ركائب غيره، يحملن من الإمام كتاب، وهو جواب لكتاب الشيخ قاسم بن ثاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

من الولد عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، الى جناب الوالد المكرم قاسم بن ثاني الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، دمتم بأحسن صحة، كتابكم الشريف وصل، وكان جوابا لما كتبناه لكم، فنرفع لكم خطابا بنية خاصة، وهو أني اقول والله وبالله وتالله ياكتاب كتبته لك، إني كتبته وشعوري غائبا عني تلك الساعة، وإني أراك مثل والدي عبدالرحمن الفيصل، ووالله لو وفى بطنك عشرة من المقرن، إني فلا أعاتبك عنهم، ولا تسمع مني ما يكدر الصفو بيني وبينك، فافعل ما شئت مع ضيوفك، فليس لك لائم ولا معارض والسلام .

فبهذا كل رضي على صاحبه، وانحسم الخلاف .

وفي تلك السنة اجتمع قبائل كثيرة من الرولة، وأغار عليهم زامل السبهان، بجنود عظيمة من شمر وأهل الجبل، وهم على ماء من أمواه الشمال، يسمي الجميما، فأخذهم وانتصر عليهم.

ثم دخلت سنة ١٣٢٩ وفيها غزا الإمام عبدالعزيز على عتيبة، وهم قريب من الشعراء فأخذهم، ثم انحدر من وقته الى الكويت، واجتمع مع غزو ابن صباح، فأغاروا على المنتفق، ورئيسهم سعدون، فانتذروا، فلم يدرك شيء من حلالهم، فدخل ابن صباح الكويت بغزوه، وقصد عبدالعزيز قرية المعروفة في ديرة مطير، على طريق الكويت للمنحدر من بلدان نجد، ثم ذكر له أن جنودا تجمعوا من العجمان وغيرهم، ومعهم تركي بن عبدالعزيز بن سعود، اخو سعود العرافة، ونزلوا في ضواحي الحسا[١]، فأغار عليهم، وأخذهم، وقتل تركي بن سعود، فجاء البشير، يبشره بأني قتلت تركي، وكان ذلك المدعي لقتله قحطاني، فقتله عبدالعزيز بيده في موقفه ذلك، ثم أمر عبدالعزيز بجنازة تركي أن تغسل، وصلى عليه، ثم دفن رحمه الله، فلما انتهت الوقعة، نزل عبدالعزيز في عين من عيون الاحساء، فأخرج له رؤساء الترك ضيفة ضخمة، رز وتمر وسمن وشعير للخيل وعلف أخضر ويابس وسكر وشاهي وقهوة وهيل، وساقوا عليه قطيع من الغنم ففرقها على جنوده، ورحل من الاحساء بعد ثلاثة أيام، ولم يمسه بسوء فدخل الرياض، وبدل جيشه، ثم خرج من الرياض، وأغار على عتيبة، فوق الصفوية، الماء المعروف قريبا من ضرية، فاخذهم، ثم انقلب من حينه ونزل الدوادمي، وأغار على إبل الحفات وهي عزيب في موضع يسمى مشقوق الخلف، وأهلها

---

(١) نهاية ص ١٦٢ من المخطوطة

قاطنين على سجى، فأخذها، ولم يفوت منها شيء، ثم انقلب ودخل الرياض، وكانت هذه الغارات تعرف عند أهل نجد، فيقولون سنة مغزا حومان. وفي هذه السنة، استعد بخيل وجياد وبنجائب عمانيات، وأمر على صالح المحسن بن عذل، أن يصحبها الي مكة، ويقدمها هدية للشريف الحسين بن علي، ملك مكة، وهو في ذلك الوقت منصوب للترك، إذا شاؤا عزلوه، وولوا غيره، وكان عدد الهدو أربع أفراس، وعشر نجايب، فلما وصل الهدو الى مكة، قدموه للحسين وقبله، واستحسنه، وبعد مضي أربعة ايام من وصول الهدو، وصل خبر الى الشريف، أن ابن سعود أغار على عتيبة، وأخذهم، وقتل عفاس ابن محيا، وكان شيخا شجاعا، لا يشق له غبار، وكان الشريف، يرى أن عتيبة رعية له دون سواه، وكل من مسهم بسوء يمقته ويعاديه، وهذا غلط منه، لأنه لا يقدر على حمايتهم، ثم التفت على من حوله من جلسائه من بني عمه الأشراف، فقال لهم : إني قد عجبت من أمر ابن سعود، يرسل علي الهدو، ويتعهد لي بكتبه أن يطيعني ويبتعد عن معصيتي، ويقول في كتابه أنا ولدك، أنا خادمك، ثم يغفلني ويغير على رعيتي عتيبة، ويقتل ولدي عفاس بن محيا، وهذه هي أقصى غاية من الغباوة والدروشة، ولم يعلم أن لسان حال عبدالعزيز يقول:

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى ولكن بأيام أشبن النواصيا

وإن الشريف الحسين مأجور بالمعاش لدولة الترك، متى شاؤا عزلوه، وجعلوا غيره من الأشراف، أو من سواهم . وإن عبدالعزيز بضد ذلك فهو لم يعزله عن ملكه إلا الذي يعزل رأسه عن جسده وبعد هذه القصة يقول شاعر من نجد:

يا الإمام اصمل بحرب عتيبة لين تقذفهم ورا الريعاني
ما وراهم حاكم له هيبة باشة ما بوَشه سلطاني[1]

ثم قال لخدامه : هالحين كلموا صالح ابن عذل، يستلم خيله وجيشه الذي أتانا هدية، ما عندنا له قبول، ثم يرجع من حيث أتى، ثم أتاه ابن عذل فوجده مغضبا وقد كاد أن يتميز من الغيظ، فتعذر منه، وأبلغه أنه خادم مأمور، لا يملك بينكم غضب ولا رضا، فقط إنه أمر أن يوصل اليك هذه الهدية، وليس عنده قدرة على غير هذا، ثم إن ابن عذل ترجى على زيد بن فواز، أن يشفع عند الحسين، ليقبل الهدو، فلم يذخر زيد من وسعه شيء إلا قاله، وكان الشريف زيد، عضد للحسين، وناصحا له، ويجترىء عليه بسبب ثقته به، ولكن كل ذلك لم يفد مع الشريف حسين شيء، ولقد صدق القائل حين يقول هذا فكره مطشر، فهو يريد أن يملك الجزيرة بالكلام الملفق، فلو فرضنا إن الملك عبدالعزيز رفع يده عن حماية عتيبة، وجعل حمايتهم موكولة على الشريف الحسين، هل يستطيع أن يحميهم ؟ كلا، فانه لا يستطيع ذلك، وكان يرى أن كافة أهل نجد، مضطرين للخضوع له، لئلا يمنعهم عن الحج والهبوط الى مكة بغير أشهر الحج، وكان يتمثل بهذا البيت ويعتمد عليه ويرى في نظره أن لا مناص لأحد عن مكة وهو

لنا بلد تدني لنا عدونا ولا خير فيمن لا له بلد تدني

[1] نهاية ص ١٦٣ من المخطوطة

ويقال ان هذا البيت لجد الأشراف، أبا نمي، وقد منع أهل نجد من الحج ما يقرب من سبع سنين، وهو يعلم أن تكليف الحج يسقط عنهم شرعا في تلك السنين، ولم يعلم أيضا إن أهل نجد عندهم أماكن بحرية، تورد لهم كل ما يحتاجون اليه، وأنهم في رغد من العيش، فلم يفقدوا إلا الحج، وقد سبق ذكره، وكما يروى لنا، أنه أتاه بعض سماسرته، فقال له : ياسيدي قد غلي الكبريت في نجد، وكاد ينعدم، فرد عليه قائلا : خليهم يقدحون بالزناد، ولم ير أمام نظره أن للعرب تأديبا اكبر من هذا، فغاية القول أن ولايته على مكة كلها هموم وأحزان له ولرعيته.

واذكر للقارىء نادرة للملك عبدالعزيز، وهو انه كان يوجد في قصر من قصور الشعراء، يسمى الرفايع، ويبعد عن الشعراء ساعة واحدة، ويملكه رجل كريم، يدعى ابراهيم بن عبدالله العجاجي، وكان يعد الضيافة لكل من اناخ على قصره، سواء كان يعرفه أو لم يعرفه، وفي سنة ١٣٢٦هـ أناخ عنده صاحب مطية، يقال إنه من عتيبة الدغالبة، وكان مرسولا من قبل ابن رشيد أمير حائل، الى محمد بن هندي بن حميد، يطلب صداقته، هو وجماعته من عتيبة، ليس معه كتاب، ولكنه مأمور أن يبلغه من رأسه ويعده ويمنيه بالعطاء الأوفر، فأكل ضيفته عند العجاجي، ورحل، كعادة الضيف المتطرق، وكان العجاجي لا يعلم بهذا الضيف، ولا من أي مكان أتى، ولا أين يقصد، ثم بعد مدة من الزمن[1]، نقل لعبدالعزيز بن سعود، أن ابراهيم العجاجي نزل عنده ضيف مرسل من ابن رشيد، الى محمد بن هندي، فلما تبلغ بالخبر، أخذ منه الغضب كل مأخذ، ثم استدعى فهد بن معمر، وجهزه وأرسل معه عشرة خدام،

---

[1] نهاية ص ١٦٤من المخطوطة

وقال له اذهب الى ابراهيم العجاجي، راعي رفايع الشعراء، وانخ على قصره، ثم اسلب ماله من يده، وسوانيه، وماله من الإبل في البر، وما عنده من الزاد، حتى صيغة نسائه وملابسهن، فمشى فهد بن معمر، معتمدا ما أمر به، ثم اندفع حتى أناخ على قصر العجاجي، وفعل به فوق ما أمره به، فبعد تلك النقمة زالت نعمته بالكلية، وخلي ما في يده من كل شيء، ونزل الشعراء هو وحريمه وأولاده، وبقي بها على حسنة المحسنين، فمضى عليه بعد ذلك قريبا من ثلاث سنوات، وكان من عادة الملوك أنهم لا يعتذرون ممن يعاقبوه ولو كانوا مخطئين عليه، فصدف أن الإمام عبدالعزيز بعد وقعته على عتيبة، وقتله عفاس بن محيا، وهي الوقعة التي غضب منها الشريف حسين، وقد ذكرناها سابقا، وكان عبدالعزيز بن سعود قد خيم على الشعراء بعد انقضاء الوقعة، وكان هو بنفسه بضيافة أميرها عبدالله بن مسعود، فلما دخل عليه، وجلس عنده، التفت اليه قائلا : يا بن مسعود هو ما زال عندكم ابرهيم العجاجي ببلدكم هذي؟ فقال له : نعم . فقال له عبدالعزيز : ادعه لي أكلمه، فلما أتاه وسلم عليه، قال له : يا ابراهيم، سامحني وابحني، وهو خير لك أن تبيحني، وكان عبدالعزيز قد تحقق من قبل، أن العجاجي لم يعلم بهذا الضيف، فقال له العجاجي : وكيف ابيحك يا عبدالعزيز، وأنت الذي أرسلت لي أظلم من في نجد، وسلب مالي من يدي، وجعل حريمي وأولادي جياعا وعرايا، والله لن أسمحك حتى أقف انا وانت بين يدي الله، فقال له : يا العجاجي اذا وقفنا بين يدي الله يبي

يتعلق بين يدي سبعين لك[١] من أهل نجد، وانت واحد من هؤلاء، ورحمة الله أوسع يا العجاجي. ثم بعد هذا الخطاب بثلاث وعشرين سنة، أي في سنة هـ١٣٥٣ وكان العجاجي في ذلك الوقت قد نزل الرياض بعائلته ونسائه، وقد اندمل جرحه، واتخذ الله عوضا في كل فايت، وحينما جلس الملك ذات يوم، سأل خادمه ابراهيم بن جميعة : هل ابراهيم العجاجي موجود في الرياض ؟ فقال خادمه : نعم، وقد اجرينا له راتب من بيت مالكم، وهو شيء يسير، فقال الملك لابراهيم بن جميعة : رح للعجاجي واسأله كم عدد نقيصه حينما سباه فهد بن معمر، هل هو يحصيها ؟ فقال العجاجي : نعم انا محصيها، وكان شيخا مسنا، قد ابتدأ به الهرم، فقال لابن جميعة: نقيصتي[٢] ستة الاف واربعمئة فرانسي. فرجع ابن جميعة من ساعته، فأخبر الملك بما قال العجاجي، فقال له : رح للشبيلي عبدالله، خله يكتبها له حوالة على مزكى عتيبة، لان الشبيلي رئيس ديوان التحويلات وكنت انا ذلك الحين، موظف بدائرة الشبيلي هذه، فأمرني أن اكتبها، وكان هو المدير، فادخلتها بالبوك بقلمي، ومضى بورقة التحويل الى الملك عبدالعزيز، فقرأها ووضع ختمه عليها، ولقد وفق الملك لهذه الفضيلة، حيث إنه استسمحه بخلاص حقه بحياته قبل الممات، فلا يعدمنا الله من ملك يعطف على رعيته، ويواسيهم، ويضمد جروحهم.

ثم دخلت سنة ١٣٣٠ ١٣٣١ هـ وانا في الخرمة، عند خالد بن لؤي، وكان العرايف عندهم، وهم خمسة سعود وإخوانه اثنين فيصل ومحمد، وفهد بن سعد وسلمان بن محمد، وكانوا

---

[١] اللك يساوي مئة ألف أما في الاستعمال الدارج فصيغة مبالغة يكنون بها عن الكثرة التي لا تحصى

[٢] نهاية ص ١٦٥من المخطوطة

قد أحسوا بجفوة من الشريف حسين، فأمر عليهم أن ينزلون الخرمة، وقطع عنهم ما كان يجري لهم سابقا من المصاريف، وحجته في ذلك، إنه يقول إني عرضت عليهم الصلح مع ابن عمهم، وقلت لهم انا أتوسط فيما بينكم، فنفروا من ذلك واستكبروه، فتركتهم ورأيهم، هذا ما يعتذر به الشريف حسين من الناس بسبب جفواه لهم، والله أعلم بصحة ذلك، وكنت انا في ذلك الوقت صاحب دكان في الخرمة، وقد جعلت فيه رغبة البادية من الكسوة، وليس لي مجالسة إلا معهم في كثير من الأوقات، بل إنه إذا ما تأخرت عنهم في بعض الوقت الذي أزورهم فيه، هم يرسلون الي حتى اجلس عندهم، وأتحدث معهم، وكانوا كثيرا يصغون الى ما أقول، ويجاوبونني بمثله، ولولا ذلك لم أتيهم، فإنهم يكرمونني في محلهم، وحدث ذات يوم أن طرحنا على بساط البحث بيننا، شرب الدخان، وكلنا نستقذره ونمقت شاربه، فتكلم فيه سلمان بن محمد من بيننا، وقال هو أعظم ذنب من الزنا، فقلت له : ياسلمان الزنا ذنبه عظيم، فيه تهديد ووعيد في كتاب الله، والزاني يجلد على الزنا بكرا ويرجم محصنا، والزنا يدخل على القبيلة نطفة ليست منهم فتكتشف عوراتهم، وتشترك معهم في مواريثهم، وتدخل عليهم من ليس منهم، فقال : امهلني وخذ دليلي على أنه أعظم من الزنا، فقلت له : هات ما عندك من الدليل على ما قلت من الكتاب أو من السنة، فقال : أما الكتاب والسنة فلم يذكر فيهن، إلا على قياس العلماء، وكل منا يعلم ذلك، وأما دليلي على كونه أعظم من الزنا، فالزاني ربما يزني في العمر مرة، أو في السنة مرة، أو في الشهر مرة، أما شارب الدخان فهو يشربه في كل يوم، وفي كل ساعة، في ليله ونهاره، فبسبب الإدمان

في شربه[١]، تتطور الذنوب بطور أعظم من الزنا، فخشيت من الاسترسال معه، وأن نفيض الى بحث أوخم من ذلك فسكت، وانقطع الكلام .

في سنة ١٣٣١ اخذ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن ألاحساء، وذاك إن الملك عبدالعزيز خرج بجيشه من الرياض في أول ربيع الأول من تلك السنة، وقضى ما أراده من التجول على البادية، ثم قصد الخسف وشن الغارة على آل مرة، القاطنين هناك حتى اخضعهم للطاعة، ثم اختار من جنوده ستمائة مقاتل، جمعهم في يوم ٤ جماد الأولى، حينما قرب من الاحساء، وصلى بهم صلاة العشاء، ثم القى عليهم التعليمات، اللازمة، بأن قال لهم : يارجال التوحيد، اننا سنهاجم الترك الليلة، في الكوت، واننا واثقون بنصر الله، فسيروا صامتين مخبتين، حتى لو خاطبكم أحد فلا تخاطبوه، ولو اطلق عليكم الرصاص فلا تجيبوه، بل امضوا حتى تدخلوا الاحساء، وهنالك حاربوا من حاربكم، ووالوا من والاكم، وحذارا أن تدخلوا البيوت، أو تعتدوا على النساء والأطفال، فسار بجيشه في ظلام الليل، مشيا على رجليهم، في هدوء وسكون لا يشعر بهم أحد، وهو بنفسه قائدهم الاكبر، حتى بلغوا أسوار المدينة، ونصبوا جذوع النخيل على الاسوار، فكانوا يتصاعدون حتى كضت رؤوس الأسوار من الرجال، فمدوا لهم حبالا ينزلون منها على بلد الكوت، وكان الإمام عبدالعزيز قد استبطأ جنده عن الصعود على ظهر السور، فلما همّ أن يصعد بنفسه قبلهم كلهم، فلطمه (!) رجل من الجند، وهو ابن نفيسة، الملقب عمعوم، وقال له ياعبدالعزيز لا تعدم المسلمين من حياتك،

---

[١] نهاية ص ١٦٦من المخطوطة

هانذا أصعد مكانك، وكان عبدالعزيز إذا حدث عن هذا الهجوم، وذكر لطمة بن نفيسة له، كان يقول ما أحسن تلك اللطمة، وهكذا تتابع الجند حتى نزلوا عن أخرهم بالمدينة، فما أذن مؤذن الفجر للصلاة، إلا ومنادي عبدالعزيز بن سعود ينادي على الترك بالأمان ثم كتب الى المتصرف من موقفه ذلك يدعوه الى التسليم، ويؤمنه على عموم الاتراك المقيمين في البلد، وعلى أموالهم، وعلى سلاحهم، وينذره عن الإصرار على عدم التسليم، بأن يفتك بهم وبه اجمعين، فالقى الله في قلبه الرعب، وخشي على جنده من القتل والتعذيب، فوافقه على التسليم، فاكرمهم الإمام، وأبقى سلاحهم بأيديهم، وقال للمتصرف : اننا نقدر للجندي العثماني بسالته، ونحترمه ونجل أنفسنا عن إهانته، فبهذا تم التسليم من ذلك الوقت[١] .

ونرجع الى ما أوردناه عن سعود العرافة وإخوانه وأبناء عمه، فإنهم مكثوا في الخرمة، الى ان دخل شهر الحج من سنة ١٣٣١هـ، أما فهد وسلمان فقد وافاهم مجهار اليامي، وهو من رؤساء يام البدو، وحسن لهم السفر معه، الى يام، ثم سافروا معه بعد انقضاء الحج الى قبيلته. بعد أن دخلت سنة ١٣٣٢هـ.

وأما فيصل، اخو سعود، فقد سافر في تلك السنة، ولم أعلم اين توجه، فبقي سعود واخوه محمد، الملقب المطوع، في الخرمة، فبعد أن انسلخ رمضان نزلوا الى مكة، وقد تزوج سعود ببنت مجري بن هملان، من شيوخ سبيع القريشات، وولدت منه ولدا سماه سلطان، ومات وعمره اربع سنين، وبعد نزوله الى مكة، اتفق بباشة الترك، واسمه وهيب باشا، وقد

---

[١] نهاية ص ١٦٧من المخطوطة

ارسلته الدولة لقيادة العساكر التي بالحجاز، قبل ان تعلن الحرب مع الألمان باربعة شهور، وكان قد اتفق مع سعود وجمع بينهما رجل من العرب يجيد اللغة التركية، فتواثقوا على أن وهيب يرسل مع سعود اربعة طوابير، ويزحف على الاحساء ويأخذه من يد عبدالعزيز، وواعده بالتجهيز إذا طلعوا للطايف، فأقام عنده في مكة، ورتب له راتب، في كل شهر ثلاثون جنيها، ورتب لحصانه شعيرا وحشيشا بما يكفيه، وكان الشريف الحسين يسهر الليل على مراقبته على الباشا، وعلى تحركاته هو وسعود، لاسيما وقد قربت نهقته على الترك، كما يزعم إنها نهضة، وهي نهقة، ثم إن سعود والباشا، اتفقوا على الطلوع للطائف جميعا في شهر رجب من ١٣٣٢هـ فخرجوا الى الطائف جميعا، وأبقى له الباشا رواتبه على عادته المذكورة تجري في الطائف كما كانت في مكة، وكان الشريف حسين، يعد عدته للثورة على الترك، ويتألف زعماء العرب، بالنقود وبالسياسة، وكان يقصد بنهضته أن يطبق على الجزيرة كلها، ويصيروا عبيدا له، ويكون هو زعيمهم كافة، ولا يتصرفون في ممالكهم إلا باذنه، وأنى له ذلك الذي قام من أجله، وكان الشريف الحسين، قد جعل على سعود العرافة جواسيس من العرب، يراقبون حركاته وسكناته، وزجر مشايخ العرب ألا يختلطوا مع سعود، واشتد حرج الموقف على سعود، حتى أتاه آت ينصحه، وهو من حاشية الشريف، فقال له: خذ حذرك، أو غادر البلد، فإن الشريف يريد ان يفتك بك، جزاء لدخولك مع الترك، وقد تعهد له بقتلك ثلاثة من الأشراف أهل المضيق، وهم سعود بن هزاع الحارث، وعبدالله ابو يابس، وعلي بن عريد، فبعد هذا الإنذار، أخذ سعود يخبر

مشايخ عتيبة الذين في الطايف أنه[1] مسافر الى تربة، فرافقه في سفره ثلاثة من رؤسائهم، وهم فاجر بن شليويح، وبجاد ابو خشيم، وخالد بن جامع، فسافروا معه خفية بليل، وذلك عن الشريف، وسيأتي تمام القصة إن شاء الله .

وكان سعود العرافة، قد ارسل لعبدالعزيز بن سعود، بهذه القصيدة في ايام اقامته في الخرمة، وفي أيام ما كان الشريف الحسين راضيا عليه، فقال:

راكب فوق حر شادخ نابه ... في مسيرة شهر يوم يقربها
قل لعبدالعزيز وخبر اصحابه ... لحرايب ترنا ما نمل بها
ما نقلنا سيوف الهند نصابه ... عقب اللي نقلها ما يخضبها
وان مشينا بجمع كن سورابه ... مزنة هلت الماء من سحايبها
والله انه لغالي الروح جلابة ... لين تصفى لنا والا نخربها

فرد عليه الملك بقوله:

ياسعود يامرخص عزه مع اقرابه ... حنا كسبناك بالبل يوم نكسبها
الله يدير الفلك ويغردوا لابة ... حتى تعرف القطاعة ش عواقبها

ولنرجع الى إتمام القصة، وهو أنه لما فزّعوا سعود من الطائف، على الشكل الذي ذكرناه، فإنه حينما وصل تربة، جمع رؤساء البقوم، [وقال لهم]: وش الذي يصبركم عن أباعر عتيبة، التي على الجرد، والتي بالخرايق، وهي البل الحمر،

---

[1] نهاية ص ١٦٨من المخطوطة

فقالوا له : ننتظر حاكم مثلك، يكون مقداما لنا، فحاشت البقماء معه، وارهشت للمغزا، ولم يبق إلا المسير، فقاموا عليه أشراف تربة، وهم ال جعفر، وهم أمراؤها من قبل الشريف حسين، وكان رئيسهم سلطان بن جعفر بن سلطان، وعمه عبدالله بن سلطان، وكان عدتهم زهاء عشرين رجلا كلهم أشراف، ولهم أتباع كثيرون، خدم، وعبيد، فقاموا كلهم على أميرهم سلطان، يعذلونه، بأن قالوا له : ادرك المسألة قبل أن يغزون البقوم، وكيف إن سعود يبي يغزي برعايا الشريف، على رعايا الشريف الاخرين، ولكن انت، اقبض على سعود، ثم رده الى الشريف حسين، وكان هذا الأمير، كريما هادى البال، ليس به شر، بل يحب الخير اين ما وجده، فقال مجيبا لهم : نعم، ولكن انتم فكروا في مسألة، وهي اننا لو فرضنا أننا قبضنا عليه، ونرده الى الشريف حسين، أخشى منه ان يبرد وجوهنا، بقوله ما أمرتكم على هذا العمل، وانا عندي علم من سفره اليكم، فلم أتعرض له، ولو أردت الإعتراض[١]، لأرسلت من يأتيني به غيركم، وإذا نحن متهددين مع واحد من حكام نجد، وزد عليه إن الشريف، ربما انه لم يحمدنا على فعلنا، فتصبح القضية علينا، وليس لنا، فلم نحصل إلا على الفشلة، من ولي أمرنا، والتعرض لحاكم من حكام نجد، يحقد علينا، لم نعلم ما كان منطويا بعلم الغيب، ولكني ارى لكم، وهي أحسن طريقة، بأن تلبسوا سلاحكم وتمضون الى سعود نفسه، ثم تقرعونه عن المغزا، وتعوذون منه، بأن يبارح بلادكم، ثم تمضون الى رؤساء البقوم، وتقرعونهم ايضا عن المغزا مع سعود على رعايا الشريف، وتهددونهم بأن كل فرس أو ذلول

[١] نهاية ص ١٦٩من المخطوطة

تغزي مع سعود، فأنها تؤخذ من راعيها، ويحبس، ففعلوا ما أمرهم به أميرهم، وقرعوا وتعوذوا وأغلظوا لهم بالقول، فانحل عزم البادية عن المغزا مع سعود، وحينما علموا أن عزم الجميع قد انحل عن المغزا، لم يكن يسع سعود الجلوس في تربة، لاسيما وأن الأمراء تعوذوا من جلوسه عندهم، ولهذا السبب، رحل منها الى الخرمة ليس معه سوى أخيه محمد ورجال من سبيع قليلين، فوصل الخرمة، ونزل على زوجته وصهره نايف بن مجري بن هملان، اخو زوجته، وكل هذه القلاقل، جرت وانا مقيم بالطائف .

وحينما بقي من شهر شعبان تسعة أيام، وصل الشريف راجح بن محمد بن سلطان بن جعفر، وهو الملقب نوديس، وهو ولد عم الامير سلطان بن جعفر، أمير تربة، فأناخ مطيته على الشريف حسين بقصره المسمى رغدان، فأعطاه كتب الأمير، وأخبر بلسانه بما همَ به سعود العرافة، وبما جاوبوه به، وهو الجواب الذي نقض عزمه وعزم من كان يريد المغزا معه، فبموجب ذلك، استدعى الشريف حسين بن علي، خادم له من سبيع أهل الخرمة، اسمه مناحي بن غريب، وهو من القريشات، فقال له اذهب لحوش الركاب واختر من جيشي ذلول تومنها، وإذا صليت المغرب، فاحضر عندي أعطيك الكتب، وأخبرك الى اين تتوجه، ففعل الرجل ما أمر به، فحينما صلى المغرب، حضر عند الشريف، وكان الشريف قد كتب معه كتاب للامير غالب بن لؤي، وابن عمه خالد بن لؤي، بأنه قال في كتابه لهم: حال وصول كتابي لكم، اقبضوا على سعود بن عبدالعزيز العرافة، واحبسوه، وحافظوا على حبسه بفطنة وحذر وتيقظ، ولا تأمنونه، ولو أمنكم، واحرصوا على القبض

عليه قبل ان يطلع ويستريب، واشترط الحسين على خادمه، بأن يصل الخرمة، من نهار غبة، ويكون دخوله ليلا، لئلا يعلم به أحد، فركب الرسول مزودا بهذه التعليمات، فهدف على حوقان، وهو في الطرف الجنوبي من الخرمة، وهو منزل ال لؤي[1]، وفيه أملاكهم من النخيل، فلما وصل، دفع الكتاب للأمير غالب، وكان الأمير هذا لم يخل من صح[2] وغباوة، وكان شبيها بجده لأمه مسلط بن ربيعان، كرم وشجاعة ونزاهة سريرة، ولكنه يستند في مهام أمره على ابن عمه خالد، وهو الفطن اللوذعي المحنك الناضج، فلما قرأ كتاب الشريف وعلموا ما فيه جليا، قال الأمير غالب : هذا شيء راجع أمره اليك ياخالد، وقال خالد انا أكفيك مؤنته إن شاء الله، ولكنكم ناموا بليلة خير، الى الصبح . وتحرزوا على الرسول في تلك الليلة، فلم يمكنوه من الإختلاط بأحد من الناس ، وكان منزل سعود في بيت شعر في وسط نخل أرحامه آل هملان، وكان بعيدا عن منزل الأشراف المذكورين، فلما أصبح الصباح، استدعى خالد أبناء الأشراف، ولاسيما ذوي الشجاعة منهم والإقدام ، فأمرهم بلبس سلاحهم، والمسير معه للجهة التي يقصدها من غير أن يشعر بهم احد، وكان عددهم احد عشر رجلا، ورئيسهم خالد، وكان الذي يقص علي هذه القصة، خالد بن لؤي من لسانه ـ قال ـ وكان وصولنا عنده بعد طلوع الشمس، فأول من رآنا مقبلين هي زوجته، حصة بنت مجري بن هملان، وكانت نادرة الفطنة والذكاء، وكانت في تلك الساعة تغسل رأسه، فلما سمعت صوت أقدامنا على الارض،

---

[1] نهاية ص ١٧٠من المخطوطة

[2] على وزن شح وبه يوصف ذوو الغفلة والسذاجة

نطرت الينا نظرة من نوافذ البيت، فعرفتنا من أول لحظة، فقالت له : ياسعود جوك الأشراف يقدمهم خالد بن لؤي ، إما يبون يذبحونك، وإلا يبون يحبسونك، فنهض من بين يديها مرتبكا والتمس سلاحا، فلم يجد في البيت غير سيفا ملقى على الضبيط، ـ قال خالد ـ فاختطفه وانتضاه، وقابلنا يريد الفتنة والسيف مشرقا في يده، فلما أقبل علينا قلت لمن معي قفوا مكانكم ولا تحدثوا شيئا قبل أن امركم به، فحينما وصل مكانا يبلغه الصوت منه ومنا، فندبته بصوت جهوري، وقلت له : ياسعود اثبت مكانك، حتى أبلغك ما عندي، فثبت واقفا والسيف في يده مسلولا، فقلت له : ياسعود حنا جانا ليلة البارحة خادمك مناحي بن غريب ـ وكان هذا الرجل قد خدم عند سعود سابقا، ومعه كتاب من الشريف حسين ـ يأمرنا بأن نقبض عليك ونحبسك، حتى يأتينا منه تدبير، فأصبح محتم علينا تنفيذ أمره، فإن انت حشمت عمرك عن الإهانة، ومكنتنا من نفسك فهو الواجب على مثلك، ولن ترى منا إهانة ولا تخفيض لمقامك، وإن رأيت أن لك من فتنتك فرج إذا فتنت علينا، فأطيب أبصارك لا تدخر منها شيء، وحنا وصلناك ـ قال خالد ـ فلما انقطع كلامي له، برك على ركبتيه كما يبرك البعير، واخذ يتعوذ من الشريف ويقول : وش يدور عندي الشريف، وش في بطني للشريف ـ قال ـ فمشينا اليه وهو جالس، وأخذنا[١] سيفه من يده واستدعينا بثيابه، ومشلحه فلبسهن، وأخذناه معنا يمشي على أقدامه مثلنا، وسلمناه للأميرغالب، ثم قال له الأمير غالب : يا ولدي يا سعود حنا أمرنا الشريف بحبسك، وحنا والله لم نرض بهذا، ولكن

---

[١] نهاية ص ١٧١من المخطوطة

الشريف ملكنا، ولا يسعنا إلا طاعته والإبتعاد عن مخالفته بالحاضر، انا ابيك تعاهدني إنك ما تخونني ولا تفشلني عند معزبي، فإني ابي أحفظك بالليل بالحبس من غير إهانة، وأنا والله أحب كرامتك، وأخاف من حوبتك إن أنا اهنتك، وأما بالنهار فإني اطلقك من الحبس، وأمشي انا وانت جنبا لجنب على كرامة بني عمي الأشراف، وعلى كرامة شيوخ سبيع، وإذا جاء الليل أدخلتك في الحبس كالعادة، وكان محمد اخو سعود، وثلاثة من خدامه، في بيت في البلد، وكان الشريف الحسين موصيهم على أن لا يمسونه بمكروه، فأعطى سعود الأمان لغالب، على ما اشترط عليه، وفي اخر ليلة من شعبان، قدم على الشريف حسين وهو في الطائف، الشريف منصور بن غالب بن لؤي، يخبر الحسين بن علي، أنهم قبضوا على سعود، وقبضوا على جميع ما معه، ويطلبون منه صدور أمره، فيما قبضوه من سعود، وعينوا له كل ما قبضوا عليه منه، فقال لهم أما ذلوله وعبده وسيوفهما، لك يامنصور، وأما مابقي بعدهن، فكل من طاح بيده من الأشراف فهو له، بما قبضتوه من سعود، وهؤلاء معكم، ثلاثة عبيد يمشون معكم لبلادكم، فإذا وصلتم بلادكم، فسلموهم سعود، ويكون هم الذين يتولون سجنه، حتى يجيكم مني تدبير، فتوجهوا من عنده بعدما مضى من رمضان يومين، ولم يعلموا عما في طيات الغيب، و أما سعود، فهو في أول ليلة من رمضان، حينما أراد الأمير غالب، أن يدخله في السجن حسب ما اشترط عليه، فحينما تناول طعام العشاء مع الأمير غالب، وأراد أن يدخله الحبس كعادته الأولى، ثم قال له سعود : ياغالب، هو انت مسلم والا نصراني؟ فقال غالب : ادخل على الله من دين غير الاسلام، فقال : إذا

كنت مسلما حنيفيا، فلا تحرمني من صلاة التراويح في الشهر المبارك، فقال له : أخاف إنك تفشلني ياسعود عند معزبي، فقال له : لا تخاف، ولك الأمان من عندي، فلما حانت صلاة العشاء الآخرة، مشوا الى المسجد جميعا، وثالثهم العبد الذي يتولى حبس سعود بالليالي المتقدمة، واسمه بلال، ولكنه من خشب العبيد، وليس يعرف الفطنة، فلما دخلوا المسجد جميعا، تقدم الأمير غالب، في الفرجة في الصف خلف الإمام ، معدودة له كجاري العادة، فاغتنم الفرصة سعود بتلك اللحظة، فتأخر قليلا عن غالب حتى دخل الصف[١]، والصلاة تقام، فمن تلك اللحظة انقلب سعود وهو يهرول، متوجها الى البيت الذي فيه زوجته وسط النخل، وكان عند البيت حصانين مربوطات بدون حديد، وكان عنده خادم له، فارس مشهور، وهو عتيبي من الروسان، واسمه زامل الحميشي وكان في تلك الساعة حاضرا في البيت، فكان حضور ذلك الفارس المذكور صدفة لسعود، فحينما وصل سعود ذلك المكان، فعمد الى احد الحصن واصعطه عنانه، وأمر على خادمه زامل أن يركب الحصان الثاني، فركبوا بسرعة البرق الخاطف، وعمدوا الى رئيس من رؤساء عتيبة، اسمه نجر بن حجنة، وهو رئيس النفعة من برقا، وكان نازلا هو وعربانه فوق الوطاة، وكانت تبعد عن الخرمة اربع ساعات لمشي المطايا، فاقبل على بيت نجر بن حجنة، وهو يغرهد على الحصان بصوت عالي ويقول

نمشي وننشد عن محل بيوتهم والزين لو بعد المدى يعنى له

فنزل من حصانه، وقال لنجر : ترى هذه الرقبة، دخيلة هذه الرقبة، يا ولد شبيب، فقال له : دخلت وخاب طالبك، فنزل في

---

[١] نهاية ص ١٧٢من المخطوطة

البيت هو وخادمه زامل، وكانوا في أكرم منزل، فلما اصبحوا ذبح لهم اثنتين من الغنم، اكراما لهم، فتغدى هو وخادمه، وكان غالب حينما دخل فرجته في الصف، التفت يمينا وشمالا فلم ير سعود، فندب أهل المسجد، وهو واقف بقوله : سعود شرد يارجال، دوروه معي، فالتمسوا له، فلم يجدوه، حيث إنهم لما وصلوا منزلهم، وجدوا الحصن الاثنين ليسا في مرابطهما، فتيقنوا انه ركبها وانهزم، ثم إن غالب حينما اصبح، تجهز هو وابن عمه خالد ومن معه من الأشراف، فكان عددهم اربعة عشر مطية، وتبعوا أثر الخيل حتى وقفوا على بيت نجر بن حجنة، ومن غريب الصدفة، انهم حينما اناخوا قبالة البيت، وإذا سعود وخادمه يتغدون في بيت نجر ضيفتهم التي أعدت لهم في بيت نجر، فاخذ غالب يتلكم على سعود، ويقول: ياسعود انت خنت عهد الله معي، وسعود يرد على غالب، يقول : ياغويلب، يابواق خطاره، والله اني لكم يا آل لؤي، إن ابطت الدنيا أو اسرعت، ولكن اذهبوا وانا وراكم، وسأجزاكم على ما فعلتم معي ، فقام نجر وذبح للضيوف التالين اثنتين من الغنم فقدمها لهم قبل أن تحين صلاة العصر، فلما فرغوا من الأكل، خاطبوا نجر فقالوا له: يا نجر هذا حبيسنا وحبيس الشريف الحسين، فسلمه لنا والا فوالله إن تشوف من الشريف شيء تكرهه في عشيرتك وحلالك، فقال لهم[1] نجر: يا الأشراف، هذا سعود يراكم ويسمع كلامكم، فإن كان هو يحب أن يرجع معكم طائعا غير مكره، والله ما امنعه من ذلك، وإن كان هو هرب منكم، وقصد بيتي زابني، والله لأزبنه، ولو ان الشريف يمحي عتيبة عن آخرهم، وأنا أولهم، وكانت هذه عادة العرب،

---

[1] نهاية ص ١٧٣من المخطوطة

إذا زبنهم مضهود زبنوه، وعرضوا انفسهم دونه، فإن لم يعملوا ذلك، كانوا سبة للعرب الى الأبد . ثم قال لهم : انتم ارجعوا لأهلكم، وانا وانتم، كلنا رعية للشريف، والله يفعل في خلقه ما يشاء، فلما أيسوا منه رجعوا الى أهلهم، ثم إن سعود مكث عند نجر بضعة ايام، حتى أرسل لأخيه محمد، هو ورجاله الذين بالخرمة، واستظهرهم عنها واستعد بركايب، ثم انحدروا جميعا، ونزلوا عند عبدالرحمن بن ربيعان فوق الدفينة، وتزوج سعود زوجة من الرباعين في مكانه ذلك . ثم دخلت سنة ١٣٣٣ هـ وفيها جرت وقعة جراب المشهورة، ثم إن سعود العرافة لما تحقق خبر الحاكمين، أن بعضهم يزحف على بعض، وهم ابن رشيد وابن سعود، توجه سعود العرافة الى ابن رشيد، فلما وصله أكرمه كرامة تليق بمثله، وكان قد وصله في حايل وهو يتجهز، فخرج معه من حايل، وقابل معه ابن عمه عبدالعزيز بن سعود، وقد بلغني من ثقة أن سعود بن عبدالعزيز ال رشيد يقرب سعود بن عبدالعزيز العرافة له، ويشركه في الرأي تكريما له، وسببا للوثوق به، فلما أرادوا الوقعة، وكل اخذ يستعد لقبيله[١]، وجلسوا في صيوان سعود ال رشيد قبل الوقعة بيوم، وفي ذلك الصيوان كان رؤساء شمر، منهم عقاب بن عجل، وضاري بن طوالة، ومطني بن شريم، وفيصل الحدب الجربا، وهو من شمر أهل الجزيرة، وندى بن نهير، ووادي بن علي، وهايس بن جبرين، وفشل التمياط، ومياح الشلاقي، وغيرهم كثير، فاخذوا يتبادلون الرأي بينهم، ويديرون كيف يكون زحفهم على خصمهم عبدالعزيز ال سعود، فابتدرهم عقاب بن عجل، وكان أكثرهم جندا، وهو

---

[١] أي نده ونظيره

خال عبدالعزيز الرشيد، وجميع عبدة من شمر هي قبيلته، وتحت طوعه، فابتدرهم بقوله: الرأي عندي، انا معي ألف خيال، فإذا التحم القتال بيننا وبين ابن سعود، أمرت على أهل الخيل أن يردفوا عددهم من الرماة، فامشي بهم حتى اجي من طريق ابن سعود الذي هو أتى منه، ثم احذف بالرماة في الأرض ثم آمرهم أن يرموا ابن سعود وجنده من الخلف، وأنا أغير على جيش ابن سعود وانهبه على الخيل، ففعل ما قاله حينما التحم القتال، وكما قيل في وقعة جراب أنه ذهب من نصيب البدو، حيث إن بدو ابن رشيد شمر، نهبوا خيام ابن[1] سعود وجيشه، وبدو ابن سعود وهم مطير نهبوا قسما من خيام ابن رشيد وقسما من جيشه، وهكذا انجلت الوقعة بهزيمة الحاكمين كلهم ولم ينتصر احد منهم على الاخر، إلا شيء واحد، وهو ثبوت بن رشيد في مكانه، وانهزام ابن سعود عن موضع الوقعة، وقد روى لي رجل ثقة يحدث عن لسان سعود العرافة، ويقول إنه حدثه قائلا: لما جمعنا سعود بن رشيد في صيوانه، قبل الوقعة بيوم واحد، وهو يريد ان يأخذ الرأي من الرؤساء، فلما جلسوا أخذوا يتداولون الرأي فيما بينهم، فأخبروه رؤساء شمر برأيهم الذي يريدون أن يفعلوه يوم الوقعة من الغد ــ قال ــ سعود العرافة فحينئذ التفت الي سعود بن رشيد وقال : وش تقول يا سعود برأي الجماعة ؟ وقصد ابن رشيد من سؤاله أن يشركني بالرأي ويجعل لي صوتا مثلهم، فاعترض له محمد العوني، الشاعر المشهور وقال : طول الله عمرك انشد رؤساء شمر عصب ظهرك، وإذا سألت سعود اجابك بقول الشاعر

---

[1] نهاية ص ١٧٤ المخطوطة

إذا كنت اكالا للحم بني ابي　　　فلست بمهديه على كل آكل

فصدمني في ذلك المجلس، فلما خرجنا من عند ابن رشيد، ارسلت للعوني بأن يأتيني في القهوة فلما حضر عندي قلت له : كيف يالعوني تصدمني هذه الصدمة وانا في مجلس حاكم ؟ فرد علي بان قال : ياسعود كلهم بدو، والله ما يفهمون وش انا قلت ثم إن سعود بعد الوقعة غادر ابن رشيد قانعا منه، فلم ير بدا من أن يحول وجهه الى ابن عمه الشفيق الحميم الرفيق بهم، وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال فيصل، وكأني أرى سعود بن عبدالعزيز العرافة، حينما انقلب من ابن رشيد ولم يظفر ببغيته، ولسان حاله يقول متمثلا بقول الشاعر وهو حيي بن اخطب القرضي:

لعمرك مالام بن اخطب نفسه　　　ولكنه من يخذل الله يخذل

اجاهد حتى ابلغ النفس عذرها　　　وقلقل يبغي العز كل مقلقل

ولم يعلم سعود أن العز، كل العز في مصافحته لابن عمه، الذي يحمده على الصبر ويجازيه عند البلاء ويواسيه بنفسه وأولاده، بل إنه ربما يقدمه على نفسه وعلى أولاده، وأي عز يبتغيه سعود، اكبر مما هو فيه، فإنه بعد مصافحته ابن عمه استراح من الأعباء الثقيلة التي تحمل في القلوب وليس على المناكب، واستذرى في ظل هضبة مستقلة عن لفحات السموم وبرد الشتاء القارس، وبعدما انقضت قصة سعود وهربه من حبس ال لؤي، تعين للأمير غالب[١]، أن يركب للشريف حسين، ويقدم عذره عن هرب سعود، فلما حضر عنده، وفتح المجال، أخذ الشريف حسين يؤنبه ويخطيه بإهماله، فلم يجد جوابا سديدا يتخلص به من الشريف غير كلمة واحدة، هي هذا

---

[١] نهاية ص ١٧٥من المخطوطة

أمر الله ياسيدي، فلما أكثر عليه تكرار هذه، قال له الشريف : أنت أرم نفسك من هذا الروشان وقل أمر الله، فإنه لا حجة في قدر الله.

وفي هذه السنة، غزا الأمير عبدالله بن الحسين، بجند عظيم، وكان أكثر جنوده عتيبة، ثم أغار على الدواسر، فوق ماء يسمى الحفيرة، وأخذهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وعم القتل نساء وأطفالا بدون قصد، حيث إن الوقعة جرت بليل .

وفي هذه السنة، ركب خالد بن لؤي، إلى عبدالعزيز بن سعود، وهو في الأحساء، حينما كان يحارب العجمان في نفس الأحساء، وهو المناخ المشهور، الذي طالت مدته، وكان عبدالعزيز قد انحدر إلى الأحساء بعد إنصرافه من وقعة جراب التي فصلناها، لما رأى من العجمان ما رابه، وكان خالد بن لؤي معه من بني عمه الأشراف ومن سبيع رجال كثيرون، فوصلوا عند عبدالعزيز بن سعود في الأحساء، فاظهر عبدالعزيز برهم وإكرامهم وأعطاهم جيشا وسلاحا وكسوة فاخرة ودراهم، فذلك هو الذي فتح باب الوحشة، بين الشريف وبين خالد آل لؤي، فأصبح حسين بعدها قد فقد ثقته في خالد، وتحكم التنافر فيما بينهم لاسيما وأن العقيدة الدينية ليست متفقة فيما بينهم، بل إن خالد وجماعته، هم من المتمسكين بعقيدة السلف، ففي ذات يوم من الأيام، أتاني خالد ونحن في مكة، وهو خارج من قصر الشريف الحسين، وكان بالسابق عند أهل الخرمة قاضي يسمى ابراهيم بن ناصر بن حسين، من أهل وادي الدواسر، فعزله عنهم، وأخذوا مدة ولم يكن عندهم قاضي، ولم يعين لهم بدله، فقابلني خالد حينما خرج من الشريف الحسين من بعض مجالسه، فإذا هو متكدر، ووجهه

متغير وينهت ويتزفر، فقلت له : ما بك يا الأمير فقال : بي شق الجيب، ولا تسألني ، فالحفت سؤالي عليه ـ وكان يثق فيني لصحبتي معه السابقة التي دامت سنين [فقال] : كيف لا أتكدر ! فإني حينما قلت للشريف الحسين : أنت ياسيدي عزلت قاضينا عنا، فنسترحم من عدلك أن تعين لنا قاض يقوم مقامه، رد علي قائلا : مالكم في القاضي من حاجة، ارجعوا على سلوم جدانكم الأولين، فهو يريدنا أن نحكم بالطاغوت، بدلا من الشريعة المحمدية، وكل هذه الأسباب هي التي احدثت عداوة ال لؤي معه بصدود يملأه الحقد والتباعد .

ولنرجع[١] إلى قصة سفر خالد، ورجوعه من الإمام عبدالعزيز لما كان في الأحساء، وذلك إنه حينما وصل الشعرا، تبلغ بوقعة عبدالله بن الحسين، على الدواسر، وأنه بعد الوقعة مخيم على المحدث وهو ماء في طريق خالد إلى الخرمة، ليس له بد من المرور به، فكان الشريف عبدالله، في طريق خالد، إلى بلاده، فلا مساغ لخالد من المرور عليه ليسلم عليه بعد سفره، فالجأته الضرورة إلى النزول على عبدالله بن الحسين، وكان أخاك مكره لا بطل، فمال بصدور جيشه نحوه، وأناخ عنده هو ومن معه، فسلم عليه سلاما ممزوجا بجفاء واحتقار لاسيما وكانت ضيفته له مستهجنة، واخذ يعاتبه على سفره إلى ابن سعود، وكان قسم من رؤساء عتيبة يسخرون منه، ويلقبونه بأصفر عرقوب ويقولون له شفاها والله لو يرخص لنا فيك أميرنا عبدالله، فلا ياصل منكم رطب الحلق إلى أهله، وخلاصة القول، أن عبدالله بن الحسين ختم جوابه بقول : لولا ياخالد إن ورانا كلنا سيدنا الوالد، ولا بدك منته في طريقك اليه، ثم هو

[١] نهاية ص ١٧٦من المخطوطة

الذي يجعلك تعرف رشدك من غيك، فلو كان الامر بيني وبينك لحاسبتك حسابا عسيرا، ولكنك امض في طريقك إلى الوالد وستواجه منه ما تستحق، فمضى خالد إلى بلاده الخرمة، وكانت تبعد أربع مراحل عن الشريف عبدالله، الذي تركه خالد، فلما وصل خالد بلاده الخرمة، وأقام فيها عشرة ايام، وبعدها اضطر إلى مواجهة الحسين بن علي، والإعتذار منه، فركب اليه وحده، ولم يأخذ معه من أصحابه احد، خشية أن يعمهم العتاب، فلما حضر عنده وسنحت الفرصة له بخلو المجلس، فقال له الشريف الحسين : اني سائلك يا خالد عن اشياء فجاوبني عليها،

أولها : اخبرني لأي شيء ذهبت لابن سعود ؟ أهي حاجة لك إلى دنياه، أو خوف منه على بلادك الخرمة ومن فيها، يوم شقيت نجد بالأشراف وسبيع، تسحب ردونك بين العربان والقرايا، حتى يقولون هذا خالد راكب لابن سعود، ألم أعطيك الذهب ؟ ألم أعطيك الجيش والخيل ؟ ألم أعطيك العبيد ؟ ألم أعطيك الزاد ؟ ألم أشتري لك النخل ؟ ألم أعطك البنادق اللاتي والله لم أعطيهن إلا ابنائي ؟ ألم أعطيك الكساوي والحلل الفاخرة ؟

كل هذا يقصه على خالد وهو لا يقول إلا كلمة نعم ، وهي إعتراف من خالد بما يقوله الحسين، فلما فرغ من سؤاله له قال له: ياخالد جاوبني، ولكنك لا تجد عذر يسعك، أو يخرجك من هذه المسؤلية ، فحينئذ قال خالد له: ياسيدي اطال الله عمرك، أما مركابي لابن سعود، فهو ليس لطلب عز ولا مال ولا جاه، ولن اجد عنده خير مما أجد عندك، وإنما مركابي

لابن سعود ياسيدي[1]، لطلب شيء واحد، وهو أن رعاياك، سبيع والأشراف قد كثر الحلال بأيديهم من الماشية حتى فاض وملأ السهل والوعر كله من فيض نعمتك وأياديك المتطوله عليهم، وكانوا سنة يكون مرباعهم بطويق أو الدهنا وتارة بالشمال وتارة بالجنوب، والبر الفسيح كله بقبضة ابن سعود، فذهبت أطلب من ابن سعود الأمان لمن استرعيتني عليهم، بأن يرعون حيث شاؤا، فأعطاني ذلك، ولم يعطينه هيبة مني ولا إجلالا، ولكنه أعطاني هيبة منك وإجلالا لك، فرد عليه الشريف قائلا كما قال عمر لمعاوية، خدعة أريب أو تخلص أديب، فأذن له أن يرجع إلى وطنه، ونفسه فيها الذي يجد ولم يزول، ثم تحكمت الريبة بينهما ولا تزال تزداد ، وفي هذه السنة ابتدأ دين الإخوان البدو وكان أول ما دخل الدين، زمرة منهم، من حرب، وهم بني علي، ربع الفرم، وكان رئيسهم رجلا قصير القامة يدعى صالح الفايز، وكانوا قد انعزلوا عن قبائلهم، ونزلوا الارطاوية، المعروفة الآن هجرة للدوشان، وهم أول من نزل القرى وترك البادية ، ولما خلصت معركة جراب، بين ابن سعود وابن رشيد، ساعدوا ابن سعود بعدما انقضت الوقعة، بان شدوا على ركائب، وتعرضوا لجنود عبدالعزيز المنهزمين يسقونهم الماء ويعطونهم طعاما ويحملون جريحهم، حتى دخلوا الارطاوية جميعا، وكان ابن رشيد نزل الارطاوية بعد الوقعة، فلم يتعرض لهم بسوء. وفي تلك السنة بعد وقعة جراب، حصل مناخ الأحساء بين ابن سعود والعجمان، وكثرت الوقائع بينهم، وفي اثناء الوقائع، قتل سعد بن عبدالرحمن رحمه الله، وهو اخو الملك عبدالعزيز، وجرح

[1] نهاية ص ١٧٧من المخطوطة

الملك جرحا بليغا، ولما كنت يوما جالسا في دكاني بالطائف ضحى، وكان جالسا عندي راشد بن عبدالله الهزاني، وكان في ذلك الوقت، ضيفا للشريف حسين، اذ أتاه عبد من خدم الشريف الحسين، فقال له : ياراشد في هذه اللحظة، اناخ على قصر سيدي راعي مطية من عتيبة الروقة، وهو غبيوي، وكان يحمل ثوب عبدالعزيز بن سعود الذي جرح وهو لابسه، والثوب ملطخ بالدم، ويزعم هذا القائل أن عبدالعزيز قتل، وأنهم حينما فصخوا ثوبه ليغسلونه ويكفنونه، انه اختطف الثوب، وأتى به إلى الشريف الحسين، فما كاد ينقطع كلام المخبر بموت عبدالعزيز، حتى جاءنا عبد للشريف اسمه سعد الله، فقال له : ياعم راشد، سيدنا يدعيك، فقام مع العبد مسرعا، وغاب عني ما يقرب من نصف ساعة، ثم أتاني، فقال: إنه استدعاني سيدنا وقال لي: هذا[1] الرجل الذي جاب خبر قتلة عبدالعزيز، وهذا ثوبه، وكان الثوب ملقى بين يدي الشريف الحسين، فنظرت إلى الثوب، وإذا هو حقيقة من ثياب عبدالعزيز، وعليه الدم، ولا يقرب من شبه شيء من الثياب، إلا أنه من ملابس عبدالعزيز، ولكن الشريف رد علي بهذه الكلمة قائلا : إن كان الخبر صحيح فسيأتينا تيل[2] من البحرين رسميا يؤكد لنا موت عبدالعزيز، وإلا فهو كذاب، فكان ينطبق عليه أبيات من شعر المتنبي حيث يقول

يا من نعيت على بعد بمجلسه	**كل بما زعم الناعون مرتهن**

ولعمر الله إن لسجية الشريف حسين بن علي، فما يدوم نعيمه على أحد من الناس حتى ينغص عليه تلك النعمة، إما بسجن

---
[1] نهاية ص ١٧٨من المخطوطة
[2] التليقرام أو البرقية

أو بأخذ أمواله، ولقد رأيت رجالا لهم تجارة، أهل شرف واعتبار، وعددهم ما يزيد على أربعين رجل، وبأيديهم المكانس، يكنسون الاسواق، والقيود في رجليهم، ولقد سألت احدهم عن الذنب الذي دعى إلى هذا العقاب المسترذل، فقال : والله ما أرى ما يوجب ذلك، إلا إنه دعاني من دكاني، فلما وقفت بين يديه قال : انت بعت كيس رز، على امرأة، وزدت عليها عن المقرر ربع مجيدي؟ فلم أعترف فقال : سلم ثلاثمائة جنية افرنجي، أو خذوه أدخلوه القبو، وكان لايفجع الناس إلا القبو، وكان هذا القبو شر سجن لبني الإنسان، فمن سجن فيه فهو مخطور من إحدى ثلاث، إما أن يموت فيه وإما أن يخرج مريضا أو فاقد نظره، فقال لي ذلك الرجل إنه لما قال : سلم ثلاثمئة جنيه، فقابلته بالخضوع وطلب الرحمة، فقال : سلم ستمائة جنيه، وان تكلمت قلت سلم الف أو أدخلوه القبو فسكت وسلمت ما يقول، ثم نظمني مع هؤلاء وكان جعل خلفهم عبيدا أشداء كأنهم زبانية جهنم، لا يرحمون ولا يعطفون على مظلوم، ولا شيبة لشيبه ولا على ضعيف لضعف ركنه، وكانوا يفرحون حينما يقول لهم خذوه وأدخلوه بالقبو، لأنهم إذا خرج من القبو يأخذون منه خدمة جسيمة[١] .

ولقد شاهدت رجلا من أهل الرس، اسمه سليمان الضلعان، قد استدعاه الملك حسين، من جدة، وأدخله القبو، ومكث فيه ست سنين، فلما تم الأجل لخروجه، خرج منه كفيفا بصره نحيفا جسمه مصفر لونه، وقد دفع للحباس، الذي يثابر على حبس القبو حين خروجه ما أرضاه، ثم خرج وهو يقاد بيد رجل من ذويه، فلما استقر به المجلس في ديوان في الجودرية، اذ أتاه

[١] نهاية ص ١٧٩من المخطوطة

سمسار يسمى غيث، ويقال إن أصله شريف، فقال له : أعطني خدمتي، أنا الذي ادخلتك بالقبو، فأعطاه الرجل ستة جنيهات افرنجي، فقال : لا انصرف حتى تتمها عشرا، فلما إنه لم ير الخلاص من هذا الرجل حتى يوفي له العدد الذي هو طلب، فأعطاه عشرا، وأنا شاهد ذلك. ونرجع إلى ذنب هذا الرجل، الذي دعى الشريف أن يعمل به ما عمل، وما هو إلا إنه أتى ببضاعة من نجد على طريق المدينة، وهي مشالح وزوالي لاغير، فما ادخله الحبس، إلا بعدما استصفى أمواله كلها، ولقد شاهدت شخصا ثالثا، يدعى حسين فايز، وهو من تجار جدة، وكان في فرضة جدة، رجل يدعى يحيا ثابت، وأصله من الدروز، وكان شريرا، فعثر على رخصة ساعية لحسين، أتت من عدن مشحونة دخن، ولم تدخل بالمنافس، فاختطفها من يد النوخذة، وأرسلها إلى الشريف الحسين، فأمر على قايمقام جدة، ان أرسل حسين فايز الينا بالمحافظة، فأرسله فورا، وكان تحقق أن قيمة الساعية الف وثمانمائة جنيه، فطبقها عليه، أي ضاعفها، وقال له سلم ثلاثة الاف وستماية جنيه أو تدخل القبو، فلم يسع الرجل إلا الإلتزام بتسليم ذلك، فهو يعلم بظلم الحسين إنه لو راجعه وسأله التخفيف لكان زاده بأثقل منها، فاسترحل لتسليمها من نهار الغد، وجمع ما عنده من النقود، فلم يف بالمطلوب، فاستقرض من أصحابه ما كمل به العدد المذكور، كذا والله شاهدته بعيني، وهذا قليل من كثير، وسيقف الظالم والمظلوم بين يدي الله، وسيجازى فاعلا ما قد فعل .

ومع مظالمه، فإنه لا يسمح لأحد يشفع عنده، أو يحسن له حكم العدل والإنصاف، فقد عرفوه انه لايقبل ذلك، فبهذا السبب إنه لايقرب إلا رجلا ينقب له عن احوال الناس، ويحسن له

المظالم، ويأكل على إثره رشاوي جسيمة . ومن حين ما ثار على الترك، دخلته الشكوك والريب من الجميع، وبث جواسيسه، من يعرف ومن لا يعرف، وأكثرهم نساء واطفال لا يؤبه اليهم لا يفطن بهم، وكان يجعل قسما من جواسيس النساء، يأمرهن يدخلن بيوت الأغنياء وذوي الشرف والإعتبار[١]، ثم ينقلن له ما يسمعن من قبله، ولقد شاهدت رجلين أحدهما يسمى علي وزان، الآخر يسمى محمد اللبان، وكانوا جالسين بقهوة في المدعى، تسمى قهوة الوزان، حيث إن بها ميزان، معد لوزن السمن، الذي يأتي من البر، فكانوا يتحدثون فيما بينهم في قافلة تغادر مكة إلى المدينة، تحمل الحجاج لزيارة المسجد النبوي قبل موسم الحج، فكان الاثنين يتكلمون عن هذه القافلة، ويقول احدهما للآخر : ألقني بالك، لنحسب مدخول الشريف الحسين من هذه القافلة فقط، فحسبوا أنها معدودة ثلاثين الف جمل، وكان يأخذ على كل جمل عشر جنيهات افرنجي، فحسبوها فيها، وإذا هو ثلاثين الف جنيه، وحديثهم هذا ليلا. فقال احدهما للآخر : اذا كان هذا داخله من قافلة واحدة، فمن يجد للذهب محل يسعه، فقال الآخر : يجعله في تنك ويلحم عليها، ويجعلها في قبو في وسط بيته، وقد استرسلوا، يدأبون من اشباه هذا الكلام، وكان قريب منهم جاسوس للشريف الحسين، يدعى حسين العجمي، وكان بأثواب جمّال، من ناقلين الحطب والفحم، فلم يفطنوا به، وكانوا حين ما سئموا من السمرة، غادروا القهوة إلى بيوتهم، بينما هو قد فهم ما قالوا، وبعد مامضى عليه ساعتين، وجلس مجلسه العادة، أرسل لهم من يأتيه بهم، وكان الرجل إذا أتاه خادم من

---

[١] نهاية ص ١٨٠من المخطوطة

الشريف، سواء في بيته أو في دكانه وقال له هذه الكلمة : كلم سيدنا، ثم ذهب به اليه، فان ذلك الرجل لا يملك رشده من الخوف، لما يعلمه أن الداعي ليس عنده إلا الإنتقام بلا شفقة ولا رحمة، فلما حضروا عنده، ابتدرهم بقوله : وش الذي قلتم ليلة البارحة لما كنتم في قهوة الوزان ؟ فقالوا ياسيدي : ماقلنا شيء، فقط نتحدث في ما بيننا كعادة التعلل، فقال : لا ، تكلمتوا بما هو كذا وكذا، ولكنكم لستم بمنصفين، حيث إنكم احصيتوا الداخل علينا من وارداتنا، ولم تحصوا الخارج منا الذي نصرفه على راحة الحجاج، وعلى عساكرنا، لتأمين الطرق، فقالوا : العفو ياسيدي، ماقلنا شيء يمس كرامة سيدنا، فقال الآن نسمح لكم عن دخولكم بالقبو، ولكنكم سلموا حالا كل واحد منكم مئتين جنيه، ولا تراجعونني فتسمعون مني ما يسوؤكم، فشكروا منه ودعوا له بطول العمر، وخرج المأمور معهم للإستلام، فسلموها وكأنهم يرونها غنيمة باردة حينما سلموا من دخول القبو، فما خرج الحسين من مكة إلا بعد ما مضى منه أضعافا كثيرة من نوع هذا، ومن أنواع المظالم المتنوعة، وسيجمع الله الأولين والآخرين في يوم تخرس فيه الألسن، وتنطق فيه الجوارح، والله بعباده خبير بصير، فإننا لا ننزل احدا جنة ولا نار، الا من انزله النبي المختار[1]، وقد روينا في بعض كتب التواريخ، عمن قصه من قبلنا، من حدوث الظلم وجراءة بعض العباد عليه، وكان لا يرى من كان يطلب الملك أن فيه عاقبة وخيمة، وإنه لم يتحصل على الملك إلا بعد الجور والولوغ في المظالم، فقد أورد الشيخ الحريري في مقاماته قصيدة تدل على ما ذكرنا، فقال:

---

[1] نهاية ص ١٨١من المخطوطة

عجبا لراج ان ينال ولاية ... حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدي ويلحم في المظالم والغا ... في وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى ... فيها أأصلح دينه ام اوتغى
يا ويحه لو كان يوقن انها ... ما حاله الا تحول لما طغى
او لو تبين ما ندامه من صغا ... سمعا الى افك الوشاة لما صغا
فانقد لمن اضحى الزمان بكفه ... يوما ان الغى الرعاية او لغا
واحمل اذاه ولو امضك مسه ... واسال غرب الدمع منك وافرغا
فليضحك الدهر منه اذا نبا ... عنه وشب لكيده نار الوغى
ولينزلن به الشمات اذا بدا ... متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خده ... اضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا ... فيه يرى رب الفصاحة الثغا
وليحشرن اذل من فقع الفلا ... ويحاسبن على النقيصة والشغى
حتى يعض على الولاية كفه ... ويود لو لم يبغ منها ما بغى

وقد روينا في بعض الكتب من كلام الحكماء، أنهم يقولون لا تزال الأمة بخير مادام يوجد فيهم من ينصح الملوك، ولا يخشى سطوتهم، ولاتزال الملوك بخير مادام يوجد فيهم من يصغي إلى قول الناصح ويعمل به، فقد روينا في بعض التواريخ، أنه لما تولى احمد بن طولون التركي، المملوك لبني العباس، أنه حينما تولى على مصر، كان في أول ولايته قد استعمل الظلم والقسوة على الرعية، وأكثر من جبي الضرائب والمكوس، من غير طريقة شرعية، وكان لا يقدر احدا أن ينصحه، فاستشفع اليه أهل مصر بالسيدة نفيسة، وكانت من ذرية الحسين بن علي بن ابي طالب، وكانت عالمة تدرس العلم للرجال من وراء الستار، ولها مصنفات، وكان احمد بن طولون تولى على مصر في القرن الثالث من الهجرة، فلما اخبروها أهل مصر، وعددوا لها أنواع المظالم، الذي هو يكلف

رعيته بها جبرا لا إختيارا، كتبت[١] له نصيحة في رقعة، وذكرته بأيام الله، وحذرته من الظلم، وأن مرتعه وخيم، وأن عواقبه المقت والخسران، ومحو الملك والذرية، وذكرت في اخر النصيحة، قولها : ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولت اليكم الارزاق، فمنعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، ولا كالة، لاسيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، وأجفان احرقتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا الى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فبعد ذلك أخذت الرقعة في يدها، ووقفت له في طريقه حين يذهب الى صلاة الجمعة، فوقفت بالشارع وراء الصفوف، ورفعت الرقعة بيدها، ليراها وهو راكب على جواده، فلحظ السيدة احد خواصه وعرفها، فقال له ياحضرة الأمير، هذه السيدة نفيسة واقفة وراء الصفوف، وبيدها رقعة، فترجل من جواده على الأرض، ومشى اليها وتناول الرقعة بيده من يدها، وأدخلها في جيبه ومضى الى المسجد، فلما فرغ من الصلاة، جلس في مجلسه قريبا من الجامع، ثم اخرج الرقعة من جيبه وقرأها، فاقشعر بدنه من كلامها، ووقر الله في قلبه العدل بعد الظلم، ثم أمر باستدعاء جميع جباة الضرائب والمظالم، أن احضروا، فلما حضروا قرأ عليهم مافي الرقعة، وقال : اعلموا اننا اتعظنا بهذا الكلام، وإننا عدلنا عن الظلم، فكفوا عن جبي المظالم بتاتا، وعسى الله أن يعفو عما سلف . وهذا تأثير النصائح الخالصة، بالنية الصالحة، فرحم الله كل من أصغى ووعى .

---

[١] نهاية ص ١٨٢من المخطوطة

ونرجع الى تاريخ ملوك نجد، وفي هذه السنة ١٣٣٣هـ بعد انقضاء وقعة جراب المشهورة، نزل سعود بن رشيد خب القبر من ضواحي بريدة، وراسل أهل القصيم، وحلف لهم بالله إن معزبكم عبدالعزيز بن سعود مات، فلم يعطوه طاعة، ولم يردوا له جواب، ماعدا أمير عنيزة، عبدالعزيز بن سليم، بان رد له جواب مع رسوله، قائلا له: لئن لم يبارح القصيم، ويرجع من حيث اتى وإلا فإنه يعلم ان رأس والده عبدالعزيز، ملقى في حفرة من حفر بلدنا، وسنتبعه برأسه هو إن شاء الله، ثم أرسل عليه مع الرسول بعدة رصاصات من رصاص البنادق، وقال له: ليس عندنا لك إلا هذا النوع، وسنصليك نارا منه حامية، إن أنت قربت بلدنا، وفي تلك الأيام أتى سعود العرافة، وطلب من أهل عنيزة أن يخرجوا معه، ليغيروا جميعا على ابن رشيد، فأرسلوا له هذا الجواب: إن كان معك كتاب من عبدالعزيز بن سعود، يأمرنا بالخروج معك، فادفعه الينا لنقرأه ونخرج، وإلا فلا طاعة[1] لك عندنا بدون إمرة، ثم طلب منهم أن يخرجوا له زهاب، هو وجنده، فأعطوه ما طلب، ولم يمكنوه من المساعدة بالرجال، كل هذا وعبدالعزيز غارق بمناخ العجمان، فكم من غرقة غرق بها عبدالعزيز الى أن يبلغ منتهى، ثم يظهره الله ظافرا منصورا، فانتهى ذلك المناخ بهزيمة العجمان، فاخذ منهم حلال كثير، وقتل كثيرا من رجالهم. ثم دخلت سنة ١٣٣٤هـ وفيها نقض الشريف الحسين، عهده مع الترك، فانه حين ما وطئت أقدامه في مكة، قادما من استانبول في ١٣ من ذي القعدة ١٣٢٦ وهو من ذلك الحين مضمر الغدر لدولة الترك، ولكنه يتحين الفرص ويتألف العرب بالسياسة

---

(١) نهاية ص ١٨٣من المخطوطة

الخرقاء التي تتقلب كما تتقلب لون الحرباء، هذا وإنه لا يقيم لملوك العرب وزنا، فقط يتطلب المساعدة من البادية، ومن أوباش الناس، الذين ليسوا بقادة، ولا زعماء، فتارة يصادق قبيلة ويعادي أخرى، وتارة ينقلب على الصديق، ويصادق العدو، ولن يعرف له قاعدة ينبني عليها ويستند اليها، وغاية الأمر أن حياته حياة من لا يوثق له بعقد ولا بعهد، وأن كل من دخل في طاعته فهو مهدد وكأنه جالس تحت حائط عائب، لا يعلم متى ينقصف عليه، وكان من يوم ماجلس رئيسا في مكة ومضى له ثماني سنوات، وكلها يجمع العدة للنهقة العربية التي يسميها النهضة، وكان في السنة التي أراد أن ينهض بها على الترك، فكان يسهر أيامه ولياليه بالمراقبة على كل عربي يظن أن له معرفة بالترك، أو يدخل معهم في خلة أو معاملة، أو من له احتكاك مع الترك، فإنه يجهد سعيه في إبعاده عنهم حتى ولو أدى ذلك الى تلافي ذلك العربي، وقد يأمر بالحبس على الأشخاص ليس لهم ذنوب، فيلقيهم في السجون، فيعجب الناس من تصرفاته، ولم يعلموا عن السياسة الغادرة الغامضة، وكل ذلك خوفا من تسرب الأخبار الى الترك، لأنه يريد أن يكسبهم وهم بصفة أعمى لا يحمل عصا وليس له قائد، فلما كان في شهر رجب من السنة المذكورة، أخذ يعد عدته للهجوم، واتفق مع دولة الانجليز أن ترسي مراكبها في مرسى جدة، في ليلة قيامه على الترك، فهو يضربهم برا، وهي تضربهم بمدافعها بحرا، فاخذ يجمع البدو من بادية الحجاز وضمهم الى من معه، من أهل نجد ممن يسمون عقيل، ثم رتب الهجوم في مكة وجدة والمدينة والطائف في ليلة واحدة، وهي الليلة التاسعة من شهر شعبان من السنة المذكورة، فأول ما هجم الحصان

الأشقر، على الطائف وهو عبدالله بن الحسين، وهجم الحسين بجنوده على القلعة والثكنات العسكرية، وكان الهجوم مرتب في المملكة كلها على الساعة تسعة من تلك الليلة، وكان كل قوة أو حركة تبدو[١] للترك يستعملها الشريف ويحتج بها: اننا نطوع بها البادية العاصين، وكانت دولة الترك حينما احست بحركة الشريف أو جاءها جواسيس يخبرونها بما عزم عليه من الثورة على تركيا، فحينما بقي على موعد الثورة ستة أيام، واذا يرد على والي الحجاز من قبل الدولة التركية أن افتح باب الكعبة، واطلب من الشريف الحسين يدخل معك ويبايعك فيها على النصح بالقيام مع دولة بني عثمان، وأنه لا يغدر بها ولا يعين عليها عدوا، ففعل غالب باشا ما أمرته دولته به، فاستدعى بالشريف الحسين، ودخلا جميعا في بطن الكعبة، فكانوا يتبايعون ويتصافحون بالأيدي، والشريف الحسين يبكي بدموع غزار، ويقول: اتظن دولة بني عثمان أني اغدر بها، واكفر نعمتها التي غذتني بثديها، انا وأولادي والأشراف جميعا، وكل من يتعلق بنا فإننا غرس لنعمة الدولة العلية، يقول ذلك والدموع تسكب على خديه، فاخرج غالب باشا منديله من جيبه، واخذ ينشف الدموع من خد الحسين بيده، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فكان الحسين تنطبق عليه هذين البيتين من الشعر وهي صفة رجز:

ذيبا تـراه مصليا ... واذا مررت به ركع
يـدعو وجل دعـائه ... ياذا الفريسة ان تقع
عجل بها يا ذا العلا ... ان الفؤاد قد انقطع

(١) نهاية ص ١٨٤من المخطوطة

ومثل ذلك، فقد قدم من المدينة انور باشا في الكعبة، وهو قائد حربية الترك وكان قدم معه في يوم معاهدة الحسين، لغالب باشا في الكعبة، وكان معه في قدومه فيصل بن الحسين بن علي، فطلب انور باشا من فيصل بن الحسين أن يدخل معه في الحجرة النبوية العظيمة، وان يبايعه على نص بيعة والده، لغالب باشا، فدخلوا الحجرة جميعا، وفي تلك الساعة، وعلي بن الحسين، اخو فيصل، نازل في بير الناشي، مرحلة واحدة عن المدينة ونزوله في ذلك الموضع، فهو ينظم الثورة على دولة الترك، ثم بعد ان غادر المدينة انور باشا، ثاروا جميعا بتلك الليلة المعهودة باربع المدن كلها، فلما ثار الشريف الحسين بمكة تلك الليلة، وكنت حاضرا وشاهدا ذلك، وكانت ليلة صائفة، ونحن في برج السرطان أو في برج الجوزاء، فثارت البادية والحاضرة، على الأتراك، وكل من أهل المراكز التركية، انحصر في مركزه، فلا يقدرون مساعدة بعضهم لبعض، لانهم فصلوا عن بعضهم، وكان الشريف الحسين، قد خدع دولة الترك قبل الثورة بمدة شهرين، فقد حسن لهم انهم ينزلون الأطواب[1] الضخمة من قلعة جياد، ومن قلعة الطائف، ويسحبونها الى ثغر جدة، لأنه حذرهم أن الخطر على جدة من مراكب الانجليز بالبحر، وأما بلاد العرب فأنا احميها، ولن تحتاج الى أطواب، فالثغر البحري، احق بها، فوافقوه على ذلك، ظنا منهم انه ناصح لهم، وهو بضد ذلك، وأرسلوها جدة، وكان قصده من ذلك، ليأمن منها، فكان قائد المدفعية، واسمه كامل بيه، حينما يرى قلل الاطواب الضخمة وهو محصور

[1] نهاية ص ١٨٥من المخطوطة

في قلعة جياد ولم ير لها اطواب تثور بها، فكان يحثي التراب على رأسه من القهر على فقدها، هذا وإن الشريف الحسين، قد حسن لوالي العساكر، غالب باشا بعد المبايعة معه في بطن الكعبة، أن يخرج الى الطائف بعساكر كثيرة، وهو يريد حصرهم هناك، يعني بالطائف، فلما استمرت واشتدت وكان قائد عساكر مكة مقره الحميدية، المشهورة قرب الحرم الشريف، واسمه حلمي باشا، وكان الشريف الحسين من قبل الثورة بساعتين قد أمر بقطع المواصلات بين الترك، وأمر بقطع التيول الممدوة بين المراكز كلها، فقطعوها كلها إلا ما كان من التلفون المتصل من الحميدية الى قصر الشريف، فهو لم يقطع، وكانت الحميدية محصورة من كل الجهات، فتكلم الوكيل من الحميدية، للشريف الحسين وهو في بيته، بأن زهم على الشريف الحسين، وقال له : ياشريف افندي، حنا محصورين في الحميدية، والذي زاد على العسكر، انا اضرب برزان، لكامل بيه ليشغل الاطواب من القلعة، فجاوبه الشريف الحسين، بان قال له : انا الى الآن لم اتحقق ممن أتت الثورة، وانا محصور في قصري، فلم أعلم عن الثورة، ومن أي مكان أتت، هل هم البدو جيعانين، وهجموا على البلد، يريدون أكل! فانتم اصبروا حتى تكتشفوا النتيجة، فسكت عنه، وفي آخر ضحوة ذلك اليوم، قرب من قلعة جياد، رجل من السودان، ومعه زنبيله الذي يحمل به بالأسواق، فلصق بجدار القلعة وقال لهم ارسلوا الي حبل، وازعبوني في زنبيلي هذا، وانا أخبركم عن الثورة، فادلوا عليه حبل وزعبوه كما تزعب الدلو من البير، فلما استقر عندهم، اخبرهم تفصيلا بان الثورة من الشريف الحسين والعرب على دولة الترك، فحينئذ ضربوا

برزان للحميدية ومن فيها، يخبرونهم بخبر السوداني، ثم ضربوا برزان اخر للقشلة في جرول، يخبرونهم بخبر السوداني، فأول من اختبر، هو الشريف الحسين وهو في مجلسه، بان فهم ما يقوله البرزان، وكان يجيد اللغة التركية، فمن ذلك استعد لضرب القنابل وهو في قصره، فكانت تضربه القنابل غدوة عشية، حتى وهى الركن اليماني من القصر، لأنهم لم يروا من القصر غير الركن هذا[1]، أما جدة، فلم يدم حصارهم غير أربعة أيام، ثم سلمت، وذلك أن العساكر التركية، ارتدمت كلها في قلعة ماؤها ملح أجاج، فأخذت أطواب المراكب الإنجليزية من البحر تصليهم بنيران حامية من مرسى جدة، فبعدما هدمت قلعتهم القنابل، خرجوا من قلعتهم الى الحفر التي حفروها من قبل الثورة، والعطش يذيب أكبادهم، والشمس المحرقة فوق رؤوسهم، ومن تحت ارجلهم حر الارض شديد، والحضر والبدو مقابلين لهم، وقائدهم جميعا الشريف محسن بن منصور، فما استطاعوا ان يصمدوا لهذه النكبات، فسلموا أما الطائف فقد دام حصاره ما يقرب من أربعة أشهر، حتى اكلوا القطط والحمير والبغال، ثم سلموا في شهر القعدة، وأما المدينة فقد دام حصارها قريبا من سنتين، وهذه كوارث الحسين ونزعاته السيئة، فنلقي عليه ما يستحقه ولا نزيد على ذلك، أما حصار مكة، فقد سلمت القلاع، بعد محاصرة تزيد عن شهر، ثم بعد التسليم شرع الشريف الحسين، في تسليم عساكر الترك، وجعلهم أسارا بيد الانجليز، بدون اشتراط صدر عليه منهم، بل إن رجال السياسة من الانجليز، يقولون كان يقنعنا بالقيام بالثورة، وإخراج الاتراك من

---

[1] نهاية ص ١٨٦من المخطوطة

الحجاز، وبعد لم نسأل اين ذهبوا، فلو أسرهم عنده، لكان خيرا له، فياليت الرجل المسلم الغيور لم يشاهد ما شاهدناه من النكبات المؤلمة، وذلك انه يؤتى بالعائلة الواحدة فيفرق بينهم، فيكون الزوج في معزل وحده، وتكون الزوجة في معزل وحدها، ويجمعون اطفالهم في منزل منفصلين عن والديهم، ولهم صراخ مزعج وعويل يذيب أوتار القلوب لكل من يسمعه، ثم إنهم يركبون الجمال، ويجعلون الثلاثة على جمل، وكل يوم يركب منهم فوج لايعرف بعضهم بعضا، ولا يدرون اين أولادهم، ولا اين نساؤهم، ولا أين إخوانهم، وقد بلغنا أن امرأة فقدت ولدها، وقد سفروه مع فوج غير الفوج الذي هي معه، فطلعت على الشريف الحسين وهو في مجلسه، فقالت له : ياسيد البلد انا سيدي فين ؟ فقال ادفعوها من الدرجة، فدفعوها، فاخذت تتكفأ على زلف الدرج، حتى خضبت دماؤها عموم الدرجة . وإني لأظن أنها حينما تولت اسبانيا في أول القرن الثامن للهجرة على مسلمي الاندلس، لم تفعل مافعله الحسين بن علي، مع عنصر الاتراك، وكان في يوم الثورة نفسها، قد جمع البدو وحرامية الريعان، وكل لص من لصوص العالم، فهدهم على بيوت الأتراك وأباح لهم ما يريدون، مع إنه يوجد كثير من بين الأتراك، حمايل، عنصرهم تركي ولهم تقريب مئتين سنة[١] وهم مجاورين في مكة، فأباح لهم أموالهم وثيابهم وجميع ما يملكون، وكانوا من قبل أن يجمعوهم للترحيل، وهم وعائلاتهم يتسولون في الأسواق، فإذا وقفوا على صاحب دكان أو بيت فيقولون ارحمونا يا مسلمين فحنا

---

[١] نهاية ص ١٨٧من المخطوطة

مثلكم مسلمين، ولسنا مسقوف[٢] فمن يسمع منهم قولهم، دمعت عينه وحزن قلبه، فيقول لسان حاله مخاطبا للشريف، عجبت من جراءتك على الله، وحلم الله عليك . ولا تنس ايها القارىء أن ربك لبا لمرصاد، فبعد هذه الفظائع كلها، قد كال له ربه بصاعه الأوفى، فحينما تمت ثورته فتح الله عليه باب الفتن والشرور والهموم المقلقة والحوادث المترادفة المنغصة، الذي لا يملك منها دفعا ولا رفعا، وكانت القنبلة الذي طال ما زوى جنبه عنها وخشي من بأسها هي التي ثارت بجنبه فاحرقته، وهو الشريف خالد بن لؤي، كان يكرهه الشريف الحسين، ويقلاه، وكان يحذر منه مثلما يحذر فرعون من موسى عليه السلام، فقد غزا مع عبدالله بن الحسين، الى وادي العيص، ليقربوا من سكة حديد المدينة، وذلك في سنة ١٣٣٥ وكان يصلي بينهم، ويكثر من صلاة النوافل ويوتر ويطيل الورد، وكان الشريف شاكر بن زيد بن فواز، يسخر منه ومن صلاته، ويقول له مايقرأ الورد إلا القرد، فبعد أن سئم من الإقامة عندهم، استأذن من عبدالله بن الحسين أن يزور أهله وبلاده، فإذن له، فمر على مكة ودخلها واعتمر وهو خائف من الحسين أن يمسكه عنده، ولا يمكنه من الرخصة، ولكن الله جعل له فرجا ومخرجا، فلم يقم بمكة غير يومين ثم سافر الى بلاده، وقد انقذه الله من براثن الأسود، فآل على نفسه أن لا يثق بالحسين، ولا يمكنه من نفسه بعد الذي مضى، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ثم بعدما وصل بلاده، اخذ يكاتب الملك عبدالعزيز. وفي سنة ١٣٣٥ حج الأمير محمد بن عبدالرحمن الفيصل، ومعه اخته نورة العبدالرحمن، ومعه هدية للشريف

---

(٢) muskovs وتعني أهل موسكو

الحسين، كمن يقول دخيلك عنك، والهدية تتألف من عشر من الخيل، وعشر من الركايب النجايب العمانيات، فقبلها الشريف الحسين منه، وقضى مناسكه ومن معه ورجع الى وطنه مسرورا، ثم دخلت سنة ١٣٣٦ وفي أولها قامت قائمة الإخوان في نجد، فكانت غاراتهم لا تكف ليلا ولا نهارا، وكفى الله المؤمنين القتال، فكان الإمام عبدالعزيز جالسا في عاصمته ولم يعلم إلا والأبل والأغنام، تاتيه من كل فج، هذا خمس الغنائم للإمام، ثم بعد ذلك سلطهم الله على الشريف الحسين نفسه، فبعد ما كان يعدهم درعا حصينا له[1]، يناضل دونهم، ويقول عتيبة عتيبتي دون سواي، وكان يجزل لهم العطاء من كل صنف، فيعطيهم الخيل والجيش والسلاح والذهب، ومن صنوف الطعام احسنها، فانقلبوا يحاربونه بجيشه وخيله وسلاحه، وكانوا لا يترددون في تكفيره، وهو إخراجه من الملة، حتى إنهم جعلوه حجة على الناس، فمن سألوه عنه فقال هو كافر سلم منهم، ومن قال انه مسلم قتلوه، وكانوا يلقبونه بدل حسين باشه، يقولون حسين خيشه، فجازاه ربه بما فعل جزاء وافرا، وقد قيل بيت شعر في هذا المعنى

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا

وكان يكفي عندهم ازهاق روح المسلم إذا أنكر كفر الشريف . وكان يخرج عليهم قواته وسراياه، فكل ما اخرج من قوة، قابلها نزر قليل من جند الإخوان، فيهزمون تلك القوة ويقتلون أهلها ويغنمون ما معها، وكانوا لا يعرفون المنع، ولا يفرقون بين من يلقي سلاحه وبين من يقاتل، فإنهم يقتلون المقاتل والمستأسر، ولا يأسرون، وكانو لا ينهزمون ابدا، وكانوا إذا

---

[1] نهاية ص ١٨٨من المخطوطة

رأوا القتيل منهم ملقى على قفاه، قالوا هنيه بالجنة، هذا مقتول وهو مقبل على العدو غير مدبر، وإذا رأوا القتيل منهم منكفئا على بطنه، قالوا هذا مقتول وهو مدبر، وإذا خرج من بيته غازيا فأحسن ما يرى من صدق الذي يودعه، أن يقول له عسى الله أن لا يردك من غربتك، وان يكتب لك الشهادة، ثم يؤمن على هذا الدعاء، ويشكر من دعى به، وكانوا لا يرضون أن يترحم على احد والديه، الذين ماتوا قبل هذا الاسلام المزعوم، بأن يرد على الداعي، ويقول له لا ترحّم عليهم، ربي وربهم الله، ماتوا في الجاهلية، (وكان أشجعهم هو الساقط عندهم قبل دينهم هذا (!) وهو الذي يلين لهم رؤوس الزعماء ويحط من أقدارهم، ولا تجد من ينكر عليهم ذلك، وكانت الغزية منهم، إذا غنمت تواست في قسم الغنيمة كلها، فالذي يقاتل منهم، والذي ذهب يقنص الصيد، والذي يرعى أبلهم، كلها تقسم بالسوية، للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد. وكانوا قد ضربوا مناحي الهيضل، على باب الملك بالرياض، فلم يعترضهم الملك بشيء، ثم ضربوا عمر بن ربيعان، على باب خيمة الملك، حينما كان نازل في مرات، وكانوا هم اكبر قبائل عتيبة، وكان أحقر ما يكون عندهم، هو صديقهم من الحضر الذي يعرفونه سابقا، وكانوا يجادلون الحضر، بقولهم أنتم تعرفون الدين قبلنا وجاحدينه عنا، وكانوا قد أعطوا من الجدل أبلغه، وكانوا إذا[١] سألوا أحدا عن أصول دينه وفروعه ثم أجابهم عن سؤالاتهم كلها بأحسن الجواب، ولم يجدوا عليه مدخلا في علمه ولا في عقيدته، فيكون جوابهم له : وش فائدتك من علمك ؟ انت تعلم ولا تعمل ! فلا يجد المسؤل سبيلا الى

---

(١) نهاية ص ١٨٩من المخطوطة

النجاة، ومما أرويه عن شخص من الإخوان، إنهم ذات يوم، يمشون في البرية في بعض أسفارهم، فقابلهم صاحب حمار، وعليه قربتين سمن، وكان قاصدا بلد الخرمة، ليبيع السمن بها، وكانوا ثمانية أشخاص، فقال بعضهم لبعض : اسألوه عن دينه هل هو يعرفه ام لا ؟ فسألوه، فأجابهم عن معرفة دينه، جوابا شافي ويصيب الهدف بكل ما سألوه عنه، فلم يجدوا عليه غلط، حتى كاد أن يذهب في طريقه، وهم يقصدون طريقهم، ثم خلصوا يتناجون بينهم، فقال أحدهم إني أريد ان اسألك، فقال له : اسأل، فقال هل أنت من الذين امنوا ثم كفروا، أم أنت من الذين كفروا ثم أمنوا، ففطن لهم، أنهم يريدون قتله، ويأخذون الحمار وما فوقه، فكان جوابه لهم، هو بأن قال : انا من الذين تركوا الحمار وانهزموا، فولاهم ظهره وهو يهرول، لأنهم هم عتبان وهو شلوي، فخشي أن يغتالوه في هذه البرية، وليس حوله احد ينجده، وكان العرب الكثيرين المنيعين، يأتيهم رجل متعمم بعمامة بيضا فيرغم عليهم جميعا، ولن تجد من يعارضه بما يفعل، أو يكلمه، غير أنه إذا ضرب أحد منهم لا تجد من يتعرضه بسوء، ولا بكلام، وكانوا من قبل يمنعون الجار ويحمون الذمار، وكانوا لا يغمضون على الضيم، فلو ضرب أحدهم ناقة ابن عمه بعصا، لضربه صاحبها بسيف أو بندق، وهذا الصنف منهم، متى لبس عمامة بيضا، يسمون الإخوان، والأعراب الذي لم يلبسوا العمامة يسمونهم الجفاة، وكانوا اذا أتوهم أهل العمايم يكرمونهم، ولكن الكرامة لا تفيد معهم بشيء، وكان الرجل الواحد يذهب الى العرب فيأمرهم بالرحيل الى الهجرة، فيرحلون، ولن تجد احدا يخالف أمره، واذكر للقارىء شيء واحد وهو أن الإمام عبدالعزيز، ورد عليه كتاب

من الشريف خالد بن منصور، يطلب منه أن يرسل اليه جندا من الإخوان، يرابط عنده عن الطوارىء، فأمر على سلطان بن بجاد، أن يرسل اليه مئتين من أهل الغطغط، فارسلهم وأقاموا عنده، وكان لخالد اخو شقيق اسمه ناصر، ويلقبونه بعيجان، وكان شهما شجاعا كريما، وكان اكبر حارس لأخيه خالد، واكبر ناصر له، فحدث ذات يوم أن نقموا عليه أهل الغطغط بشيء تافه، فترصد له رجل منهم، يدعى سعد بن سهل، وهو من الروسان، جماعة خالد بن جامع، فصعد عليه في سطحه[1] الذي هو نائم فيه، فقتله، وليس بينه وبين خالد، إلا جدار قصير، فما كان من خالد، إلا أن بلع مصيبته، ودفن أخاه، ولم يشلك بثه إلا الى الله، ولو أردنا الإطالة لتسطير ما يجرون من عوايد، وفزعات، لملينا الأسفار الضخام، ولن ينفد ما عندنا من معلوماتهم،

سيعيد الله كلا منهم وسيجزي فاعلا ماقد فعل

وإني لأعلم أن عمري فان وخطي باق حتى يأذن الله له بالفناء

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا فيدركها الفناء فتتبع

ولكني أتيقن بعد زمن غير بعيد، أن يقرأها قوم، ثم يقولون هذه من قصص بني هلال ورواياتهم الخرافية، فتنكرها عقولهم، مع أني شاهدت أكثرها بعيني

وانما تأخذ الاذهان منه على قدر القرائح والفهوم

ونرجع الى سرد تجهيزات الشريف، على الإخوان ومن معهم، وقد اجتمعوا في ضواحي الخرمة، ومعهم خالد بجنوده، وأهل

---

[1] نهاية ص ١٩٠من المخطوطة

الغطغط، وكثير من سبيع وعتيبة، فجهز عليهم حمود بن زيد بن فواز، بجند عظيم، حضر وبدو، وأعطاهم الشون وآلات الحرب بدون عدد ولا وزن، فلما قرب منهم بجنوده، بادرهم خالد وجنده الذي معه من كل صنف، فنشبت بينهم الحرب، وهم على ماء يسمى القرين، قريب من الخرمة، وهي تسمى وقعة القرين، فما لبث القتال غير ساعة، فانهزموا جند الشريف الحسين شر هزيمة، واخذوا ما معهم من القوة، بأصنافها، وقتلوا من رجالهم عدد كثير، ثم تجهزوا ثانية، بقوة اعظم من الأولى، وتواقعوا بمحل يسمى حوقان، لصيق بالخرمة، وفيه هجرة ونخيل لآل لؤي، فما دامت المعركة غير قليل، حتى انهزم حمود بن زيد وجنده، وتركوا جميع ما معهم، غنيمة باردة لعدوهم، وقتل من رجالهم عدد كثير، وكانوا يسمون حمود بن زيد بعد هذه الوقعة، (مودي) يعني انه يروح بالجنود، وبالأموال، فيوديهم للإخوان، ثم يرجع برأسه، وكان عبدالله بن الحسين مقيما بالعيص، وهي بلاد لقبيلة جهينة، وكان معه جند عظيم، وكانت بريطانيا تمده بكل ما لديها من قوة من سلاح وعتاد وطعام على مختلف أصنافه، لعلمها انه يقاتل الترك لصالحها فلا تدخر عنه شيء من القوة، وقد ضعضع أركان تركيا من كل جوانبها، هو ووالده الحسين، وقد هلك الولد والوالد، وقدموا على حكم عدل لا يترك ذرة ولا ينساها، وكان في بادىء الأمر، والشريف فيصل بن الحسين نازل في العقبة المعروفة، وكان معه جند مثل أخيه عبدالله[1]، فكانت طائرات الترك والألمان تحلق فوقهم، فتارة تكشف وتارة ترمي قنابل، فصدف ذات يوم أن حلقت طائرة فوق

[1] نهاية ص ١٩١من المخطوطة

رؤوسهم، ورمت بهذا المنشور، وسنحرره للقراء، لفائدتين الأولى لفصاحته والثانية لشهادته بفضل العرب على سائر الأمم، واليك ما احتوى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

من خليفتكم، محمد رشاد الخامس، تذكرة وبيان للناس، لعلهم يتذكرون، معاشر العرب، اعلموا انكم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، اظهرتم العجب العجاب في الجاهلية والاسلام، وقهرتم القياصرة، واذللتم الأكاسرة، وقمعتم الجبابرة، وأسستم ملك العرب على أساس متين، فعالكم بيض، ورماحكم طوال، وسيوفكم قاطعة، وخيولكم سابقة، كلامكم حكم، وعقولكم أزكى العقول، أسستم مجلس الشورى، وتكلمتم بالقرآن قبل نزوله، ونصرتم المظلوم، وردعتم الظالم، وحفظتم الذمة، واسرفتم في المكرمة، وصرتم قداة الامة في الجاهلية والاسلام، والتواريخ تشهد لكم بذلك، فلا تغرنكم الأراجيف الباطلة، ولا تخدعنكم الكفار، اليس منكم فحول الرجال، فراسة وخصاصة وعلما وأدبا ومكارم اخلاق يعجز العالم عن حصرها، اليس منكم أفضل الأنبياء، وصفوة بني هاشم صلى الله عليه وسلم، الستم انتم المؤسسون لهذا الدين، الستم انتم الفاتحون في المشرق والمغرب، الستم الذين دوختم اوروبا بسيوفكم، وفتحتم افريقيا واسيا واذللتموها، والآن بعد هذا كله أصبحتم ألعوبة بيد الخائنين، الذين لا ذمة لهم ولا خلاق، بل ولا أيمان لهم، فقد باعوكم بثمن بخس، لا تفيدكم غير العار والفضيحة، ارضيتم انكم تسلمون مفاتيح بيت الله الحرام للانقليز الغادرة، فما هذا السم الذي سرى فيكم، اصبحتم تقاتلون إخوانكم في الدين،

وتخذلون من لايزال ناصرا للدين، فقد ركنتم الى الذين ظلموا، وسمحتم لعدو الدين أن يدخل الديار المقدسة، وانتم تعلمون أن بيت الله الحرام، هو عزكم وقبلة الاسلام، فهو محرم على الكفار أن يدخلوه، وجهلتم انكم كنتم المكلفون بحفظه، من حين بناء ابراهيم الخليل واسماعيل عليهم السلام الى زمن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الى قبل هذا التاريخ، وهم يذبون عنه، حتى في مدة المرحوم ابا نمي، في القرن العاشر من الهجرة، استولت الافرنج على ثغر جدة ففتح الخزنة واستنهض الرجال، وبذل لهم السلاح والأموال، وقاتلهم قتال الأبطال، فما كانت إلا عشية أو ضحاها، حتى ردهم خائبين مهزومين، اليس حفظ هذه البقعة المطهرة من فضائل العرب، لا من خصوصيات الترك، فكأنكم اردتم بما فعلتم ان تحققوا[1] وعد (اللورد كتشنر) اذ قال لقومه بأنه سيجعل مكة المكرمة والمدينة المنورة، مسرحا[2] لشبان دول أوربا، ومربطا لبغالهم، تزبل بها، فما الذي اذهب عقولكم، أأستولى عليها الانجليز بالأصفر الرنان، حتى أسلمتم له دينكم وأحوالكم، وبلاد الله المطهرة، يطأها ببغاله، أكتب حجاب صمم الرقدة على أذانكم ؟ فاعتبروا بما حصل على من قبلكم من الأمم، فالسعيد من له عبرة بغيره، اين إمارات الهند وأموالها ؟ اين استقلال تونس ومراكش والجزائر ومسقط والبحرين وزنجبار؟ كانوا الكل يتمتعون بظل هذه الدولة العلية، اين استقلال مصر وفرماناتهم المصدق عليها من الدولة ؟ تلاعبت بينهم هذه الدولة الكافرة الغادرة، فحرمتهم استقلالهم واشرقت

---

[1] نهاية ص ١٩٢ من المخطوطة

[2] في الأصل مرسحا

جرارهم، ووالله لكأني بكم، انظر اليكم وقد نصبت لكم حبائل غدرهم فصادتكم كما صادت من كان قبلكم، وستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد، فيا معشر أهل الحجاز تعلمون أن هذه الدولة العلية، حاربت في الماضي في هذه الديار المقدسة، تعطيكم الإيرادات والمعاشات من خدمتها في هذه البلاد المقدسة، مع مسامحتها لكم في التكاليف التي تكلف بها المسلمين، وايم الله لئن فرطتم في شبر منها تكونون مسئولين أمام الله والملة الإسلامية، وستأتيكم فرسان المسلمين من كل جانب يقضون على حياتكم في مقابلة خيانتكم وارتدادكم، وسنخرجكم منها أذلة وانتم صاغرون إن شاء الله، وحينئذ لا ينفعكم الندم ولا يزيدكم إلا حسرة وندامة، وقد لعن الله الخارج عن طاعة إمامه، والخائن ملته، والموالي عدو دينه، في الكتاب المنزل، والكتب الستة الصحاح، فلا نعذر من يسمع هنا، أو يراه ولا يبلغه لكافة المسلمين، ليكونوا على أهبة من دينهم، ويصونونه عن بيعه على الكفرة، لا تفيدكم الحسرة والندامة، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين، والسلام على من نصر دين الإسلام بيده أو بلسانه أو بقلبه، والله يتولى الصالحين .

وكان هذا المنشور ترميه طائرات الترك والألمان على معسكرات فيصل بالعقبة، فلما أتي الشريف فيصل بنسخة منه، وقرأها، فنادى في معسكره أن كل من أتاه بنسخة من هذا المنشور، فله عندي مكافأة، جنيه افرنجي لكل منشور، وكان الشريف فيصل يخاف ان ينتشر بأيدي الناس فيقرؤنه، فتميل قلوبهم الى مافيه، ثم يتخاذلون عن نصرة الشريف، فانه بثورته هذه بالحجاز، قد بقر بطن تركيا بالوسط، فترك رأسها بالشام

ورجليها[١] باليمن، فمن يلم شعثها بعد هذا إلا الله، وكان يوجد في تركيا رجل أديب يدعى شكري نعمان، فقال قصيدة يذكر فيها أيام دولة تركيا الخالد، ويتلهف على النكبات التي إصابتهم، وكانت سببا لانحلال ملكهم وانتقاله من أيديهم الى يد غيرهم، فانشأ يقول:

اليك اله الخلق نشكو خطوبنا ... وتذرف بالشكوى دموع جواريا
ظلمنا وقد جارت علينا عداتنا ... ولم يخل من شر المظالم واديا
واظلم اهل الظلم في كل موطن ... على خلقه من كان في الشر باديا
تصدى لنا مستأسد ذو ظغينة ... ليخرجنا من ارضنا اليوم باغيا
تبدد شمل المسلمين فضيعوا ... تراثهم الأعلى وابك المعاليا
ولم يبق لهم غير مطلب ... من الله فتحا يرجع الفتح ثانيا

علام جهادي في امتداد بقائيا ... وما المرء إلا حادثا ثم فانيا
هبوا انني طالت حياتي تمتعا ... وبلغت من دنياي ما كنت باغيا
الست كآبائي أمر وانقضي ... اموت كما ماتوا واصبح باليا
وكم مر من هذاالطريق مشيع ... وكل امرىء يمضي يصافح اتيا
سل الشس كم شمس توارت بحفرة ... وكم دفن البدر المنير محاكيا
أقول لنفسي احسني تدركي المنى ... فاني باعمالي ملاق حسابيا
عجبت لقومي كيف بالسلم خودعوا ... ولم يحذروا يوم الكفاح الاعاديا
وكانوا أباة الضيم يقضي عيونهم ... فناموا ونامت عين من كان واعيا
فلا قوة عند الدفاع تقيهم ... ولا منطق فصلا يفض التقاضيا
ولا فيهم من حنكته تجارب ... فكان لعلات القلوب مداويا
بني الشرق نبكي المجد وهو مودع ... ومن ذا على التوديع لم يك باكيا
أطاعوا هوى الدنيا فضاعوا وهكذا ... عواقب أقوام أطاعوا الملاهيا
وحلوا بأيديهم عرى ملكهم ... ومن لهم تبعا بالأمس أصبح عاصيا
لقد فرطوا في كل أمر ففاتهم ... كذاك يفوت الأمر من ليس واعيا
ومن لم يجاهد في الحياة بنفسه ... لنيل العلا أضحى من المجد عاريا
يلوم رجال الشرق في الغرب أمة ... ترى الغرب قد ألقى عليها المراسيا

---

[١] نهاية ص ١٩٣من المخطوطة

فدى لنبي الحق ساكن طيبة   عشيري واوطاني وروحي وماليا
لئن زرت طه اشرف الرسل مرة   وقدر لي ربي بلوغ مراميا
لاستهل الدمع حول ضريحه   مصليا على من كان بالقبر ثاويا[1]

وكانت الدولة التركية في غابر عصورها السابقة، كانوا يعدونها أنها متمسكة بدين الإسلام، ومحافظة على فروض دينها وعقيدتها إسلامية محضة، وكانوا يروون عن السلطان مراد انه كلما مشى، يحمل كتابا الله معه تبركا به، فهو لا يفارقه إلا عند النوم، أو عند قضاء الحاجة، وكانوا يروون عن حسن عقيدته وانه يتمثل بهذين البيتين:

الملك لله من يظفر بنيل مني   يردده قهرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي من الملك قدر انملة   فوق التراب لكان الامر مشتركا[2]

فهذه سيرة اسلافهم الذين مضوا حتى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وقد أدركت أناسا منهم في اخر ملكهم، وهم في الحجاز، في زمن السلطان عبدالحميد، كانوا يحافظون على صلواتهم، وكان رؤساؤهم وضباطهم يصلون، ويأمرونهم بالصلاة، حتى في صلاة التراويح في رمضان غير الفريضة، وكان قضاتهم يحكمون بالشريعة المحمدية على مذهب الإمام ابو حنيفة، ولا يخرجون عن الشريعة في أحكامهم قيد شبر، وكانوا يحرصون على المراقبة

(١) نهاية ص ١٩٤ من المخطوطة
(٢) البيتان ينسبان للسلطان سليم بن أبي يزيد (سليم الأول) تاسع سلاطين بني عثمان

على دخول أوقات العبادات وخصوصا الصوم والحج، فلا يعتبرون إلا من شهد عندهم، ومن حكم بالشريعة، وفقه الله، فإنه هو الحكم السماوي، ولقد نسب لنا عن مسيحي من علماء المسيحيين وكان في بيروت، بأنه يقول إنها والله تعجبني أحكام الشرع الشريف، فإني مررت ذات يوم بمجلس القاضي الشرعي، وقد ترافع إليه اثنان، رجل وزوجته، وكان الرجل قد طلق تلك الزوجة، وله منها ولد ترضعه، وحينما طلقها أعطاها ثمن الرضاعة لولده مقدما، حتى تفطمه، فطمعت المرأة وأخذت ولدا ترضعه بالإيجار، فادعى الرجل إني اشتريت اللبن لولدي، فأصبح في ملكي، ولا أحب أن يزاحم ولدي رضيع ثان على ثديه، فينقص غذاه، فحكم القاضي له، بأن اللبن أصبح في ملكه، فلا يجوز للمرأة أن ترضع ولدا غير ولده إلا بإذنه . ولا يشك مسلم، صاحب عقيدة سلفية، إلا أن الشريعة المحمدية هي مقدمة على الشرائع كلها .

ثم إننا رجعنا الى نسق التاريخ، وهو أن عبدالله بن الحسين، أرسل شاكر بن زيد بن فواز، من العيص، وكان يعده طليعة له، فجمع جند عظيم، وأتى معه من العيص بجند كثير، واجتمع عليه خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله، ومعهم من القوة ما يعجز الوصف عنه، ولقد شاهدت تلك القوات بعيني، حيث إنه زحف من بلدة عشيرة، ونزل مران وهو ماء. وكنت قدمت عليه من عنيزة، وهو نازل على مران بجنوده في يوم ٢٤ من القعدة سنة [1]١٣٣٦ وأقمت عنده أربعة أيام، والغزوان

[1] نهاية ص ١٩٥من المخطوطة

تتهافت عليه من كل جانب، ومن كل قبيلة، ثم قدم عليه حاج الكويت، وأنا عنده، وكان قدومه في يوم ٢٨ القعدة من تلك السنة، وكان حجا عظيما، ومعه قوة، جيشا وسلاحا وتجارات، وكان أميرهم احمد الجابر الصباح، فهمت بادية الشريف شاكر بن زيد، أن يأخذوا حاج الكويت، وقد بدت منهم الحركة المريبة، فركب شاكر فرسه، هو وخدمه وعبيده، واستنجد بمن معه من الأشراف، ومن رؤساء البادية، فبعد الخطر المحدق بهم، دافع عنهم بكل ما يملك من قوة، إلا أن السلاح لم يشهر بينهم، حتى كاد أن يعجز عن حمايتهم لولا ما استعمله معهم من القوة والشدة والضرب على أيدي زعماء المعتدين فنجوا، ونجعوا من ذلك الماء في اليوم الثلاثين من شهر القعدة، وفي ذلك اليوم غزا فاجر بن شليويح، من رؤساء الروقة، قاصدا سبيع أهل الخرمة، ومعه عتبان وأشراف، فأغار على إبل لسبيع، فطردوه عنها، ثم إنه صعد على رأس هضبة، واخذ يرمي أهل الإبل بالبندق، وهم يرمونه من هضبة أخرى، فقاد الله سهم رجل من سبيع، اسمه ناصر بن مشاري بن ناصر، من شيوخ سبيع، فقتله، وبقتله ركب أصحابه ركابهم وانهزموا، ثم إن شاكر بن زيد زحف على الإخوان في يوم اربعة من ذي الحجة، وأقلع عن ماء مران، فقصد الشظو، ماء معروف على شفير وادي الخرمة، ويبعد عن بلد الخرمة نصف يوم، فنزله في صبيحة ثمان من ذي الحجة، ولما علم الإخوان بمنزله تداعوا بالرحيل نحوه ركبانا وفرسانا، وقد كثروا، وأتتهم أمداد من قحطان، ومن عتيبة، فأوقعوا بشاكر ومن معه من الجنود في يوم عرفة، وهو اليوم الثاني من نزوله على ذلك الماء، وكانت الوقعة بعد صلاة الظهر، فما حانت صلاة العصر حتى

حلت به الهزيمة الشنيعة هو وجنده بعد ما قتل من قومه أمم كثيرة، وقد نقل لي شخص من الأشراف، يدعى فوزان بن هزاع الحارثي، فقال : إني في يوم عيد الاضحى من تلك السنة، ونحن جلوسا عند الشريف الحسين، إذا وافاه خبر قتلة فاجر بن شليويح، فقال لمن عنده، هذه علينا من الكواشح القشر، ثم إنه في اليوم الثالث عشر أتاه خبر هزيمة شاكر ومن معه، وأنه قد أخذ جميع ما معه وقتل ما يقرب من نصف جنده . وأما نحن فلا نبخس جند الأشراف حقهم بأنهم شجعان ورماة ذوابيح، ولكن النصر بيد الله، يؤتيه من يشاء، وكان أسباب إخفاق انتصارهم في كل معركة، انهم قوم هازموا لعدوهم، وكلهم فلول جند شاهدوا وقائع كثيرة، وانذعرت قلوبهم، فما[١] يثبتون أمام عدوهم لاسيما وأنهم يعلمون أن عدوهم لا يمنع ولايأسر ولا يرحم، فلو طمعوا بواحدة منها لثبتوا لعدوهم أكثر من هذا، ولكنهم متيقنين من عدوهم، إذا استولى عليهم فلا رحمة لهم عنده، فقد قال تركي بن حميد في مثل هذا المعنى

من طاح بالميدان مهوب مرحوم   ياكود من رب السما شافع له

وقد قال رجل من جند الإخوان، من المتعصبين منهم، المتشددين على الناس، قالها في وقعتهم على شاكر، اسمه دندن العصامي المطيري:

بـانـت الـبـينة والـديـن ديـن الله   مــا نـطاوع هل الـردات والـجافي
مـن يـشكك بـكفر الـبيه عبدالله   ذاك ما قلبه على التوحيد ميلافي
يـوم سرنا على الكفار بامر الله   حـجـة حـجـها مــن دار وطـافـي
يوم شاكر جمع جنود عاصية الله   ومـشره نفسه بتصبيح الاسلافي
يـالإمام اجـتـهد يا شيخ جند الله   يـوم ضـلـوا طريق الحق الاشرافي
يـالإمام اجـتـهد فيما يـحب الله   وان صدقنا مـع الله هـو لـنـا كافي

---
(١) نهاية ص ١٩٦من المخطوطة

وكان قبل أن يمشي شاكر من مران، قد خلف وراءه حملة سلاح ورصاص وجبخانة[١] ودرك، عليها رجال من قومه يثق بهم، فاقتفوا أثره حسبما دبرهم بذلك، فمن صبيحة يوم النحر، وهم مصبحين المطرح الذي فيه شاكر، ولم يعلموا انه منهزم، فلما أصبحوا انهالوا على الماء والخيام، وكان يقدمهم أهل ست، ركايب يزغرتون، وهم لا يشكون أن هذه الخيام خيام شاكر وقومه، وكان ذلك يقينا لا ظنا، فهي خيام شاكر، لأن الإخوان حينما هزموا شاكر ابقوا خيامه على مبانيها، فكان التغيير في أهل الخيام لا في الخيام، فلما سمع الإخوان هذا التغريد، خرجوا من خيامهم ينظرون من الذي اقبل عليهم، وإذا هي غنيمة باردة ساقها الله عليهم، وقتلوهم جميعا وكان عددهم ثمانية عشر رجل لم ينج منهم إلا المخبر، وكان فيهم رجل شيباني يدعى عبدالله بن مقيطيب، فوقع في يدي جهجاه بن حميد، فأمنه على ما تحكم عليه الشريعة، واخذ راحلته، فلما رجعوا الى الخرمة بغنائمهم، عرضوا هذا الأسير على الشرع، فقال الشرع هذا عدو للإسلام مكن الله المسلمين منه بلا عهد ولا شرط فاقتلوه، فأمر به خالد أن يخرج من البلد فيقتل، فلما ساقوه للقتل، ونظر الى السيوف منتضية فوق رأسه طلب منهم بالشفاعة أن يقتلونه ببندق، قائلا هي أسرع لموتي فرقا من السيف، فردوا عليه قائلين له: أنت تكره الحق ولو عند الموت، السنة ذبح السيف، فنهض أثناء مجاوبتهم هذه معه[٢]، وإذا الشارع الذي يسوقونه فيه للقتل قد ضاق بهم خيلا

---

[١] كلمة تركية وتعني ذخيرة الحرب من سلاح وبارود وقنابل وأمثالها

[٢] نهاية ص ١٩٧من المخطوطة

وجيشا، وهؤلاء غزو لماجد بن فهيد الشيباني رئيس هجرة حلبان، وإذا اخو هذا الذي يراد به القتل مع الغزو، ومعه فرسا مهديها على خالد بن لؤي، فأوقفوهم وتحققوا خبرهم، فطلب منهم أخوه أن يردوه حتى يكلم خالد والشيخ فيه، قائلا لهم إذا أمر بقتله الشيخ والأمير، فاني ساقتله بيدي، فوافقوا، ورجعوا به، فغير الشيخ حكمه بدية تدخل مع غنائم الإخوان، فسلم ذلك الرجل بعد ما شاف الموت . ثم إنه بعد هذه الوقعة، أخذ الشريف الحسين، يعد العدة بقدوم ولده عبدالله الفاتح كما يزعم، فجمع قوة عظيمة وجبخانة ومدافع وجنود وخيام، وجعلها فوق عشيرة، الماء المعروف بحلق الريع، ريع مكة، وجعل عندها قوة سلاح بأيدي رجال لايسهتان بهم، فجعل على الشونة، سعد بن شعق الدهاسي، وكان هو مضايفي الشريف الحسين، وجعل محمد بن عبيد العبود، على الجند، وقد ارتدمت عندهم الشونة، كأمثال الجبال، وكانوا حذرين متيقظين، فلا ينسون ما عركهم من الحوادث، وكان جميع من بالوادي من العربان أهل الإبل والغنم، التفوا معهم ليحمونهم من الغارات، ثم دخلت سنة ١٣٣٧ ففي شهر ربيع الأول، كملت هذه القوات في عشيرة، منتظرين قدوم عبدالله بن الحسين من المدينة، فما مضى عشرين من هذا الشهر إلا واسواق الطائف كلها نزلت في عشيرة، من بزازين وعطارين ومن تجار خضر وفواكه على اختلاف اصنافها، ومن جزارين، فضربوا فيها الدكاكين بين عشش وخيام، وكانوا يظنون أن الإخوان لا يجترئون على الغارة في هذا المكان، بين حرة سوداء وأشجار كأنها قصور، ففي ذات يوم بعد ما كانوا امنين اذ أتاهم رجل من ابن الحارث، اسمه درهوم البصيصي، وكان رجلا عاقلا صدوقا لا يتهمونه

بالكذب، وكان خارجا من الخرمة يريد مكة، فكانت عشيرة هي طريقه، فلما وصل عشيرة، أسر الخبر لأفراد رجال من الرووساء، فقال لهم إني خرجت من الخرمة، وقد عقد الإخوان عزمهم أن يغزون عشيرة ومن فيها، فقط هم ينتظرون جيشهم يتلافى من البر، ثم عدهم عليهم بالرايات ـ فقال ـ خالد بن لؤي على رايته، وسلطان بن بجاد على رايته، وسلطان بن محمد بن هندي على رايته، وخالد بن جامع على رايته، وسلطان ابو العلا على رايته، ونجر بن حجنة على رايته، وناصر بن عمر على رايته، فقد حسبت من الرايات ثمانية، فهم لا يسندون دون الغارة على عشيرة، فانتم خذوا حذركم، فبعد ما انقطع كلامه، عرفوا كلام الصدق، وكانوا من قبل يعرفون المخبر انه صدوق، فبرزوا يتشاورون فيما بينهم، فاتفق رأيهم على انهم يرسلون هذه الليلة خمسة من فرسانهم ذوي الخبرة والتجربة، الى ربوة قريبة من عشيرة[1]، تسمى ابرق عشيرة، فأرسلوهم في الليل، واصبحوا في ذلك المكان ومعهم الدرابيل، زيادة على ان عيون البدو هي الدرابيل بذاتها، فلما اصبحوا، نظروا في الطريق، فحينما ارتفعت الشمس، رأوهم عيانا، وحسبوا راياتهم فوجدوها ثمان، على قول النذير، وكان مع الفرسان الخمسة، اثنين لهم مكانة وفطنة، واحد منهم مسفر بن سمران الدهاسي، والثاني ناصر العقيلي من العصمة، فانقلبوا من ساعتهم، واخبروا اصحابهم بما رأوا، فتحفزوا واستعدوا للغارة عليهم، أما الإخوان فإنهم تشاوروا فيما يدبرونه، وكان عدد فرسانهم مئتين، وجيشهم كثير العدد جدا، فلما دنوا من الأبرق، ارسلوا له من خيلهم فرسان يثقون بهم،

---
[1] نهاية ص ١٩٨من المخطوطة

لينظروا ما وراء ذلك، فلما وصلوه وجدوا اثر الخيل جديدة قد طلعت فيه ورجعت، فعرفوا اثر الرجلين، مسفر وناصر، لان كل منهم له بني عم مع الإخوان، فلما وصل الجيش الى الأبرق، اناخوه ريثما يصلحون من رحله، ويقطعون الرأي بينهم، فبداهم خالد بن لؤي بالرأي قبلهم، لأنهم قد جربوه بإطابة الرأي، والحزم في تدبيراته، فهو المحنك الناضج، وزد عليه أن الحظ مقبل عليه، ومدبر عن ضده، فكان رأيه أن قال لهم : نقسم خيلنا قسمين، مئة منها نردفها رجال معهم البنادق، فنغير شمالا حتى تطلع عليهم من الحرة، ثم ينزلون الرماة بالأرض ويمطرون الرصاص على أهل الماء ومن حولهم، وأما المئة الثانية فتغير عليهم مجنبة، لما تحول دونهم إذا اقبلوا هاربين يتفاغون الدخول مع الريع المؤدي الى السيل، وهو وادي محرم، وأما الجيش براياته الثمان، فيغير غارة واحدة على المدافع، وعلى الجموع المحتشدة في عشيرة، فمن قتل قبل أن يصل الماء فهو شهيد، ومنزله الجنة ومن وصلها وهو حي فليقاتل بقدر شجاعته لا يدخر منها شيء. وهذه عقائدهم التي توحيها لهم ضمائرهم، فرضوا برأي خالد، ولم يأت احد منهم بأمثل منه، فعملوا به فنجحوا، وقد أتى كل شيء على وضع ما دبروه، وما قصدوا منه، فهزموا الجنود العظيمة، وحالوا دون هزيمتهم، واخذوا إبلهم وأغنامهم وحللهم وكل الشون المركومة عندهم، وقتلوا اكثر رجالهم، فلم يمض اكثر من ثلاث ساعات حتى خلي المطرح من الجنود، فقد قتل من قتل وهرب من هرب، ثم نزلوا على الماء، واقاموا عليه يومين يجمعون ما يسمونه غنايم ويقسمونها بينهم، ولقد مررت على ذلك المكان بعد الوقعة بشهر تقريبا، وليس لتلك الغنايم حصر

ولا عد، فلما جئت ذلك المكان، وجدتهم قد جمعوا بعض بيوت الشعر والغبطان وكل سقط المتاع الذي لا يريدون حمله معهم، فغمروها بالقاز وأشعلوا فيها النيران حتى صارت قمم من الرماد بعدما فرقوه ثلاثة أكوام . ثم إني دخلت مكة من سفري هذا، واقمت بها شهرين تقريبا، ثم خرجت منها مسافرا الى بلدي عنيزة[١]، وبذلك السفر ابتلاني الله بورطة كادت تذهب بحياتي، لولا أن الله وقاني شرها، وقدر لي في اللوح المحفوظ أن جعل حياتي تمتد الى يوم التاريخ، حتى اقص على القارىء من عجائب ما وقع لي في تلك السنة، فأول ذلك أن قام الحسين بن علي من بعض (عثلطته)[٢] الهاشمية ورطانته الحسينية، فجمع أهل عنيزة، المقيمين بمكة وجدة، وكانوا تجارا مجاورين لبيت الله الحرام قديما، واغلبهم أو كلهم مقيمين معهم عائلاتهم، فلما جمعهم، اقترح عليهم أن يكتبون لجماعتهم الذين في عنيزة، بان يطردوا هذه الطائفة الخارجة المارقة، من بلادهم، وهم ما يسمون الإخوان، وان يقاطعوهم ولا يهبطون بلادهم ولا يبيعون عليهم طعاما ولا كسوة، ويعدونهم اعداء لدينهم، والعمل منتظر على تنفيذ ما امرناهم به، وقد اجلتهم على هذا شهرين، وتمامها شهر رجب، فان عملوا بذلك، فانتم امنين، وان أتى الوقت المعلوم وهم لم يعملوا به، فاني سأصادر أموالكم وأحبسكم في السجن الذي يعدمكم حياتكم، وكان كما يفهم القارىء حاكم فيه طيش، وكان يسرع الى العقوبة اسرع منه الى العفو، وكان لايقبل عذرا ولا يصغي الى قائله، وربما يكون العذر عنده وبالا على قائله لاسيما وانه يفتك في الناس

---

(١) نهاية ص ١٩٩من المخطوطة
(٢) كلمة غير واضحة

أجمعين، بسبب ما أصابه من النكبات المترادفة، وبرأيي أنهم كرهوه وملوا من حكمه ومن سياسته، فما وسعهم إلا أن يكتبون كل ما يمليه عليهم، ووضعوا عليها سبع وعشرين ختما، عدد اشخاصهم، وكتب هو من عنده كتابا، لابن سليم امير عنيزة وجماعته، ويتهددهم بنكاية ، ويقول إن لم تنفذوا جميع ما في هذه الصحيفة، لأخذن أموال جماعتكم الذين عندي، واعدم أرواحهم والأجل شهر رجب، والعمل منتظر، فأرسل الصحيفة برفق كتابه الى عبدالعزيز المحمد النفيسي، وكان عمدة جماعته المقيمين بمكة، وأكبرهم سنا وأمثلهم رأيا، فبقيت الصحيفة عند النفيسي شهرا ونصف تقريبا، فحدث انه في بعض الأيام، كنت جالسا عند النفيسي، فدخل علينا رجل من حاشية الملك حسين بن علي، بل هو من خواصه، فأتانا يبشر بأن الملك حسين، عفى عن صالح العبدالله الفضل، الذي نفاه من الحجاز سابقا فنزل بلدة عنيزة، وكان من تجار أهل جدة، ومن خيارهم فضلا وكرما، فاخبرنا أنه عفى عنه وأمر بإطلاق أولاده من الحبس، وسمح له بان يرجع الى وطنه جدة، ومركز تجارته، فيسكن فيها، ويعامل بتجاراته كجاري عادته الأولى، فذكر المأمور هذا أن الملك حسين، أمر عليه أن يبعث نجابا الى عنيزة، ويحمله الملك حسين كتابه الذي فيه العفو عن صالح الفضل، وإطلاق سراح أولاده من الحبس، ويقول المأمور هذا مسندا كلامه على عبدالعزيز النفيسي من أين نجد نجابا يذهب بهذه الصفة، والطريق كله غير آمن، فقد أمر سيدنا أن نقبض على وكيل الفضل قيرون الدهلوي عشرون جنيها افرنجيا، أجرة لهذا النجاب الذي يتعين، ويسافر بكتاب سيدنا

الى صالح[1] الفضل، فقلت في الحال انا احمل ذلك الكتاب، إذا سمح لي سيدنا بالخروج من مكة، وكان ضاربا الحصار على جماعة أهل عنيزة المقيمين في مكة، فلا يخرج احد إلا برخصة منه، فقال لي انا اتيك بالرخصة وعشرين الجنيه، وكان هذا المأمور لسان حال الشريف حسين، وإذا سمح لمن يخرج من البلد فلا معارض له، فما كان في الضحى من يومنا ذلك إلا وقد أتاني في بيتي وهو يحمل العشرين الجنيه بيده، ويحمل معه كتاب الشريف الحسين، ثم أتى بالصحيفة المبقاة عند النفيسي، التي تضم سبعا وعشرين امضاءا باسماء جماعة أهل عنيزة المقيمين بمكة وجدة، فكلفني بحملها واستعذت به من حملها، وتشفعت اليه بان يعفيني منها، لأنها نار في، احملها معي، فمن وجدها معي من الإخوان استحل مالي ودمي، لاسيما وان غزوان الإخوان تملأ البر في كل مكان، فقال لي أنا اجعل الصحيفة في وسط كتاب صالح الفضل، وهو الذي يدفعها لأمير عنيزة، فسمحت بذلك وانا كاره، وعلمت أني لو رفضت حمل الصحيفة معي، فإنه لن يسمح لي بالخروج من مكة أسوة بغيري من المحصورين أمثالي، وانا حريص على السفر لطلب الرزق، لان معيشتي متعلقة بالأسفار، وكل يرغب لفنه، وكل ميسر لما خلق له، فأخذتها منه وسافرت في يومها العصر في يوم ذلك، فلما مررت بعشيرة، وإذا طلائع عبدالله بن الحسين تقدم من المدينة وتنزل في عشيرة، فانتظرت يومي ذلك، وفي الغد نزل عبدالله عشيرة بجيش جرار وبجنود لا قبل لاحد بمقابلتها إلا بنصر الله، لما معها من القوة والعدة والسلاح والمدافع والمكائن الرشاشة والعساكر التي تقاتل قتال

---

[1] نهاية ص ٢٠٠من المخطوطة

المستميت، فلم اترك من تلك القوة شيء إلا وقفت عليه ونظرته بعيني، ثم توجهت في طريقي الى عنيزة، وقد حصل لي في الطريق عواكس تمنعني عن السفر، ومن شدة الخوف أني لم امش إلا بالليل، فلما وصلت الشعراء، البلد المعروفة، نزلت ضيفا عند رجل كريم، اسمه ابراهيم بن عبدالكريم، ولقبه سبتي، فاخبرته سرا، ولم اخبر غيره بأن الشريف عبدالله بن الحسين نزل عشيرة، وان معه قوة عظيمة وان جنوده يبلغون ثلاثة عشر الفا، وكان عنده ضيف من أهل الغطغط، اسمه رماح ابو قنية، من الدغالبة، فأعطاه الخبر، وركب الى الغطغط يخبر الأمير وجماعته بهذا الخبر، فركب من الشعراء، وبعد ثلاثة أيام وهو بالغطغط، فاخبر سلطان بن بجاد، فقال له اركب انت بنفسك للإمام واخبره، فركب من وقته، ووصل عند الإمام وبلغه بهذا الخبر، فأمر الإمام على أهل الغطغط أن يتوجهوا بغزوهم الى الخرمة، ويقيمون[1] عند خالد بن لؤي، حتى يتجهز هو ويلحق بهم، ثم إن الإمام أركب من حينه رجلين، واحد اسمه صنيتان، من عتيبة من الروقة، والثاني اسمه مذكر بن فارس بن حشر، من قحطان، وهم يحملون كتابا رسميا من الإمام عبدالعزيز، الى الشريف الحسين، والكتاب يتضمن طلب صلح من الحسين، فلما وصلوا عند الشريف حسين بمكة، وعبدالله نازل في عشيرة، وقد خرج الشريف حسين الى عشيرة، ينظر الى هذه القوة بعينه، وقد اعجبته كل الإعجاب، فلم يعط لابن سعود ما يعتمد عليه من الصلح فيما بينهم، غيرانه يتخبط كعادته السابقة، ويقول لابن سعود في كتابه، ويقول اطلق يدك من عسير، وخله لاهله ال مرعي،

---

[1] نهاية ص ٢٠١ من المخطوطة

وارفع يدك من الخرمة وتربة ورنية وبيشة، كلها تتبع الحجاز، فكان يتخبط، كأنه يمشي في ظلام، وهو لم يعلم عما كمن له في مطاوي الغيب، فأعجبه كثرة الجنود والسلاح والقوة، ولو رجع إلى قول المتنبي حيث يقول

وهل ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان

وكانت دولة بريطانيا، قد كتبت للشريف، بواسطة معتمدها في جدة، وسألته عن صلح بلغها أنه تم بينه وبين عبدالعزيز ال سعود، فأفدنا هل هو حقيقة أو خلاف ذلك؟ فأجابهم بقوله : خذوا الحقيقة من الابن عبدالله في البحرين، بعد مضي واحد وثلاثين يوما لاغير .

ونرجع إلى تكميل قصة سفري، فاني حينما سافرت من الشعراء، وكانت جنود الإخوان الغزاة يذكرون لي أنهم نازلين على قرية نفي المعروفة، فسلكت في طريقي مع الجانب الأيمن، وهو الذي يمر بقرايا السر، فرارا من قرب الإخوان، وابتعادا عن مكانهم الذي هم فيه، وقد كان ما فررت عنه وقعت فيه، وهي الورطة المهلكة، إلا بعناية الله، فمن ذلك اني وقعت في غزو من المحيا، أهل قرية ساجر، وكانوا أخبث الإخوان على الإطلاق، ولكن من عناية الله أن وجدت معهم رجل مرسولا للإمام عبدالعزيز، يوطنهم وينهاهم عن التعدي على الناس بدون سبب، واسمه الشيخ عبدالله العجيري، من أهل حوطة بني تميم، فكنت قد وقعت مع الإخوان، فوق بلاد ابن ناهض، المسماة البرود، وكان غائبا في تلك الساعة، فأحرجوني بالسؤالات والتهديد بالقتل، وكانوا ينتظرون الأمير، والشيخ فهو الذي ذكرنا، وأما الأمير فهو فيحان بن ناصر بن محيا، وهو شر كله، وكانوا قد عزموا في البلد، عند

ابن ناهض، وكنت أسعى جهدي وأدير الحيلة، بإخراج الكتب من خرجي حتى أحذفها في بئر أو هبية، لئلا يعثروا عليها، وكانوا يسألونني قبل[1] مجيء الشيخ والأمير، من أين أتيت ؟ فاقول لهم أتيت من رنية، وأبعدهم عن مكة وطاريها، خشية من تفتيشهم رحلي، ولو فتشوا وعثروا على الصحيفة المذكورة، لوجدوا ما يبيح لهم دمي بدون فتوى، ولكني طالما جهدت أن أخرج الكتب من خرجي فلم اجد فرصة لذلك، لكثرة مراقبتهم علي، فلا يفترون عن المراقبة على حركاتي، وهم الذين أجبروني أن أتريض[2]، وانتظر خروج الشيخ والأمير، ليسألونني، فلما خرجوا من البلد قابلتهم في الطريق وسلمت عليهم، وسألوني عن مجيئي من أين هو ؟ فلم يتغير كلامي عما قلت سابقا بأني من رنية، ثم اخذت اقص لهم الطريق الذي سلكته، والعربان الذين مررت بهم، مستفيدا ذلك من جماعة واجهتهم بالشعراء، قادمين من رنية، فاقص طريقهم الذي سلكوا كأني معهم، فقبل الشيخ العجيري مني كلامي، ولكن فيحان بن محيا، والمتعصبين من جماعته، لم يقتنعوا، واخذوا يتهددوني إن لم اخبرهم بالصدق، ولكنهم يتقيدون بكلام الشيخ شيئا قليلا، فقال الشيخ لهم : حنا نبي نتوبه على يديكم يا الإخوان، تقنيعا لهم، فحسبوا أن التوبة ضرب في الجسد، فاستدعوا بعصيهم، فقال لهم الشيخ العجيري : ليس المقصد من التوبة ضربه، إن المقصد منها نطقه بلسانه وندمه بقلبه وعزمه على أن لا يعود، فالتفت الي مبادرا وقال ما اسمك ؟ فقلت محمد، وقال : شف يا ولدي يا محمد، كنا بالسابق إذا أتى واحد مثلك سفري، قلبه متمرض، فأوقعوا به الإخوان، يضربونه، كنا نعد ذلك خطأ منهم، فانه إذا ضربوه، ولو كان

---

[1] نهاية ص ٢٠٢من المخطوطة
[2] انتظر

ضربا مبرحا، فإن العاقبة تكون له حسنة، فإنه بعدها يصحى قلبه، ويلتفت إلى طاعة ربه، والآن نبي نتوبك، قل : أشهد إني ظالم نفسي فيما فات، وأنا استغفر الله وأتوب إليه، وإن دربي درب المسلمين، يسعني ما وسعهم، ويضيق بي ما ضاق بهم، فقالوا جميعا بصوت واحد، جميع من في الخيمة أن قالوا له : قل إن دربي درب الإخوان، فقال لهم : منهم الإخوان ؟ ومنهم المسلمين ؟ فاللفظ مختلف، والمعنى واحد . وكانوا إذا سلطهم الله على إنسان فقتلوه، يأتون جماعات إلى القاتل فيهنئونه بقتله، ويطلبون منه أن يشركهم في أجره، وتلك سجيتهم، ثم إن الشيخ العجيري بعدما خلصنا من هذه المعامع، التفت على الخِدّامة، ثم قال لهم : هذا الأجنبي قد نزل عندكم فما قهويتوه ولا غديتوه، فما رأيكم بهذه الغفلة ! فاعتذروا بأن ليس عندهم ماء عذب، وأن البير التي عندهم ماؤها ملح[١]، فحينئذ نهضت إليه وسلمت على رأسه، وشكرت منه، فطلبت منه الرخصة، فأذن لي بالرخصة، فركبت مطيتي وحثيت السير وواصلته آخر نهاري وليلتي تلك، فلم آمن حتى نزلت ضيفا على أمير المذنب، فهد العبدالكريم العقيلي، والحمدلله على سلامة البدن والمال، وبعد ما تناولت عنده غذائي، دفعت إلى عنيزة، فوصلتها سالما، فدفعت الكتاب لأخيه عبدالرحمن الفضل، لأني وجدت صالح قد سافر إلى البحرين، ففضه، فوجد فيه كتاب الشريف حسين للأمير بن سليم، مرفقا بالصحيفة المذكورة، فقرأها عبدالعزيز بن سليم، وسألني عنها فاخبرته بالذي أعلم من سببها، فلم يرد علي إلا قولة هذا ملك درويش .

ولنرجع إلى باقي قصة جند الإخوان، وإيقاعهم بالشريف عبدالله بن الحسين، فمن ذلك أن رسل الإمام عبدالعزيز الذي

(١) نهاية ص ٢٠٣ من المخطوطة

ذكرنا اسماؤهم سابقا قد خرجوا من مكة يحملون الكتب التي هو زودهم بها جوابا لكتبهم التي أتوا بها من عبدالعزيز بن سعود، وهي تتضمن السعي بين الطرفين فلم تتوفق، وفي اثناء سفرهم، مروا بعبدالله بن الحسين وجنده وهو نازل على موضع يسمى البديعة، في حضن، وهو قرب قرية تربة، ورأوا من القوة ما هالهم، ومضوا في سبيلهم، حتى قابلوا الإخوان بغزوانهم، وهم بالغريف، وهو موضع بين الخرمة وتربة، ينصف الطريق نصفين، فقابلوهم وهم راحلين، فأوقفوهم الإخوان وسألوهم عن عبدالله وجنوده، وكان سؤالهم إياهم على مشهد من الإخوان، والبيارق كلها وقفت، والجند يتسمع ما يقولون هؤلاء الرسل، فأول ما بادروهم به، أن قالوا لهم إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما نرى إلا أن الذي قيدكم عنهم هي ذنوبكم يا الإخوان، فإن جند عبدالله إذا رآهم الرائي، لم يقل هؤلاء غزو، فما صفتهم إلا صفة دراويش حجاج، وهم يقولون ذلك بمسمع من الجند لئلا يوهنون الإخوان إذا عددوا لهم ما معهم من القوة الهائلة، ثم طلب الرسولان لرؤساء الإخوان قائلين لهم : ودنا نبرز معكم خاصة انتم يا الاثنين، ففطن الرؤساء لمقالتهم وعرفوا أنهم يريدون الاختصار معهم، فنزلوا وبنوا لهم خيمة منفردة، ثم إن الرسل اخبروهم جليا عن حقيقة ماراوه من القوة، وما شاهدوه بأعينهم، وضخموا لهم تلك القوة، ثم قالوا لهم : أما القوة التي شاهدناها فإنكم لن تطيقون مقابلتها بالنهار، ولن تقابلوها إلا بليل، فاطلبوا من الله نصرته

ومعونته، فوضحوا لهم جميع ما رأوه، واستقر عندهم كل شيء فرحلوا.[١]

وأذنوا للرسل يتابعون السير بكتبهم إلى الإمام، ففي تلك الليلة قصر الإخوان عن المنزل الذي يريدون النزول فيه، ثم اصبحوا مندفعين إلى طريقهم، وبعد صلاة العصر نظروا إلى شبوح الشريف وأطراف سروحه، فأغارت عليهم خيل الإخوان، وفزعت خيل من الشريف، وتطاردوا على الخيل، وقلع على الشريف خيل وقتل منهم عدة رجال، ومن القتلى وزير الشريف اسمه هوصان وهو عتيبي من المقطة، ثم رجعت الخيل، كل رجع لمنزله، فمن تلك الساعة، عقد الإخوان مجلس شورى، بماذا يدبرون الوقعة، فلما طرحوا الرأي على بساط البحث، فتقدمهم خالد بن منصور، ثم قال : يا الإخوان، طالبكم تجعلون الرأي الأول لي، ولو كنت اعلم إن في مجلسنا هذا اكبر مني سنا واصوب رأيا، ولكني حينما طلبت منكم أن اتقدمكم انا بالرأي، حيث إني أمكنكم بمعرفة الشريف وأولاده، فأولهم عبدالله، أخذ معه الغرور في نفسه كل مأخذ حتى أوصله الغرور إلى درجة التدهور، مع انه جبان في يده، ومعدم من الرأي الصايب، ويعصي كل من أشار عليه، مخافة أن يقال أصاب برأي غيره، وهو طير بحر، وبحول الله إنكم إذا صبحتموه، تجدون ابريقه عند وسادته، قد شرب منه ثم نام وهو عند رأسه، فالرأي الموافق إننا نأتي بامرأة من البدو الذين أمناهم، ثم نرسلها وننذره ونخطره بأننا سنصبحه الفجر

---

[١] نهاية ص ٢٠٤من المخطوطة

المبكر، ولا تحسبون يا الإخوان ان النذارة خير له، بل هي شر عليه، فهي التي تجعل رأيه ينعمس ثم يرتبك ولا يقدر يدبر، فاستحسنوا رأيه، وقالوا له : أنت وما تريد، فاستدعى بامرأة، ولدها سلطان العبود، وهو قائد خيل الشريف بنفسه، وأكد عليها تبليغ ما حملها من الرسالة، فتكفلت له بذلك، ثم قال لها امضي هذه الساعة إلى الشريف، وقولي له انا مرسولة لك من الإخوان، ثم عددي له الرؤساء كل باسمه وقولي له يقولون لك الإخوان: ترانا مصبحينه الفجر باكر، فان كان هو ولد الحسين، وجايبه من عصب ظهره، فليثبت حينما نهلل عليه وعلى جنده. فاندفعت المرأة بهذه الرسالة، وبدون كتاب، وكما تقول العرب من الرأس لا من القرطاس، فقد قال عبيد العلي الرشيد في وقعة بقعاء المشهورة له ولأخيه عبدالله مع أهل القصيم حيث يقول:

يا دارنا من جاك جيناه عجلين **بالليل نسري والصفر والقوايل**

فان كانهم عنا بالانشاد محفين **فمن الراس ما نعتاز رد الرسايل**

ثم إن المرأة، سألت عن شاكر بن زيد، فوقفت عليه وأخبرته بكل ما قيل لها، وكان[1] هو يعرفها تمام المعرفة، فمن حين ما ختمت خطابها على شاكر، ذهب بنفسه ودخل على عبدالله بخيمته، فقص عليه كل ما قالت له المرأة، فازدراه عبدالله، بقوله وعاتبه وقال : بلغت معك الجبانة إلى هذا الحد، أتظن إن

[1] نهاية ص ٢٠٥من المخطوطة

الإخوان يقدمون على هذه النيران الملتهبة معنا، فان قدموا سيأكلهم شرارها قبل لهيبها، فارجع إلى فراشك ونم واترك الوساوس، فلم يقنع شاكر بكلام عبدالله له، وذهب من عنده وهو يتعثر بثيابه، ثم الفتَ النظر إلى كبار الجند فجمع منهم عشرة، أحدهم الشريف مشرف بن راجح بن فواز، وعبدالله بن دخيل، رئيس عقيل، وكانوا زهاء الفين، كلهم أهل نجد، وغازي وغزاي، ابناء الشريف محمد بن صالح الحارث، من اشراف الخرمة، وقد فارقوا بني عمهم، لشقاق كان بينهم، والتجئوا إلى الشريف عبدالله بن الحسين، فكانوا معه على محاربة بني عمهم، وأتى بغيرهم وهو سلطان العبود، وهو قائد الخيل، وبعبدالله بن عسيلان، وهو شيخ المعابدة في وقته، فاتفق رأيهم [عند] عبدالله حينما أقاموه من نومه، بأن يسحبون الجند كله، بمدافعه ورشاشاته وعساكره وخيامه، وكل ما معه من قوة غير البدو، حتى يدخلون الجميع في بلدة تربة، ويتحصنون بها، إلى أن يصبح الصباح، ثم نوجه الأطواب والرشاشات حتى نقتلهم شر قتلة، فقال لهم حينما ابدوا رأيهم هذا : اتريدون أننا ندخل تربة ونحاصر فيها، ونهزم انفسنا قبل هزيمة عدونا، معاذ الله، فإني لا أوافقكم على ذلك، فتكلم معه الأشراف، وهم أبناء محمد بن صالح الحارث، بأن قالوا له : يا عبدالله، حنا قاتلنا جندك مرارا لما كنا مع الإخوان، والله يا عبدالله لئن جسروا على مواقعتك أنت وجندك، فإنهم لا ينهزمون عنك إلا إن قتلتهم جميعا، فإن قومك ليسوا بقوم بيات ليل، فلو بيتوهم بالليل، لقتل بعضهم بعضا. فأنفدوا ما عندهم من الرأي، ولم يوافقهم بشيء أبدا، وبقي على حاله، غير انه أمر قواد العسكر أنهم ينظمون عسكرهم ومدافعهم ورشاشاتهم، ففعلوا ما أمروا

به، وبقي باقي الجنود يموج بعضهم ببعض، بدون تنظيم ولا مدرب، فكبسهم الإخوان عند طلوع الفجر الأول، وكان معظم الجند واقف أمام أفواه المدافع والرشاشات، وقد اختلطوا بالإخوان، وكان القتال بالسلاح الأبيض، إلا ما كان من المدافع والرشاشات، فإنها تحصد الجنود حصدا هائلا، ولم تفرق جندهم وجند عدوهم، فربما كان أكثر القتلى من جند الشريف بنيران مدافعهم ورشاشاتهم، وهذا مشاهد، فما ارتفعت شمس ذلك النهار إلا وجند الشريف قد ذهب بين قتيل وشريد، وأكثرهم القتلى، وكان عدد قتلى جيش الشريف تسعة ألاف، وعددهم ثلاثة عشر الفا، وقد[1] نجى منهم اربعة الاف، وكان عدد جيش الإخوان ثلاثة ألاف وخمسمئة، وإن الذي قتل منهم ٣٥٠ وهذا العدد هو اصح الروايات عن الجيشين والله اعلم بالصواب. ثم إن الإخوان بعدما انقضت المعركة، جمعوا الغنايم، وأخذ يدور الحراج عندهم بالضحى وبالعصر، ثم قدم عليهم الإمام عبدالعزيز ومن معه من الجنود بعد الواقعة بأربعة أيام، وأشركوا جند الإمام في الغنيمة، ثم أتى من بعده غزوان الدواسر والافلاج وقحطان، وكانوا متعطشين ويتلهفون حينما فاتهم هذا الكون، وقالوا للإمام عبدالعزيز نريد منك الرخصة أن تأذن لنا نزحف على الطائف. وفي أثناء قيام الإمام وجنده في تربة إذ أتته برقية من دولة الانجليز تمنع الإمام عن التعدي عن هذا الحد، إلا إلى بلاده، فرجع لبلاده بضعة أيام، وكانت هذه الوقعة توافق يوم ٢٦ شعبان من سنة ١٣٣٧ وكانت محارم الأشراف ومعهم الأهالي الذين كانوا يصطافون بالطايف، فحينما بلغهم خبر الوقعة رجعوا وهم قد وقفوا على

---

[1] نهاية ص ٢٠٦من المخطوطة

أبواب الطائف، فرجعوا إلى مكة، ولولا منع الانجليز لتلك الجنود ما وقفوا إلا بأسكة جدة، مخترقين الطائف ومكة، فسبحان القادر على ما يشاء . وفي أول هذه السنة من شهر محرم، ابتدأ الوباء بنجد، فدام ما يقرب من أربعين يوما، وحصل فيه موت كثير بالنساء والأطفال والرجال، وكانت هذه السنة تسمى سنة الرحمة وفيها توفي تركي ابن الإمام عبدالعزيز، وتوفي من الأعيان غيره كثير من كل بلد، رحم الله أموات المسلمين . ثم دخلت سنة ١٣٣٨ وبها تكررت غزوات الإخوان صوب كل فج من نواحي الجزيرة، ولم يقف بوجههم احد، وكان أعظم الوقائع بعد وقعة تربة، هي وقعة الجهراء، بين الدويش، وابن صباح، وذلك ـ أن ـ الدويش فيصل بن سلطان، غزا بجميع مطير وأخلاط من حرب، فأغاروا على الجهراء، وكانت تبعد عن الكويت أربع ساعات، وكانت بلدة ضعيفة وكان ضاري بن طوالة، نازلا فيها بعربانه، ومعه سلفان من شمر، فأغار عليهم الدويش، وأخذهم، وفزع أهل الكويت على الصعب والذلول، بقيادة أمير الكويت، سالم المبارك الصباح، فاشتبكت المعركة بين الفريقين، وانهزم أهل الكويت شر هزيمة، واتبعتهم جنود الإخوان يقتلون في جزيرتهم، إلى أن وصلوا مكانا يسمى صيهد فضيحة، وهم يقتلون فيهم إلى ذلك المكان، وانهزم منهم قسم على البحر في مسواعي، وخاض البحر منهم كردوس خيل يسبحون، ونجتهم خيلهم، أما الأمير سالم، ومعه عدد كثير، فإنه حينما أراد الانهزام[1] فلم يتمكن من ذلك، لأن الإخوان حالوا بينه وبين الطريق الذي ينهزم منه، فدخل ومن

---

[1] نهاية ص ٢٠٦من المخطوطة

معه في قصر الجهراء، وانحصروا فيه، وكان بنيان القصر ضعيف ليس به قوة، فهو مبني من طين مخلوط برمل، فأخذ الإخوان يرمون بالبنادق، فيؤثر الرصاص بجداره، ثم عدلوا معظم رميهم على باب القصر نفسه وكاد أن يتلاشى، لولا أنهم دعموه برصات من قواصر[١] التمر، وكان ماء القصر مالحا جدا، فتضايقوا منه، واشتد عليهم الحصار ودام أربعة أيام وهم في ضنك وضيق. ولقد شاهدت نخلة قريبة من باب القصر، وهي داخلة في حوطة ليس فيها نخل غيرها، فرأيتها وما فيها جذر قائم، فسألت أهل البلد وكنت قد دخلت هذه القرية بعدما مر شهر من اليوم الذي حصلت فيه الوقعة، فقال لي بعضهم : أنت تسأل عن هذه النخلة ؟ فقلت : نعم، فقال : كان الإخوان يتسلقون هذه النخلة، ليرمون أهل القصر منها، لأنها تشرف على جانب من القصر، فقتل أهل القصر من هذه النخلة سبعة رجال من الإخوان، وكان رصاصهم لا يفتر عن هذه النخلة حتى صنع بها الرصاص ما رأيت . وكان الإخوان قد أضر بهم ماء الجهراء لأنه مالح، ولم يجدوا ماء عذبا حوله، وسئموا من الإقامة بالجهراء، لاسيما وأنهم تألموا من ريح الجيف من القتلى المكللة بالقصر وفي جنبات البلد، فتكلموا مع سالم بالصلح بينهم، واشترطوا عليه شروطا، وبعدها يبارحوا الكويت وضواحيه، فاشترطوا عليه أن يعطيهم زهابا يتوصلون به أهلهم، فتواثقوا على ذلك، وخرج سالم ومن معه من القصر، ودخل الكويت بعدما رأى الموت بعينيه. واذكر للقارىء نادرة

---

[١] القوصرة قلة تمر كبيرة تستوعب ما تحمله ١٠ قلات مجتمعة ومكانها ثابت بالمنزل

تأخرت عن موضعها وهو إنه حينما زحف الإخوان على عبدالله بن الحسين وجنوده في وقعة تربة، الجارية في ٢٦ شعبان من سنة ١٣٣٨ كما تقدم ذكرها، في تلك الليلة انتدب عشرة من الإخوان يرأسهم تركي بن شبيب بن عجنة، رئيس النفعة من برقا، وتعاهدوا على أن يكونوا فدائيين حتى يقتلون الشريف عبدالله بن الحسين، أو يموتون دونه، فوفوا بما تعاهدوا عليه، فكبسوه بخيمته قبل طلوع الفجر، فلم يجدوا في الخيمة غيره وشاكر بن زيد وعبد لعبدالله يسمى ريحان، فأول ما فطن بهم شاكر، فخف يقدم الفرس لعبدالله، ويقول : اركب ياسيدي، وقد خرجوا من باب الخيمة من غير الباب الذي دخل منه الفدائيون، فأدركوا العبد فقتلوه، ونجى عبدالله وشاكر، وبعد الهزيمة توجهوا ومن انهزم من الجند معهم قاصدين الطايف.[1]

ولقد أخبرني رجل، اسمه عايض بن مهرس، وهو من رؤساء قبيلة الشلاوى، فذكر إنه انهزم مع الشريف عبدالله، وابن عمه شاكر بن زيد، هم ومن لف معهم من الجند في تلك الهزيمة المشئومة، بأن قال: حينما حلت الهزيمة، انهزمت أنا ومعي أهل ركاب من أصحابي، وعددهم أربعة، وقد سلمنا حنا وركابنا وما فوقها، فوافقنا أهل ركاب من جماعتي، فدخلوا معنا في الهزيمة، فادركتنا الظهيرة، وكان يوما حره شديد، فقلنا في ظل شجرة قريبة من ماء يسمى البيضة، وهو ماء عذب، فلما استقر بنا المقيل، قال لنا الشريف: ما معكم أكل،

---

[1] نهاية ص ٢٠٨من المخطوطة

يالخويا ؟ فقلت : نعم ياسيدي، فقمت الى جراب معي فيه تمر واقط، ففرشت له جاعد وصببته فيه، وعمدت الى عكة سمن معنا، فافرغت منها في إناء صغير كان معنا، فقدمته له ولمن حضر معه، فلما تحلقوا على الطعام يأكلون منه، قال الشريف عبدالله وهي نفثة من صدره : قاتل الله الدنيا ومن يغتر بها، أمس مثل هذا الوقت يأكل في كفتنا ثلاثة عشر ألف، واليوم نحتاج إلى طعام بدوي .

وليت هذا الإعتبار يبلغ معه غاية تفيده في مستقبل حياته، فإن العبر تحول دون الغيَر، وقد أخبرني رجل من حاشية عبدالله بن الحسين، بأنه حينما توالت الهزايم على شاكر بن زيد، قبل وقعة تربة، اخذ عبدالله يؤنبه على الهزيمة ويزدريه ويسخر منه، وكان شاكر لا يرد جوابا، وكان كلما تفاتن اثنان من الناس، أو من الدواب وانهزم أحدهم عن الآخر، فيقول عبدالله صارت شاكرية، حتى بلغ ذلك مع شاكر كل مبلغ، فقد آل الأمر من شاكر أنه يتمنى هزيمة عبدالله، ولو كان شريكا في النكبة وأن يطاوله القسم الأكبر من تلك الهزيمة انتصارا لنفسه على المزدري، فحصل له ما كان يوده، ولما دخل عبدالله بن الحسين تربة، قبل الوقعة بلا قتال، فدعى شاكر وقال له : اخبرني، كيف أمرك إذا زحفت تحارب الإخوان، فسمعت أصواتهم، جيتني منهزما عنهم ! وهذه تربة دخلناها، ولم تتحمل حصار يوم كامل ! فقال له : ياسيدي هذه تربة كلبة خائنة، وهي التي دعتك على نفسها فدخلتها بدون حرب، وأما ربعي الذين أنا أتيك منهزما عنهم، سيواجهونك، ثم ثباتك

أمامهم . فما تم يومين، حتى حصل لشاكر ما يريد، فانهزم عبدالله، ثم قال له شاكر وهم منهزمين : صارت عبدليه ياسيدي، فقال له عبدالله وهو ينتهره : أنت فرحان على تلافي عزنا ؟ فسكت شاكر، ولم يرد جوابا . واذكر لك أيها القارىء هذه النادرة، وهي أنه في يوم ٢٧ رمضان الموافق سنة ١٣٤١ بينما كنا نطوف بالبيت الشريف[١] وقت السحر، اذ أرسل الله علينا نوع من الطيور بكثرة عظيمة، ونحن في المطاف، وهي طيور بيض، لها رقاب طوال، وكان حجمها فوق الحمامة، ودون الغراب، فأخذت تطوف فوق رؤوس الطائفين، وتدور معهم حيث داروا، ولها صرير مزعج، وكانت في طوافها تحاذي حزام الكعبة، لا ترتفع فوقه ولا تنزل عنه، وكنت حسبت بالساعة مدة ما مكثت في طوافها، ساعة إلا ربع، فلما طلع الفجر، انصرفت جميعها جهة باب إبراهيم، وهي تصوت جميعا بصوت رفيع، فكأنها قافلة ترحل وينادي بعضها بعضا، ولقد سئلنا عنها كثيرا من أهل ضواحي مكة، فما وجدنا احدا يذكر إنه رآها، وما يعلم جنود ربك إلا هو . ثم نرجع الى قصص التاريخ، وقد دخلت سنة ١٣٣٩ وبعد دخولها وجه الإمام عبدالعزيز همته الى الشمال، وصرف معظم جنوده الى حصار حايل، واخذ يتابع الغزو بعد الغزو على شمر، ويدارك الغارات عليهم، وخصوصا شمر النازلين قريبا من حايل، وقصده بذلك إخضاعهم للطاعة وإبعادهم عن حايل، ثم إنه بعدما شن عليهم عدة غارات، أمر على سعود، وهو نجله

---

[١] نهاية ص ٢٠٩من المخطوطة

الأكبر أن يغزو شمر، وكانوا مجتمعين على ياطب، فأغار عليهم، وأخذهم، فاندفع بعدما فرغ منهم ونزل على بقعاء، وهي قرية شرقي حايل مسيرة يوم واحد، ولما مكث فيها أياما، خرج إليه أمير حايل، واسمه عبدالله المتعب، ملتجئا به من ابن عمه، محمد بن طلال، فلما وصل عنده أكرمه وبالغ في إكرامه، وكان الذي خرج معه من خدامه في حايل سليمان العنبر، وكان جده من موالي متعب العبدالله الرشيد، وكان هو الساعد الأيمن، لكل من تولى إمارة حايل من ذرية متعب، وكان رجلا شجاعا عاقلا كريما، فكان رئيسا على الخدم والعبيد في إمارة عبدالعزيز المتعب، ومن كان في إمارة حايل بعده من أولاده، وكان حازما وافيا مع أعمامه المتقدمين منهم والمتأخرين، وكان محبوبا عند الخدم كلهم، لأنه لا يوغر صدورهم بحسد ولا نميمة ولا احتقار، وكان يحب العافية ولا يبدأ احدا بشر . وكان برفقة عبدالله المتعب من الخدام، عبدالله الذعيت، وهو خال أولاد سليمان العنبر، وهو شجاع وشجاعته مشهورة، لا ينكرها كل من يعرفه، وكانت حميته على أهل وطنه لا تنكر، وقد قتل في حصار جدة مع جنود الملك عبدالعزيز رحمه الله، ومعهم ايضا نجل سليمان العنبر، واسمه غاطي، ومعهم غيرهم من الخدام لا تحضرني اسماؤهم[1] .

فأما سعود بن عبدالعزيز، فانه لم يقيم بمنزله بعد أن وصله عبدالله المتعب ومن معه، إلا قليل وقفل الى الرياض ومعه عبدالله المتعب وخدامه الذين ذكرنا معه، فلما قرب من الرياض

(١) نهاية ص ٢١٠من المخطوطة

ولكن والده لم يسمح له بدخول الرياض، لتركه الثغر الذي أتى منه بدون اذن والده، فأمره أن يرجع الى شقراء ويقيم بها، حتى يأتيه غازيا الى حايل، فيمضون جميعا لحصار حايل، فأقام في شقراء رضاء لوالده وانتظارا لقدومه عليه، حتى قدم في الوقت المعهود، ثم توجهوا جميعا وأناخوا على حايل حتى فتحها الله على أيديهم، وهو أنه حينما اقبل الإمام عبدالعزيز متوجها الى حايل ليضرب عليها الحصار، دفع فيصل الدويش أمامه بقوة هائلة، فهرع أهل حايل مع محمد الطلال لمقابلة الدويش قبل أن ينزل على حايل، فكان حينما قرب من قرية اسمها موقق، التحم القتال بينهم، وكانت وقعة شديدة، فكانت الهزيمة على أهل حايل، فقتل من أهل حايل ما يقرب من اربعمئة رجل، ومعظم القتلى هم خيارهم، ولم يفقد من قتل منهم غير عائلته وأهله، رحمهم الله، ثم إن الإمام وصل حايل وحاصرها من جميع جهاتها، وأذكر للقارىء نادرة مضحكة، وهو أنه لما كان في أثناء الحصار، وكان يوجد قلعة حصينة في رأس جبل من جبال حايل، وفيها عشرة رجال، ورئيسهم عبد من موالي آل رشيد، وعندهم زاد وماء، وكان يحاصرهم ثلة من الإخوان، كامنين في أصل الجبل الذي في رأسه القلعة، وفي ذات ليلة صلوا الإخوان صلاة العشاء تحت جبلهم هذا، فلما بلغ قوله (ولا الضالين) فأجابوا بقولهم آمين كالعادة، ورفعوا أصواتهم، فما كان من هذا الأمير في هذه القلعة إلا أنه استكثرهم، وأنزل الحبل المربوط في السقف الذي كانوا ينزلون منه، فنزل قبلهم، ثم تتابعوا بالنزول بعده حتى نزلوا جميعا، فاستغرب محمد الطلال نزولهم من هذه القلعة الحصينة

بدون سبب، وهمّ أن يفتك برئيسهم فورا لولا أن الله جعل محمد العوني، الشاعر المشهور، حاضرا في ذلك المجلس، حينما قام محمد الطلال يتهدده، فالتفت محمد الطلال على رئيس القلعة يسأله عن نزوله، فلم يجبه بعذر من الأعذار غير أنه سمع صوت الإخوان حينما قالوا آمين، فنزل، فالتفت العوني على محمد الطلال، فقال له : ياطويل العمر إني أسمع سابقا قصة تروى لي، ولم اصدق بها، فإنهم يقولون إن الفارة إذا كانت في سقف المنزل، وزمجر تحتها القط في الأرض سقطت عليه من السقف، فلا صدقت بهذه القصة إلا في هذا اليوم، وهي حينما نزل الرئيس من قلعته الحصينة[١] بصوت سمعه من الأرض، فضحك محمد الطلال، وعفى عن ذلك الرئيس من القتل . ثم إن الإمام عبدالعزيز تابع الحصار وشدده عليهم، حتى دخل شهر الحجة من عام ١٣٣٩ فسلمت في آخر الشهر، ونزل أميرها محمد الطلال من قصره بالأمان، وسلم نفسه، وسلم ما كان يملك من خيل وسلاح، وبتسليمه ذلك انثل عرش دولة الرشيد، وانطفأ مصباحهم، بعد ملك دام تسعين سنة، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضعف سلطانه . وبعدما سلموا للإمام عبدالعزيز، عاملهم بالبر والإحسان، فكان يغدق عليهم النعم والعطاء الجزيل، وعاملهم بالوفاء بما أمنهم به، فلم يغير عليهم بشيء يكرهونه، فكان عقلاؤهم وقاداتهم يقولون : لو اطلعنا على هذه المعاملة الحسنة قبل الحصار، ما حاصرنا ولا يوم واحد، ثم إنه كساهم بعد عراهم وأشبعهم بعد الجوع، ثم

---

[١] نهاية ص ٢١١من المخطوطة

إنه جهز محمد الطلال ومن صحبه من عوائله الى الرياض، فلما وصلوا بلاد القصب من مقاطعة الوشم، وكان معهم خدام من قبل الملك عبدالعزيز، فنزلوا ضيوفا على أميرها، ولكنهم لم يدخلوا البلد بل نزلوا في ظل أثلة، قريبا من البلد، فخرج عليهم أمير البلد، وسلم على محمد الطلال ومن معه من الخدام، وعرض عليه قائلا هل أنتم ترغبون أن تنزلوا عندنا في البلد، حتى تأكلوا ضيفتكم أو يكون أرغب إليكم أن نخرج ضيفتكم في مكانكم هذا، فرغبوا في الجلوس في مكانهم، وقالوا أرسلوا ضيفتنا في هذا المكان، لأننا لسنا بأهل إقامة، ولما رأى أمير البلد أن محمد الطلال يحمل في قلبه آثار الحزن، والكآبة بادية على وجهه، فأراد أن يسليه بما يهون عليه المصيبة، فقال له: يا ولدي، وكان هذا الأمير شيخ مسن : لا تجزع من تقلب الزمان بأهله، واذكر قوله تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس) والله إني مضيف عبدالله الفيصل، حاكم نجد، هو وأخوه عبدالرحمن الفيصل، هم ونساؤهم تحت أثلتك هذه، قد نقلهم ابن رشيد من الرياض الى حايل، وهذه سنة الله في عباده، لن يدوم ملك بيد أهله، ولن تدوم تجارة بيد أهلها، ولا يدوم إلا الله . وبعدها نزل محمد الطلال الرياض، فأقام فيه عزيزا مكرما حتى توفاه الله . وأين الشاعر حتى يرى بعينيه ما آل اليه برزان، قصر الرشيد في حايل، حيث يقول فيه:

قصر بناه العز مهوب فاني ... لو فنيت الدنيا بقى به شخانيب
قصر يقلط به صحون وصياني ... وعيش العراق ايدامه الشمخ النيب

فأين هو لينظر إليه وقد صار شخانيب، وستضمحل هذه الشخانيب، وتنطمر منه الرسوم، ولن يبقى سوى الحي القيوم[١] .

وكانت هذه الدولة هي دولة آل رشيد، قد حوت خير وشر، والشر فيهم أكثر، فلم يكن في زعمائهم الذين مضوا، خير من محمد العبدالله الرشيد، وكان ملكا يتحرى العدل، ويحب السلم مهما أمكنه ذلك، ويكره إثارة الحروب، حتى لا يجد بدا من دفعها إلا بالقوة، فحينئذ لم يدخر شيئا من جهده، وكان يحب الشعر ويجازي عليه بدون سرف أو تهور، وكان له شعار ملازمين لبابه، فمنهم دغيم الظلماوي من الأسلم، وعنده خضير الصعيليك من الأسلم ايضا، وهم شمر، وكانوا يدافعون عنه بشعرهم كل من أراد أن يقصده بسوء، وكانوا شمر من سجيتهم، أنهم يبدون ما يرونه مخالفا لعوائدهم، ولا يخافون لوما ولا قتلا، ففي سنة غير بعيدة، وفد على الملك عبدالعزيز وفد من شمر، وهم من الرمالات من سنجاره، وعددهم ستة أنفار على ست ركاب، فوافوا أن رئيس الضيف في تلك الأيام، عبد يدعى خريميس، فدعاهم للعشاء، وتكاثروا عليه البدو وتزاحموا عند دخولهم مع الباب، فاخذ يقذع فيهم بعصا معه فأصاب به بعض هؤلاء الستة، فحضرتهم الطنية الشمرية، فغضبوا، فانقلبوا جميعا مع الباب وتركوا عشاءهم غير مبالين

[١] نهاية ص ٢١٢من المخطوطة

به، ثم ركبوا ركائبهم وانهزموا راجعين لأهلهم، بعد غروب الشمس، وكانوا حينما ركبوا قال قائل منهم بقوله:

يافاطري ذبي الخرجة ... خلي خريميس على بابه
عبد وراسه كما الزرجة ... طقاق ضيفه بمشعابه
ياعزوتي هذي السمجة ... كيف الملك داري ويرضى به
الشيخ عيا على خرجه ... يا ركبة بها ثابة
لا بد الايام منفرجة ... والحر يشبع بمخلابه

فما اطلع عنهم الإمام، إلا وقد بعدوا عن البلد، فأمر احد الخدام أن يلحقهم على سيارة، فبادرهم في ذلك، ولحقهم وردهم، فسأل عنهم الإمام ممن كانوا ؟ فأخبر أنهم من الرمالات، وأنهم من عرب كرام، فأكرمهم واعتذر منهم بعزل خريميس، وعزله ذلك اليوم، واعطاهم جوائز سنية، فأعطى رئيسهم ٦٠٠ ريال، وأعطى الباقين على ١٥٠ ريال، وقال لهم : لكم عندي هذه الجائزة كل سنة تفدون علي، ولن تجدوا خريميس واقفا على بابه، وتلك سجية العطف والكرم، فهي غريزة فيه غير محدثة، اغدق الله على قبره سحائب الرحمة والرضوان[١] .

ولنرجع الى قصة محمد بن رشيد، وما سطرناه عن سيرة حياته، وكان اقرب ما يكون على بابه من الشعراء هو دغيم الظلماوي، وكان كثيرا ما يعجب من شعره، ولما قاربت أيام عيد رمضان، وكان من عادته، أنه يكسو خدامه وشعاره وعبيده كلا بقدر منزلته، فلما أرادوا تفريق الكساوي، وكان

---

[١] نهاية ص ٢١٣من المخطوطة

الذي يتولى توزيعها هو سبهان السلامة، رئيس ماليته، فاستدعاه محمد بن رشيد، وقال له : ارفع كسوة دغيم عندك حين تفريق الكساوي، وقصدنا أن نستظهر ما عنده، ففرق سبهان الكساوي على عادته، وادخر كسوة دغيم عنده كما امر بذلك، فدخل في ضحوة العيد على الأمير، محمد بن رشيد، فقال له : وين كسوتك، ما لبستها، هو ما كساك سبهان ؟ فقال من فوره مجيبا :

ياما من الماهود فرق ضحى العيد	كم خام شام تقل نوار وادي
من كف معطي لينات المقاويد	اردى عطايا طير شلوى جوادي
وانا كني عن عطاهم ورى حيد	تقنطرت بي يوم نادي المنادي
فان عاش راسك كل يوم لنا عيد	والله خلق كفك لمالك نفادي

وهي قصيدة طويلة، وقد تركنا من الإطالة خشية الملل، رحمهم الله جميعا فلسنا بالذي نضيع رحمة الله، على من مات مسلما ودفن في حظيرة المسلمين، فقد اطلعنا في بعض التواريخ، أن أبو جعفر المنصور العباسي، دعى بشيخ من بني شيبان، وكان هذا الشيخ، من قواد هشام بن عبدالملك، فلما حضر عنده، قال: أخبرني كيف تدبير هشام في الحروب ؟ وكان خلفاء بني العباس، معجبين بهشام بن عبدالملك، من كافة بني أمية، فهم يرون أنه محتويا على حزم ورأي ودهاء، فأخذ يقص له من تدبير هشام ما شاهده، وكان يقول هذا القائد حينما يصف تدبير هشام : كان رحمه الله يفعل كذا وكذا، وكان رحمه الله يفعل كذا وكذا، فقال له أبو جعفر المنصور : لعنك الله، تطأ بساطي

وتترحم على عدوي، فقال : والله يا أمير المؤمنين إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي على نعشي، فقال له ابو جعفر قاتلك الله، والله لو لم يكن في قومك إلا أنت، لكفاهم فخرا، فأعطاه جائزة، وأذن له بالإنصراف . وكان محمد بن رشيد، رجل فطن، متيقظ ، إذا رأى الرجل مرة في عمره لم ينساه ولم يتشابه عليه، فقد اخبرني عبدالله بن محمد بن بليهد، امير قرائن شقراء، فقال : إن محمد بن رشيد، مر يوما وهو راجع من بعض مغازيه، فمر برجل في البرية، وهو يحفر ضبا في جحره، وكانت بلدة الرجل، قريبا من بلادنا، فسلم عليه وهو يمشي بين جنوده، فرد عليه السلام صاحب الضب، وكل منهم مضى لسبيله[1] ـ قال ـ فلما كان على رأس الحول، وكنت في ذلك الوقت أميرا لبلدي من قبل محمد بن رشيد، فركبت إليه في حايل لقضاء بعض شئوني عنده، وكان صاحب الضب قد ركب معي، فلما دخلنا عليه وسلمنا، التفت إلى صاحب الضب، وقال له : عساك أظهرت ضبك من جحره، فقال : أظهرته يا طويل العمر، وكان معي رجل من أهل الاحتراف، وكان قصير القامة، بشع المنظر، فحينما طلعت رخصتنا وحضرنا عنده لوداعه، قال له هذا الرجل : يا طويل العمر، انا اطلب منك أن تجعلني مع خدامك، فرد عليه محمد قائلا : ديرتك سالت بعدك، تحشون وتزرعون، أحسن من الخدمة، فصدم الرجل بهذه الكلمة ورجع معي من حيث أتى . قال وأتاه رجل من الجحيش من شمر، فقال له هذه الأبيات قبل أن يطلب الرخصة:

---

[1] نهاية ص ٢١٤من المخطوطة

يا الضيغمي جيتك وانا لي طليبي		اشكي عليك الفقر والفقر حادين
مالي من العدوان غيره حريبي		وانا زبنتك يا زبون المقلين
غديت مثل الشاة والفقر ذيبي		فهو كلاني كان منتب مراعين

فقال له : ابشر بمن يذبح الذيب قبل ان يأكل الشاة .

وكانت ابتدأت قطيعة الرحم، بين الرشيد من عيال طلال، حينما قتلوا عمهم متعب، واختتمت بأبناء طلال، حينما قتل عبدالله الطلال ابن عمه سعود العبدالعزيز بن رشيد، "فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم"، واننا نشكر الله بكل لسان، نحن ومن عنده شفقة مثلنا، الذي عصم الله مليكنا عبدالعزيز وحماه حتى خرج من الدنيا ولم تقطع رحمه على شدة ما قاساه من بعضهم من الأنكاء المؤلمه فعصمه الله من قطيعة الأرحام، تغمده الله برحمته .

ولنرجع الى إمارة عبدالعزيز المتعب وسيرته، تكميلا لما سبق من تعدادنا لتاريخ حياته، فأما إمارته فهي إمارة عسف وجبر، ولا يريد السياسة مع الرعية ولا يروق في عينه إلا التملك بالقوة، فهي خير عنده من التملك بالسياسة وحسن المعاملة مع الرعية، وكان كثيرا ما يتمثل بقول عمه عبيد العلي الرشيد، وكان جبارا مثله، حيث يقول

محد مصافيني له السير ممروع		إلا بضرب مصقلات الهنادي

وكانت عجليته على العقوبة أسرع منها الى العفو، وكان بأسه شديد، فلا يهاب احد، وكان يغزو ضعيفا ولو كان عدوه قويا، غير أنه كثيرا[١] ما يخفق في مغازيه، وقد نزع الله هيبته من صدور الرجال، مع إنه يقتل ويفتك ولا يرحم إذا استولى على أحد، وكان قد غزا من بريدة في جند قليل، وذلك في سنة ١٣٢٠ وأكان على أباعر ابن محيا، وهي عزب في الردامي، وهو موضع بين الاثلة ودخنة، وكانت بيوتهم فوق نفي، قطين عليهم، فلما اخذ أبلهم كلها في معزابها حول وجهه الى نفي، فقال سراي بن زويمل، وهو من رؤساء شمر : يا طويل العمر، ما فوق نفي إلا هروس بيوت، وقد أخذنا أبلهم وأفقرناهم، خلنا ننكف على بريدة، فقال له : انا اخو نورة انا عقيد صليلات، اخذ الإبل بالمظمأ وانقلب، والله اني لأسوق الإبل على البيوت. فساق الإبل حتى وردها البيوت، فحصل عند البيوت معركة شديدة حتى أثخنهم واخذ بيوتهم مع طريق أبلهم، ويقول في ذلك شاعر، يدعى منيع القعود، من بلدة الدوادمي، وكان ابن رشيد يعطيه ويواسيه، وهو يفد عليه في كل عام فيقول:

الا ياسر قلبي يوم علم الكون وافاني	وانا في بيت ابن هندي على السلم متحري له
إلا يا حر ياللي ماكره في قصر برزان	تنهض في سبوقه واصبحن ذروات يبرن له
تقنعت السبايا بالطنايا قصر فيحان	واهل جوية وضاخ وارجف الوطى كله
وغطى الردامي من عجاج الخيل عكنان	واخذ طرش الطلوح وورد البيرق على الحله
الا واشيب عيني يوم ثار للملح ريان	تناخوا بالطنايا والفرد بايمانهم سله
تعين يا عبيله في مفاضخ نجل الاعيان	يوم جنك فتيخ يم قصرك وزبنن ظله

[١] نهاية ص ٢١٥من المخطوطة

ومنيع هذا، هو الذي هجا هذال الشيباني، حينما فزع مع زامل، في وقعة المليدا، مع ابن رشيد، أن قال:

القصيم انتثر من مصرة	بالمليدا غدا بعثريرة
وهذا نكس فيه شره	شيخ برقا يقود الكسيرة
يحسب ان الحرب عدل يجره	يوم يسري ويسرق قصيره

فنذر عليه هذا لأن ملكته يدي، أن أنحر ناقة، فساق منيع شفاعة من ذويه، فقبل شفاعته وعفى عنه، وقد أخبرني مرة، ناهس بن فاجر الذويبي، رئيس حرب، فقال: إننا غازين مع عبدالعزيز بن رشيد، على عتيبة، فانتذروا بنا ونوخوا[(١)] وعقلوا وكانوا في جبال حليت، وهي محاشر وعرة المسالك، لا تغير فيها الخيل ولا الجيش من وعورتها، فطلعت علينا رماتهم من الجبال، فما كمل لنا ساعتين حتى قتلوا منا ١٤٠ من بين خيل وجيش ورجال، حتى أوقفوا غارتنا، فأناخ البيرق كله بما تحته من الجند، فقام عبدالعزيز المتعب بنفسه، وأخذ الراية بيده، ثم مشى بها حتى أبعدها عن الجند، فنادى: يا عَبِيد يا سودان، اعزلوا علي كلكم، ولا يخرج ولا واحد ابيض من الجند، فعزلوا، وإذا هم ٦٤٠ عبد اسود، فحمل الراية هو بنفسه، واخذ يهزها ويشجعهم، وكل منهم يطلبها، فلم يدفعها لأحد منهم، فحمل البندق على متنه، معلقة بعلاقتها، وتجند

(١) نهاية ص ٢١٦من المخطوطة

الفرد واخذ الراية بشماله، وامتشق سيفه بيمينه، وقام بينهم كأنه خطيب، وهو يقول: يالعيال، اليوم يومكم عيالي السودان، حتى فاح فايحهم، ثم أعطاهم التعليم التالي، بأن قال لهم، تراه مركاض واحد، لين نذبح البواردية وهم في الجبال، فركض هو الأول أمامهم، ثم كروا معه وانتشروا عن يمينه وشماله ــ قال ــ فلم يمكثوا نصف ساعة وفيهم من هو في مكانه، إما مقتول وإلا هارب، قال وهذه هندابته وهو يركض على المتاريس وهو يقول:

يابو خديد فيه رقوش   الى ذلينا من يهوش

فأومأ للغارة أن تندلع علينا ــ قال ــ فأغرنا وأخذناهم، ولم يسلم منهم احد. وكانت حملاته لا تطاق، غير انه خال من الحزم والسياسة، فقط عنده عزم بلا حزم، وشجاعة من غير رأي ولا سياسة[١]

ونذكر الآن سيرة ولده، سعود بن عبدالعزيز بن رشيد، فإنها شبيهة بسيرة عمه، محمد العبدالله بن رشيد، فكان شهما شجاعا كريما وفيا بالعهود عفيفا عن ظلم الرعية صائن لعرضه عن الشبهات الرذيلة، فمن وفاءه، أنه ورد عليه وفد من أهل الجوف، يطلبون ولايته عليهم، ويتظلمون من أميرهم الذي نصبه عندهم النوري بن شعلان، لما كانوا تحت ولايته، وكان أميرهم عبد، لابن شعلان، اسمه عامر المشورب، وكان ظالما فاسدا في عرضه، فطلبوا من سعود بن رشيد، أن يقدم عليهم ليعينهم على طرد هذا المنصوب، وكان رئيس الوفد رجل

---

(١) نهاية ص ٢١٧من المخطوطة

يدعى ابراهيم بن مويشير، وهو من قبيلة الأساعدة من الروقة، من هوازن، وهم عتيبة، فكان جواب ابن رشيد لهذا الوفد، أن قال لهم، العهد بيني وبينكم، بحضوري عندكم متى قتلتوا (منصوب) ابن شعلان الذي عندكم، فان قتلتوه، والله إني لا اتأخر عن القدوم عليكم ولا يوم واحد، ولو كنت وحدي وبدون جند، وفاء لكم بما قطعته على نفسي، فصدر وفدهم قانعين بما قال لهم، فوصلوا بلادهم واخذوا يتحينون الفرص لقتل هذا الظالم الفاسد، فصدف ذات يوم أن خطب امرأة منهم للزواج بها، وكانت المرأة حرة وليست بأمة، فاعطوه حيلة منهم أن يصيدونه بها، فواعدوه لعقد النكاح، فأتى على وعدهم، فعقدوا له النكاح شرعيا لا يخالطه شيء من الريب، وكانت البنت لها اخوين، فعقد لها أخوها الكبير، وكذلك أخوها الصغير حضر عقد النكاح، فلما نهض عامر ليصعد مع الدرجة بعدما خلصوا من العقد، سبقه الأخو الصغير من درجة أخرى، فوقف له برأس الدرجة كأنه يرحب به، وكان مخفيا سلاحه، فلما وصل عامر آخر الدرجة غمز البندق في صدره، فاخذ يتهدى من الدرجة فلم يستقر إلا بأسفلها ميتا، ولم يبق به رمق، فما فطن الرجال الذين كانوا جلوسا في القهوة إلا وهو منكفيا ليس به حراك، فركب رئيس الوفد بنفسه، وهو ابراهيم بن مويشير، فوصل حايل في ثلاثة أيام، واخبر ابن رشيد، أنهم وفوا بما طلبه منهم، ويطلبون منه الوفاء بما واعدهم به والزم نفسه على ذلك، فكان جوابه لهم أن قال : ابشروا بالوفاء وانا جرو عبدالعزيز، والله ان تشوفون وجهي داخل عليكم بالجوف ولو كنت وحدي على حصاني، فمن وقته أمر على جنده في حايل

أن يتجهزوا، ثم خرج بهم وكانوا قليلين، لأنه لم يحضره من شمر احد، فهم بعيدين عنه، وهم ساعده الأيمن في مغازيه كلها، فلما فصل من حايل ومشى أربعة أيام نزل للمبيت كعادته[١]، ثم استدعاهم في العشاء وهم كبارهم وذوي الرأي منهم، فقال لهم : يا أهل حايل، الذي منكم لم يرغب هذا السفر فليرجع الى أهله من هذا المكان، والله ما قلت لكم إلا صادقا، واني لا أنقض كلامي بشيء تكرهونه، فقالوا له : ياسعود، لا تعذل علينا، حنا معك أين ما توجه، ولكننا نحب أن نشير عليك برأي مبارك، فقال لهم : هاتوا رأيكم، والرأي مشترك، فقالوا : إن قومك قليلين، والقوم اللي أمامك هم عنزة، وهم كثيرين عدد الحصى، فأنت من هذا المكان أنحر منازل شمر، قبيلتك في أي مكان، ثم استنهضهم، وامش بهم معنا، جنبا لجنب، واضرب بنا عدوك جميعا، ثم ترى منا ما يسرك إن شاء الله، فقال : يا أهل حايل، والله يا علم صدر مني، لابن مويشير، فلا أخلفه ولو أدى ذلك الى إتلاف حياتي، فحينئذ قالوا له : ليس لنا أنفسا اعز من نفسك، فسر بنا على نصر الله لنا جميعا إن شاء الله، ثم إنه سار على عزمه من موضعه ذاك، فقابلته جنود عنزة خارج الجوف، فحصل بينهم وقعة هائلة، قتل بها قتلى كثيرة من الطرفين، ونفد ما عنده من الرصاص، فاستأجر من يأتيه بصناديق الرصاص من حايل، واشترط لهم أن كل من يأتيه بصندوق واحد فله عشر جنيهات عصملي، على كل صندوق، سواء كثر أو قل، فبعد هذه الوقعة دخل الجوف

---

[١] نهاية ص ٢١٨من المخطوطة

بالقوة، ولكن بعد معركة دامية، لأن عنزة والحويطات وبني صخر والشرارات، كلهم مجتمعين بالجوف لحرب ابن رشيد، وكل منهم عدو له، ومتعطش على حربه، فلما استقر نزوله بالجوف تكاثرت عليه الفزوع والإمدادات من عدوانه وأحاطوا به من كل جانب، فكان في حصار، وليس عنده ما يأكل إلا من أقوات أهل الجوف نهبا بأيدي جنوده، فكل ما وجد من زاد أو ماشية نهبها واكلها، فلما تم له شهرين وهو على هذه الصفة، وقد خانه أهل الجوف مرتين، وفي كل وقعة وهم يعينون عدوه عليه، غير أنه يهزمهم في كل الوقعتين، فحينما سئم من طول الحصار وأيس من مدد قبيلته شمر، بدا له رأي جديد، وهو أن يجمع جيشه ويرسله الى شمر ويطلب نصرتهم بكل ما يملكون من قوة، وأن يرسل مع الجيش ولده عبدالعزيز، ويرسل معه عبدالله الطلال، فلما عزم على إرسالهم مع جيشه، دعى محمد العوني، وكان شاعرا مهيجا بليغا، فطلب منه أن ينظم قصيدة، ينهض بها عشيرته شمر فيمدونه بجنودهم حتى يخرجونه من هذا المأزق الحرج، فقصدها، ودفعوها لعبدالله الطلال، ليوصلها قبيلته شمر، ويقرؤها على رووساهم وهو على راحلته قبل أن يجلس على الأرض، ولا يأكل لهم طعام إلا عند آخر فزعة توجه منهم(١)، وكانت ركابهم مقلدة لباس اسود، وهذه عوائد العرب، يقلدون السواد على أعناق المطايا، إشارة لسواد الوجوه عن قيامهم بما يجب عليهم، وكان أول من وصلوه هو ندى بن نهير، فودعوه جيشهم، وكانت عدته

(١) نهاية ص ٢١٩من المخطوطة

ثمانمئة مطية، ففعل عبدالله الطلال بقراءة القصيدة حسبما أمره الأمير سعود، وهذه قصيدته، نوردها ونترك باقيها خشية الملل فقال:

راكب فوق حر يذعره ظله	مثل طير كفخ من كف قضابه
ما حلا فزته والخرج زاه له	والمبارك على متنه تثنى به
سر وملفاك شمر لابتي كله	لابة باللقا اوي من لابة
قل لوادي وابو عافت بعد قله	يا نهار على الجوبه حضرنا به
وانخ ضاري والاسلم قل تجي سله	اخو صلفه الى منه كلح نابه
وانخ مطني شيخ عبدة على الجله	حامي جاره وكل الى ابتلى جابه
وين مياح ياهل الدين والمله	وين الاخوان عز الدين واحزابه
وين بندر وسنجارة وربع له	مثل سيف الى هوى بان مضرابه

ثم إن عبدالله الطلال، تقصاهم الى أخرهم، فوجد أن بين ابن طواله، وابن عجل، زعل بسبب عبد لابن عجل، قتلوه الأسلم، جماعة ابن طواله، وكان ضاري، وجميع الأسلم، قاطنين على انصاب، وكان عقاب بن عجل وقبيلته عبدة، قاطنين على حفر الباطن، فأرسل ضاري بن طواله مرسولا الى عقاب بن عجل، ويقول له : من الآن ندفن العداوة فيما بيننا، ونصرف وجيهنا الى شيخنا ونظهره من هذه الحفرة الذي هو وقع فيها، فليكن عندك معلوم أن جنودنا ضيوف لك بعد ما يمضي خمسة أيام، فكن مستعد بحضور جيشك وخيلك، فنسير جميعا لبغيتنا، فإذا أظهرنا شيخنا من ورطته فكل شيء بأيدينا، ولن يفوتنا قوامة ولا صداقة، فاتفقوا على ذلك، واجتمعوا جميعا على الماء

المذكور، ثم استدعوا كل من حولهم من شمر جميعا، مندفعين الى الجوف، وكان ابن شعلان قد أتى بقوته الذي حصل عليها من الانقليز ومن الترك، من الأسلحة المتنوعة والجبخانة الوافرة[١] وحضر عنده من الأمداد شيء لا يحصره العدد، وكان القائد، نواف ولد النوري الشعلان، وأما شمر فإنهم لما قاربوا بلاد الجوف، بعثوا نجاب يخبر ابن رشيد بقدومهم، ويقولون له إننا نخشى أننا لو ننزل عليه لكان علم بذلك واستعد لملاقاتنا، ولكن الوعد بيننا صباح باكر، أنت تسير عليهم من عندك، ونحن نصبحهم جميعا، وعسى الله أن يأخذ بأيدينا وينصرنا عليهم، فوافق رأيهم هذا لأميرهم فاندفعوا على هذا، فأخذ الله بأيديهم ورفع يده عن عدوهم، فهزموه شر هزيمة، واخذوا من الإبل والغنم ما لا يحصي عده إلا الله، ومن الأموال المركومة سنة كاملة، فقد دام بعد الوقعة احد عشر يوما والجمال والبغال تنقل غنائمهم، فلم تنفد، سلاحا وطعاما وأصناف مختلفة من كل شيء، ثم إن شمر بعد هذه الوقعة رجعوا الى أهاليهم بغنائمهم، ورجع جيش ابن رشيد عليه وركبه وقفل الى حايل، ومثل هذه الوقعة تدل على صدق ما قاله الصعيليك الشاعر، حيث يقول لعبدالعزيز بن رشيد في وقعة الصريف مع ابن صباح:

عدك عصب جدك عن الامتحان	تقضي بها اللازم بليا خسارة
انشد عن شمر طلقين الايمان	الى من شيخان الاجانيب بارت

---

[١] نهاية ص ٢٢٠من المخطوطة

ـ قال ـ وحينما دخلوا حايل راجعين من بلدة الجوف، اخذ عبدالله الطلال يضمر الغدر لابن عمه سعود العبدالعزيز الرشيد، ويترقب الفرص للفتك به، ولكل غادر يوم القيامة لواء تنشر به غدرته يوم القيامة، فلما كان ذات يوم والأمير يصوم، عليه أيام من رمضان قضاء بعد حربه للجوف، فحينئذ اغتنم الفرصة وخرج مع الأمير بدون سلاح، خدعة منه، ليأمن بذلك، وكان الأمير يريد التفسح خارج البلد حتى يقرب وقت الإفطار فيرجع الى البلد، وكان عبدالله الطلال ليس معه احد غير خادم له، يدعى حمد بن مهوس، وليس معهم سلاحا لا هو ولا خادمه المذكور، وليس مع الأمير من عبيده سوى اربعة، فلما استقر به المكان، أمر احد عبيده أن يركز له هدفا في اسفل الجبل، فركزه له فاخذ يرميه فلم يصبه، فقال عبدالله الطلال : عطني يا الامير رصاصة ارمي الإشارة معك، فمد عليه سعود بندقه وأمر العبد أن يعطيه رصاص، وكان قد تأخر خلف ظهر سعود، فرمى الهدف مرة واحدة، وقد فعل ذلك تأمينا لسعود، ثم في المرة الثانية عدل البندق على سعود فقتله، ثم صوب البندق على عبده الواقف على رأسه فقتله، فانتبه العبد الملازم للهدف بأنه يرى الرمي لم يأت للهدف، فعلم أنه بينهم، فاقبل عليهم مغيرا، وأتى العبد الذي عند الخيل، واسمه مهدي ابو شرين، فرأيا عمهم مجندل في[1] التراب وعبده مقتول دونه، وإذا عبدالله يعدو جهده متوجها الى الخيل، ليركب فرسه ويدخل حايل ليأمر المنادي له بالملك، فصوب البندق نحوه

[1] نهاية ص ٢٢١من المخطوطة

وكسر فخذه، وسقط على الأرض، ثم عدلها على خادمه حمد بن مهوس فقتله، ثم أتى درعان الى عبدالله الطلال وهو مكسور، فلما اقبل عليه ليقتله فقال له : اعقب يالعبد، طويل الخصى لا تقتل عمك، فقال له درعان، يعقب اللي ما يذبحك، مانتب عمي، عمي الذي انت ذبحت، فعدل البندق نحوه وقتله، فحملوا جنازة عبدالله الطلال، وسعود، على بعير يحمل ملح، فدخلوا بهم الى حايل ودفنوهم. وبالغالب تكون هذه حياة الملك تنقضي كلها بهذه الصفة أو قريب منها، وقد قال محمد العوني الشاعر حيث يقول:

دنياك هذي تخيف المخيفين واعرف ترى مركا عليها مزلة
وين العريعر والشيوخ القديمين وشيوخ عايذ وابن زامل ودله
اركت عليهم راس نابه بتمكين اللي هلك واللي حياته مذلة

فالحمدلله الذي لم يجعلنا ملوك ولا ابناء ملوك، فتلك نفوس معذبة وأخطار كثيرة، وإنا نسأل الله العافية من الغدر وأهله وأسبابه .

ثم تولى بعد قتلة سعود بن عبدالله بن عبدالعزيز[١] ، عبدالله، ابن أخيه متعب، وكانت أمه جارية حبشية، فما تولى الإمارة إلا والملك مبعثر وأضداده تنهشه من كل جانب، فلم يستطع أن يلم شعث الملك بعد تفككه، فلم يمض سنة حتى سقطت حايل بيد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في صفر سنة ١٣٤٠، وكانت أبها قد سقطت بيد الملك عبدالعزيز سنة

[١] الصحيح انه سعود بن عبدالعزيز وليس بن عبدالله

١٣٣٨ وهي عاصمة عسير، على يد عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير حايل الآن، ثم إن أهلها غدروا وخرجوا من طاعة الإمام، فسار اليهم الأمير فيصل بن عبدالعزيز، يقود جيشا عظيما، وكان ذلك في شهر صفر ١٣٤١.

ولنرجع الى قصة الإخوان ودخولهم مكة والطائف، ثم دخلت سنة ١٣٤٣ وفي شهر محرم من تلك السنة، وهم في أوله، خرج الإخوان من بلدانهم، وكانوا لا يقصدون الطائف، ولكن قصدهم النهب والسلب كعادتهم، فهم يقتنصون حول عربان الشريف كما اعتادوا ذلك، ولكنهم لما اندفعوا الى بلدان الشريف فلم يجدوا قوة تقف في نحورهم، فاخذوا يتتبعون القرى في ضواحي الطائف، فلا يجدون بها مقاومة تصدهم، فطمعوا[١] بالإندفاع الى الطائف فحصروه من جهة شبرا، وقد كان فيه حامية كافية لحمايته داخل البلد، لاسيما وقد بنى عليه الشريف حسين سور حصين حينما حصلت وقعة تربة المشهورة، أصابه الخوف فأحاطه بسور ضخم لا يطمع فيه من حاصره، وكانت الجبال مما يلي الطائف فيها بدو يدافعون عن الطايف، وهم بقوم وشلاوى وعتبان، وهم جند للشريف وبأيديهم سلاحه ويتقاضون منه رواتب في كل شهر، وكانوا لايمكنون الإخوان من قربهم من الطائف، الى أن حدث من حكومة الطائف خوفا منهم أن يخونون بهم، وينضمون مع جيش الإخوان، فأنزلوهم من جبالهم الحصينة وضموهم الى جيشهم داخل الطائف، فأما جنود الشريف فإنهم شجعان، وكلهم من صميم العرب، فقط إن قوادهم ثعالب وليسوا بأسود، فهم الذين ينهزمون قبل ان تنهزم جنودهم، ومن المعلوم انه متى

[١] نهاية ص ٢٢٢من المخطوطة

انهزم القائد فبقاء الجند بعد قائدهم في الميدان مستحيل، وقد قيل في ذلك المعنى قول الشاعر:

ماجا الردى قوم شجاع شيخهم	يودع قناطير الرجال حراب
فلا صار قوم ذليل شيخهم	اودع مناعير الرجال تهاب

وأكبر ضرر أصاب الطائف، هو نزول الشريف، علي بن الحسين على الطائف، وانهزم عنه بيوم نزوله، وبعد انهزامه أصاب حامية الطائف وجل وخوف، فلو كان على رأس هذا الجند قائد عظيم من رجال وجند لما كان للإخوان أن يأخذوه عنوة، فاقل ما يتحصلون عليه أهل الطائف أن يمتنعون وراء سورهم ويحوزون على صلح شريف يضمن لهم سلامة أرواحهم وأموالهم، ولم تقع هذه المذبحة الشنيعة. وقد سمعت عبدالعزيز بن براهيم، يقول : لو كنت انا أميرا على الطائف أيام حصاره وأكون انا القائد للجند الذي فيه، ما طمع فيه الإخوان أن يحتلوه . فبمجرد ما انهزم علي بن الحسين من الطائف هو وجنده، وكان أهل الطائف يظنون أنه أتى لحمايتهم، فحينما رأوه منهزما، طارت أفئدتهم خوفا وفزعا، ومع هذا فإن حكومة الطائف لم تمكن الأهالي من الأنهزام حينما أحدق بهم الخطر، بل إنها منعتهم وحصرتهم في الطائف، وهربت عنهم، فهذه هي القيادة الخرقاء، لاتظلم القوس وأعط القوس باريها، فلو جعلوا القيادة بيد رجل قد جرب لكان خيرا لهم من قيادة انفسهم، ولا كانت[١] سببا

[١] نهاية ص ٢٢٣من المخطوطة

للهلاك، فإنا نعوذ بالله ممن يملك عباده ولا يحميهم. وبعدها فتحت أبواب الطائف الأربعة على مصراعيها، فدخلها الإخوان دخول الغزاة، فكانوا يقتلون بلا رحمة ولا عطف كل من قاتلهم ومن لم يقاتلهم، كله عندهم سواء، وهذا دأبهم يوما وليلة، ثم إنهم في الصباح الثاني، نادوا بالأمان لمن بقي، وربما أن رؤساءهم لم يرضهم ذلك الفتك، ولا هذه الوحشية، ولكنهم لا يملكون زمام الطاعة منهم كما يريدون، وكان الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن، حينما بلغه الخبر وثبتت لديه صحة هذه المذبحة، قال ما قاله أبو بكر الصديق، حينما قتل قائده خالد بن الوليد بني يربوع ورئيسهم مالك بن نويرة، قال ابو بكر : اللهم إني ابرأ إليك مما صنع خالد وكان ابو بكر الصديق يقصد خالد بن الوليد والملك عبدالعزيز يقصد خالد بن لؤي، رئيسهم. وحينما كان النهار الثاني من دخول الإخوان الطائف، أمر الشريف الحسين على طائرة انجليزية أن تذهب الى ولده علي في الطائف، وأمرها أن تحمل معها كيسين من الذهب ليفرقها على الجنود، فطارت من جده الى الطائف، فلما طلعت على خيام الإخوان وهي في جنبات الطائف كان أهل الطائرة لا يشكون أنها خيام الشريف علي، وهي موضع خيامه، وقد نزل فيها الإخوان بعد يوم واحد، فهبطت تريد النزول، فلما قربت من الخيام أنكرت شيئا لم تعرفه في خيام علي، وبإنكارها أرادت أن ترتفع فعاجلوها بإطلاق الرصاص من أفواه البنادق من كل مكان، من الخيام ومن رؤوس الجبال ومن اعلى السطوح، فأصاب الرصاص جناحيها وهي خزان البنزين، وقد اخبرني خالد بن لؤي وهو القائد بنفسه، أنهم لما أصابوها رأى البنزين وهو يصب كأنه من فم قربة، فهوت للسقوط، وكان

الذي راكب فيها السائق ومعاونه، فلما سقطت مسكوهم أحياء وقتلوهم، وشلعوا عود الطائرة كما تقصب الجزور، أما علي، فإنه حينما وصل الهدى، تحصن فيه، وقلبه منهلع من شدة الخوف، فأقام فيه يومين فلم يرعه في آخر تلك اليومين إلا والإخوان يهللون ويكبرون في أطراف جيشه، فانهزم بدون قتال، وأبقى المدافع وأهلها، عسى أنها تحمي مؤخرة جيشه ولو مؤقتا ريثما يتمكن من الهزيمة الى مكان يأمن فيه، وعلم بذلك كله، الشريف الحسين، من تليفون يحمله معه الشريف هزاع، ويربطه في كل مركز يخابرون فيه، وكان الشريف حسين، يمقت ولده علي، ولم يرض عنه بهذه الهزيمة، ولم يعذره، ولو علم انه[1] يقاتل وحوش ضارية لا يصدها عن طريقها احد مهما بلغت شجاعته، وأن جند علي قد قذف الله الرعب في قلوبهم فلا يثبتون ساعة أمام جند باسل متشرب بالنصر، فكان حرصهم على الموت خير عندهم من الحياة، وكانت قوة الشريف علي بن الحسين، تنقص يوميا وتتلاشى. وقد كنت مقيما في مكة ولم أتحقق عن كل ما فعله الإخوان بالطائف، حيث إن الأخبار تعمى علينا، وان كل من حدث عنها يجازى بأشد العقوبة، واقل ما ينال من العقوبة انه يرمى في حبس تحت الأرض، ثم ينسى الى الأبد، فلما أراد الله أن يكشف الغامض على الناس، حينما صمم الحسين بن علي، على حرب الإخوان في مكة، أمر مناديا في الأسواق أن احضروا في الحرم الشريف الساعة ثلاث نهارا، فحضر من حضر، ونصب منبر خشب في الرواق المشرقي قبالة باب السلام، ثم صعد عليه رجل يدعى عمر شاكر، وهو من أذناب الحسين

[1] نهاية ص ٢٢٤من المخطوطة

بن علي، فخطب وشجع الناس ودعاهم للجهاد في سبيل الله، وحرضهم على صد الوهابيين عن دخول مكة، ثم قال : إني مخبركم، لتحيطوا علما بما فعله الوهابيون بإخوانكم أهل الطائف حينما دخلوه عنوة، فإنهم قتلوا الشيب والشيبان والنساء والأطفال وبقروا بطون الحبالى من النساء، فما بعد هذا العلم تواني ولا سبيل الى السلامة منهم، إلا ما تدفعونه انتم عن أنفسكم وعن نساؤكم، فلما فرغ من خطبته ونزل من منبره، قال : هيا انا وانتم الى دار الحكومة نطلب منها سلاحا ندافع به عما وقعنا فيه من الخطر، فما كاد أن يتم كلامه وينزل من منبره حتى ازدحم طريق جدة بالهاربين رجالا وركبانا، وكان يخرج عجائز من الرباطات وتسير عائلات بنسائها وأطفالها، وبلغ أجرة حمل الشقدف ١٥ جنيها فرنجي، وأجرة الهجين ٨٠ جنيه فرنجي وأجرة الحمار ١٠ جنيه فرنجي، وهكذا الخوف، يفعل بصاحبه فوق هذا، ولما ساروا لهذا الطريق، والأكثر منهم مشيا على الأقدام، وكانت المرأة تأخذ شربة الماء الفخار بيدها وهي تمشي على قدمها، ثم إنهم لما علموا أهل جدة بهذا الخبر، وأن مكة أتوهم أهلها جاهشين منزعجين يمشون على الأقدام بدون زاد ولا ماء انتدب رجال الفضل والإحسان من أهالي جدة، وعلى رأسهم محمد الطويل، وهو يومئذ ناظر لرسوم جمرك جدة من قبل الشريف حسين، وحينما تحققوا فرار الناس من مكة الى جدة، جهزوا جمالا بكثرة، تحمل تمرا وخبزا وماء فأمروهم أن يسيروا على الطرق ويسقون كل من رأوه ويعطونهم من الزاد ما يطلبونه، وأن يُركبون على[1] الجمال من كان ماشيا حتى تضيق ظهور الجمال عن الركوب،

---

(١) نهاية ص ٢٢٥من المخطوطة

ففعلوا ما أمروا به، وكان الذي معهم من الجمال عدد ٢٠٠ جملا، أما الشريف الحسين، فإنه أخلد في قصره، فكأنه لا حي ولا ميت، ولم يمنع احدا من الفارين ولم يحوج احدا منهم أن يستأذنه للفرار، وأيقن بالفاقرة أن تنزل به، وكان حقيقا بها، ويا ويله مما جنته يداه، ثم استمرت حالة الهاربين خمسة أيام، وبعدها بأيام عزم الشريف الحسين على الفرار على طريق الهاربين، وكان فرار الناس باختيارهم وفرار الحسين مرغم عليه غير مكرم وتلك عاقبة الظالمين الملحدين، فكان في تلك الليلة التي سافرمن فجرها، وهو يطوف بالبيت طواف الوداع والناس لا يعلمون عن سفره، وكان الهضم الذي لاقاه قد اخذ من جسمه الغليظ سهما كبيرا، فكنت انظر اليه وهو يطوف بالبيت، وعروقه شاحبة وجسمه متهدم وباله منكسر ورقبته الغليظة لم يبق فيها إلا الجلمدين تتبارى، وكان على صحن خديه خطان اسودان من البكاء، وكأنها مشال عبد، وكان الذين يطوفون معه من حجاج وأوباش يطلون في وجهه فلا يلتفت على احد منهم، فقد استكان واستذل، ونورد بيت شعر نبطي لـ عبدالله بن ربيعة وهو شاهد على ذلك:

ارى النجيب اللي براسه عزامه يوم اعتلاه النقض دنحر عن الزوم

وياليتك مشاهده صبيحة تلك الليلة حينما أزمع للرحيل هو ونساؤه، بأن جهز ست سيارات، وكانوا يُركبون فيها العوائل والنساء، وحينما نزلنا لصلاة الفجر بالحرم مررناهم وهم على طريقنا ولهم صراخ مزعج كصراخ عوائل الترك حينما أخذوا يسفرونهم أسارى على ظهور الجمال، ليسلموهم دولة الانكليز بجدة، فكان مافعل به وبنسائهم مثلما عامل به الترك، فالله جازاه بعدله وكال له بصاعه الأوفى وكأنه بقول الشاعر:

وهل زدت ان وفيت صاعا بقرضهم فوافت منايا قدرت ومصارعا

ولست بآسف على الترك وخروجهم من الجزيرة، ولكن أسفي على الغدر، ولو كان بكافر، وكان كثير من الناس لم يعلموا بسفره ولم يعلموا إلا من كلاب المسعى حينما تبعت السيارات تحمل عليها وتنبح وكأنها حملات ديلم كما قاله المتنبي[١]، وغاية الأمر ان الحسين بن علي خرج من مكة ولم تجد فيها نفس آسفة على خروجه، ولم تجد صدرا إلا أوغره وملأه حقدا عليه بسبب جناياته الشاملة، عامله الله يوم الجزاء بعدله وبما يستحقه، ثم إن ولده علي بن الحسين أراد بعد خروج أبيه من مكة وبتنازله عن[٢] عرش الخلافة أن يؤلف حكومة هاشمية تقام على أنقاض الحكومة البائدة، وكانت هذه الحكومة الأخيرة تؤسس على أركان واهية، فحينما ألف الحكومة، كتب كتابا للملك عبدالعزيز يخبره بأن والده حسين قد تنازل عن عرش الملك له وهو نزل في محل والده، وكان نصيبهم الفشل جميعا، وكتابه للملك أنه يطلب منه عقد مؤتمرفي الكويت لتنظم به الأحوال بين نجد والحجاز، ويسود السلام، فلما حرر الكتاب دعى باثنين من رجاله من أهل نجد المستخدمين عنده وهم جارالله الجبالي من أهالي حايل وزايد الرقيعي من عنزة، وعززهم بثالث وهو رجل من عتيبة، شيباني، فلما أصبح دفع لهم الكتاب وقال امضوا بها الى عبدالعزيز اينما تجدونه، ونسي من الشعر، حكمة

---

[١] الإشارة هنا الى بيت المتنبي وهو يصف مروره بالليل في طريقه الى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها: ولا نبحت خيلي كلاب قبائل .. كأن بها في الليل حملات ديلم

[٢] نهاية ص ٢٢٦من المخطوطة

ياراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن اسحارا[1]

فكانت مدة أمارته في مكة بعد أبيه الحسين، أربعة أيام، فهو تولى صبح الخميس وبايعه الناس، وخرج منها يوم الاثنين بعد صلاة الفجر، وأما باقي القصة التي سنقصها على القارئ، فأنه حدثني بها خالد بن لؤي من لسانه، في اليوم الذي دخل فيه مكة هو وجنوده، فقال : إنه قبل نزولنا من الطائف الى مكة، أتانا كتب من الإمام عبدالعزيز، يأمرنا فيها بحصار الشريف حسين في مكة من طريق اليمن ومن طريق الحجاز ومن طريق جدة، وحذرنا في كتبه تأكيدا وتهديدا على أن لا نقرب مكة، وأن نتجنب سفك الدماء وأن لا نقطع من ارض مكة ولا شجرة حرمل، ولا نتعرض لعين زبيدة بسوء، بأن نقطعها عن مكة، ولا نتعرض لهارب من مكة أتانا يطلب الأمان، فإنا نؤمنه، ولا نحدث في مكة ولا من حولها بحدث يشمت به علينا المسلمين، فاحتفظنا بأوامره، ورحلنا من الطائف معتمدين حصارمكة، فلما أتينا السيل وهو مكان المحرم، ميقات أهل نجد، فأراد الإخوان أن يحرموا منه، فقالوا لهم مشائخهم العلماء أن لا إحرام لكم، حتى تتيقنون دخول مكة، ولكن كثيرا من الإخوان احرم بالعمرة ـ قال ـ ثم مشينا من الميقات قاصدين مكة لحصارها بين الظهر والعصر، فلما انحدرنا من بهيتة، وإذا بأهل الركائب يوافوننا خارجين من مكة، فأوقفناهم وسألناهم من انتم ؟ قالوا نحن مناجيب للملك، علي بن الحسين، فاخبرونا بخروج الحسين من مكة الى جدة، وأنه أقام ولده علي، ملكا مكانه ـ قال ـ ولم نعلم عن خروج الحسين من مكة إلا من هؤلاء الأشخاص، لأن الطريق منقطع ـ قال ـ ثم

---

[1] محمد بن حازم الباهلي

سألتهم عن كتبهم التي معهم، من يقصدون بها ؟ قالوا إننا نقصد بها الى الملك عبدالعزيز بأي مكان هو[1]، ـ قال ـ فقلت لهم هل معكم كتب لكبار الإخوان، سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي؟ فقالوا لا، ليس معنا لهم شيء، ليس معنا إلا كتب عبدالعزيز فقط، ـ قال ـ فنظرت الى من حولي من الإخوان وقلت لهم انتم فطنتم كيف دبرة هذا الدرويش ! يكتب لحاكم راقد في قصره، ويترك رجال حدروا عليه الوادي . ـ قال ـ فقلت لهم الزموا ظهور ركابكم حتى ننزل ونشاور الإخوان فيكم، هل انتم غنيمة ! أو انتم رسل سالمين ! ـ قال ـ فلما نزلنا منزل العشاء المعتاد ونظرت الى جيشهم فإذا خيارهن ذلول الرقيعي العنزي، ـ قال ـ فقلت له : لا تنزل شدادها من فوق ظهرها، هذه عمانية، وأخاف أن تلهد، وأنا قصدي غير ذلك، فإنه إذا اظلمنا يسارق الغفلة من الإخوان ثم يغتنم الفرصة ويركبها، ويرجع الى مكة لينذر الشريف علي فيهرب الى جدة ويخلي مكة قبل دخول الإخوان الى مكة، فإن دخلوا فيها ونشب قتال بيننا وبينه في مكة فنكتسي بذلك ثوب الذلة والصغار بين المسلمين، وإنني حريص جهدي بالبعد عن ذلك، وكان الرقيعي هذا ولد نجيب، ففطن لما كنت اقصده، وفطن أيضا إن إبقائي مطيته بيده كأنه درس يعلمه برغبتي ـ قال ـ فانساب على ذلوله بعدما أظلم الليل وقادها برسنها من بين حرجة شجرات، حتى أبعدها فركبها وهي واقفة، وأرخى لها رسنها وطلب منها كل ما تستطيعه من العدو، وكان ظني أصاب وهو ايضا أصاب كل ما أقصده، وكنت على علم أن علي بن الحسين، ممن يقعقع له بالشنان ـ قال ـ فسيرها سيرا حثيثا ودخل على الشريف

[1] نهاية ص ٢٢٧من المخطوطة

وهو في مجلس العموم، وقد مضى من الليل سبع ساعات، فسلم عليه وقال : سيدي، أنت أركبتنا لابن سعود على أنه في حضن، وحنا تحققنا انه بالرياض ولم يخرج منه الى الآن، فأنا قد قلت لأصحابي الذين معي، انتظروني في السيل، حتى اسأل سيدنا وارجع عليكم، إما انه قال ارجعوا كلكم أو قال اندفعوا بكتبكم ولو الى الرياض، وأما الإخوان يا سيدي، فإنهم رحلوا من الطائف ونزلوا عشيرة، وبعثوا نجابا لابن سعود يطلبون منه الرخصة ليرجعون الى أهلهم وأوطانهم. ثم إنه أشار على علي إشارة خفيفة عمن حوله بأن يقوم للمختصر، فلما دخل، أتاه الشريف علي، فقال له ما عندك يا الرقيعي ؟ فقال له : ياسيدي، إن الأمر كذا وكذا ثم فصل له كل الذي رآه بعينه، وزاده رأي آخر بأن قال له إن الأشراف أهل المضيق، وفدوا على مخيم الإخوان بالطائف يطلبون منهم الأمان، فقالوا لهم مالكم عندنا أمان ولا قبول حتى تقطعون طريق جدة من عند الشميسي، فالتزموا لهم بذلك، وجعلوا معهم[١] مائة من أهل الغطغط، هذا وقد انضمت معهم عربانهم، الذيبة والسلفة والمقطة والهمارقة، فانت ياسيدي، إن كان عندك قوة تقابل بها الإخوان قبل أن يقدمون على مكة، وإلا فإن الأشراف ومن ذكرته معهم من عربانهم مشوا قبل أمس، ونزلوا من السيل مع مهد حراض، عامدين طريق جدة، وانت اختر من أبصارك ما يسعدك، فلما انقطع كلام الرقيعي، استدعى الشريف محسن بن منصور وقال له : حضر الجمال التي أمرتك أن تكون جاهزة فقال : هي جاهزة ياسيدي، وكانت مجموعة بأحواش عند ريع الحجون، وأحضرت الجمال من ساعته، ثم حملوها

[١] نهاية ص ٢٢٨من المخطوطة

بما عندهم من الذخيرة والعتاد، وركب هو ركائبه وقصد جدة. وفي ذلك اليوم وهو يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ طهر الله مكة من الحسين وأولاده وأذنابه، فكل من ألحد بهذا البيت ستكون خاتمته مثل خاتمة الحسين، ثم في ذلك اليوم بعد الظهر دخلت خيول الإخوان الى مكة وكان عددها ٢٧٠ خيالا، فدخلوا محرمين يهللون ويكبرون، وكان أميرهم خالد، وهو قائدهم قد اخذ عليهم العهد أن لا يمدون أيديهم على شيء في مكة، وانهم حينما يفرغون من الطواف والسعي يظهرون للخيام بالعدل، فأوفوا بعهدهم لخالد، فلما كان يوم الاربعاء دخل الجيش دخولا هادئا ولم يتعرضوا لأحد من الناس، وكانوا يقولون كل ما كان لنا من عدو وجدناه في مكة، ولكنه لا يخاف لأنه في بيت الله وقد أمنه، فلا يحتاج الى أماننا، وكان خالد الأمير ومعه نحو ثلاثة عشر رجلا وكلهم من الأشراف أبناء عمه، وهم قد نزلوا على بيت عبدالله البراهيم الجفالي وكنت انا محسوبا من عائلته، فلما دخل علينا خالد ومن معه في البيت وكان عبدالله الجفالي رحمه الله قد خرج لهم من مكة يوم دخولهم وقابلهم بالطريق لصداقة قديمة بينه وبين خالد، وكان خالد من ساعة ما دخل مكة، أمر على عبدالله الجفالي بأن يلازم مجالسه ولا يفارقه، ليعرفه في الناس، وكان خالد لا يرد له قولا لمعرفته بنصحه وإخلاصه، فلما عرض عليه كرامته في ذلك اليوم، وأتى الى البيت بعدما انقطع سلام الناس عنه في وقت أذان الظهر، فلما دخلوا واستقر بهم المجلس، أديرت عليهم القهوة والشاي كالعادة، ولما أردنا أن نقدم لهم غدائهم، وإذا بالحس الرفيع والصوت يأتينا خارج

الباب وهم يسألون عن[1] الأمير خالد، فلما فتحنا الباب وإذا برجل يتقدمهم، قصير القامة، وفوق رأسه كوفية حمراء، وكان كل من عرض له عارض من الإخوان يفزع لعبدالله الجفالي يخبره قبل أن يخبر خالد، لأنه هو الواسطة بين الرعية وبين خالد، وخالد لا يشك في عفته وإخلاصه وحرصه على الوفاق بين الراعي والرعية، فقال له هذا الرجل على مسمع من خالد : يا عبدالله الحفالي، هؤلاء الإخوان هجموا على الحميدية ونهبوها، ثم انداروا على التكية يريدون نهبها، بزعمهم أنها للشريف مثل الحميدية، وكانت التكية لصيقة بالحميدية، وكان عبدالله الجفالي يبلغ خالد بما يقول المصري وهو مأمور التكية، فكان الجفالي رحمه الله كالمترجم بين المصري وبين خالد، فالتفت خالد، على عبدالله الجفالي وقال: وما هي التكية يا عبدالله الجفالي، فقال له : التكية صدقة من حكومة مصر، ومن أهالي مصر الاغنياء، ويقسم على فقراء مكة كل يوم خبز ورز ولحم، فلما انقطع كلام عبدالله، فهم خالد القضية، فقال خالد : لا، طريق نحن نزيده ولا ننقصه، قم عبدالله مع المأمور هذا، وخذ معك رجالي، محمد بن صعيبان ـ يعرفونه الإخوان ـ وقل أميركم خالد يقرعكم عن هذا العمل وأمثاله، إنه صدقة للضعفاء، فلا تعترضونها، فانتم بحرج مني إن تعرضتوا لها بسوء. ثم مشى من عندنا عبدالله الجفالي هو والمأمور الذي معه، وقال لي قدم غداء الأمير، لا تنتظرني، فإني لا أعلم متى حضوري عندكم، فلما غاب عبدالله عنا قدر ساعة من الزمن، قلت للأمير خالد إن عبدالله أوصاني أن أقدم غداؤكم، هل باق من أصحابكم احد تنتظرونه، فقال : لا لم يبق احد، ولكنك

---

[1] نهاية ص ٢٢٩من المخطوطة

أخبرني أولا، ماهو غداؤنا ؟ فقلت له : غداكم ذبيحتين ورز وخبز وإيدام على جري العادة، فقال : الله يهدي عبدالله وراه ما أخبرني من قبل إنه سيذبح ذبائح، فظننت أنه يقصد بقوله هذا توفرة لعبدالله وعدم تكليفه، فقلت له : أطال الله عمرك، عبدالله يذبح الذبائح لواحد من رعيان جيشك فضلا عن نفسك، فقال : ما أقصد بهذا خسارته، أقصد أكلها، هم المشايخ يأذنون لنا أن نأكل طعامكم انتم ياسكان مكة ! أو لم يأذنوا لنا بأكله، فبمحاورتنا هذه، وإذا برجل يقف علينا، راكب على فرس، داخل من خيام الإخوان، عنده شكية يريد أن يبثها على خالد، واسمه صنيتان بن قاعد بن نوير، شيباني، فحينما انقطع كلامه عند خالد، التفت علي خالد، فقال لي : يا محمد هل عندك ورق وحبر ؟ فقلت نعم[1]،

فقال ائتني بها فأتيته بما طلب فقال اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن منصور إلى جناب المكرم الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن داوود

السلام عليكم وبعد، هذا عبدالله الجفالي من أهالي عنيزة، وهو ساكن في مكة، قد تخسر وذبح لنا من حيث لا نعلم، وأحب ما إلينا أن تحضروا معنا لتشاركونا بأكل طعامه، فإذا تعذر حضوركم عندنا، فافتوا لنا هل نأكل طعامه أم لا ؟ ودمتم والسلام. فطويت الكتاب، وأخذه مني ودفعه لصاحب الفرس، وقال أوصله للشيخ في خيمته بالعدل، وأعطنا جوابه بسرعة،

---

[1] نهاية ص ٢٣٠من المخطوطة

فأخذه وركب فرسه، وبعد ثلث ساعة وهو راجع علينا بالجواب، وإذا هو يقول

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن محمد بن داوود، إلى جناب المكرم الأمير خالد بن منصور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

تذكر أن الجفالي تخسر وذبح لكم، وتطلبون حضوري لآكل طعامه معكم، فأما حضوري فهو متعذر بواسطة الإحرام، قد أثرت الشمس في رأسي، وتسألون هل تأكلون طعامه، فكلوه ولا حرج إن شاء الله، وعسى الله أن يهدي الجميع، والسلام.

فحينئذ قال لي خالد قدم غداءنا يا محمد، ثم إنه بعدما فرغ من الأكل صلى الظهر والعصر جمعا، ثم خرج الى قصر الحكم وجلس فيه للسلام على الناس، فكل يدخل ويسلم، فدام يحكم مكة شهرين وعشرين يوما، فلم نعلم انه ظلم أحدا أو أخذ رسوما على شيء من البضائع، بل إن رسوم الحلقات جميعها قد وضعها من أول يوم دخل مكة، وكان كثيرا ما يأتونه السماسرة يطلبون منه تضمين الرسوم من الحلقات وغيرها، فلا يلتفت إليهم، وكان قد أتاه رجل يدعى حسين تابو شاهين، وكان يقول له: اتعهد لكم بدفع عشرين الف مجيدي في كل شهر، على ان تضمنوني ثلاث الحلقات، حلقة المعلاة، وحلقة جرول، وحلقة المسفلة، من كل ما يهبط فيها، من سمن وعسل وجبن وحشيش وحطب وفحم وبرسيم، والخضر على أصنافها والفواكه على أصنافها، فقال: والله ما اقبض من مكة ولا ريال، وابرأ من عهدتها، وكان عفيفا لا يحب الفخر ولا المديح.

وفي جمادى الأولى وصل الملك عبدالعزيز مكة، ثم بعدما قام فيها خالد بخدمته وهو في إمارته، ذهب الى الملك عبدالعزيز فطلب منه العفو عن إمارة مكة فأعفاه، ونصب فيها اخوه[1] محمد بن عبدالرحمن الفيصل، فدام فيها أميرا حتى قدم عليه نجله فيصل بن عبدالعزيز وزاده برتبة النيابة عنه، فكان يلقب امير مكة ونائب الملك، فقام بأعباء ما اسند إليه خير قيام، غير أن له حساد لا يفترون من رفع الوشايات به عند والده، فلم يكترث من ذلك ولا تغير منصبه، بسبب أن والده تحقق في منتهى الأمر أن كل ما قيل عنه تزوير، فكان هو أميرها المحبوب الى يومنا هذا أمد الله بحياته على كل عمل يرضاه تحت ظل جلالة الملك، أخوه وشقيقه سعود. ثم إن الملك عبدالعزيز بعدما أقام في مكة أيام بعد أن دخلها، أخذ يكاتب الشريف علي وجماعته أهل جدة، وكان يجاوبهم برقة ولطافة، فلم يفد بهم ذلك، فحينئذ زحف على جدة وضرب الحصار عليها، فدام حصارها سنة كاملة من حين ما نزل عليها، وفي يوم الخميس الموافق ٨ جماد الثانية سنة ١٣٤٤ دخل الملك عبدالعزيز دخول الفاتح الظافر بعدما بارحها علي بن الحسين على متن الباخرة. هذا آخر ما نكتبه من تاريخ احتلال! الحجاز بيد الملك عبدالعزيز بن سعود ولنترك تفاصيل حوادثه ومعاهداته وتبادل رسائله بين الملك وحكومة جدة وبين أهالي الحجاز ومجاوباتهم مع الملك، فكلها نضرب عنها صفحا ونكتفي بمن سبقنا على تفاصيلها المشفوعة بتواريخها وتوقيعاتها. ثم بعد تسليم جدة بيد الملك عبدالعزيز كما ذكرنا، رتب بها ما يكفي لحمايتها وبث الأمن في ربوعها، فأمنت

[1] نهاية ص ٢٣١من المخطوطة

واطمأنت، ثم قفل راجعا إلى وطنه!، فرتب الحج، وحضوره في موسم الحج في كل سنة، فلم يتخلف عن الحج إلا ثلاث سنين، وكان الذي يحج بالناس في تلك السنين هو ولي عهده ونجله الأكبر سعود بن عبدالعزيز حتى استافاه الله، وكانت وفاته رحمه الله بالطائف في ضحوة اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣ رحمه الله تعالى وغفر له وعفى عنه . وكنت كثيرا ما أحضر المجالس وكانت تضم أخلاطا من الناس من أنواع البشر، وكان ذلك في حياة الملك عبدالعزيز، فكانوا يخوضون كعهدة المجالس المختلطة، فإذا مروا بذكر الملك عبدالعزيز دعوا له بطول البقاء وامتداد العمر وأن يجعله كهفا للمسلمين يلتجئون به، ولم يعترض عليهم احد من تلك المجالس أو يقول إن استافاه الله فسيبعث الله للمسلمين من يقوم مقامه ويعدل بالرعية، فخلفه ولله الحمد ولي عهده ونجله الأكبر سعود بن عبدالعزيز، فقام في الأمر خير قيام وتولى رعاية المسلمين بسياسة رفق وحلم وغيث بمطر جدده على الرعية مدرارا، وفقه الله للعدل بالرعية على ما يرضى مولاه ووهبه الصواب في الأحكام والرفق على كل من والاه امين(١) .

ثم دخلت سنة ١٣٤٥ وفيها ابتدأت فتنة الإخوان تظهر مقدماتهم ضد ولي أمرهم الملك عبدالعزيز، فأول من تبين بالعصيان ونبذ الأوامر هو فيصل بن سلطان الدويش، فقد اخبرني محمد العجاجي رحمه الله، وكان طالب علم متضلع من العلوم، قال لما كنت إماما ومدرسا مع فيصل الدويش، وكنا كلنا مع الملك عبدالعزيز في حصار جدة، وكان سعود بن عبدالعزيز العرافة، محاصرا ينبع، فوردت كتبه على الملك

(١) نهاية ص ٢٣٢من المخطوطة

عبدالعزيز، طلب منه مدد جنود، فانتدب فيصل الدويش وغزوه الذين معهم، وأمرني بالمسير معهم على أني تابع لهم ـ قال ـ فتجهزنا ومشينا على هذا العزم امتثالا على هذا الأمر، ولما كنا في عرض الطريق انعزل فيصل الدويش عنا بجنوده قاصدا المدينة ـ قال ـ فقلت له : يا فيصل ألم يأمرنا ملكنا أن نكون مددا لسعود ونحاصر معه ينبع ؟ قال : بلى، ولكن دائما يدبرني عبدالعزيز على دربه ثم أخالف ما دبرني عليه وامضي على ما اختاره أنا، فيكون ذلك موافقا لعبدالعزيز ويحمدني عليه، فقلت : أنا لست أوافقك إلا على ما دبرنا به عبدالعزيز جميعا، فإن مضيت مصمما على هذا الطريق فإني لست بصاحبك، فعزم على طريقه وانعزل عنا بجنوده، وعمد إلى المدينة لحصارها، وكان متعطشا على هتك المدينة تلهفا على ما فاته من وقعة الطائف ـ قال ـ أما نحن فمشينا في طريقنا امتثالا لأوامر مليكنا، فوصلنا ينبع وحاصرناه أياما قليلة ففتحه الله على أيدينا بعدما هرب منها شاكر بن زيد، وكان هو رئيسها، وبعد خروجه منها سلمت حاميتها بدون قتال، فنزلوا بالأمان الخالص، وليس يخالطه شيء من الغدر ـ قال ـ وأما فيصل الدويش فإنه لما نزل على المدينة وكان ابراهيم النشمي وهو قائد من قواد الملك عبدالعزيز، محاصرا لها ومضيق على حاميتها ومعه جنود من أهل نجد ومن قبائل حرب أهل السهل والوعر، وكان هذا القائد يراود حامية المدينة على التسليم، والرسل تمشي بينهم، ولم يبق إلا التوقيع على الشروط المتبادلة بينهم، وكان أول من أذعن للتسليم هم أهل العوالي، وكانوا شوكة حرب ولا سيما إن تابعوهم النخاولة، وتوافقوا جميعا على التسليم فحينما نزل الدويش اظهر الحنق على

ابراهيم النشمي وجنده، وأرسل إليه يطلب منه أن يعتزل القيادة، فيكون هو القائد الأعلى للجنود كلها، ولكن ابراهيم النشمي محتفظ بقيادته حيث إن جنوده مطيعة له ولا تتبع قائد سواه، فرفض طلب الدويش إلا بأمر ملكي[١]، وكان كل جنود النشمي راضين عن قيادته لهم، معجبين بتدبيره، وقد كان فيصل الدويش مضطرب في قيادته ولم يمشي على قاعدة مرضية ـ قال ـ فلما كان في اليوم الثالث واستقر به المنزل كتب لحامية المدينة كتابا وهذا نصه أن قال : من فيصل بن سلطان الدويش إلى عبّادة حمزة أما بعد : فحينما تقرؤون كتابي هذا سلموا لنا المدينة وإلا سوينا بكم سواتنا بالطايف، والسلام علينا لا عليكم، فلما قرأوا كتابه انتشر الخبر بالمدينة وحزم السلاح على أيدي الجميع وأركبهم على الأسنة، ولم يكن للمضطر إلا ركوبها، فكتبوا له جواب كتابه بالاتفاق منهم جميعا بعد ما ضمهم هذا الكتاب كتلة واحدة، فقالوا له : لا سمعا لك ولا طاعة، ولا نسلم المدينة إلا بيد رجل من أولاد الملك عبدالعزيز، وان كنت فيصل بن سلطان فاقرب من أسوار المدينة لتلاقي حتفك ومن معك، ـ قال ـ فرجع خائبا، ولم يعلم عن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم اللهم من اراد المدينة بسوء فأذبه كما يذيب الملح في الماء[٢]، ولم يمض على حصاره للمدينة إلا عشرة أيام فقط، فأنزل الله عليه سيفه المسلول، وهو الوباء الأصفر، فكان يقبر من جنده في كل يوم

---

[١] نهاية ص ٢٣٣من المخطوطة

[٢] في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال" مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ" رواه مسلم وله شواهد عند البخاري وغيره

وهو عند المدينة، فلزمه الرجوع الى بلده الأرطاوية، فمات معه بالطريق ما يزيد على سبعين رجلا، وكانت خاتمته في آخر عمره أسوأ خاتمة، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، وأما المدينة فهي سُلمت هي وحاميتها لمحمد، ابن الملك عبدالعزيز، فسلمْت أرواح أهلها وأموالهم والحمد لله. وفي سنة ١٣٤٦ حشد الإخوان جنود عظيمة، وأقاموا مؤتمر هائل بالارطاوية، حضره جميع قبائل البدو من الرؤساء ومن الجنود، ثم اتفقوا على أنهم يملكون بلدان نجد فيما بينهم، ويتوازعون المدن والممالك، كل منهم بقدر قوته، فكان نصيب عتيبة مكة وجدة والطايف والقصيم وما بينهما من القرى والصحارى، وكانت وزعة مطير، المحمل والوشم وسدير والعارض والخرج والحوطة والحريق وما والاهن، وكانت وزعة حرب، المدينة وسافلها ورابغ وينبع وما والاهن من الساحل الشمالي، وكانت وزعة العجمان، الحساء والقطيف ونقرة بني خالد والجبيل وما والى ذلك من القرى والصحارى، وكان نصيب ابن مشهور من عنزة، حايل والجوف وتيما والعلا وخيبر والحايط والحويط وما والاهن، فتعاهدوا على ذلك، وكان أيام مؤتمرهم هذا، والملك في مكة مقيم بها بعدما فرغ من حجه سنة ١٣٤٥ وبعد دخول سنة ٤٦. فأرسلوا للملك نجابا يأتيه وهو في مكة بكتب من رؤساءهم، يخبرونه بهذا المؤتمر، غير أنهم اخفوا عنه ذلك التقسيم[1]، ولكن سر البدو مفضوح، ولن يعرفوا كيف يكتمونه، فجلالة الملك جعل عليهم حارسا منهم يأتيه بأخبارهم على وجه الصحة، ثم إن الملك سأل رسول الإخوان، وكان اسمه معجب الغيداني، بأن قال له : يامعجب أنا عندي علم،

[1] نهاية ص ٢٣٤من المخطوطة

من رغبة الإخوان انهم يريدون زوالي عن الدنيا، وكل حي زائل إلا الواحد الذي ملكه لا يزول، ولكني سائلك فاجبني على سؤالي، هل قرروا لهم ملكا يرضونه كلهم، إذا انا انصرم عمري بقتل أو بموت على الفراش، أو انه إذا أنا زلت من الوجود رجعوا على بعضهم يتقاتلون على أيهم يكون ملكا ؟ فقال معجب : ليس عندي من هذا علم، بل إني حامل بريد منهم إليك . ثم إنهم في اخر سنة ٤٦ في شهر القعدة، اجتمعوا بالدويحرة، ولم يكن أكثر ولا أقوى منهم في تلك الجمعية، وقد أحرجوا الملك بنفسه، ودبروا مؤامرة سيئة، وهو أنهم عقدوا عزمهم على الهجوم على بلد عنيزة، واستعدوا لذلك الهجوم بألفين رجل من خيارهم، واعدوا مذكر بن حمد، من عتيبة الروقة، ومعه خمسمائة مطية، ليغير على ضواحي عنيزة ويأخذ كل ما وجد حولها من سروح وقراش، ويقطع سابلتها من كل ناحية، وكانت كارثة عظيمة، لولا وقاية الله بأن وقاهم شرها، فكان في أيام مجتمعهم بالدويحرة، والملك مقيم في بريدة، فكتب محمد البازعي أمير الربيعية كتابا لأهل عنيزة يحذرهم من الإخوان ويخبرهم بما عزموا عليه، فمن حين ما وصلهم كتاب محمد البازعي بعثوا به فارسا من عندهم، واستنجدوا بمشورة الملك، أو بحمايته فأرسل إليهم جوابا في الحال أن كونوا مطمئنين ألا يأتيكم منهم مكروه إلا وأنا وإياكم فيه سواء. وكانوا يحتجون على الإمام، ويطلبون منه مطاليب فوق اللازم، واقترحوا عليه إبطال اللاسلكي وأنها سحر باعتقادهم، فأرسل اليها بمكة والمدينة وجدة والطائف وأبعدها، وهد مراكزها، وكان الملك يعطيهم كل ما يطلبون ولم يتعاظم شيء فإنه عظيم بذاته:

ثم إنه في آخر أيام إقامته في بريدة وهو يريد التوجه الى الحج، وقد ضاق عليه الوقت فلم يبق فرصة أيام توصله الأراضي المقدسة إلا إذا اسرع في سفره ذلك، فحينما تكاثرت عليه مطالبهم، ولم يقفوا عند حد، ولم ير بد من إجابتهم بما طلبوا، فأرسل الى الأمير عبدالعزيز بن مساعد، ثم خلع خاتمه من يده ودفعه الى الأمير عبدالعزيز، وقال له سر إلى الإخوان، وهذا ختمي معك، وانزل عندهم، فكل ما طلبوا منك فاكتب لهم عليه، واختم لهم بختمي هذا، وأنا على تنفيذ ما طلبوا مني متى قضيت مناسك الحج، وبذا فعل ابن مساعد ما أمر به، وكتب لهم ما يريدون[١]، ثم تفرقوا، وحج الملك على طريق المدينة، ولم يغادر بريدة إلا يوم ٢٦ القعدة، ولما انقضى موسم الحج من هذا العام، خرج من المدينة قاصدا الرياض، فلما وصله، عقد مؤتمرا عاما دعى اليه جميع أمراء البلدان، وجميع رؤساء الإخوان، وكان يقصد حضور فيصل الدويش بنفسه، وسلطان بن بجاد، وكان قصده من ذلك أن يتوثق منهم لما يرى من طاعة جنودهم لهم، فأما الدويش، فإنه أرسل ولده عبدالعزيز واعتذر من الحضور، وأما سلطان بن بجاد فإنه أرسل ابن عمه علوش بن خالد بن حميد، واعتذر عن الحضور بنفسه، فلما اجتمع الناس عنده كعادته، استفتح المجلس هو، ثم قال : يا معشر المسلمين، جمعتكم لخير، فقد تعلمون أني عجزت عن

[١] نهاية ص ٢٣٥من المخطوطة

القيام بما يجب لكم علي، فاختاروا لكم من المسلمين ملك ترضونه، وإني أعاهد، إني أول من يتقدم للمبايعة لمن ترضونه، وأول من تضرب يدي على يده، وأول الناس دخولا في طاعته كواحد منكم، فتعالت الأصوات بلسان واحد، يقولون: ما نريد إلا أنت يا عبدالعزيز، ولا نقبل أن يكون علينا ملك غيرك، فقام فيصل وجعان الراس، وهو من زعماء بني تميم أهل الحوطة، فمشى إليه حتى وقف على رأسه، وكان عبدالعزيز ولد فيصل الدويش قريبا من الملك في ذلك المجلس، فتكلم فيصل بلسان جهور، وكان رجلا مسننا، بأن قال: لن نطيعك يا عبدالعزيز على ما تقول، ولا نعفيك من ولايتنا، اتذكر أنك في أول نشأتك وأنت نشب في حلوقنا، نتعوذ منك وأنت تقول أبي أملككم بهذا السيف، فيوم إنه ولاك الله عكستها علينا، وبسط لنا الأمن والعدل على يدك تريد أن نعفيك، معاذ الله، إننا لم نعذرك ولم نقبل ولاية غيرك، ولكنك أخبرنا بالذي كدر خاطرك وحملك على أن تجاوبنا بهذا القول، والله إن يطيح رأسه عندك وانت تنظر بعينك، فقال له الملك : اجلس يا فيصل، بارك الله فيك، وكان فيصل هذا، يشير بخطابه الى عبدالعزيز بن فيصل الدويش، فساد المجلس بالصمت، فأمرهم بالقيام على مبايعته على السمع والطاعة، والحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وكان أدنى ما يليه في مجلسه ذلك من أمراء البلدان هو عبدالعزيز بن سليم، أمير عنيزة، فالتفت إليه الملك عبدالعزيز وقال : بايعني، يريد من ذلك إقداما على المبايعة لمن حضر، فقال له عبدالعزيز بن سليم: ياطويل العمر أنا بايعتك في سنة ١٣٢٠ بالكويت، فهل جرى مني نقضة للبيعة بعد ذلك**!** فاعترف له عبدالعزيز بالوفاء بالبيعة، ولم يطلب

منه غيرها، فقام أمراء البلدان ورؤساء الإخوان فبايعوه[1] على السمع والطاعة، وبعد هذا، انفض المجلس، وكل طلب الرخصة يرجع إلى وطنه. ثم إنه بعد مضي شهرين حدث حادث في نواحي الطائف، وذلك أن رجلا من أهل الحجاز، يدعى عبدالله بن فاضل، وهو شيخ بني مالك على العموم، وقبيلته بني حرب، وقد جعل الله لكل شيء سبب، كان المذكور لم يذعن للولاية، ولم يعط زمام الطاعة كما يطلب منه ذلك، فحدث ذات يوم أن أتاه عمال لزكوات الحبوب، فكان معه غلظا ونفورا عن أداء الزكاة، فحصل بينه وبين العمال خصومة، وقتلوا ولده، واسمه علي، ثم بعد قتلة ولده، نصب العداوة لابن سعود وعماله، فأتاه عمال آخرين بعدما هدأت الحالة يريدون أن ينقاد للطاعة، وكان رئيسهم شخص من أهل حايل يدعى علي العايد، وكانت عدتهم ثمانية رجال، فاحتال لهم بعزيمة وكرامة وهو مضمر لهم الغدر، فحينما حضروا لدعوته اخذ سلاحهم وابعده عنهم، وذبح لهم عجلا وعشاهم به، فما راعهم بعد ما فرغوا من طعامهم إلا والرجال يدخلون عليهم وفي أيديهم الحبال، فكتفوهم وأوثقوهم بالحبال، وكان قد أرسل للقبائل من بني عمه، وأمرهم أن يحضروا فحضروا، ثم أخرجوهم مكتفين وقتلوهم جميعا، وكان الملك بالطائف في ذلك الوقت، وعنده عزم أن يسافر إلى الرياض وذلك في شهر رجب سنة ١٣٤٧ فلما وافاه هذا الخبر، تأخر عن سفره لينظم التجهيز بنفسه، فجهز الجيوش الجرارة، وجعلها تسير من طريقين، إحداهما على طريق السراة، تركب جبال الحجاز، والثانية من طريق تهامة، فسارت الجيوش الهائلة، فلم يجدوا

---

[1] نهاية ص ٢٣٦من المخطوطة

مقاومة دونه حتى وصولوا محله، وحصروه في قصره من كل الجهات، وقبضوا عليه هو وولده الثاني واسمه مسفر، فقتلوهما بالمكان الذي قتل به ضيوفه . فبعد التجهيز الذي ذكرنا، سافر الملك عبدالعزيز إلى عاصمته الرياض ودخلها وأتاه البشير وهو في الرياض بقتل المعتدين، فهذا جزاء الخائن الغادر. أما الملك عبدالعزيز فإنه بعدما استقر في الرياض، فكان الإخوان يتابعون عليه الرسل، يطلبون منه الرخصه للمغزا، أنهم يغزون الى الشمال، وكان الملك عبدالعزيز يمنعهم من ذلك، ويحلف لهم بكتابه إنه لا يعلم عدو للمسلمين في جزيرة العرب له، وأن الرعايا كلها بذمة الولاية لأحد أمرين إما أن تكون زكاتهم دخلت في بيت مال المسلمين وإما أن يكون بينهم وبين الحكومة صلحا شريفا لم ينقض عهده من الطرفين، فلم يفد فيهم ذلك، بل إنهم[١] لا يقبلون إلا أن يغزون، فحينئذ أرسل الإمام إلى الشيخ عبدالله بن بليهد، يطلب حضوره عنده في الرياض ليستشيره في أمر الإخوان، وإليك أيها القارىء ما أخبرني به الشيخ عبدالله بن بليهد، ونحن وأياه في الطائف في سنة ١٣٥١ كان يقول فيما قصه علي، إني كنت يوما جالسا في بيتي بالفوارة، وهي هجرة لبني سالم من حرب، واقعة في طريق المدينة المنورة للخارج من القصيم، ورئيسهم يومئذ حجاب بن نحيت، اذ وقفت عند بابي سيارة صغيرة، فنزل راكبها واستخرج من جيبه كتاب، ومده بيدي بعدما سلم، وإذا هو

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[١] نهاية ص ٢٣٧من المخطوطة

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، إلى جناب المكرم الشيخ عبدالله بن بليهد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، دمتم بخير، وبعده، بدون أمر عليك، حال وصول هذه السيارة عندك، تركبها وتوجه إلي بوجه السرعة، لأبدي لك ما عندي مما هو بيني وبين الإخوان ـ قال ـ فركبت السيارة بعدما قدمت للضيف واجبه، فحثثنا السير حتى انتهينا الى الملك بعد يومين ونصف يوم، فلما حضرت عنده اختصرت معه، فقال لي : ياشيخ، أنا أصبح أمري ورأيي في حيرة من الإخوان، هذه كتب سلطان بن بجاد، يكتب لي في مبدأ الأمر أن الإخوان يريدون الغزو وسيتجهون إلى الشمال خاصة، فأجبته بعدم الرخصة عن كل المغازي، وأقنعته بأنه لا يوجد بالجزيرة عدو لي مبارز بالعداوة، إلا أن كل من فيها في ذمتي وذمة المسلمين، إما رجل زكاته في بيت مال المسلمين، أو رجل قد أخلد إلى السكينة، فطلب مني الأمان فأمنته، ولست أشك أنكم إن غزيتم فلا تصيبون إلا صديق قد دخل في ذمتنا. ثم أخرج إلي كتابا من سلطان بن بجاد، وقال: هذا آخر كتاب ورد علي منه، وإذا هو يقول

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلطان بن بجاد، الى جناب الموقر عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، وبعده، اطلعنا على كتبكم إلينا، وهو منعكم الإخوان عن المغزا، فأنا اقول سمعا وطاعة، ولكن الإخوان يا عبدالعزيز فرطوا علي

وعليك، ولا يريدون منك إلا الرخصة، وإلا فهم ارخصوا أنفسهم،

ودم سالم والسلام .

ـ قال ـ فلما فرغت من قراءته التفت إلي الملك وقال: ماذا ترى ؟ أعطني رأيك، فقلت: الآن أعطيك رأيي فأول ما ابديه لك، أضرب لك مثل، وهو أن الإخوان صفة بندق، عبيتها أنت بيدك، وملأتها بارود ورصاص[1]، فهي ثائرة لا محالة، إما مع ملفظها أو مع خزانتها، فإن ثارت مع ملفظها فهي بعيدة عنك وتسلم من ضربها، وإن انشقت مع خزانتها فهي تضرك، وتضر رعاياك، فالصواب إنك ترخص لهم، فينفجرون بعيدين عنك، وذلك أخف الضررين، هذا ما عندي لك من الشور، والله الموفق للصواب. فقال الملك : توكلنا على الله أرخصنا لهم، فكان من قصة السبلة ما كان، وذلك أن ظن الإمام بهم لم يخطيء الهدف، فقد عاثوا وقتلوا وأخافوا، وكلها في الأصدقاء دون الأعداء، وأذاقوا المسلمين خوفا ورعبا، فحصلت وقعة السبلة بسبب ما ذكرنا، ثم إن الإمام ـ وذلك أن الإخوان لما غزوا الى الشمال وهو المغزا الذي طلبوه من الإمام عبدالعزيز، أغاروا على شمر وأخذوا منهم إبلا كثيرة وأغناما وقتلوا عدوان بن رمال، وصادفوا رجال من أهل بريدة معهم إبلهم مقيمين مع شمر، فأخذوا إبلهم وكل ما معهم، وقتلوهم جميعا، وكان عددهم ٢٤ رجلا ولم يقتلوهم بسيف ولا ببندق بل انهم يشدخون رؤسهم بالفاروع، ـ فحينئذ لم يبق عند الملك عبدالعزيز صبر على هذا وما يقارنه، فنهض لمقابلتهم، وقدم

---

[1] نهاية ص ٢٣٨ من المخطوطة

أمامه ولي عهده ونجله الأكبر، بقوة، وأوعده بريدة لريثما يتجهز هو ويحضر غزوان البلدان، فهو دعاهم للمغزا على كل بلد وكل قبيلة، وكان الإخوان بعد الذي فعلوه نزلوا بالأرطاوية وليس عندهم علم من تجهيز الملك عبدالعزيز، وخروج سعود من الرياض حتى أتاهم رجل منهم، يدعى مطلق بن الجبعا، مطيري، فأخبرهم بالتجهيز، وأشار عليهم بأحد أمرين، إما أن يقابلوا سعود قبل أن يصل القصيم ويأخذون ما معه من قوة وسلاح، فيكون قوة لهم، وإلا إنهم يتفقون على إن ابن بجاد وعتيبة يسندون لبلدانهم ويقطعون الطريق بين نجد والحجاز، وابن حثلين يحاصر الحسا، وابن مشهور يحاصر الجوف، فلم يكن عندهم موافقة لهذا الرأي، وقالوا إن أرادنا بحرب فحنا قابلناه في البر، وان لم يردنا بحرب فحنا جنوده الذي هو يعرفنا، فلما نهض الملك عبدالعزيز خرج من الرياض واجتمع مع ابنه سعود ببريدة، وأتته الإمدادات من كل قبيلة، ومن كل بلد حضر وبدو، واجتمع عليه جند لا يحصي عدده إلا الله، فنهض بهم، ونزل مكانا يسمى الجعلة، فسار منها وهو يراسل الإخوان، ويدعوهم الى الطاعة، فقط إن فيصل الدويش أراد مقابلته بنفسه للمفاوضة، ولكنه اشترط أن تكون مقابلتهم بين الفريقين، فأجابه الملك لما طلب[١]، وتقابلوا، وكان الدويش ماكرا خداع، ومكره قد احاق به، فأعطاه الملك ألف جنيه فرنجي، وأعطاه بنادق وكسوة من صنف،(!) ولكن[٢] الذي أعطاه من ذهب وغيره في يوم الوقعة، فلما رجع الدويش إلى قومه ما كان منه إلا أنه شجعهم على القتال ورغبهم بالغنايم

---

(١) نهاية ص ٢٣٩ من المخطوطة

(٢) هنا فيه اضطراب قد يكون ثمة كلام سقط سهوا ... فكأنه خص الدويش بالذهب من بين رفقاه

وحقر لهم جند عبدالعزيز بقوله إنهم بين عبد وطباخ، ولم يعلم أن النصر بيد الله، فلما تيقن عبدالعزيز أنهم يستعدون لمقابلته، محاربينه، رتب جنوده من حين ما أصبح صبح الغد، ومشى عليهم، وجعل كل على رايته، فما دامت الحرب أكثر من ساعة حتى رفع الله يده عنهم، وانهزم الإخوان شر هزيمة، وكان الملك قد انتدب فرسان عنده، وأمرهم بأن يكفوا الجنود عن قتل المدبر، أو اللحاق بالجريح، وغنم ما في مطرحهم، وقتل منهم قتلى كثيرون، وجرح فيصل الدويش بذاته جرحا بليغا، فأخذ بجرحه وأتي به الى خيام الملك، وأبرز له خيمة خاصة وكان بها وحده، وكان الملك يبعث له طبيبه الخاص يجارحه، ويزوره الملك بنفسه حتى اقبل على الشفاء، فاستأذن من الملك أن يرجع الى الأرطاوية، فأذن له فرجع، وبرجوعه كتب لسلطان بن بجاد، رئيس عتيبة يحسن له مواجهته لعبدالعزيز، ويقول له لا تهاب منه، فإنه رفيقنا الذي أنت تعرفه لم يتغير علينا، وهذا الكتاب من الدويش هو راس السبب، الذي دعى سلطان بن بجاد يلقي بنفسه بين أحضان الملك عبدالعزيز بلا عقد ولا عهد، فأما الملك فإنه بعدما انقضت المعركة رجع الى شقراء ونزل فيها وأرسل لسلطان بن بجاد، يدعوه للمواجهة بدون أمان، فما كان منه إلا أن أتاه ومعه ثلاثة عشر من أبناء عمه، ومن أشرار الخلق الذين قتلوا الناس، وكان الملك قد سقط بيده رجل من الأشراف أهل الخرمة، يدعى محسن بن شاهين، ومعه رجل آخر من سبيع بني ثور، اسمه مناحي بن هليمة، فقتلهم من ساعته لأنهم أحدثوا أحداثا كثيرة في جنبات الخرمة، وأما ابن بجاد ومن معه، فإنهم أتوا عند الإمام بصيوانه الخاص، ولم يتكلموا بشيء إلا واحد منهم اسمه خالد

بن قشعان، وهو من المحيا الروقة، بأن قال للملك هذه الكلمة (تا الله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) فرد عليه الملك بقوله يا عدو الله تريد أن أقول لك (لا تثريب عليكم) بل عليكم التثريب واللعنة، وكان هذا القائل، رجل شرير، معروف بسفك الدماء، فما انقطع كلامه حتى قال الملك : حددوهم بأرجلهم، فلما أخذوا يقيدونهم التفت علوش بن خالد، على ابن عمه سلطان، وهم يقيدونهم فقال له (اتراه صخى فينا ؟)[1] .

وكانت وقعة السبلة، قد جرت في ١٩ شوال ١٣٤٧هـ، ويقال إن هذا التاريخ ـ يعني ١٩ شوال ـ أن وقعة النهروان جرت فيه بين الإمام علي، والخوارج، وانتصر الإمام علي على الخوارج . ثم بعد ما جهز ابن بجاد وجماعته الى الرياض حبسهم فيه، ولا عند احد علم منهم بعد حبستهم، ثم توجه في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، ومر بالقصيم ونزل على الرس وأرسل لمعجب الغيداني، وكان في الشبيكية، وطلب من اميرها هندي الذويبي أن يسلمه، فساق على عبدالعزيز وجاهات دونه، ولكن عبدالعزيز لم يقبل إلا تسليمه له، فحلف عبدالعزيز إن لم يحضر معجب الغيداني، انه يجعل الشبيكية ارض بيضاء، فسلمه له، فأرسله يحبس مع أصحابه المذكورين وهو معهم الى الأبد، ثم توجه الملك من الرس يريد الحج، وحج بالناس سنة ١٣٤٧هـ . ثم بعد الحج دخلت سنة ١٣٤٨هـ وفيها قامت فتنة الدهينة، واسمه مقعد، وهو رئيس المساعيد من النفعة من برقا من عتيبة، فأشعل في نجد فتنة شعواء،

[1] نهاية ص ٢٤٠من المخطوطة

وأكثر قبائل البدو احتاروا في أمرهم، حيث إنه يرد عليهم كتب من زعماء الثورة، ويقولون لهم قوموا معنا، فنحن على حق وابن سعود على الباطل، فأصبحت البادية ملتبس عليها أمرها، فمن ذلك ما رواه لي الشيخ عبدالله بن بليهد، حينما كان قاضيا في الفوارة، وكان رئيسهم حجاب بن نحيت، من قبائل حرب من بني سالم، بأن الشيخ ونحن في الطائف، قال لي : أنه أتاني حجاب بن نحيت، حينما اشتدت فتنة الدهينة في نجد، فأتاني حجاب في بيتي ومعه اثني عشر رجلا من كبار الشخصيات، فقال لي : يا شيخ، انا جئتك بهؤلاء الجماعة، وقصدي ان يكونون شهودا على ما اسألك عنه، وعلى ما تجاوبني عليه، حنا يرْد علينا من الإخوان كتب، يقولون حاربوا معنا، حنا الذين على الحق وابن سعود على الباطل، وابن سعود ترْد علينا كتبه ويقول فيها قوموا معي، أنا الذي على حق، ومن حاربني فهو على الباطل، وكنا نقرأ الكتب من الطرفين، فالتبس علينا امرنا، فلم نتبين من الحق معه حتى نتبعه، ونحن فوضنا أمرنا الى الله ثم إليك، لأننا نريد منك حجة لنا عند الله، وأن ترشدنا في أمرنا، فإنا أتيناك مسترشدين وضالتنا هو الحق، وهؤلاء الرؤساء شهود علي بما أقوله وبما تقوله لي، فأعطنا ما عندك مما علمك الله، اقتداء بالقران وبالسنة، هل نحن نجاهد ابن سعود، أو نجاهد الإخوان ؟ قال الشيخ : فقلت لهم على الفور رُزق الهدى من للهداية يسأل[1]، فأنا أقول لكم ولا شك عندي فيما أقول، قوموا مع ابن سعود على البدو الناكثين للعهود، فهو والله الذي على الحق، ومن خرج عن طاعته وحاربه فهو على الباطل، وقتاله واجب، والله الهادي

[1] نهاية ص ٢٤١من المخطوطة

الى الصواب، فقاموا من عنده قانعين طيبة نفوسهم بما قاله لهم، ثم غزوا بسرعة وجهزوا ١٨٠٠ ذلول، فأغاروا ثلاث غارات في غزية واحدة، وكلها يهزمون ويغنمون، وأخلصوا أمرهم لله ثم لعبدالعزيز بن سعود، وهذه بركات العلم.

وفي هذه السنة أغار غزو من الدلابحة على أهل البدايع من ضواحي عنيزة، وفزعوا عليهم وقتلوا من أهل البدايع ٢٤ رجلا. وفيها غزا عبدالعزيز بن مساعد من حايل، وصدف غزو عبدالعزيز الدويش فنصره الله عليهم، وقتلهم جميعا، وعددهم ٧٠٠ رجل، ولم ينج منهم إلا المخبر، ولما أخبر فيصل بقتلهم مات من غب يومه. وفيها غزا الإمام عبدالعزيز وأغار على مطير العبيات والدياحين والبرزان، فأخذهم جميعا، وخيم على خبارى وضحى، وطلب عبدالعزيز من دولة العراق أن يسلموا الدويش له، فأتوا به بطائرة وسلموه له ومعه ابن لامي وابن حثلين، فأخذهم وحبسهم في الرياض الى أن ماتوا. وفيها غزا فهد بن عبدالله بن جلوي من الاحساء قاصدا نقرة بني خالد، فدعى ضيدان بن حثلين من هجرته بالصرار، ومعه عشرين من بني عمه، فأعطاهم الأمان، ولما تمكن منهم ربطهم وأوثق رباطهم ثم قتلهم صبرا وغدرا، فقتل هو بعد قتلهم بساعة واحدة، وهذه عواقب الغدر فإنه لا يمهل صاحبه ولا يعطيه فرصة يتمكن بها من تدبير حياته، وذلك أن ضيدان بن حثلين ومن معه قد انذروا فهد بعدما حبسهم، فقالوا له : إن بيننا وبين العجمان وعد، إن كان تأخرنا عن الساعة المعهودة فسيجهزون عليك، فأطلقني أو أطلق احد رجالي الذين معي، يقابلهم بالطريق فيردهم عنك، فقال : لو انه أتوني العجمان حاربين، قتلتك أنت واصحابك الذين معك، فجعل على كل

رأس منهم عبد قائم بسيفه، وقال لهم: إن سمعتم فيه بندق ثارت علينا من العجمان فاقتلوا هؤلاء المحابيس، فكبس العجمان فهد وجنوده بالليل، وقتل المحابيس وهم مقيدين بالحديد، ولكنه ما لبث ساعة واحدة بعد قتلهم حتى قتل وهزمت جنوده شر هزيمة، فكيف يصنع بالأمان الذي دعى به ابن حثلين وأصحابه، فالله حكم عدل ولا يضيع شيئا من حقوق عباده وهم عند ربهم يختصمون.

ثم دخلت سنة ١٣٥١هـ ، ففي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة[١]، قامت فتنة حامد بن رفادة، وهو من رؤساء قبيلة بلي، وقيامه على اثر دافع يدفعه من عبدالله الشريف، مزودا بجيش ومال وسلاح، ولكن الملك عبدالعزيز ـ أيده الله ـ أعد العدة للأمر قبل نزوله، وتلك سجيته رحمه الله، فجهز الجيوش الجرارة، واستدعى بقائد محنك من قواد أهل نجد الصادقين في ولائهم الماضين في عزيمتهم، وهو عبدالله بن محمد بن صالح بن عقيل، وزوده بكل ما تتطلبه الحرب، ورتب المؤن والشؤن والذخائر والأسلحة في كل بلد يمر به، فجمع الله بينه وبين عدوه في سفح جبل، يسمي شار وهو من جبال الحويطات شرقي ضبة، الفرضه المشهورة على الساحل الشمالي، فكبسهم على غرة وهم قائلون، فقتلهم وغنم منهم، ولم ينج منهم إلا المخبر فقط، وبذا يحق لنا أن نورد قصيدة ليلى الأخيلية في الحجاج الثقفي، ونجعلها ملائمة للملك عبدالعزيز وهي قولها:

أحجاج لا يفلل سلاحك إنها المنايا[٢] بكف الله حيث تراها

---

[١] نهاية ص ٢٤٢من المخطوطة

[٢] في الأصل " احجاج لا يفلل سلاحك انما ... يمينك بكف الله حيث براها "

أحجاج لا تعط العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها
إذا ورد الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى داءها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... همام إذا هز القناة سقاها

إذا ذكر الحجاج رز كتيبة ... أعد لها قبل اللقاء قراها
أعد لها مصقولة فارسية ... بأيدي رجال يحلبون صراها
فما ولد الأبكار والعون مثله ... بوعر ولا أرض يجف ثراها

فقد شاهدت في الملك عبدالعزيز هذا السر العجيب، فمعظم حياتي وانا أتقلب سنينا في خدمته، ومحضت حياته فرأيت أن كل شخص يضمر له سوء، يخونه زمانه، وكل إنسان يشتهر بعداوته ينعكس أمره عليه، وكل إنسان يغدر به يمكنه الله منه، وكل انسان يناوىء عدوا له على حربه يصيبه الخذلان قبل أن يفعل شيئا، وكل إنسان يبغضه بقلبه ولو لم يصرح به لسانه يبتليه الله بدنياه ما يشغله عن بغضه، وكل عربي له فكر ثاقب، قد أمده الله بنور البصيرة وتدبر ما قلته عنه فيما شرحته من سيرة حياته فإنه لا يكذبني.

وفي ١٣٥٢ و١٣٥٣هـ، قامت فتنة الأدارسة باليمن، ورئيسهم، الحسن بن علي الإدريسي، ثم قامت فتنة الإمام يحي، صاحب صنعاء، وهو عند تحديد الحدود بين المملكتين[١]، فكل ما يطلبون من جلالة الملك أن يتنازل عنه لهم يعطيهم ما طلبوا بدون تردد، وفي آخر الأمر لم يوفوا بعهودهم معه، وكل هذا وهو يعاملهم بما جبل عليه من مكارم الأخلاق، فلم يجد فيهم نفعا، ولكنه حينما رآهم جنحوا للصلح ورغبوا به، انقاد معهم، ثم إنه تنازل لهم عن الحديدة، المشهورة بخيراتها وإيراداتها، وذلك كرما حاتميا لم يظهر له

---
[١] نهاية ص ٢٤٣من المخطوطة

نظير ولا مقارب، ثم انعقدت معاهدة الصلح بينهم وانطفت الفتنة، ولكن الضغائن والأحقاد كامنة في الصدور، فمن ذلك إنه حدث في آخر تلك السنة أي ١٣٥٣هـ في يوم عيد الأضحى صباحا تحت ستار الكعبة، قام حادث الإغتيال لجلالة الملك، حماه الله من سوء ما تهواه النفوس الأثيمة، إذ قام عليه ثلاثة من اليمن وهو يطوف بالبيت العتيق في يوم عيد الحج الأكبر، واعتدوا عليه شاهرين خناجرهم، فرد الله كيدهم في نحورهم، وقتلوا جميعا في تلك البقعة الشريفة، جزاء ما فعلوه، والحمد لله الذي سلمه من كيد المعتدين الملحدين، ولا يجوز لنا أن نخوض بدون علم فيمن دبر أمر الحادث إلا ما نثبته حقا وصدقا، وكل يلاقي جزاء ما عمل، ونكل كل شيء غاب عنا الى الله.

ولنبتدي بتاريخ الكويت وعمرانه، وإن أول بدايته قرية ثم مدينة ثم عاصمة، فذكر المؤرخون أن الكويت كان ساحلا لبني خالد، البدو الرحالة، وكانوا يبنون فيه أكواخ ويضعون فيه ازوادهم، فإذا رحلوا منها يجعلون عليها حارسا منهم لم يظعن معهم، فجاءت قبيلة آل صباح من خيبر، وسكنوها معهم بإذن منهم، ثم انتخب صباح اميرا على العشائر الساكنين بها، وكان صباح من سلالة وائلية من ربيعة، وكانت تلك الإمارة سنة ١١٤٦ هـ، ثم توفي صباح سنة ١١٩١ هـ بعد أن دام في إمارته ٤٥ سنة، ثم تولى بعده ابنه عبدالله، الذي توفي في سنة ١٢٢٩هـ، وكان عبدالله الصباح أول من حكم الكويت من آل صباح، فدام حكمه فيها نحو ٣٨ سنة، فاتسعت الكويت في عهده وانتشر ذكرها في الخليج الفارسي، ثم خلفه ابنه جابر، ثم خلف جابر ابنه صباح، ومن أولاد صباح الثاني، ثلاثة كلهم

تولوا الحكم بعده، الأول عبدالله الثاني، الذي حكم ٢٦ سنة، ثم أخوه محمد، الذي حكم أربع سنين، ثم أخوه مبارك، الذي استمر حاكما ٢١ سنة بعد وفاة الشيخ عبدالله، ثم تولى الحكم ابنه محمد، وكان عبدالله قد خلف ثلاثة أولاد، وهم محمد وجراح ومبارك، وكان جراح يوالي لأخيه محمد دون أخيه مبارك، وكان شريكه في الحكم، غير إنه لم يكن رسميا، فاشتددت المنافسة بين مبارك وأخويه محمد وجراح، أما مبارك فكان ذا بأس ومضاء وعزم صارم، غير أنه يتسرع في أعماله كلها، وكان جراح صاحب النفوذ الأكبر في الحكم، ويحب المال بقدر ما يحب مبارك المجد والشهرة، وكان محمد وجراح يمقتون سياسة مبارك[1]، ويسيئون المعاملة معه، ويمسكون عنه المال ما تقتضيه نفقاته الضرورية، فصبر بضع سنين على هذه المعاملة، وأبى ان يقضي على مضض حتى نفد صبره، وكان يرى فوق ذلك أن أخويه محمد وجراح هم الذين كانوا حجر عثرة في مجد آل صباح، وهم الذين حالوا دون نهوض الكويت، فصمم على الفتك بأخويه محمد وجراح، ناقم عليهم أنهم يحتجنون المال عنه، ويستأثرونه لأنفسهم دونه، مع إنه حدثني الشيخ يوسف القناعي، أن ما كان يدخل صندوق الكويت من الوارد في وقت ما قتل مبارك أخويه لايزيد على مائة الف وستة الاف ربية سنويا، وكان مبارك في الأيام التي قتل أخويه فيها، وهو مقدم لهم قائمة أن عليه طلب للناس، والطلب يبلغ ٧ ألاف ربية، يريد بذلك أن يسددوها عنه، ولم يصغوا له بسمع واع، وكان من الأسباب الداعية لقتلهم أن محمد بن رشيد، أغار على العجمان، فوق مكان يسمى حمة،

[1] نهاية ص ٢٤٤من المخطوطة

وأخذ ما معهم من الماشية، فطاحت عوائلهم في الكويت، والتجأ راكان ومعه بعض الرؤساء الى مبارك ومحمد وجراح، وكان راكان بن حثلين مهيجا ومثيرا للفتن، وهي سوقه التي يتجر بها، لا سيما وأنه نظر خاطر مبارك منحرف عن إخوته، وقد بلغ معه الغيظ أشده، وكان مبارك في ذلك الوقت معتزل إخوانه في قصر يسمى الشويخ، ولم يدخل الكويت من قصره إلا نادرا، فحدث ذات يوم أن مبارك أعطى لراكان طير وحشي لم يألف الهدد، فكفخ الطير من يد راكان وشهر في الجو، ولم يعلم اين وجه، فأتى الى مبارك وهو خجلان، فقال له : اين الطير ياراكان ؟ فقال راكان على الفور:

الطير ياريف المراميل يفداك	ابي العوض به منك خطو النداوي
ابي العوض منك اسمر كنه اياك	حر يصوط الجول ما هوب ياوي
والا اشقر جعل المنايا تعداك	يشهر بجنحانه عطيب الاهاوي
ياشيخ يا اللي كل من خاف ينصاك	حامي عقاب الخيل يوم العزاوي
سلة صقيل الهند خله بيمناك	لزمة قضابه ما تجيب المناوي
وطوع به اللي عاصي من دناياك	واترك حكيا يا شيخ من كان ثاوي
من شار عان وجملة العلم ينصاك	وراسي لكم في كل حال فداوي

ومراده بقوله "سلة صقيل الهند خله بيمناك" يعني العجمان، يقول له متى تأتيك فرصة مثل هذه لتطوع بها العاصي من أقاربك[١]، فصمم على الفتك بهم، ولكنه أخفاها حسب ما يستطيع إخفاؤها، خشية ان تتسرب الأخبار إليهم، فكان صبره يتحين فيهم الفرصة، حتى ظفر ببغيته فقتلهم، وكان قتلهم في سنة ١٣١٣ هـ وتولى الحكم بعدهم الى سنة ١٣٣٤هـ، فكانت

[١] نهاية ص ٢٤٥من المخطوطة

مدة ولايته ٢١ سنة، وكأنه دخل من باب وخرج من آخر، ثم انقرضت حياته في هذه الصفة، وكان أميرا مهابا مطاعا وأحكامه كلها صارمة ولكنه غير مأمون أن يكون على قاعدة واحدة بل إنه لا يخلو من التقلبات .

ولنبدأ بتاريخ آل خليفة وإمارتهم في البحرين، أول أمراء آل الخليفة الذين ثبتت لهم السلطة بعد أن تولى الحكم الشيخ سلمان بن خليفة، وكان دائما مع أخصامه أهل الزبارة في حرب وقلاقل، ثم إنه توفي وتولى الحكم بعده الشيخ عبدالله بن خليفة، وهو الحاكم الثالث في البحرين من آل خليفة، ثم ثارت بعد ذلك فتن وحوادث وابعدت الشيخ عبدالله عن البحرين، ثم تولى الشيخ محمد حكم البحرين بعده، فقاتله أخوه علي، وهو والد عيسى بن علي حاكم البحرين المعروف، فقد قتل علي في المعركة في سنة ١٢٥٨هـ، ثم دخل محمد بن خليفة البحرين ولكنه لم يدم فيها طويلا، فقاموا عليه أولاد أخوه عبدالله، وقبضوا عليه واعتقلوه في قلعة للخليفة، وكان يرفرف على القلعة علمين، احدهما عثماني والآخر فارسي، ثم جاء الانجليز وبسطوا نفوذهم على البحرين، وعزلوا أولاد عبدالله عن إمارة البحرين واخرجوا عمهم محمد، من القلعة ونفوه الى عدن، ثم إنه عُرض على أهل البحرين من ترضون ولايتكم من ال خليفة ؟ قالوا : نرضى عيسى بن علي، الذي قُتل أبوه سابقا، فطلبه وولاه عليهم، وجلس في منصبه في شهر شعبان سنة ١٢٨٦هـ وعمره ٢١ سنة، وكانت قبيلة البحرين كلهم أخيار وكرماء وعندهم رأي وشجاعة ومكارم أخلاق تفوق الوصف، فمما حدثني به بعض أشياخ من أهل الحساء يدعى عبدالله العبدالمحسن الملحم، أن عبدالله بن خليفة، المتقدم ذكره، قد

استوزر برجل يدعى السيد عبدالجليل، وكان من سادات أهل المدينة، وكان يقيم عند عبدالله بن خليفة محترما مكرما وكان شاعرا أديبا، وكان هو الذي خمس لامية ابن الوردي على هذا النسق:

كل من في الشعر حقا نظما زاده بين الرعايا عظما
واجله جميع العظما فهو عنوان على النفس وما

أحسن الشعر اذا لم يبتذل

انما الايام في حالاتها طبعها جلب الاذى في ذاتها
تتبع التنغيص في لذاتها اطرح الدنيا فمن عاداتها

تخفض العالي وتعلي من سفل[1]

وحدثني ذات يوم أنه كان بالأحساء علماء أفاضل، فاجتمعوا وكتبوا للسيد عبدالجليل يطلبون زيارته إليهم، وكان محبوبا، فلما زارهم ونزل عندهم ساحوا به على أعين الحساء وأنهاره، ورأى عندهم نهر يسمى برابر، عذب بارد فأعجبه ذلك النهر، وكان يعرف عيونا في البحرين ملح أجاج، وكلها للخليفة، فمنها ما يسمى أبو زيدان ومنها ما يسمى الكرش، ومنها ما يسمى عذاري، ومنها ما يسمى الرحى، فبوجوده في الأحساء وبسبب إكرامهم له نظم قصيدة يمدح فيها برابر ويهجن أنهار الخليفة فقال فيها:

[1] نهاية ص ٢٤٦من المخطوطة

دع الكرش تصلي بالسموم صباخها وما كان ابو زيدان ممن يفاخر
وما للعذار في عذاري ولا الرحى مقام اذا لاحت لهن برابر

وهي في قصيدة طويلة، ولما علم الشيخ عبدالله بن خليفة في القصيدة انحرف عن السيد، وتجافى عنه، وداخله وحشة من معاشرته، ثم عرفها السيد من نفسه وتباعد عنه، وكان السيد يتجر في اللؤلؤ، وقد كان في أول قد اشترى من اللؤلؤ بمبلغ دينا بذمته، لم يدفع من الثمن شيئا حاضرا، وكسد اللؤلؤ كسادا مفظع، ونشب بيده جميع ما اشتراه سابقا، وقربوا منه أهل الطلب يطلبونه حقهم ولا يمهلونه، وكان طلبهم عليه يبلغ خمسين شامي، والشامي ثلث ريال أي ما يقابل ١٧ الف ريال فرانسي، فتحير في أمره، فهو إن كسر اللؤلؤ وباعه بالقيمة البخس، لم يوف طلبه ولا بعضه، وتبقى ذمته غارقة بالدين، فأصبح يفكر في المخرج، وكان له زوجة صالحة صاحبة عقل ورأي، فاستشارها في أمره ماذا يصنع ؟ فقتالت له : اذهب الى صاحبك الذي جفاك، وارم نفسك بأحضانه، حتى تشاوره وتنظر ماذا يقول لك، فوافاه بعد صلاة العشاء الآخر وهو في المسجد، فقص عليه القصة، ثم إن عبدالله بن خليفة قبض على يد السيد وذهب به الى بيته، وبعد أن جلسوا، دعى بوكيل بيت ماله وهو غلام طواش، يسمى جوهر، فقال له: اذهب هذه الساعة، وافتح بيت المال، واحمل منه خمسين كيس، كل كيس ألف شامي، وسلم الجميع لزوجة السيد عبدالجليل في بيته، ثم ارجع واخبرني قبل أن يقوم من عندي، فإني لا أسمح له بمفارقتي حتى تأتيني، فحملهن الوكيل حسب ما أمره به، وأتى جوهر راجعا فأخبره بأنه نفذ ما أمره به، فحينئذ التفت عبدالله

بن خليفة الى السيد، إذا أردت أن تسري الى أهلك فتوكل على الله، فمضى من عنده شاكرا وهو لا يعلم بالذي حصل، حتى دخل بيته ووجد النقود عند أهله[١] فاخبروه بما حصل، فشكر ودعى لمن أولى الإحسان، فلما مضى عليه ثلاثة شهور، صعدت أقيام اللؤلؤ صعداتها الجنونية، فباع وكسب مكسب عظيم، فأتى إلى وكيل بيت المال، فقال : أريد ان تستلم مني القرض الذي أنا استقرضته من سيدك، فقال له الوكيل : أنا سلمتك بأمر، ولن أستلم إلا بأمر مثله، ـ قال ـ فذهبت إلى الشيخ عبدالله، فقصصت عليه ما منحنا الله به [من] الرزق على يده، ثم إني أخبرته بخطاب صاحب بين المال وإنه أبى إلا بأمر منكم، فتكرموا علينا بإصدار أمركم عليه ليستلم منا مقابل ما تسلمناه منه، فكان جواب الشيخ عبدالله بن خليفة : لم أمره أن يستلم، فإنا لسنا بصيارف نسترجع قرضنا، نحن قوم لا يرد لنا قرض اقرضناه . فحي الله الرجال أهل الكرم والإحسان وإغاثة اللهفان، فانظر ايها القارىء الكريم الى مكارم الأخلاق التي وهبها الله للعرب دون سواهم من الأعاجم، والله ولي الهداية والتوفيق، ويشهد لما ذكرناه، مكارم أخلاق عيسى بن علي، حاكم البحرين وهو الخلف لمن سلف، فاسمع، فمن ذلك ما رواه لي محمد الحسن ابو عاشه، وهو رجل من أهل القطيف وله ملك بالاحساء، فقال اننا في سنة ١٣٢٦هـ قدمنا الى ميناء البحرين راجعين من حج بيت الله الحرام، وكان في ذلك كل حجاج الخليج الفارسي ينزل في البحرين ثم يتفرق منه، فال فلما قدمنا في المرسى المذكور واردنا النزول من البواخر الى البر، تكرم الشيخ عيسى بن علي، حاكم البحرين

---

[١] نهاية ص ٢٤٧من المخطوطة

بأن اصدر أمره السامي الى ناظر الرسوم الجمركية في البحرين أنه لا تفتيش على أغراض الحجاج، فهي معفية من الرسوم، قال فكنا في مراكبنا تلك الليلة لم ننزل إلا في الصباح الباكر، قال وكان في المرسى غير مراكب الحجاج، مراكب تحمل بضائع التجار، وهي آتية من الهند، فلما علم وكلاء البضائع أن الحجاج معفيين من الرسوم، شحنوا بضائعهم في السفن وخالطوا بها مراكب الحجاج ليوهموا أنها من أغراض الحجاج، فلما وصلوا الى الفرضة جميعا، وتبين ما كان للحجاج وما كان للتجار، فتوقف ناظر الجمرك عن الفسح للبضائع كلها حتى يراجع الشيخ عيسى ويبلغه بما رآه، فلما بلغه بذلك، رد عليه قائلا هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فافسح لهم بالخروج ومن دخل معهم، فخرجوا جميعا من الفرضة سالمين من الرسوم .

ثم روى لي قصة ثانية، بأنه أتى على عيسى بن علي، رجل من الصقور، من عنزة، وكانوا يرون أنهم أبناء عم للخليفة، وهم كذلك، فطلب منه أن يكون خادما عنده من ضمن خدامه، فأذن له بأن وافقه على مايريد، فطلب الخادم طيرا حرا يقنص به، فأعطاه[١] ما طلب وذهب به للقنص، فأتاه ذات يوم فقال: ياشيخ عيسى الطير أبى أن يطلع على الصيد إلا بكلب صيد يصحبه، أطلب أن تأمر لي بكلب صيد، فأعرض عنه الشيخ عيسى في باديء الأمر، ثم إنه بعد مدة أعاد الطلب على الشيخ عيسى ثانية، فما كان جواب الشيخ عيسى إلا أن قال : ياعنزي حنا عطايانا ليست بكلاب، أعطوه ياعيال هذه الفرس الصفراء الحمدانية، ثم أرخص له أن يذهب هو وفرسه وطيره، وقال له

---

[١] نهاية ص ٢٤٨من المخطوطة

ليس لك عندنا مقام . فانظر كيف ترفع بشيمته عن إعطاء الكلب وجعل محلها فرس .

ورويت ايضا أن راكان بن حثلين رئيس العجمان، حينما جرى عليه تلف ماله ورجاله، بعد الوقعة المشهورة التي تسمى وقعة الطبعة، حينما أغار عليهم الإمام عبدالله الفيصل، فأخذهم وساقهم على البحر وهلكوا غرقا في البحر، فما بقي إلا راكان وشرذمة قليلة معه، فإنه نزل في البحرين ضيفا عند الشيخ عيسى بن علي وذلك في سنة ١٢٨٨ هـ وكانت وقعة الطبعة قبل نزوله على البحرين بسنة واحدة، فأقام عند الشيخ عيسى ضيفا معزوزا مكرما، وكان راكان يتهم بالفساد وكثيرا ما يشبب بالنساء، فحدث ذات يوم أن الشيخ عيسى وأقاربه وحاشيته خرجوا يتقنصون الصيد، وكان راكان وزوجته إبنة عمه حزام بن حثلين، قد دعت نساء الخليفة لبيتها تريد إكرامهم، فأجابوها لما دعتهم إليه، فساروا اليها بعد ما سنحت لهم الفرصة بغياب ازواجهن، فحينما أتتها جارية من جواريهم تخبرها بمجيء عماتها وكان راكان جالسا عندها في البيت، فقالت له ارفع روحك ياراكان عنا، جئننا حريم الشيوخ، فقال يا ابنة عمي خليني أنظر اليهن متى أقبلن، ثم أخرج من الباب الثاني، فاقبلن يمشين دفعة واحدة، وكان عددهن ٦ نسوان، وكان الخليفة، فيهم غيرة على نساءهم شديدة، وكانت تتقدمهن زوجة الشيخ عيسى، وهي تلتفت اليهن وتومىء لهن بأن أسرعوا، فنظر اليهن ثم خرج من الباب الثاني، فأكلن وشربن عند زوجته ورجعن الى بيوتهن، فلما كان من الغد قال قصيدته هذه تلهفا:

امس الضحى جريت بالصدر ونة　　في روشن عقب الشيوخ المناعير
واشوف غزلان المها يدهلنه　　ويوسعن صدورهن بالتسايير
عزي لمن بيض الصبايا كونه　　واحيه من كي البني الغنادير
معهن كما القايد وهن يتبعنه　　مثل الغزال اللي ترب الدعاثير
تصلح لمنه يلحق العود فنه　　الى اقبلن ذلي وذلي مدابير[1]
بمروبع روس العمد طوحنه　　يازين قدمه ربط خيل المسايير
ويازين لفح الصفر باذيالهنه　　ويازين لفح اذيالهن بالمعاذير
فان صاح صياح ورى النشر جنه　　ازراج بالفرسان مثل المظاهير
وتكاظمت ما بينهم بالاعنه　　وطير عجاج معسكرات المسامير
كم ابلج بين المحارف وطنه　　من ميمر صكت عليه الطوابير
ما طول منا يا زبون المضنة　　سلفان فينا يتعبون المداوير
واليوم دوك بيوتنا شيدنه　　بين الرفاع وبين ريف الخطاطير

ومراده بذلك قوله (ريف الخطاطير) يعني الشيخ عيسى، ثم إنه بعدما اطلع الشيخ عيسى على القصيدة، أمر على راكان بالرحيل عنه ولم يمهله غير ثلاثة أيام ثم يبارح البحرين قائلا له : ليس لك عندنا مقام، ولكنه استعطف الشيخ عيسى وطلب منه أن يمهله مدة خمسة عشر يوما، بزعمه أنه بعث قصيدة للإمام عبدالله الفيصل يستعطفه بها ويطلب النزول عنده، فكان بعد كتابه للإمام عبدالله الفيصل أن أتاه الجواب بالقبول وسمح له بالنزول عنده في الرياض، وأعطاه إبل وخيل كثيرة وبيوت شعر، وكتب لكافة العجمان أن ينزلون مع راكان جميعا، فليس في الوجه منه شيء، وقد برئت الذمة، وكان قد شفع استعطافه للإمام عبدالله وقد قالها وهو في البحرين حينما رأى الجد من الشيخ عيسى بأن قال:

---
[1] نهاية ص ٢٤٩ من المخطوطة

قال المعيضي بالضحى عدل القاف لديار سمحين الوجيه الكرامي
في مجلس ما اقدر اديره بالاوصاف وفي روشن غنى بركنه حمامي
وخلاف ذا يا راكب فوق هياف بالتيل مقتفيه هبوب الولامي
الى اقتحم زوره على بعض الاسياف الى به ثلاث مكرمات همامي
بواطن مثل الادام بالاوصاف وان روحن يشدن لجول النعامي
فلا لفيتوا غب الاسرى والاتلاف (بديار سمحين الوجيه الكرامي)
سلم على اللي كنهم دولة اشراف واختص أبو تركي كثير السلامي
قل والله لولا جمعك اللي له ارداف ودولة هل العوجا سواة النظامي
اني لاعد لهم على كل مشراف فعل يعدونه جديد وعامي
بين المطيري والظفيري وعساف ننزل ولو جانا النذر والزحامي[1]
وعادتنا عند المظاهير ننشاف الى طار ستر معورجات الوشامي
وبايماننا نروي غضب كل هياف وحدب الظهور اللي تقص العظامي
زانت لمغلول جداه التلهاف طول لسانه فعل ولد اليمامي
حنا كما طير على راس مشراف صيده سمين من جلال الادامي
جاه اشقر في مخلبه سم الاتلاف طقه الين اطراف ريشه عدامي

وكان عساف هذا المذكور هو شيخ سبيع بني عمر، وهو عدو لراكان، هو وقبيلته وكانوا يلقبون سبيع الغلبا، وكانوا كلهم فرسانا، ويقول فيهم راكان:

بني عمر في حربهم سم ساعة والى كسرناهم هل الغلبا يعيون
هم فواح القدر وحنا قناعه نقدع شباهم كل ما جوا يعيلون

ولما أن راكان فارق المنامة على الصفة التي ذكرنا، نزل ضيفا على عبدالله بن حسن الدوسري من الوداعين، وكان هو أمير جزيرته البديع، تبعد عن المنامة مسيرة ثلاث ساعات، فأكرمه

---

[1] نهاية ص ٢٥٠ من المخطوطة

وأحسن منزله، ثم إنه أقام عنده أيام قبل أن يرتحل من بلدهم، وكان عبدالله بن حسن مشهورا بالكرم، ثم إنه دفع لراكان طير يقنص به، في بلدهم، فلم يتوفق في مقانيصه كلها، فقال هذه القصيدة يخاطب بها عبدالله بن حسن المذكور:

يابو حسن طير الهوى خبث البال	الطير نزرا والحباري قليلة
ياما حلا وان جا من القفر خيال	واصبح شديد البدو عجل رحيله
عز السلف واستجنبوا كل مشوال	وعند العشا ما احلا تخابط نزيله
وان صاح صياح ورا طارف المال	وجنه هجيج الصيد حامي جفيله
وتكافخت باطبابها شهب الاذيال	ومن ضيع المفتاح وعزتي له
ولحقت بكل مجرب ماضي أفعال	وغدى بصيد والحبارى مثيله
وتريض اللي يلبس الجوخ والشال	ومن صنع داوود دروع ثقيلة
هذيك راعيها عن المعرقة مال	وهذي شكلها مطرق ما تشيله
يا محلا الفنجال مع سيحة البال	في مجلس ما فيه نفس ثقيلة
هذا ولد عم وهذ ولد خال	وهذا رفيق ما لقينا مثيله

فلما وصل راكان الى الإمام عبدالله الفيصل وقابله بتلك المقابلة التي ذكرناها(١)، وكانت من قدرة الباري أن تكون تلك القوة التي دعم راكان وجنوده بها وأمر على العجمان أن ينزلون مع راكان . كل ذلك كان تمهيدا لوقعة جودة، بين سعود وعبدالله، بقيادة محمد الفيصل، وقد انهزم محمد الفيصل هزيمة منكرة كما ذكرناه سابقا وبه ما يغني عن الإعادة، وأما سبيع والسهول الذي مر ذكرهم، فإن السهول بطن من سبيع، ومنهم الشاعر المشهور الذي اسمه فواز السهلي، فقد وفد على الإمام فيصل يستشفع لسبيع والسهول حينما عاثوا في الارض مفسدين،

(١) نهاية ص ٢٥١من المخطوطة

فكانوا يغيرون بالطرقات ويقطعون السابلة بين البلدان، فحينما وفد على الإمام فيصل قال بحضرته هذه القصيدة:

يا حاكم بالعدل جعل عمرك يطول   حطك الله غيث للضعوف المستحين
طالبك العفو عن سبيع والسهول فانهم لك سامعين طايعين

وكان الإمام فيصل ممتلئا غيظا على سبيع والسهول، فلم يعجبه كلام فواز ولم يقبل فيهم شفاعة فاخرج من سيفه قدر ثلثه وتهدده بالقتل، فعرف ما في نفس الإمام فيصل وعدل بالقصيدة لما يرضيه، فقال:

اتعذر دونهم ربع خبول   والجرب لو غط صيوره يبين
اشهر الهندي وسنه للأعراب   واحذف الجاهات والله لك عوين
الأعراب اشد كفر ونفاق   قاله الله والاعراب مكذبين
يسفكون الدم والمطعم حرام   واشهد ان ما دينهم هذا بدين

فقال له الإمام فيصل سلمت، وكان من قبل يريد أن يفتك به. ونظير ذلك ما رويناه عن بديوي الوقداني، شاعر الشريف عبدالله بن عون، فمن ذلك أن له صديق مولعا بصحبة البدو على الدوام، وكان معهم أينما رحلوا وأينما حلوا، وكان اسمه عبدالعزيز، فقال له:

عبدالعزيز القرم ياسبع غابة   وش الذي في صحبة البدو نشبك
البدو ياباغ من البدو ثابة   البدو لو تلقى معك شي تنهبك

ان جوا على العيشـــة ســـواة الذيابة وعدت مخالبهم عن الزاد مخلبك
احذر تطرف ياخذونك نهابة والا تخاويهم يحتون مزهبك
كب البدو يا جعلهم للذهابة حيث ان مذاهبهم تخالف لمذهبك
الديك لو اذن عليه الجنابة والكلب لو لبسته الطوقة ما اعجبك[1]

فصل في قبيلة عتيبة

وأصلهم هوازن، وهم ثقيف، هم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين، وثقيف بطن من هوازن، كما إن سبيعية السهول بطن من سبيع بني عامر، ولكن الان عتيبة دخلهم أحلاف من القبائل واندمجوا فيهم وليسوا منهم، فمنهم الكرزان من المقطة، وهم جماعة محمد بن هندي بن حميد، وسلفه الذين ينتسبون لحمد وهو جد العائلة هذه التي تسمى (الحمدة) فتقول عتيبة إذا نسبوهم : ذوي حمد، وقد اخبرني بتسلسل نسبهم، خالد بن ضويان، في سنة ١٣٢٤ هـ وكنت قد اجتمعت به في بلد القويعية، وهو ابن عم المسعود، القبيلة في (الشعراء) وهم امراؤها الان، ونسبهم من العيسى من بني زيد، أهل شقراء، فقال لي إن حمد هذا جد الحمدة، وهو من كرزان البقوم الذين رئيسهم ابن جرشان، وربما أن يكون هذا النسب قريبا من الصواب، لأننا شاهدنا أيام القوامة بين البدو، يوم كل قبيلة تغير على الأخرى، وقد كان الحمدة انفسهم يغيرون على القبائل، ولا ذكر انهم نقصوا قبيلة البقوم بشيء، وفعلا قد اغار جهجاه بن حميد على إبل لم يتحقق من هم أهلها،

---

[1] نهاية ص ٢٥٢ من المخطوطة

فلما حداها رأى عليها وسيمة الكرزان من البقوم، فنفض جيشه عنها وأبقاها بيد رعيانها .

ثم نرجع الى ما أخبرني به خالد بن ضويان عن نسب الحمدة، فقال إن جدهم اسمه حمد، وإنه نزل مع عتيبة، جار لهم، وكان سخيا، وعنده رأي صائب، ففرحوا به، فكانوا يستتشيرونه في حلهم وترحالهم، وذلك قبل أن يفيضون على نجد أيام ما كانت منازلهم في أعلى ركبة في عشيرة، والمحدثة، والمبعوث، والخرايق، وسامودة، والقرشية، ووديان الطايف مثل جليل، وهو وادي الدعاجين، والاخيضر وهو وادي العصمة، وذلك في مبتدأ القرن الثالث عشر، وقد اخبرني شيخ من هوازن طاعن في السن، يدعى العبود وهو جد العبابيد الموجودين الان، وهم رؤساء قبيلة القثمة من برقى، وقد اجتمعت فيه! في مكة عام ١٣١٧هـ بإن قال لي : والله ياولدي اني اخبر إذا اردنا نرد مران ـ وكنا نسميه محدارـ بان نقول انحدرنا، اننا نأخذ معنا دليل يدلنا مران، فهم ولا شك انهم أول من ساح في ارض نجد من عتيبة، هم الرباعين واتباعهم من الروقة، ورئيسهم محمد بن ربيعان، فهو الذي ارتكزت رئاستهم عليه، وهو الذي حضر مناخ المربع بين مطير وعنزة عام ١٢٤٨ هـ . ولنرجع لنسب الحمدة، فكان حمد كما ذكرنا، شيخ للشد والترحال، وليس له مغازي أو رئاسة للغزو(١)، ثم إن حمد رزق ولدا، وهو حميد المذكور وكان على منوال ابيه إلا أنه كثر(٢) اتباعه ممن كان ينزل معه ويرحل معه، وكانوا عتيبة إذا ذكروا رجلا من الحمدة بمفرده قالوا فلان بن حميد، وإذا

(١) شيخ الغزو يسمى عقيد وقد يكون الشيخ هو العقيد وقد لا يكون

(٢) نهاية ص ٢٥٣من المخطوطة

ذكروا العائلة قالوا ذوي حمد، ينسبونهم للجد الأعلى، وكان حميد هذا قد خلف ثلاثة أولاد وهم صنهات وهو الأكبر، وهندي، وشبنان، أما صنهات فقد خلف تركي المشهور، وربما ان له إخوان لم اعرفهم، و أما هندي فقد خلف ثلاثة من الأولاد اثنين هما دحيم وسلطان، وهما الكبار، و أما ولد هندي، فهو محمد بن هندي المشهور، وكانت ولادته متأخرة، فلم يولد حتى بلغ من عمر ابوه هندي ٨٣ سنة، وذلك أن محمدا هذا ولد عند اخواله وهم الكرزان من قبيلة البقوم، فوق ماء يسمى (بريم) من مياه حضن، قريب من تربة، فأتى البشير لوالده هندي يقول له أبشرك بولد، فكان هندي نازلا على ماء يسمى (دلعة) جنوب ثهلان، فلما بشره قال له هندي يا هذا البشير : الولد الذي انت تبشرني به ما يكون لي ان يطول عمري حتى اذوق نفعه، ولكن إذا كنت تريد البشارة فادفع مطيتك الى دحيم وسلطان، فهم فوق الحنابج من مياه النير، فهم الذين سيعطونك البشارة، ويرجون نفعه، فذهب اليهم كما قال له هندي، وبشرهم واعطوه البشارة ثلاث من الإبل، وكانت ولادته في سنة ١٢٦١ هـ ووفاته سنة ١٣٣٣هـ فكان عمره ٧٢ سنة، و أما شبنان فقد خلف عقاب الفارس المشهور، وكان يوم وقعة طلال يقول فيه شليويح حينما تخلف عقاب عن نصرتهم:

ربي رشانا بالامور الكباير　　　الله ولا فزعة عقاب بن شبنان

لأنهم استنجدوا به حينما بلغهم أن سعود الفيصل، قد سار من الرياض يريد الغارة عليهم، فأرسلوا الى عقاب يطلبون مساعدته فلم يحضر معهم، وقد هزموه بدونه، وأما ابناء هندي الكبار دحيم وسلطان، فأما ذرية سلطان فهم بجاد، وهو ابو سلطان وجهجاه وماجد وهوصان، ولم اعرف أولاده، وأما

دحيم اخو سلطان الاول فقد ادركت له ولدا اسمه مقعد، وكان رجلا طويل القامة وله أسنان بارزة (ابو سنون) وكان ولده منصر بن مقعد هو امير هجرته عروى، وهو الذي عابت يده أيام فتنة المحمل المصري عام ١٣٤٤هـ بمنى، وكل من عددنا منهم، فرسان لا يشق لهم غبار، وكان عقاب على رأسهم، وهو الذي قتل في وقعة ام العصافير على رأس القرن الثالث عشر، وكان تركي بن صنهات من فرسان نجد وهو الذي يقول أو هي لولده ضيف الله العفار:[١]

يا الله ياللي نطلبه دايم الدوم يا مخلف النية ببعض العزايم
يا نجد والله ما دخلناك بسلوم ولا نتب ورث جدودنا بالقدايم
صفى جنابك عقب ضايم ومضيوم واضحى جنابك عقب نطل العمايم
يا اللابة اللي كنها عسكر الروم والشور ينصى محتمين اللزايم

في قصيدة له طويلة، وكان تركي هو الملقب اخو شرعى، وقد خلف ثلاثة أولاد، ضيف الله وهو الأكبر ويلقب بالعفار، لانه إذا تمكن من الفارس من اعدائه لم يقتله، ولكنه يلوي حبل فرسه على رقبته فيعفر به في التراب، ويأخذ فرسه ويتركه لأصحابه، إما يمنون عليه أو يقتلونه، وبعد ضيف الله، أخوه عبيد، وقد قتله شالح بن هدلان، شيخ السحمة من قحطان، ورثاه أخوه ضيف الله بقوله:

يا ونتي ونة وجيع الحرارة الى وقف ما احتال والى قعد ون
عليك ياشباب نار المغارة عليك ترفات الصبايا ينوحن
من مات عقب عبيد جعله وداره لا ناشد عنهم ولا قايل من

[١] نهاية ص ٢٥٤من المخطوطة

يا اهل الرمك ياســـابقة كل غارة المنع لا يطري عليكم ولا حن
لين المعادي يحتمي بالزبارة ويشوف ضرب ارماحنا من غلبهن

وهي من قصيدة طويلة، فرد عليه شالح بن هدلان قاتل أخيه عبيد:

ياقاطع الحسنى ترى العلم شارة لابد دورات الليالي يدورن
ما اخبلك ياراقد على فم الخبارة ياكود من سمى بربه ويامن

في أبيات له، ومراده من قوله ياراقد على فم الخبارة، يقول إن الذي يقرب منا بغير عان يربطه عندنا، أو يستجير بأحد منا، فهو كمن رقد على خبارة، وهي بيوت الجرذان، فربما يخرج عليه حية من تلك الخبارة فتلدغه، وإن استجار بأحد منا فهو كمن سمى بالله وأمن من شرنا .

ولنرجع الى نسب الحمدة، ولهم اخ ثالث خالد بن تركي بن حميد، وكنت اعرف شخصه ولم استحضر أن له أفعالا يمتاز بها عن غيره، فأما تركي وهو أبوهم فناهيك به، فقد جمع بين الفروسية وبين الكرم وبين الأشعار الفصيحة والدين والوفاء بالعهود والمحافظة عليها وبين الشيمة ونزاهة العرض، ويعدل ذلك كله التوحيد الخالص، فهو من خيار الرجال رحمه الله، وقد توفي في سنة ١٢٨٠ هـ عند جبل صغير يسمى سناف الطراد، عند بلد ضرية، البلد القديمة المعروفة بأعلى نجد،

وكانت قتلته[1] تشبه قتلة بصطام بن قيس الجاهلي من بني شيبان، فقد كانت خيل تركي تطارد خيل مطير في ذلك المكان، وكان يوجد من بينهم رجل مخبل، ومشهور بضعف العقل، وقد وجد فرسا غاب عنها فارسها فركبها فلما رآه تركي احتقره وصرف عنه وجهه الى خيل اعدائه فانتهز ذلك الرجل فرصة غفلته فطعنه في عصبة رجله، وهي التي تسمى المشتدة، فكان فيها حتفه ومات في اليوم الثاني، فردم عليه في غار من غيران تلك الهضاب، وكانت قتلة بصطام بن قيس على هذه الصفة من رجل معتوه مثل هذا، وكان رحمه الله عنده إمام للصلاة لا يفارقه على الدوام كلما حل ورحل، وكان اسم هذا الإمام محمد بن خير الله، وهو معتوق للخليفة أهل الشنانة من أعمال الرس، وكان هذا المولى يقول الشعر بنفسه ويحفظ عن تركي أشعاره، وكان يقول فيه تركي هذه الابيات:

هذا محمد ما نبيعه بالاثمان	عبد مطوع شاعر مطرباني
حلفت ما ابيعه ولو قيل بحصان	والا من العيرات عشر وثماني

وكان تركي يزاعم قحطان وحرب ومطير، فلا يخاف ولا يكترث من اعدائه ولو كثروا، ثم إنه في بعض الأيام اتاه منجوب من طلال بن رشيد يرد عليه البرا، وذلك عادة للتنبيه، يعني البرا بمعنى برئت منك الذمة إذا أغرنا عليك، فلا تقول خاننا، ثم إنه في اليوم الثاني اتاه نجابا من فيصل بن سعود يرد عليه البرا أيضا، وكان الحاكمين قد تعاهدا على حرب عتيبة

---
[1] نهاية ص ٢٥٥من المخطوطة

وإبعادهم عن نجد حتى يردونهم الى الحجاز الذي أتوا منه، فقال تركي في ذلك المعنى يخاطب فرسه بأن قال:

يا سابقي شفت النكر والهوايل لابد من يوم تواشل دميه
من نقرة العارض الى باب حايل تعاهدوا ما بينهم بالحمية
بالعون جتنا من عزاز الحمايل حكام نجد القطع الصيرمية
قامت تواما ما بينهم بالشلايل واشوف لي شق توسع رفيه

في قصيدة له طويلة. وكان تركي صديقا يومئذ للشريف، ملك مكة، وهو عبدالله بن محمد بن عون، وقد كان جرى بينهم روابط راسخة، وكان الشريف عبدالله يحب العرب ويعز العرب، خصيصة له هذه المحبة للعرب دون سائر الأشراف، وكان يوجد عند محمد بن هادي، شيخ قحطان المشهور، حصان من اصائل الخيل، ومشهور عند البوادي كلها، واسم الحصان حرقان، وكان عبدالله[١] بن عون يربط الخيل الاصائل ويعتني بها، فحدث أن وصل عند تركي، نجاب من الشريف عبدالله ومعه كتاب يقول فيه استحصل لي حصان محمد بن هادي، المسمى حرقان، بمن أو بثمن، اريده علوة لخيلي، وكان تركي حينما اتاه النجاب وهو على شبيرمة الماء المعروف، وكان محمد بن هادي صاحب الحصان المذكور، على مواجه الماء المعروف بشعب جبلة، فركب له تركي وركب معه خادم الشريف ليري صدق ما يقول، فطلبه منه تركي بهذه الصفة، فكان جواب محمد بن هادي أن قال لتركي بن حميد : ادخل على الله، والله ما يفرق لها رجليه العسكري

---
(١) نهاية ص ٢٥٦من المخطوطة

عن ظهر حرقان، انت تبيه انت يا اخو شرعا لنفسك، فانت خذ حبله وقده، هو انت تبي تعطيه العسكري فانا معي راسي وانا ابو هادي، وكان بين محمد بن هادي وبين الشريف عبدالله حزازات بالنفوس، فمال فكره بمخالفة تركي ، وكان يود أن خادم الشريف ليس بحاضر المجلس، قال فقنع تركي ورجع الى أهله، واخذ بخاطره على محمد بن هادي، وكان يتحين فيه الفرص، فلما سنحت له الفرصة واجتمعت عليه عربانه، أرسل الى محمد بن هادي يرد البراءة عليه، فأغار بمن معه من قومه على محمد بن هادي، وكان جل مقصود تركي أن يقلع الحصان ويهد يده على الشريف إجابة لطلبه، فلما تطاردت الفرسان وكل علق رمحه بظهر قرنه، نظر تركي وإذا حرقان هو الذي تحت محمد بن هادي يطارد عليه، ولم يود قتلة محمد بنفسه لانها تفتح باب شر عليهم، فهمّ بقتل الحصان، فارخى العنان لفرسه قاصدا محمد، فلما قرب منه قال : يا محمد الرمح انطلق من يدي ولم املكه، اختر أن يكون بك والا بالحصان ؟ فقال : بالحصان يا أخو شرعا، فطعن الحصان فقتله، واستاقوا ما اخذوه من الابل، وبعد هذه الوقعة عزم تركي أن يركب الى الشريف عبدالله ليخبره بما وقع، وانه قتل الحصان الذي منع منه، فلما هم بالركوب طلب من ابن عمه عقاب بن شبنان فرسه ليهديها على الشريف، لانها هي التي تجمله، فركب واخذها معه، ثم ساق معه بكرتين ليبيعهن وليتزود باثمانهن أغراض لبيته، وكان له دلال بمكة اسمه منصور من الدهسة فأناخ عنده هو وأصحابه فاعطاه البكرتين ليبيعهن ثم انحدر تركي قاصدا الشريف عبدالله، ومر على الدلال فإذا عنده مصري يتكلم معه باللغة التركية "بدغوس ودرت ودور" فلم

يعرف تركي ما يقولون حتى قرنهن المصري بحباله وساقهن، فقال تركي في موقفه ذلك[١]:

وابكرتاي اللي غدت عند منصور   يوم ازرق الدخان يشبك ظلاله
تراطنوا بالسوم والشور مقصور   اللي كسرهن يوم شاف الدلالة
ما جات بالدغوس والدرت والدور   رطن له المصري وعقد حباله
فود لنا يوم اشهب الملح منثور   الا بيوم محتسين فعاله

وكان ذلك في مكة حينما رجع من بيت الشريف الى دلاله، وتركي يشاهد ذلك كله، فلما أناخ ركابه عند الشريف وقد تأخر عن وقت المناخ المعهود، فخاطبه حاجب الشريف قائلا له : انت تاخرت والشريف قد حانت وقت نومته، ولكنك ارجع واحضر في العصر، فركب تركي من حينه كالمغضب ورجع بفرسه معه، وشرب القهوة وصلى صلاة الظهر ورجع الى أهله من حيث أتى، فلما استيقظ الشريف من نومته، اخبره الحاجب بما حصل، والقى عليه اللوم الشديد، ثم إنه أمر من يغدو الى دلاله فيرده ويعتذر منه، فلم يدركه الا وقد سار في طريقه، فبعد ذلك استدعى بوزير له يسمى غانم المزيد، وكان اريبا كريما ظريفا، فأمره أن يركب فرسه ويلحق تركي أينما كان، فلحقه وراء الميلين واخبره بعذر الشريف وطلب منه الرجوع، فلم يطعه، ثم حلف له أن الشريف لم يعلم بمناخك عنده الا بعدما قرب وقت العصر، ولكن كل ذلك لم يفد شيء من عناد تركي، فرجع غانم من عنده مفلسا، ولكنه حلف لغانم أنه ليس في نفسه شيء على الشريف، وأنه علم أنه افلس في

---

(١) نهاية ص ٢٥٧من المخطوطة

هذا المركاب وسيرجع مرة أخرى لا محالة، وفي هذا المناخ يقول تركي هذه القصيدة وذلك حينما توسع له البر وامتلأ به فقال:

سرنا الى بيت الصخى مسند الجار   اللي سعى لرعيته بالصلاحي
نمشي برايه مع توافيق الاقدار   والحن على ما يستوي له شحاحي
وجيناه باللي كنها ظبي الاقفار   اشمرة تسبق خفوق الجناحي

تفر مثل الطير من فوق الاوكار   مركوب من يردي صقيل السلاحي
وراح الخبر منا وجانا الدويدار   معه من الافندي جواب قراحي
وقالوا يصك وقلت انا الرب ستار   رزقي على مذري هبوب الرياحي
الرزق يأتي مثل هجال الامطار   يأتي مساء والا فياتي صباحي[١]
يأتي به من يرزق طيور بالاوكار   لا له يصك ولاش دونه سلاحي
حفنا على هجن من القفل ضمار   من البعد يشدن النعام المداحي
تودع حصى الرشراش بالدو طيار   ايضا ونردع روسهن باللواحي
ياما نزلنا عشبة غب الامطار   السبر ينطش والجهامه ضواحي
وجانا مريب ومعذر عقب ما نار   وكفوا رعوها وغثبروا بالصياح
وفروا من المجلس على قحص الامهار   وتناولوا صم الحوافر صحاحي
ربع سكارى ما تمالوا بالاشوار   ضارين مع كواتهن بالرباحي
ياما نضريهن على دوس الاخطار   ياطن على حروف الوعر والسماحي
كم ذود مصلاح على رعي الاقفار   نطر خرايزهن بروس الرماحي

وهو الذي يقول في جمل عنده، هميم في سيره:

ياراكب اللي ما يداني الصفيري   سريح من نقوة الهجن سرساح
حبال كورة من سلوك الحريري   وجنايبه مثل الغرابين طفاح
يسرح من الطايف ويمسي البصيري   والسوق والبصرة قطعهن بمرواح

فرد عليه رجل من قبيلته اسمه (هذلي) فقال:

[١] نهاية ص ٢٥٨من المخطوطة

يا تركي بن حميد وش ذا البعيري ما تجلبونه كان تبغون الأرباح
لعاد له خف وجنح يطيري وانا اذكر الله راكبه كيف ما طاح
امه نعامة وضربوها بعيري وجا مشبهاني على خف وجناح
وانا لقيت الكذب في كل اميري ويازين كذب مروية علط الارماح

وكان يقول في قصيدة له يخاطب بها محمد بن هادي رئيس قحطان فيقول:

وانعم بكم جيراننا ما نذمكم انتم سباع الهيش وحنا نمورها
انتم كما ضلع صبور على الشقا وحنا حرار في معالي وكورها
تضدوننا بالكثر وحنا نضدكم بنمرى تعاقب كل يوم سبورها
طلبنا الصلح منكم ولا حصل ودنياك ما يسقم بها الا صبورها

وكان يقول في قصديته (الميمية) يخاطب عبدا له:

تلعب طرب وانا بنومي هواجيس ما ساهرك بالليل كثر الهمومي[1]
اوجس بقلبي مثل صلو المحاميس الله يلوم اللي لحالي يلومي
حنا ندور للفخر والنواميس ونمشي بجرة صاملين العزومي
بالليل اقلب صاليات المحاميس وبالصبح اقلب كل قب قحومي
عرج باهلهن مثل حوم القرانيس على الطريح مصوبرات كظومي

وهذا البيت شبيه ببيت عمرو بن كلثوم التغلبي حيث يقول:

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

تتمة القصيدة:

---

[1] نهاية ص ٢٥٩من المخطوطة

من لا يدوس الراي من قبل ما ديس عليـه داســن العيـال القرومي
ومن لا يقلط شذرة السيف والكيس يبـدي عليـه من الليـالي ثلومي
ومن لا يسوس الملك بميز وتقييس مثـل الـذي يســبح بليـل يعومي
ومن لا بنى يا ناس من غير تسويس ومن لا تعلم ما تسر العلومي

وهي من قصيدة له طويلة تركنا آخرها خشية الملل، وكان بينه وبين قرينه رئيس قحطان، نزاع طويل، من حروبات بينهم وأشعار يتبادلونها، وكان يقول تركي:

ياســابقي غـاش عتيبـة منك لوم مثل الربيع اليا غشى نجد كله
الشـــايب اللي ينقل الكبر والزوم يقرا الكتاب ولا يهاب المظلة
جزاه عنـدي من الخيـل حثلوم مثل البرد من مزنة مستهلة
انتم كمـا ضــلع طويـل وملموم والله خلق للضلع نجم يهله
وانتم كمـا حوت على البحر لا هوم والله خلقنا للواهيم علة
انا رمحي فيها للخيل ملحوم يوم ان رمحك عند سارة تشله

وكان مما يروى عن تركي إنه اعترف على نفسه بأنه أخطأ على محمد بن هادي، بقوله "يوم إن رمحك عند سارة تشله " وأنه شجاع مشهور، فكان محمد بن هادي رد عليه قصيدة وفيها هذا البيت

إن كان رمحك فيها للخيل ملحوم فانا برمحي حامي نجد كله

فاعترف له تركي بما يقول، وكان شعر تركي كله في الشجاعة والحماسة، وهو أكثر من أن يحصر، وأيامه مزهرة كلها.

ثم إننا نرجع لذكر خلفهم بعد سلفهم، وهو آخرهم هو محمد بن هندي بن حميد، كان شجاعا لا يشق له غبار، وكان ذا رأي صائب، وكان مطاع الكلمة عند قبيلة عتيبة، وكانوا يجلونه ويعظمونه، وكان رئيسا مهابا، ورأيه[1] قلما يخطىء الصواب يستعين به على عدوه، وكان ميمون النقيبة، وقلما يهزم جيش فيه محمد بن هندي، إلا أنه يؤخذ عليه من أنه ليس بكريم، ولكنه مرضي عنه، ولا ضره ذلك عند قبيلته، وكان جسورا على مقابلة الحكام وعلى التكلم معهم بدون خجل ولا تردد، ولما كان في سنة ١٣٣٢ هـ، حدث من البقوم تعديات على سابلة مكة وزعزعوا عابر السبيل وأخافوه، وخصوصا رئيس منهم يدعى ضيف الله بن متروك المرزوقي، فكان الشريف قد مقت البقوم بسبب ذلك الرجل، وأعلن عليهم الحرب، وجهز جنودا من الترك اربعة طوابيرعسكر تمشي مع جنوده، فأعطوه، وفعلا برزت العساكر مع جنود الشريف في موضع يسمى الحزمان التي تحاذي شبرا، وأمر الحدادين أن يصنعوا ٤٠٠ طبر ليقطع بها نخيلهم ويهدم قصورهم، فاقامت العساكر ١٥ يوما تنتظر الأمر على الممشى، وكل من أتى البقوم في بلدهم يقول ياويلكم من شر قرب منكم، وكان محمد بن هندي راكب الى الشريف وليس معه غير رجلين وولد نايف وعمره ١٢ سنة، وكان قد مر على البقوم في بلادهم، ونزل عند أمير السوق حسين بن مقعد بن جاسر بن محيا، فجهش البقوم في وجهه، وكانوا يرون انهم أبناء عمه، فقالوا يا ابن عمنا : الشريف يدمر بلادنا ويقتل رجالنا، وش ترى لنا من الرأي يا ولد هندي ؟ قال : أرى لكم رأي السعد إن

[1] نهاية ص ٢٦٠من المخطوطة

مسكتموني زمامكم، فقالوا اشترط علينا ما ترى فيه نجاتنا، فقال لهم : اشترط عليكم أن أعد منكم اثني عشر شيخ، يكون بعد ما يمضي من اقامتي عند الشريف ٤ أيام وانتم منوخين علي في بيتي الذي انا فيه بالليل، وقبل مناخكم بربع ساعة ترسلون لي رجل منكم يخبرني بوصولكم الطائف، وانا اجعل لكم مبيت حتى يصبح الصباح، فقالوا : قبلنا، ولكنك اذكر لنا أسماء الشيخان الذي انت تريدهم يأتون، فقال : أولهم انت يا حسين بن محيا، أمير تربة وأمير الحضر من البقوم، ثم شارع الحشية، ثم عتيق بن سعد الراجحي، ثم فيصل الصفرا، ومحمد بن غنام، وضيف الله بن متروك، وحمود بن صويان، وضاوي بن منيس شيخ السميان، وابن خشيبان شيخ الدهمة، وسلطان بن جرشان شيخ الكرزان، ومسلط البعاج شيخ القروف، وثنيان الغرمول شيخ الرجمان، فقالوا له : قبلنا، غير أنه داخلهم الخوف من الشريف فتراجعوا مع ابن هندي، وقالوا له : هذي هي منوة الشريف، إن مكنه الله منا بدون عهد، كيف ترضى اننا نطيح عليه كطيحة فراش بدون أمان منه[1]، فنجسر على المخاطرة، فلو بعد وصولك عنده تطلب لنا منه أمان نأتيه ظالمين تائبين ونصدر سالمين، فقال: لا تطمعون مني بوساطة ولا شفاعة إلا على الطريقة التي أنا اشترطتها عليكم، ولا أحب إن الشريف يعلم إلا وانتم داخلين عليه في مجلسه، إن كنتم تواثقونني على الطاعة التي انا أقولها لكم، وإلا فلا لكم عندي شفاعة ولا جاه، فتشاوروا فيما بينهم وكانوا كلهم حاضرين خطابه، فقال ذوي الرأي الأمثل منهم : أعطوا ولد هندي رسنكم ولوذوا به ولن تندمون إن شاء الله، فاتفق رأيهم على

---

[1] نهاية ص ٢٦١من المخطوطة

ما يقول وواثقوه عليه، وانفض مجلسهم، فركب من عندهم بعد إقامة يومين ووصل الطائف بعد ثلاثة أيام، وأناخ رواحله عند الشريف حسين، في قصر رغدان، فصعد الحاجب الى سيده وأخبره بوصول محمد بن هندي، ففرح به، لأنه من قبل ذلك الحين وهو يتألف العرب ويستجلب خواطرهم تمهيدا لما يسميه النهضة، حينما أراد أن يقوم على دولة الترك ويخلع طاعتها، فنزل الحاجب من عنده سريعا، وصعد محمد بن هندي ومن معه، وكان قد مر على عرضي الجنود التي أعدت للمسير على تربة، ورآها بعينه، فما كان منه حينما طلع على الشريف إلا أن قال قبل أن يسلم قوله (لا اله الا الله انا يوم شيبت انخبلت، واثر منب لحالي، كل من شيب انخبل) ثم سلم عليه مصافحة ومعانقة بدون تقبيل، وكان لا يزيد في سلامه عليه عن قوله: كيف انت يا حسين، وكيف حالك يا أبو علي) ولم يعرف تقبيل يده ولا لفظة ياسيدي، فحينما استقر به المجلس عنده، سأله محمد بن هندي قائلا : هذه العساكر والجنود التي انا مررت عليها مخيمة، الى أين تريد أن توجهها ؟ فقال له : الى أبناء عمك البقوم، تقطع نخيلهم وتهدم قصورهم وتدمر بلادهم، فقال له : يا حسين، هو غضبك على الرجاجيل الذين خالفوا امرك أو على النخل والقصور التي ليس لها ذنب ؟ فقال : بل غضبي على الرجال، فقال : الرجال يريدون ينوخون عليك بقصرك هذا بدون أمان منك، وليس بوجهك منهم شيء تعاب به إذا عاقبتهم إلا طريق الحسنى والعفو بعد المقدرة، فقال الشريف : ما أظن أنهم يفعلون ما ذكرت لي يا ابن هندي، بل إنها توحشهم ذنوبهم ولا يمكنوني من انفسهم بدون عقد ولا عهد، فقال له : انتظر ما أقوله لك، فأنا عندك مقيم ومنتظر

معك، والله يفعل مايشاء، ثم انقطع كلامهم فيما بينهم، وأخذ يسأله عن طريقه وعن عربانهم حتى انتهى مجلسهم[١]، فقام من عنده الى بيته المعد له ولنزوله فيه، وكان في كل يوم يعتاد الجلوس مع الشريف في كل صباح، فما كان منه في الليلة الرابعة من وعد شيخان البقوم له الا وقد وصلوا الطائف ونزلوا خارج البلد، وارسلوا رجلا منهم يخبر ابن هندي بوصولهم، فلما بلغه الخبر أرسل لهم عشاؤهم وارسل حشيشا لرواحلهم، فلما أصبح الصباح تقدمهم بنفسه ودخل على الشريف وجلس عنده على عادته، ولم يبد له شيئا عنهم، وكان قد بعث لهم رسولا يأمرهم بالركوب والمناخ على قصر الشريف، ففعلوا وحضروا على وعده لهم، فلما اناخوا ركائبهم طلع عليهم مأمور ضيافته فسألهم من انتم ؟ فقالوا له : حنا شيوخ البقوم، فصعد الى الشريف فقال له: يا سيدي هؤلاء شيخان البقوم اناخوا ركابهم تحت القصر، وكان اسم مأمور الضيافة محمد بن غاصب، فقال الشريف لخادمه : خذ معك ورقة واكتب لي أسماؤهم واطلعها علي، ففعل الخادم ما أمره به، وكان محمد بن هندي ساكتا لا يتكلم حتى قرأ الشريف أسماؤهم، فقال له محمد الهندي : يا ابو علي، الرجال الذين مثل هؤلاء مذنبين وأحسنوا الظن فيك، وطمعوا بعفوك ومكنوك من انفسهم بدون عقد ولا عهد، أما يجب لهم عليك العفو عنهم ؟ وكان الشريف قد انبهت حينما قرأ أسماءهم، فما كان يظن ولا يحلم ان يلقوا اليه انفسهم بهذه الكيفية فحينئذ قام محمد بن هندي، وسلم على رأسه وطلب منه أن يشفعه فيهم، وأن يعفو عنهم بقدر ما سلف منهم، فأعطاه ما طلب فورا

---

[١] نهاية ص ٢٦٢من المخطوطة

وبدون تثريب، ثم أنزلهم في دار الضيافة وأكرمهم وكساهم وأعطاهم جوائز كالمعتاد، ورخص لهم يرجعون الى أهلهم بعدما اخذ منهم العهود والمواثيق أنهم يلزمون السمع والطاعة، وأن لا يحدثون معصية توجب مقتهم وتأديبهم، فأعطوه ذلك، وفارقوه وهم مسرورين . وأنا اسأل الله أن لا يعدم العرب من رجال مثل هذا يوفقون بين الراعي والرعية ويزيلون عن الجميع سوء التفاهم الذي هو رأس كل فتنة، فقد استوعبت هذه القصة وشاهدتها تماما لما كنت في الطائف صاحب دكان، فبعد العفو أمر الشريف على الجنود فدخلت في البلد[1]، ومثل ذلك أو قريب منه ما رواه لي راشد بن عبدالله الهزاني صاحب حريق نعام، بأن قال: بعدما أقمنا في حبس الإمام عبدالعزيز سنة كاملة ثم استشفع فينا الشيخ قاسم بن ثاني، فخرجنا من الحبس بعد نزاع يطول ذكره، وقصدنا النزول عند الشيخ قاسم في قطر، فاقمنا عنده ثلاث سنوات ونحن مكرمين معززين، فنزعنا من عنده قاصدين الكويت، وكان طريقنا على البر ولم ندخل البحر، فلما وصلنا الكويت أنخنا ركابنا على قصر مبارك الصباح، وكان مأمور ضيافته عبدالله الهاجري، فطلع على مبارك وأخبره بنا، وكان عددنا احد عشر رجلا، فقال له مبارك : إن كانوا من الهزازين أصحاب الملك عبدالعزيز فالله يحييهم، وإن كانوا من الهزازين أصحاب سعود العرافة فلا نقبلهم ـ قال ـ وكان لنا بني عم ملتحقين بعبدالعزيز وبيننا وإياهم نزاع مستمر ـ قال ـ فلما انقطع كلامه وكان الشيخ خزعل بن مردار جالسا عنده وهو عربي صميم من كعب وينتهي نسبه الى سبيع بني عامر، فقال: ياشيخ مبارك الذي

---

[1] نهاية ص ٢٦٣من المخطوطة

وصل البيت ونوخ عليه ما يحق أن يفتش فيه كائنا من كان، فقال مبارك: صدقت يا شيخ، اذهب يا عبدالله الهاجري اليهم إن أرادوا أن ينزلوا على رجال ابن رشيد، سعود العارضي، أو ينزلون بيتا وحدهم ؟ وحبينا أن ننزل بيتا وحدنا، وتلك المسائل تشهد لحميدان الشويعر على صدق قوله حيث يقول:

ودي ما يموت من الناس ثلاثة الظَّفِرْ بكفه والكريم بماله واللي يخلص مشكل بين الورى

والآن نرجع الى ما قدمناه سابقا عن الأحلاف الذين دخلوا على هوازن فانسجموا فيهم، وكانوا معهم، أما عتيبة فينقسم نسبهم الى قسمين برقا والروقة، أما برقا فهم ثمانية أفخاذ، أولا المقطة وهم جماعة محمد بن هندي، ورؤساؤهم ابن حميد والفجري وابن كامل، ويليهم في الأكثرية العصمة، ولم أعرف من رؤساءهم سوى سلطان أبا العلا، والفخذ الثالث النفعة، وهم ينقسمون ذوي مفرج ورئيسهم ابن حجنة، وذوي زياد ورئيسهم أبو رقبة، والرابع هم الشيابين وهم من ثقيف وليسوا من هوازن، ولكنهم اندمجوا مع هوازن فكانوا منهم وإلا فإنهم ذرية شيبان بن أزور الثقفي، وكان رؤساؤهم ابن فهيد وهو رئيس الفهيدات، وابن سحمان رئيس ذوي منيفة، وابن مسيفر رئيس القرافين، ولهم أفخاذ سابقة لهم كذوي عبدالله، وذوي عمر، وذوي مرشد، والزبالقة، والحفرية، كل هؤلاء تبع ذوي فهيد، والخامس فخذ الروسان المراوجة، وهم من أصل هوازن، ولم تدخلهم الأحلاف، والسادس الدغالبة، وهم بني عم الروسان

بالأصل، ورئيس الروسان ابن جامع، ورئيس[١] الدغالبة خزام المهري، والفخذ السابع الدعاجين، وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام، أولهم الملابسة ورئيسهم مناحي الهيضل، والقسم الثاني الهدّف ورئيسهم بجاد بن عليثة العميد، وذوي خيوط ورئيسهم ناصر بن عقيل، وكان أغلبهم فرسانا، وهم العطفة في أيام المناويخ، وكانوا كراما أيضا، وأما الفخذ الثامن، القثمة، وهم كثيرون ولهم حاضرة وبادية وكلهم أهل شجاعة وكرم فلا تجد فيهم بخيلا إلا نادرا، ويا للأسف على نوادر رجال منهم قتلوهم الإخوان يوم الشق، الموضع الذي في ركبة، قتلهم ابن محيا وجنده، وكان الذين قتلوا يزيدون على المئة، وكانوا أهل شيمة، وساحتهم أمينة وأهل أمانة ووفاء، ويليهم في الكرم بني عمهم الشيابين، وكان رئيس القثمة الأكبر هو العبود الذي من أولاده شديد وعبيد وسلطان وهو الأصغر الذي قتل في وقعة تربة، ويليهم في الكرم والشجاعة روسان المراوحة، ورئيسهم ابن جامع، وكان الأفخاذ الذين يغمطونهم الناس على إكرام الضيف، هم ثلاثة، النفيعي، والمقاطي، والعصيمي، أما النفعة فقد وصمهم حنيف بن سعيدان الصعيري بقوله وهو من جماعة ابن بصيص بقوله:

قفت بي الفاطر تروج روجاني	يوم نتلت صملان قلبي من البير
وخطرت ابن حجنة زبون الحصاني	ولقيت ما واجهت دون التذاكير
وانذرت ساحة الحقب والبطالي	عن النفيعي جنبوا يا مداوير
ما بالنفيعي ثابة للعواني	وقراه لضيوفه كثير المعاذير
ليت النفيعي يستهد دعجاني	حتى عياله يكرمون الخطاطير
أولاد ملفح بالقسى والليالي	وجيههم مثل الثياب المقازير

[١] نهاية ص ٢٦٤من المخطوطة

وكان حنيف هذا قد وفد على على ابن عمه مشاري بن علي بن بصيص، وكان مشاري شجاعا مفرطا في الشجاعة وبخيلا مفرطا بالبخل، فقال له حنيف يوما وهو جالس عنده، أنا قلت فيك قصيدة يا الأمير، اجيبها ام لا ؟ فقال : جبها يا حنيف، ولا تمدحني بما ليس في، فقال حنيف على الفور:

والله لولا البخل ما خزخزن فيك   قحص المهار ومكرمات العبادي
تروي شبا المسنون والموت قافيك   زبن الذليل وزبن جرد الايادي
البخل عذروبك ولا انا مناجيك   ولا انت بمقهويني الي جيت بادي

فقال له :يا حنيف، والله اباقهويك، وانت أحب علي من ناس يقولون ياكرمك، وهم كاذبين، وأنا أعرف روحي، وأنا ولد علي الى تلوت[1] صرتها على عراقيبها، افتكها، وأنا ولد علي، ولكن شف هذا القعود الثني الحمر، خذه، تراه قهوتك عندي.

وكان حنيف هذا له صديق من أهل الخيس، قرية من قرايا سدير، وكان يقهويه من دلة في يده ويصب له بكثرة ولم يقل له كفى فقال راعي الخيس:

تسعة عشر فنجال لحنيف صبيت   لو هو يروي قربة قد ملاها

فقال حنيف يرد عليه:

[1] نهاية ص ٢٦٥من المخطوطة

لا تحسبني من دلالك تقهويت ما تنقه الضرمان من كثر ماها
يا موصي الحرمة على صكة البيت تقول رجلي غاب وانته وراها

وكان الدعاجين أكثر من بلي بالفقر من الناس، وخاصة منهم الملابسة، جماعة مناحي الهيضل، واكثرهم مغازي على الجيش، وعلى الرجلين، وكان يحدثني رئيسهم مناحي الهيضل وأنا عنده في بيته، فوق ماء يسمى ملية، فقال إن جماعتي دائما يورطونني مع الحكام ويجعلون لهم علي حجة، وذلك إنهم كثيرا ما يترصدون بين قرايا نجد، ويأخذون سابلتهم ومعاويدهم، ويغيرون دائما على بني سالم من حرب، ومحمد بن رشيد مشدد علينا القرعان عنهم، وكنت انا وسلفي دائما في خوف ووجل من ابن رشيد، وحياتنا مهددة، وكنا نجعل بيننا وبين ابن رشيد عربان كثيرون من عتيبة خوفا أن ننفرد عنهم، فيغير علينا ويأخذنا على غرة، ففي ذات يوم قاموا علي جماعتي، وقالوا : يا مناحي، لسنا بصابرين على هذه الحالة، ولا إبلنا تكسب شحم في مراعيها، حيث إننا نرعى والخوف ملؤ أجوافنا، فاركب لابن رشيد وخذ معك هدو نهديه عليه ونأمن منه ونرعى مطمئنين كسائر أبناء عمنا من عتيبة الذين استأمنوا منه،ـ قال ـ فاشتريت حصانا من ابن عم لي اسمه نوار بن عروين، والحصان اسمه الصويتي، وأخذت فرسا من خيلي مع الحصان وهي المعنقية، فركبت بهما لمحمد بن رشيد اطلب منه الأمان، فلما وصلت عنده قبل هديتي في أول يوم، ولم أر منه ما يكدر خاطري، فلما كان في اليوم الثاني وجلس جلسته العادة في الصبح، وجلست معه وليس بيني وبينه في

المجلس سوى ابن أخيه عبدالعزيز بن رشيد، فلما استقر به المجلس أمر على أحد رجاله الحاضرين بأن قال له أطْلِع خيل مناحي الهيضل، واعرضهن علينا، فلما وقفت الخيل بين يديه التفت علي وقال لي : وين انت مروح هالخيل يامناحي، فقلت له مهديهن على الشيوخ، فقال : لا، لا تقول مهديهن، قل: ابشري بهن حلال بني سالم[1]، ومعاويد أهل القصيم، وأنا معي راسي وانا اخو نورة، ثم إنه نادى خادما له من أهل المستجدة، يدعى سالم بن لويبان، فقال له : رح يم المضايفي بكر، وخله يزهبكم انت ومناحي الهيضل وأخوياه، وانت يا مناحي هذا رجالي معك، الى وصلت أهلك فرد عليه النقايص التي عندك، وخيل الهدو يجيك جزاهن، وهن في مرابطهن عندك، وان كان إنك الى وصلت أهلك تواسعت نجد، وقلت محمد بن رشيد بعيد عني، فالله عطاك شهر من الهلال الى الهلال، فاذهب من حيث تريد وانا وراك، ـ قال ـ فمشيت أنا وخادمه على ما عمدني به، فلما وصلنا الى أهلي رديت على الخادم ما وجدته حيا، وما كان ميتا خسرت ما يقابله، ثم استأمنت منه فأمنت .

وكذا قص علي هذه القصة من لسانه سنة ١٣٢٤ هـ، وأما مناحي المذكور، فهو من أشجع فرسان عتيبة، وأكرم رؤساء برقا بعد هذال الشيباني، على أنه مقل من المال دائما، وكان قد حصل له يوم عبوس مع خيل الصعران من مطير، وكان هو وحده منفرد من جماعته، وخيل مطير عددهم ٧٠ فارسا، فكفهم جميعا، ولم يبرز له ولا فارس منهم، وكان مشاري بن بصيص وهو شجاع قبيلته، فحضر الاثنين عند الملك

[1] نهاية ص ٢٦٦من المخطوطة

عبدالعزيز بن عبدالرحمن في مجلسه وهم ضيوف عنده، فسأل مناحي عن قصته قائلا : هل هي صدق ؟ فقال : صدق، وهذا رئيسهم بجانبك، هو من شهودي، فاسأله، فقال : كيف يا مشاري خيال يغلبكم وانتم سبعين خيال ! فقال له مناحي :انت تلومهم يا عبدالعزيز وانت بالسعة، والله لو انك معهم ذيك الساعة تضيق بك الوسيعة، فضحك الملك من قوله، والحق يقال إنه فارس شجاع سخي جواد، ونحن نحافظ في تاريخنا هذا على الصدق، ونؤتي كل ذي حق حقه، ولا نبخس أحدا مما يستحقه، ولا نكتبه من غير شواهد .

وكانت قبيلة برقا فيهم شعراء كثير، واكثر الشعراء فيهم شجعانهم، فمنهم تركي بن حميد المشهور، وقد أوردنا من شعره شيء تقدم، ومنهم ولد تركي، ضيف الله بن تركي ويلقب بالعفار، وقد ذكرنا قصته سابقا، ومنهم مناحي الهيضل، المذكور أعلاه وكان لايقول الشعر إلا في المناسبات، فقد حصل له وقعة مع أبناء عمه محسن، وصلال أبناء بدر بن مرزوق الهيضل، وكان يخاطب ابن عمه محسن وهو الأكبر فقال في ذلك[1]:

العيْ عيٍ لين يبلش وهو عيْ	والى بلش بالحيل كب المعايا
انته ولد عمي وانا اصير لك خى	وحنا من اوايلنا ما وصلنا القصايا
ما طعت شوري قبل تاقف على الطي	فالى وقفنا شرعن الظمايا
فان جا المطر بالليل ما ينفع الني	غير الفحل تاتيه سيل الشغايا

[1] نهاية ص ٢٦٧من المخطوطة

وكان من شعراءهم، مخلد القثامي، في الغزل وفي الحماسة وفي وصف الجيش وفي كل ما يقوله، وكان كثيرا ما يمدح قبيلته عتيبة، وفي قصيدته المشهورة التي القاها بين يدي محمد بن رشيد، وكان في ذلك الحين قد حضر مجلس محمد كثيرا من رؤساء البوادي أهل نجد من حرب وشمر ومطير وقحطان، وكان يقول:

حنا عتيبة كم حريب لطمناه   دقلاتنا مثل الخيال الرزيني
مثل الجراد اللي ملوكه تقفاه   والله مسلطنا على الظالميني
علونا بالحجز تلطم قراياه   وحدورنا شرق الحسا مردفيني
وجنوبنا وادي الدواسر نحاياه   وشمالنا شرق المدينة يميني
كم راس شيخ في نحرنا قطعناه   وامست تسير به كلاب القطيني
وكم بيت شيخ في نحرنا هدمناه   وامسوا مسايره من الخايبيني
وانا اشهد ان نجد المسمى ملكناه   وخابت حظوظ ملوكها الاوليني
تطيحي يا هجمتي واشربي ماه   وتبجحي يا مقرعات الحذيني
لولاك يا شيخ وطتنا زكاياه   ما ناخذ القصرة من الذاهبيني
اللي تجي له سبق الخيل مهداة   ابن رشيد مروع الغافليني
والسربة اللي باللقاء تذبح عداه   يا كثرها يا راحم الراحميني

فلو أقمنا حولا كاملا نعد من قصصهم ومن فروسيتهم وسخائهم وأشعارهم وشجاعتهم، لم نصل معهم الى غاية، ولم نقف لهم على نهاية، وكانت مجالسهم في رباعهم كلها فكاهات وفوائد تشنف أذان السامعين، فلن تسمع منهم إلا من يقول في تلك المجالس غزينا وانكفنا وطردنا وانهزمنا وأخذنا وأخذ منا، فلم يتكلموا بالكذب في تلك المجالس لأنهم يعلمون أنهم لو كذبوا

لوجدوا من يكذبهم في تلك المجالس، وكان العربان المجاورين لهم من مطير وحرب وقحطان كلهم يتصفون بهذه الصفة، وقد ترجح كفتهم أحيانا على عتيبة واحيانا ترجح كفة عتبية عليهم[١] .

وفيهم نساء يقلن الأشعار كأمثال الخنساء، وليلي الأخيلية، وبكارة الهلالية، وكل شعر على نسبته، فمن شعراء نسائهم المرهوصة، وهي دعجانية، وكانت تتغزل في مناحي

الهيضل، ولكنها جعلت له كنية غير أسمه، فقالت في ذلك وقد لقبته بإسم زيد:

يا من لقلب من هوى زيد مطروق	طرق الحديد ملين بالضويا
امسيت قلبي في وأصبحت مسروق	وثورت في قلبي عميل وعيا
ياصاحبي تفداك برقا مع روق	واللي بعيد الدار واللي هنيا
ويفداك حضر تجلس العصر بالسوق	وابن رشيد اللي على الحكم عيا
ويفداك من يركب على الخيل بعروق	مع ضيف ابن هندي وخيل المحيا
ويفداك من ياطا على الحزم من فوق	ويفداك من شاف القمر والثريا

وكانت تقول في ابيات لها ثانية:

يا لايمن في حب نجع مناحي	جاك الرشيد معزل مركيه
قطعانهم ما وردت بالزاحي	ولا دوجت يوم على المشوية
قطعانهم يم الخطر سراحي	وطعونهم يوم اللقا مشكية
ياعنك مالي عن هلي مرواحي	لا عاد لا رملا ولا مجفية

(١) نهاية ص ٢٦٨من المخطوطة

وبعدها سارة الحسينية، من الحسنات العصمة، وكان لها صاحب قد ذهب مع الإبل وكانت تسأل عنه رجل من أصحاب الإبل اسمه سعود فقالت:

ياسعود ما عينت طرش عزيبي	لوا هنيك يامقاطي هنياه
لوا هنيك ما غدى لك ذهيبي	وانا ذهيبي ضاع وازريت لا القاه
يفداه ابن هندي مجري الرعيبي	لو كان شيخ وكل ركب تنصاه
ويفداه أبو تركي نحاز الحريبي	وابن رشيد الشمري من فداياه
اعوي طوال الليل كني صويبي	والا قريص يسهر الناس بعواه
قالوا تطيب وقلت والله ما اطيبي	وافر جبيبي من اونس الود فرياه

فلما سمعوا شعراء عتيبة أنها فدت محمد بن هندي بمحبوبها أخذوا يشنون الغارة عليها بالأشعار المقذعة المعيبة، وتركنا إيرادها عمدا لقباحتها، فلما سمعت قول الشعراء فيها لجأت الى محمد بن هندي فقالت له: يا بو هندي أنا دخلت على الله ثم عليك إن تفكني[1] من شعار عتيبة ياولد هندي، فقال لها : يا عصيمية، ما عندي لكل فم مسد أسد فيه أفواه الشعراء عنك.

وكان عندهم قضاة منهم يحكمون بالطاغوت ويرضونه حكما بينهم، لأنهم لا يتحاكمون عند قاضي شريعة عادل في حقوق شرعية، بل إن مخاصماتهم كلها في محرمات، وفي كسب أخذوه ظلما من غيرهم، فلو تخاصموا عند قاضي شريعة عادل، لقال كل هذا حرام عليكم أكله، ردوه على أهله الذي اخذتموه منهم، فكل ما يحكم فيه عارفتهم الذي يرضونه، فهو محرم على كل الخصمين، ومثال ذلك ما رواه لي الشيخ ناصر

[1] نهاية ص ٢٦٩من المخطوطة

بن حسين في سنة ١٣٢٩هـ وكان في ذلك الحين قاضي للشريعة في رنية، فروى لي بقوله : إني قبل سنتين سافرت الى بيشة وقت حصاد الزرع لعادة يجرونها لي، سهما من زروعهم، فقبضت منهم ما تيسر ورجعت الى رنية، فلما كنت في عرض الطريق صادفني ركب من قحطان، فأخذوا ما معي انا وأصحابي وسلبوا ثيابنا، فلما حانت صلاة العصر، قالوا : تقدم وصل بنا، وكانوا قد ابقوا علي ثوب لا يسترني، فقلت : ردوا علي ثوبي وأصلي بكم، فردوه علي، فصليت بهم قصرا وجمعا، فلما فرغت من صلاتي ويممت وجهي اليهم حسب العادة، قالوا ذاكرنا، ومعناه عظنا وحدثنا [فقلت] أول ما أحدثكم به ردوا علي حلالي، فقالوا : إن الله كاتب لنا ياشيخ، وإلا كان صدك عنا يمين أو شمال، فقلت : إذا كنتم تاخذون حلال المسلم بدون حق فلا تصلوا، فقالوا : هل تريد أن نعاديك ونعادي ربنا، إلا نبي ناخذ حلالك ونصلي لربنا، قال: فما وجدت معهم حيلة، وكان جميع من يحكم بينهم بين خصمين لا يحكم الا بعوائدهم، ولا يعلم بالشريعة ولا فطر عليها. وقد نورد قصة لطيفة في زمن المأمون العباسي، وهو الخليفة في وقته، وكان له قاضي اسمه عياض بن شبرمة، فذكر المؤرخون عنه انه ترافع عنده خصمان يختصمون في طنبور، وهي التي يسميها البدو الربابة، وكان كلا من الخصمين يدعي أنها ملكه وأنه ابقاها عند صاحبه عارية، فقال للذي الطنبور في يده: انت احق بالشهود، فأورد شاهدين يشهدون انه ملك هذا الرجل الذي هو في يده، فقبلهم على الفور واطلقه في يده، فقال الخصم: أيها القاضي قبلت شهادتهم

قبل ان تسأل عنهم، فقال له: هل[١] عندك منهم بعلم، قال: نعم واحد من الشهود قواد، يجمع بين النساء والرجال، والثاني يقطع الخمر ويشربه ويبيعه، فقال القاضي: انا قبلت شهادتهم على ما فيهم وهل تريد شهودا على طنبور اعدل من هؤلاء، ولجت القضية وانتهت والطنبور في يد صاحبه .

أما عتيبة فقد كانت بداوتهم وشهامتهم وشجاعتهم وكرمهم، ومحافظتهم على الجار والذمام وعلى إغاثة الملهوف، والوقوف دون اللاجىء المضيوم، وما يتعلق بهم من الوفاء دون الضيف والجار والرفيق في السفر، ومحافظتهم على من أعطوه الأمان حتى ولو كان الأمان من امرأة أجارت، فرجالها يحمون جوارها ويأخذون لها من الحق مثلما يأخذون الرجال، فلو أنها سلمت على قوم أو ردت عليم السلام فإنهم سالمين، ولو كانت هذه القبيلة تطلب منهم دم رجل قتلوه، فإنهم يجرون للمرأة مثل ما يجري للرجال في عوائدهم، حيث إنهم يقولون من سلّم فقد سلم، وكانوا يقولون ثلاثة ليس يقبل فيهم خصومة ولا حق، وهم الطنب السابح، وهو الجار، والضيف السارح، وهو الذي أضاف على أهل بيت وأكل عندهم بليل أو نهار ثم سرح من عندهم واعترض له عارض في الطريق، وكان كل شيء عندهم يتعلق بوجوههم حتى ولو كان حقيرا، مثل أن يشرب من دلة قهوة ولو فنجال واحد، أو يأكل تمرة واحدة، أو قليل من لبن، وكل هذه تسمى البطنة، يعني إنه أكل من هؤلاء الناس فلزم أن يؤدوا له ما أخذوه منهم بني عمه، ولا فرق عندهم بين الشيخ وسائر القبيلة إذا تعصب على أداء ما أخذوه، فأول ما يطلبون الأداء من رئيس القوم المغيرة لان جنده لا

[١] نهاية ص ٢٧٠من المخطوطة

يؤدون حتى يؤدي هو الأول، ثم ينقاد الأداء من سائر الجند الذين معه. واذكر للقارىء قصص شاهدتها بنفسي، منها أن رجل من الذوبة وهم رؤساء بني عمر من حرب ركب من أهله، قاصدا عبدالعزيز بن سعود بالرياض، واسمه عواد بن فلاح الذويبي، وكان ذلك في سنة ١٣٢٨ هـ فلما كان في عرض الطريق وجد إبلا عازبة عن أهلها وهي لذوي بدير من مطير بني عبدالله، وهم من جماعة محمد بن حوكة، وكان معه خمسة من عشيرته، فوقف[١] على أهل الإبل وطلب حليب منهم كعادة المسافرين فسقوهم جميعا حتى اكتفوا، فمشى في طريقه هو وأصحابه، فلما غاب عن الأنظار أغير على الإبل واجتاحوهم جميعا فلم يسلم منها سوى جمل صغير، وكان المغير هذا يدعى نافل بن غميض وهو شيخ البيضان من حرب بني عمر، فلحقه صاحب الإبل وقال له يالذويبي معزبتك التي شربت حليبها خذوها حرب حينما اقفيت، فرجع معه وثار على ابن عمه نافل، فقال له نافل : نمشي انا وانت الى سلوم حرب، فقال له والله لئن مشيت معك الى سلوم حرب في معزبتي اللي ينطف شاربي من حليبها، والله اني ما أسوى عند حرب هذه الرمادة الباردة، والله إن تديها وانا ما قمت من مجلسي هذا، فلما عرف الجد أداها واستلمها صاحب الإبل كاملة غير منقوصة. ومثلها جرت في عنيزة في إمارة زامل بن سليم رحمه الله، فصدف ذات يوم من الأيام أن جاد الله على البلد بغيث غبيط، فأوضعوا أهل السانية عن سانيتهم، وأظهروا إبلهم للبر، وكان بينهم رشيد الدغيثر، المشهور، صاحب

---

[١] نهاية ص ٢٧١من المخطوطة

الدغيثرية قد أظهر إبله الى البر وعددها ١٦ ناقة، فصدف أن شمروخ بن حويان، شيخ العردة من جماعة ربيعان قد صادف الإبل وهي ترعى فأخذها، وكان في ذلك اليوم الذي أخذت فيه الإبل وعند زامل ضيف في القصر يدعى عبدالله الجلاوي، وهو من الرباعين، وكان قد تغدى من التمر الذي في القصر، وهو المعد للضيوف، فلما علم زامل بأخذ الإبل وإن الذي أخذها ابن عم لهذا، فطلب زامل منه أن يؤديها بما أكله في القصر، فقال مأكلي لك انت ليس لرشيد الدغيثر، إن كان تحلف لي إن أباعر رشيد يوم اصابتها قرعتها ان في بطني ملحتها، وإلا مالك عندي شيء يا زامل، لاجل احلف لبني عمي بحلفك انت يا زامل، والا فلن يؤدونها لي بدون يمين مني لهم، فذهب زامل الى الشيخ علي المحمد، قاضي عنيزة يسأله عن ذلك فقال له: يا زامل اليس مجموع تمر الضيوف اللي بالقصر من زكاة عنيزة ؟ فقال له: إلا ! فقال له : أوليس زكاة رشيد داخلة في هذا المجموع ؟ فقال له: نعم، فقال له: احلف له ولا تحنث أن ملحة رشيد في بطنك، ثم أتى بها كاملة[١] .

وكان فيهم شاعر من العضيان، يدعى ناكف بن ثعلي، وهومن الذين يأخذون الخفارة على أهل نفي لاجل يحافظون على سروحهم وزروعهم، وكانت خفارتهم يأخذونها من الزروع وقت حصول الثمرة، فوقف الاثنين ابن ثعلي وابن سبيل يتراجزون بالشعر بينهم فبدأ ابن ثعلي بقوله:

حط الإخاوة يا غميصاني　　　ياقايد البقرة باذانيها

فقال عبدالله بن سبيل:

[١] نهاية ص ٢٧٢من المخطوطة

اعطيك شلو مثل سحماني تنبح ورى القرية واهاليها

أي ان الذي اعطيك ليس بفخر لك .

وقد أوردنا ثمرتها وتركنا باقيها خوفا من الملل، وكانوا من شيمتهم أنهم يحافظون على مكافأة من سمعوا منه كلاما حسنا، فمن ذلك ما أرويه عن شخص من أهالي شقراء يدعى إبراهيم بن عيفان، وكان نوادا وهو الذي يتجول على البادية ويبيع عليهم الكسوة وغيرها، وكان يوما ضيفا عند جار لمحمد بن هندي من أبناء عمه، ويبيع عليهم من البز الذي معه، فصادف ذات ليلة أن مر عليهم رجل ينادي ويقول يا من عنده علف الطير، وكان عادة أهل الطيور يعلفون طيورهم من اللحم، وهي الصقر، فكل من عنده ذبيحة يعطي لصاحب الطير قطعة لحم ويسمونه علف، فحينما نادي صاحب الطير يسأل عن اللحم، كلمه إبراهيم بن عيفان، فقال له كان تبي تعلف طيرك فاذهب الى ابن جامع وجماعته الروسان، فهم فوق قرية الدوادمي، والا فالعرب الذي انت عندهم ما يعرفون يذبحون الذبيحة، ولو ناديت كل الليل ما تلقى عندهم ولا جربوع، ومقصده من ذلك أنهم بخلاء، فبلغت مقالته محمد بن هندي، فاستدعاه وقال له انا اخطرك ان كان انك بت عند العرب هذه الليلة، واسمعوا يا عتيبة ترى ابن عيفان جَنْيَة والله أعطاه ثلاثة أيام لين يرحل، وما بعدها فهو جنية من أرفقة أو أعطاه عاني فهو مأخوذ ومسهوج وجهه، فشد بن عيفان ونزل على الروسان وقال انا جتني الجناة بسببكم، فقالوا ابشر بمن يفكها عنك، ووالله إن الله قسم ان تاطا على راس ابن هندي ولا يفتح فيك عينه[1]، فاختاروا من جماعتهم ثمانية من ذوي العقل

[1] نهاية ص ٢٧٣من المخطوطة

والشجاعة، فركبوا ركائبهم واناخوها على بيت محمد بن هندي، فبدؤه بقولهم يا محمد بن هندي انت تحسد أبناء عمك على الكرم والطيب، وفايدتهم كلها لك يوم تشدد ابن عيفان من عندك وتجنيه، وهو ما قال إلا كلام حق وصدق، ووالله يا تلك الليلة الذي قال فيها ابن عيفان الذي هو قال، إن الذي قد علق عندنا ١٧ ذبيحة، خاطرينا الغبيات ربع ابن نجم، مناكيف من الغزو، ووالله اننا لن نقوم من بيتك إلا إنك واضع الجناة عن ابن عيفان، والا يصيرون الربع ربعين، ومعناه انها تفترق القبيلة ويحارب بعضهم بعضا، وكان ابن هندي يعرفهم جيدا ويعلم أنهم هم أنصاره القريبين على من عاداه، وكانوا شجعان كرماء، وكانوا هم المتغلغل نسبهم الصحيح في هوازن. فهذا الذي قصصناه من أخلاق عتيبة وعوائدهم السليمة، فقد استغرقت قرن واحد لا غير، فهي ابتدأت من سنة ١٢٣٥هـ وانتهت على غاية سنة ١٣٣٥ هـ بعد ما انحرفوا عن ذوقهم السليم وعن نياتهم الحسنة وعن محافظتهم على الجار والذمار، فلم يبق من اخلاقهم الكريمة الا الشجاعة ولكنها انقلبت شجاعتهم فصار يضرب بعضهم بعضا بوجوههم وأدبارهم ويأكل بعضهم اموال بعض ظلما وعدوانا، وهم يعدون ذلك قربة الى الله، فهم يقتلون أبناء عمهم وإخوانهم وعشيرتهم ويرون ذلك قربة الى الله وزلفى يدخلون به الجنة، ويسمون ذلك الجهاد في سبيل الله، وما ربك غافل عما يعملون، فمن ذلك ما قاله مطلق الازيمع من الجبلان حينما سمع طير يسمى أم سالم تغني في الفلاة الى ان قال:

يا ام سالم واثاريك منافقية ليه قمتي تزعجين من الغواني
تسكبين الفن برياض عذية ما دريتي عن تصاريف الزماني
لا يجيك مدين في شوزنية ييتم عيالك ويقول انه جناني

والغاية أن كل ما ذكرنا من آثار في نجد من الفتن بعد الدين فهو راجع إلى توفيق الله، فمنهم من قام بدين خالص ومتوجها إلى الله، وضالة مطلبه الصواب على ما وافق االكتاب والسنة، فاينما وجد الحق استقبله وعمل به، وهذا لا يتوفق الا لمن كان ذوقه سليم وضالته الحق أينما وجده التقطه، ومنهم من يتعصب على جهل ولا يقبل أحدا يرشده، ويرى إنه حاز العلم[١] بحثا فيرده، فهو كالخريش من الإبل لا يقبل وعظ من واعظ ولا يصغي اليه، ولا يرى غير الجهاد بالسيف افضل منه شيء، ومنهم من غاية مطلبهم الدنيا فلا يفرق بين حلال وحرام، فكل ما حل بيده فهو يسميه غنيمة فسبحان من يجمعهم لفصل القضاء ولا ينسى شيء من حقوق عباده .

فصل

قد سبق ان فصلنا لكم افخاذ برقى وعوائدهم ورؤساؤهم وما نشأوا عليه، وإننا الان نشرع في تعداد افخاذ الروقة وما دخل عليهم من الأحلاف الذين ليسوا منهم، وقد تجولت سنين عديدة في الحجاز الأعلى وهي الجبال التي انحدروا منها هوازن، وقد وجدت فيها شيخين من رؤساء بني سعد، واحد اسمه قليل بن عايد، والأخر ساعد بن مطر، ويقال لهم أهل الدار الحمراء لأنها قريتهم وهؤلاء هم رؤساء بني سعد، وقد نزلت مرارا

---

[١] نهاية ص ٢٧٤من المخطوطة

في بلدة تسمى مرادة وكان رئيسها اسمه دخيل الله ابو ركبة، وهو من بني سعد أيضا فأراني قصرين متجاورين وقد صارا خرابا قد اخنى عليهن الدهر، فأشار إلى واحد منها بأن قال هذا قصر غابي، جد الغبيات، وأشار على الثاني بأن قال هذا قصر مرشد، جد المراشدة، وهم أخوين شقيقين ثم شرحوا لي جميعا عن افخاذ عتيبة، وأنهم كلهم من هوازن غير أحلاف قليلين، وكان عمر ساعد بن مطر حينما سألته ١١٦ مئة وستة عشر عام بتاريخ ولادته، فقد امتد عمره إلى أن بلغ ١٢٠ مائة وعشرين عام على القول الصحيح، حيث انه اطلعني على مكاتب لوالده في مشتراه لمساحات زراعة تسمى الركبان في بلادهم، ويقول لي اني حاضر عن والدي في مجلس عقد البيع، واطلعني على أوراق مشترى والده فوجدتها بتاريخ ١٢٦١هـ وأما قليّل بن عايد فهو توفي وعمره ٨٤ سنة، وكلا الاثنين عندهم معرفة قاطعة في قبائل هوازن، وقليّل أبلغ معرفة من ساعد لأنه مشهور بمعرفة الأنساب، ويسأل عنها دائما.

وسأذكر للقارىء نادرة لطيفة وحيلة ظريفة، وهي أن اخوين من المقطة جماعة ابن هندي، واحد اسمه راقي الفرد، واخوه هوصان الفرد، وكان الأثنين وزراء للشريف عبدالله بن الحسين في أيام[١] حروباته مع دولة الاتراك، وقد قربهم وأكرموا عنده فلا يمنع عنهم ما طلبوا كثر أو قل، وكان هوصان قد لقي حتفه يوم وقعة تربة وبقي أخوه راقي وهو الأكبر، وكان بعد قتل أخيه قد حنق على الإخوان فآلى على نفسه أن لا يغرق في نوم ولا يهتني بطعام حتى يأخذ بثار أخيه أو يلحق به، وكان هو في ذلك الوقت في قبضة الإخوان وله

---

[١] نهاية ص ٢٧٥من المخطوطة

ابل كثيرة تبلغ ١٦٠ ناقة، غير زمل بيته وهي كلها من كرائم الابل، وكان سلطان بن بجاد امير الغطغط، وامير الإخوان، يقربه ويكرمه ويشير عليه أن يبيع الإبل وينزل عنده في الغطغط، وكان قبل أن يسعى بما عزم عليه لم يلتفت الى مايقوله سلطان، فلما عقد عزمه على النية الآتية أتى لابن عمه الأمير سلطان بن بجاد امير الغطغط، وهو امير على كل من دخل دينهم من البادية، فأتاه وهو يحمل معه ١٠٠ ريال فرانسي، فقال له يا ابن عمي أنا حولت من شداد الدنيا وركبت شداد الآخرة وأحب أن أجاورك في هذه البلدة وابيع الشقاء والعذاب، وهي الإبل، وأريد منك أن تعيّن لي أرض أبني فيها، قريبة من منزلك، وتعطي ماية ريال هذه لرجل ترتضيه، يشتري فيها خشب لعمارة الدار، وأجلب جميع ما املك من الإبل على عنيزة ثم أصفيها دراهم وأصلي وأصوم واغزي معك للجهاد في سبيل الله، هذا ما كنت أنويه وأرغبه، فقال له سلطان هديت ووفقت إلى الرشد، ثم أمر الأمير على بقية الإخوان أن يسلموا عليه بعدما هجروه، وأن يهنونه بنزوله الهجرة بعد الجفاء والتعرب، فقبض الأمير منه ماية الريال ودفع بها إلى رجل من أهل الصنف، ثم مشى معه إلى ارض قريبة منه، ورسمها ورسم له حدودها، ثم إن الرجل ركب مطيته وقصد إبله في الفلوات فحازها وجمع كل ما شذ منها وساقها إلى عنيزة، وباعها بأثمان غالية وصرف الريالات بذهب إفرنجي، وكيسها، وكانت تزيد على ثلاثة ألاف جنية، فأعطى رعاة الإبل أجرتهم وأعطاهم مطية وزاد، وردهم إلى البادية التي دعاهم منها، وبقي هو وعبده في عنيزة، وكان عبده يجيد الرماية فاستدعى برجل من الروقة اسمه دابي

القسامي من ذوي عطية[(١)]، فأفضى عليه سره واستكتمه إياه، وعاهده إنه ما يذيع سره على أحد، فلما توثق منه قال له إني اريد السفر إلى مكة وأنا ليس عندي معرفة في ديار الروقة، وأريد منك أن تصحبني في الطريق، فقال له انا صاحبك أمشي بك على ما تحب، فمشوا من عنيزة ثلاثتهم وكل منهم على مطية من سوابق الجيش، ومعهم ثلاث بنادق، وكان ارغب ما يكون مسيرهم بالليل، وإذا رأوا شيء من الناس انحازوا عنهم بعيد، حتى وصلوا إلى آخر عرب من الإخوان في مايلي الحجاز، وكان رئيس ذلك العرب صنات بن حليبيص الشيباني ومن معه من أبناء عمه الشيابين، وقد رأوهم بعد صلاة العصر بقليل وهم نازلين عند جبل أبيض يقال له عبل مقذل، وهو بين سجى وعفيف مما يلي المردمة، فما أحسوا إلا أنهم قد تورطوا بين الإبل والبيوت، وهم لا يعلمون أيضا من هم العرب، وكان من اليقين أنهم متى خرجوا من حظيرة العرب موجهين إلى القبلة فإنهم عدوان للإخوان لا شك، ولأنهم يقصدون الشريف، فالتفت راقي على صاحبه وقال له ما رأيك ؟ فقال له دابي : الرأي اننا ننهزم على طريقنا فان لحقونا على خيل ذبحناها، وان لحقونا على جيش فلا يدركوننا حيث إنهم لم يكن معهم مثل جيشنا بالسبق، فقال له راقي ما اقنعني هذا الرأي، ثم مد يده نحو خرجه فاظهر منها نصف طاقة شاش ابيض قد اشتراها واعدها للطوارىء ولتمام الحيلة، فقطع منها ثلاث عمايم لكل من الثلاثة واحدة، فدفعها لاصحابه، لكل منهم واحدة ولبس الثالثة، وهذا يعد ـ في نظرنا ـ دين مؤقت، فقال له عودوا صدور الجيش إلى البيوت، فتوجهوا إلى البيوت فمروا

---

(١) نهاية ص ٢٧٦من المخطوطة

بامرأة ترعى غنما فسألوها: من هم العرب يا بنت ؟ فقالت: هم الشيابين، وكان يعرف صنات الأمير، وصنات يعرفه تمام المعرفة، فساق الجيش إلى بيت صنات، وكان رجاله كلهم حاضرين عنده على نار القهوة، وكانوا في دينهم لوث، فهم لم يخلصوا مع الإخوان بل إنهم يودون أنهم تحت ولاية الشريف، ولكنهم مغلوبين على أمرهم، ومعهم الابل بكثرة وقد ربطت على ايديهم فلا يعرفون لها ماوى عند الشريف، ولا مأوى، وربما إنها تتلف من أيديهم[1] بوقت قصير، فلما قربوا منهم وهم على نارهم عرفوه قبل أن يصل عندهم، فحيوه وهو على مطيته قبل مناخه، فلم يرد عليهم شيئا، فلما أناخ عندهم جهشوا بوجهه يريدون السلام، فقال لهم : قفوا مكانكم مهجورين، ثم وبخهم بأن قال لهم: من يلقى مثلما لقيت يا ابن حبيليص أنت وجماعتك، فالإخوان يطاردون الكفار على سيف البحر، ويشربون الماء المالح وأنت تصلح إبلك بالشفاء وتقطع الرغاة عن خشمك وعن براطمك، وتصلح مرعى إبلك، الإخوان من ورائك يجاهدون ـ قال ـ فالتفت بعضهم على بعض وقالوا: خلوا الإخوان لا تغثونهم إذا ما بغوا سلامكم عليهم، ثم قال لهم بلسان طلق: عجلوا ضيفتنا ترانا عجلين نبي نمشي، لأننا معجلين، فقام واحد من العرب إلى إحدى مطايا الضيوف فركبها وقصد مرعى الغنم فأتاهم بشاة وذبحها من حين ما أنزلها من ظهر المطية، وعجلوا ضيفتهم على ما يرغبون، فقال لهم راقي وهو يشرب القهوة: احب ابشركم ياللي تحبون مكة ورزها، فقالوا: بشرنا بشرك الله بخير، فقال: إن هذا الخرج الذي على جنب الذلول ما فيه غير كتب ابن سعود،

---

[1] نهاية ص ٢٧٧من المخطوطة

وابن بجاد، والإخوان، كلهم يسعون بالصلح بينهم وبين الشريف ثم تكون نجد والحجاز سعودية شريفية كلها، فاستبشروا وفرحوا جميعا، وقالوا هذا مطلوبنا، فما فرغ من صلاة المغرب إلا وعشاهم مقدم بين أيديهم فأكلوه وركبوا ركائبهم قبل أن يندمس الظلام ثم سروا يخبطون الليل، فوصل مكة سالما وركب من وقته للشريف عبدالله بشرق الأردن وتزود منه بسلاح وذخيرة ثم رجع إلى مكة وبر بيمينه وغزا على الإخوان، هو ومحمد العبود، فصدفهم غزو من الإخوان فقتلوهم الإخوان وكان عددهم ٥٦ رجلا .

ولنرجع إلى ما قصدناه من تفصيل قبائل الروقة وأفخاذهم، فهم ينقسمون إلى قسمين كبيرين، طلحة، والمزاحمة، فأما طلحة فهم عدة أفخاذ فمنهم الحناتيش ورؤساؤهم المحيا ومنهم السمرة ورئيسهم عباس بن زيد، ومنهم الدلابحة ورئيسهم حازم بن عصاي، ومنهم الذيبة، وهم حناتيش من أتباع ابن محيا ومنهم الحماميد ورئيسهم ضيف الله بن رازن، وكان[1] فارسا شجاعا، ومنهم الحفاة، وهم ينقسمون إلى قسمين ذوي صقر وهم جماعة ابن جعلان، وذوي ربعي، ورئيسهمساير التوم وفراج بن طويق وولده سويد، ويقال إنهم نزيعة من الشلاوا، وإنهم من جماعة مقبول بن هريس وهم قبيلة يسمون الغربية، وهم أحلاف للحناتيش، وإلا فهم من الدواسر فهم عرب خلص، وكانوا ال محيا فرسان كلهم لا يشق لهم غبار، ولا ذكر في سابق الأمر أن يوجد رجل من المحيا ليس بشجاع، وكان سلفهم زايد بن محيا وناصر بن محيا شجاعين يضرب بشجاعتهم المثل، وكانت شيختهم معرقة ومؤثلة، وقد جرى لزايد وناصر

---

[1] نهاية ص ٢٧٨من المخطوطة

يوم عبوس، وهو أنهم ذات يوم قادوا مع الإبل العازبة للفلوات، وتحت كل منهم فرس سابق، فأغار عليهم غزو من قحطان ولم يحضر عند الإبل غيرهم، وكانت خيل قحطان يزيد عددها على الستين، وكان الاثنين يطاردون الستين كلهم، وكان في إبلهم ناقة حرداء، وهي التي تخبط الأرض بيدها، وكانت هذه الحرداء من كرائم إبلهم، فقالوا لهم قحطان : يا أهل الابل مالكم في مخاصمتكم فرج وحنا ما نحب نفلسكم من إبلكم، فالإبل منصوفة، لكم نصف ولنا نصف، فقال لهم زايد، والحرداء في قسمنا والا في قسمكم؟ فقالوا بل هي في قسمنا حنا دونكم، فحينئذ نهض زايد والتهبت فيه الحماسة، فأسمعهم عزوته حينما قال (خيال الحرداء زايد) فك الإبل يا ناصر، فاخذوا يهدون على خيل قحطان هد السباع على الغنم، فما تم الشوط الثاني حتى أفرجوا عن ثمان قلايع عن خيل قحطان، فبعدها نفضوا من الابل وابقوها واقفة، وكل أهل نجد لا ينكرون فروسة المحيا، وأنا سمعت من سعود العرافة يتكلم في فروسية المحيا وأنها فائقة على فروسة غيرهم من سائر الفرسان، ويخص من بينهم عفاس بن محيا، ويقول: كل فارس له كبوة، إلا عفاس بن محيا فهو الذي دائما يربوا على الفرسان ولو كثروا، فلا يخاف منهم ولا يهاب، وكانت هذه الناقة الحرداء هي عزوة المحيا من ذلك اليوم إلى اليوم[١]، وكنت سابقا اسير بالخفارة بين البوادي فما نجد رفيقا يمنعنا خير من طلحة، فنأخذ منهم رفيق حنتوشي أو حمادي أو اسعدي، فلا نجد من تجاوز حدهم من عتيبة ويقولون في المثل " لا روقي الا من يسمى طلحة والا اسعدي " والحفاة لحالهم، أما الأساعدة فهم

---

(١) نهاية ص ٢٧٩من المخطوطة

بني سعد، وهم هوازن الثابتة، وكان شاعرهم يقول وهم يلعبون ويعرضون عند الشريف الحسين فوق عشيرة في سنة ١٣٢٧هـ ويقول شاعرهم:

حنا بني سعد عما عين الحفيف	رحى عتيبة يوم كل له رحى
والله يا لولا حشمتك ياذا الشريف	يا كل القبايل ما يغدونا ضحى

وأما فخذ الاساعدة في نجد فهم كثير، ولكن اكثرهم حاضرة، ورئيس باديتهم فارس الزحاف وولده شقير، ومن حاضرتهم قسم كبير من أهل الزلفي وهم الفراهيد ومنهم الراشد المشهورين الذي منهم رشيد العلي وجماعته، ومنهم ال فهيد أهل عين فهيد، ومنهم ال طريف عبدالعزيز الحسن وجماعته، ومنهم أهل التنية[١] في اسفل الاسياح، ومنهم الرشوديين، في بريدة ومنهم فهد الحمد وجماعته في بقعاء، ومنهم حمولة الذكران في عنيزة، ومنهم ال مويشير في الجوف، وغيرهم كثير وكان الرشيد العلي شاعرا فكها ومن قوله:

نجد يكفي عن غثاها عذاها	والا فهي مرقص ابليس بالاقطار
نجد تبي الله يحتمل من غثاها	الى غليت الأسعار ياطا على الحار
نركض ومن صاد الجرادة شواها	وللنار يا مرث من المال دينار

ومن شعره قوله هذه القصيدة وقد أعطاه رجلا دراهم بتمر يؤديها له من الثمرة المقبلة، وكان رشيد هذا صاحب نخل وهو ملكه، فتأخر وفاؤه لعميله، فاشتكاه على أمير الزلفي فكلمه

---
(١) قد يكون المقصود أهل التنومة رغم البعد الواضح في رسم الكلمة

الأمير وأخبره بشكوى صاحب الحق، وانتظر الأمير جواب رشيد بعد سكوت طويل وكان سكوته لا تحديا بل يتلفظ لمقصد فقال الأمير اعطني الجواب فماذا اقول لعميلك فقال على البديهة:

من قالك تخاوي على الذيب سرحاني   او تدخل ايدك على الحيات بجحوره[1]
التمر ما يظهره تسعين سلطاني   مني ولو جاني بطبوله وزبوره
احبه الصبح واحبه مسياني   والحب الاخر الى ما بان كافوره
والحب الأكبر الى مابان له باني   شروى جياخ على العسبان منشوره
الى جيت للتاجر رحب وقهواني   والى شكل ذمتي لقان صرصوره
رجليه ملس رجليه تقل ثعباني   من فجري الماء على الغرسات بفجوره
وعشاه بر وعليه جنوب خرفاني   وعشاي دب القرع ماهيب مقفورة
غير حترش بنقبي واحد ثاني   ثور بداه الشحم من عند صرصوره
ازوده وزنة ويطيع كوباني   همن لعوج الطلايب يرتحل كوره

وهو الذي يقول حينما عيره رجل من السدارى أهل الغاط، اذ قال له انتم يا هل الزلفي جماميل تنقلون العجم من بلد إلى بلد، فقال على البديهة:

نقل العجم ما به على الرجل خذلان   ولا به علينا يابن تركي معيرة
حنا كما طير يخفق بجنحان   نتلي حراوي رزقنا كل ديرة
حنا ان رزقنا الله فلا حن ببخلان   من رزقنا ترزق يدين كثيرة
والا انت رزقك لازي بين جدران   زاد مسوىً لك تجيبه منيرة
وين انت عنهم يوم مرن مسيان   تكنع ورا الزرنوق كنك فويرة
ماقلت عوجوا روس الانضا بالارسان   لا ضر من مال زكاة عشيره
تفرح الى منه لفى الغاط طرشان   حتى ان الأحمد يذبحون العقيرة
وكسوتك تجي لك من هجر بالاثمان   اطلب عسى الأحمد ونسله ذخيرة

[1] نهاية ص ٢٨٠من المخطوطة

وقد اخذوا مدة طويلة يتجاوبون بينهم الشعر حتى وصلوا الى ريحة مصيبة فتركنا إيرادها لأنها بلغت درجة القذارة.

وكان ابن فهيد، رحمه الله، وهو راعي عين الاسياح المشهورة، جوادا كريما، وكان يضرب بكرمه الأمثال، وكان له زوجة من شمر، الطوالة، المشهورين، وكانت بارعة في الجود وكانت تعرف قدر كل ضيف يأتيه قبل أن يأمر عليها، والغاية إنها ساترة عرضه ووجهه، وقضت إرادة الله عليها بالموت فتزوج امرأة غيرها فلم يجد من الزوجة الأخيرة ما يسره، وكانت زوجته السابقة اسمها مطيرة فقال متلهفا عليها[1]:

اطلب عسى الجنة منازل مطيرة	لعل عظمه ما يجي واهج النار
ماهوب حب له ولاهي نظيرة[2]	لا شك تسترني الى جان خطار
ان جيت مطبخها الى تقل نيرة	ومن الحطب ما كنه الا بنجار
ماهيب خطو العلة المستديرة	يجي العتيم وفايح القدر ما فار

والحق أقول أن قبيلة الأساعدة أنهم رجال كرماء نزيهين، حاضرتهم وباديتهم، وكنا نسير معهم بين نزول عتيبة، فلا نجد من يذيرنا، ولم نسمع رجلا من الاساعدة قد حدث منه

---

[1] نهاية ص ٢٨١من المخطوطة

[2] اشهر الروايات تروي هذا الشطر على انه ـــ

ما معجبن زينه ولو هي نظيرة

اما ما اثبته الناسخ هنا فهو بلا شك تحريف شنيع لا يتسق مع المعنى

دسعة تعيبه بين القبائل، وكانوا هم والدلابحة والحناتيش والحماميد والحفاة مشهورين بحفظ الجوار والوقوف دون من رافقهم . واشرح للقراء تكملة مناقب محمد بن فهيد راعي عين الاسياح المتقدم ذكره، ولقبه محمد الرعوجي، وذلك أن عنده جار يسمى داني المطوطح، من قبيلة عنزة، وهم انتزعوا من قبيلة عنزة قديما، ونزلوا مع بني خالد في ديارهم المعروفة، وهم في منازلهم إلى يومنا، وقد كان داني هذا قد اقام بجوار محمد بن فهيد ثلاث سنوات على خير جوار، ثم نزع منهم وقصد قبيلته المعروفة في منازلهم، فلما وصل قبيلته ارسل إلى محمد بن فهيد هذه الابيات وهو قوله:

ياذا الحمام اللي على ملج و نطاع بالله عليك انحر امام المصلي
تلقى محمد باسفل السيح زراع قرم الى شاف النشاما يهلي
لا دبر الوزنة ولا كال بالصاع متكفل به واحد ما يخلي
هو ستر من حط الخواتم بالاصباع بالذكر والا شوفهن ما حصل لي

فلما مضى على هذه القصيدة خمس سنوات، رمى به المسير [ببلدة ابن فهيد][(١)] وهو في سفره إلى الحج، فلما فرغ من ضيفته له وأكرمه، جمع نساءه وأخواته ونساء أولاده وبناته فادخله عليهن، وقال والله لتنظرن اليهن جميعا، بدل قولك " وإلا شوفهن ما حصل لي " فنظر فيهن جميعا ودعى لهن بالستر والصيانة ودعى لرجالهن بطول البقاء، وإنا نأخذ من هذه وما يشاكلها دليل على أن العرب أهل شيمة ووفاء وعفة وأنهم لا يشكون في علو شيمتهم وعفافهم.

---
(١) زيادة يتطلبها السياق

ومثل ذلك ما قال عبدالله العلي بن رشيد في وقت جلائهم عن أبناء عمهم العلي، وهم امراء حايل من قبل الشريف، وكانت زوجته ام ولده متعب، تمشي على اقدامها حافية، وكان الموكل بها رجل يسمى حسين[1]، فمن ذلك يقول له عبدالله بن رشيد يوصيه على زوجته:

ياحسين والله مالها سبت رجلين	ياحسين شيب بالضمير هكعانه
ارفق بها ياحسين واتبع بها اللين	والى مشى ياحسين فامش مشيانه
وارفق بمضنون نزل حاجر العين	واشلق لها من راس ردنك ليانة
ياحسين ما يشتك كود الرديين	والا ترى الطيب وسيع بطانه

ولنرجع إلى ما قصصناه سابقا عن الدلابحة، والقول الصحيح أنهم فيهم خير وشر، وشرهم أكثر من خيرهم، فإكرام الضيف ووقوفهم دون الخوي والجار حسب العوائد المتبعة بين القبائل، أما شرهم فمستطير، والقسم الأكبر من شرهم على بلدتنا عنيزة، مع إنها صاحبة الفضل المديم عليهم، وهي التي غذتهم بلبانها حينما تتابعت عليهم السنين المجدبة، فلا يجدون ملجأ احسن منها ولا أخصب منها لمثلهم، فمنهم البائع والمبتاع في سوقها، وقد يزاحمون أهلها على ذلك فلا يجدون من يتعرض لهم بسوء، ومنهم من يتعلق أهل الإبل بالايجار كصفة رعاة لهم وارفاق، ومنهم المتسولون وراء الأبواب فيرحمون ويعطون من الفضل كلا بحسبه، حتى يرحلون بأحمال من

[1] نهاية ص ٢٨٢من المخطوطة

التمر، ومنهم الذين يذهبون مع أهل الاسفار بالماشية، إبلا كانت أو غنم، فياخذون مصالحا يرضونها، وكل هذا يذهب أدراج الرياح، ولن يشكر فضل الكريم الا كريم، فمن شرهم على عنيزة، أخذتهم لحمل أهالي عنيزة قاصدا مكة في سنة ١٣١٣هـ، والثانية قتلهم جماعة من أهل عنيزة في سنة ١٣٤٨هـ قرب قرية ضرية وعددهم ٨ ثمانية أشخاص، والثالثة قتلهم لأهل قرية البدايع من قرى عنيزة في هذه السنة المذكورة وعددهم أربعة وعشرين شخصا، وكلها مصائب متتابعة فتكت بها الأيدي اللئيمة ونكران الجميل، والملك العادل الموفق من ملوك العرب هو الذي يعامل البدو بثلاث خصال، لا يكرمهم فيطغون عليه، ولا يظلمهم بغير ذنب فيحقدون عليه، ولا يرحمهم إذا استخفوا بالحاكم وعاثوا برعاياه بالفساد وبالنهب والسلب، ولقد قال زياد بن ابيه في خطبته وهو على المنبر حينما استولى على العراق، وهي خطبته التي تسمى البتراء، وسميت البتراء لانها مجردة من البسملة وبذكر الله لا كما يستخدم في الخطب، وقد قال في اثناء هذه الخطبة متهددا أهل العراق[١] بأن قال: وإني اقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصي حتى تستقيم لي قناتكم أو أبيدكم عن أخركم، فقام رجل من بقايا الصاحب، يدعى بلال بن ادية، وكان شيخا مسنا فقال له : يا هذا الفتى ان الله اخبرنا بخلاف ما قلت، فقد قال الله في كتابه العزيز (ولا تزروا وازرة وزر أخرى) فرد عليه وهو على منبره قائلا أيها الشيخ: والله ما أنت بأعلم منا بما في كتاب الله ولكننا لا نصل إلى الحق منكم حتى نخوض في الباطل خوضا.

---

[١] نهاية ص ٢٨٣من المخطوطة

وقد نورد دليلا على فصاحة العرب وأنهم فصحاء، فمن ذلك ما قاله بديوي الوقداني النفيعي، وهم بطن من هوازن، وكان شاعرا في باب الشريف عبدالله بن محمد بن عون، شريف مكة، فلما مات الشريف المذكور رثاه بديوي بهذه القصيدة:

الملك لله والدنيا مداولة	ولا لحي على الايام تخليد
الناس زرع الفنا الموت حاصدهم	وكل زرع اذا ما تم محصود
الناس ذا فاقد يبكي احبته	وذاك يبكى عليه وهو مفقود
وذاك أبدت له الأيام زينتها	وذاك أيامه هم وتنكيد
تبا على الدهر والأيام لو ضحكت	تصفو زمانا ويتلو بيضها سود
ان سالمت غدرت او واهبت رجعت	ظلا يزول وما تعطيه مردود
للدهر وجه عبوس في تقلبه	وللمنايا سهام صيدها الصيد
تصطاد ما لا تكاد الأسد تنظره	وحبلها لاصطياد الكل ممدود
لو يمنع المت سلطانا بقوته	لكان حيا سليمان بن داوود
اين ابن عون الذي كانت تذل له	اسد العرين وتخشاه الصناديد
والأرض مهدها والبحر سكنه	حتى تساوت اسود الغاب والسيد
عز المعالي وعز الملك من ملك	عن جملة من ملوك الأرض معدود
دارت عليه المنايا كاسها سحر	في محفل ليس فيه الناي والعود
فشد من دار دنيا لدار اخرة	عند ابن عباس في الاجداث ملحود
عليه من الله عفوا ومرحمة	**ورضوان رب بالعباد ودوود**

وله القصيدة العصماء وهي نبطية[١]:

أيامنا واللي كم نعاتبها	شبنا وشابت وعفنا بعض الاحوالي
ايام في غلبنا وايام نغلبها	وايام فيها سوى والدهر ميالي
توعد مواعيد والعاقل يكذبها	واللي عرف حدها من همها سالي
في كل يوم تورينا عجايبها	واليوم الأول تراه احسن من التالي
نضحك مع الناس والدنيا نلاعبها	ونمشي مع الفي طوع حيث ما مالي
كم من علوم وكم اداب نكسبها	والشعر موزون مثقال بمثقالي
جربت الأيام ومثلي من يجربها	تجريب عاقل وذقت المر والحالي
ان اقبلت يوم ما تصفى مشاربها	تقبل وتقفي ولا دامت على حالي
واعرف حروف الهجو بالرمز واكتبها	عاقل ومجنون وحاوي كل الاشكالي
ان كان حظي ردي والروح متعبها	ما فادني حسن تأديبي مع امثالي

[١] نهاية ص ٢٨٤من المخطوطة

روحي بها العز والحاجات تغصبها ترمي بها بين اجواد وانذالي
قوم الى جيتها رفت شواربها بالضحك وقلوبها فيها الردى كالي
وقوم الى جيتها صكت حواجبها وأبدت لك البغض باقفاي واقبالي
ماكني الا مسوي حال يغضبها والكل في عشرته ماكر ودجالي
ياحيف تخفي أمور كنت حاسبها واللي على بالهم كله على بالي
دللت بالروح ليي ارخصت واجبها وانا عتيبي عريب الجد والخالي
قوم تدوس الحيايا مع عقاربها ولها عزايم تهد الشامخ العالي
والناس اجناس لين انك تقاربها وتكون منهم كما قالوا بالامثالي
والروح وش عذرها في ترك واجبها راح الحسب والنسب في جمع الاموالي
والمال يحي رجال لا طباخ ابها كا لسيل يحيي الهشيم الدمدم البالي
دار بها الذل دايم ما يغايبها والجوع فيها ومعها بعض الاحوالي
جوعى سراحينها شبعى ثعالبها والهر والكلب يقدم كل رئبالي
والأرض لله نمشي في مناكبها والله جعل لنا رزق واجالي
حث المطايا وشرقها وغربها واقطع بها كل فج دارس خالي
واطعن نحور القفيافي مع ترايبها وابعد عن الهم تمسي خالي البالي
من كل غيرانية تقطع براكبها فدافد البيد درهام وزرفالي
تبعدك عن دار قوم ودار تقربها واطلب لروحك عن المنزال منزالي[١]

تتمة القصيدة:

ان مت في ديرة قفرا جوانبها بها لوطي السباع البغث مدهالي
أخير من ديرة يجفاك صاحبها كم ذا الجفا والتجافي والتملالي
والشمس في برجها والغيم يحجبها تقبل وتقفي لها بالعرض مجدالي
رب السموات يا مجري كواكبها يا مجري الفلك في لجات الاهوالي
ضاقت بنا الأرض واشتبت شبايبها والغيث محبوس يا معبود يا والي
يا الله من مزنة هبت هبايبها رعادها بات له بالبحر زلزالي
ريح العوالي من المنشا تجاذبها جذب الدلى من جب مطوية الجالي
ديمومة سبلت وارخت ذوايبها وانهل منها غزير الوبل همالي
تسقي ديار شديد الدهر حاربها ما عاد فيها لبعض الناس منزالي
يارب توبة وروحي لا تعذبها يوم القيامة الى ما قلت اعمالي
وازكى صلاتي على المختار نوهبها شفيعنا يوم حشر فيه الاهوالي

(١) نهاية ص ٢٨٥من المخطوطة

فصل في أفخاذ المزاحمة من الروقة

أما المزاحمة فهم ينقسمون الى عدة أفخاذ، فمنهم المراشدة والغبيات وهم أبناء رجلين كما تقدم ذكرهم، ومنهم العضيان وهم أبناء عم للمراشدة والغبيات، ورئيس المراشدة راجح أو غالب ال أبو خشيم، ورئيس الغبيات شليل أبو نجم، ورئيس العضيان صنيتان الضيط، وبعده ولده مارق، وبعد مارق، ولده هندي، ومن اكثر افخاذ الروقة ذوي عطية، وهم اكثر أفخاذ المزاحمة، فمنهم الخراريص ورئيسهم صايل الخراص، وأولاده من بعده، ومنهم المعادلة، وزعيمهم شليويح، الفارس المشهور، ومن بعده أولاده ضيف الله، وفارع، وفاجر، وكانوا كلهم فرسان، أما شليويح فقد فاق في الشجاعة وفي الصيت أبناء عصره، فكان فارسا شجاعا شاعرا، وكان له اخ اسمه بخيت، وهم أبناء رجل يسمى ماعز، ليس له زعامة مطلقا، وكان بخيت شجاعا شاعرا يضاهي شجاعة اخوه شليويح. ولكن الحظ في المغازي استأثر فيه شليويح عن أخيه بخيت . ونذكر للقراء ما بدأت به زعامة شليويح، وقد كان شليويح في أول شبابه لم يكن شيئا مذكورا، وكان أول ما تبتدىء به زعامة أكثر الزعماء من البادية أنهم يغزون على أعدائهم رجلا بلا ركوب، ثم بعدها[1] يمتطون الركاب المذللة من الإبل ويسمونه معيار، فيقال عيّر فلان إذا كان في ركب قليل من عشر الركاب أو أقل، فلا يسمونهم غزو، لأنهم ما يدركون غارة النهار بل إنهم يكمنون بالنهار ويهدفون على أعدائهم بالليل، فيجدون فيها غفلة ينهبون أو يسرقون، وإذا كثرت اتباع الزعيم مع قيام حظه، غزا بخيل وجيش وصبحوا عدوهم في رابعة النهار،

[1] نهاية ص ٢٨٦من المخطوطة

فتارة يغنمون، وتارة يؤخذ جيشهم الذي هم عليه، وتذبح خيلهم، وأحسن ما عندهم من العوائد التي جروا عليها ورضيوها فيما بينهم وذلك انهم يمنعون المستأسر ولا يخونونه بعد المنع، ويحافظون عليه أن لا يمسه احد منهم بسوء، وينزلونه عندهم ويكرمونه ويعطونه راحلة متى أراد السفر إلى أهله، والأمر الثاني أنهم يحافظون على النساء، ولا يدعون أحدا يسلبهن ثيابهن أو يمسهن بسوء أو بشيء من المكروه الذي تسقط به شيمتهم، فهم يعتبرونهن مثل حريمهم . ولنذكر للقارىء قصة جرت على بخيت بن ماعز اخو شليويح، وذلك إنه أغار بغزو معه على الكرزان من البقوم، وهم جماعة قاعد بن جرشان، فأغار على إبلهم وقت العصر، ففطنوا له وفزعوا إليه هو ومن معه من غزو، فاخذوا جانبا منهم واستمنعوا، وكانت تحته جواد فقتلت بالمعركة، فهرب على رجليه، وشرد عنه ما بقي من غزوه، فرأى ان اللحاق بغزوه يتلف حياته قبل أن يلحق بهم وهو يمشي على الأقدام، فكمن تحت شجرة حتى اندمس عليه الليل، فرأى أن يزبن على عدوانه الذين قد حربهم بالأمس وهم يريدون قتله، ودخل عليهم في وسط الليل بعد ما نامت العيون، فانساب من بين الإبل والبيوت حتى انصب على زعيم عدوانه، وهو قاعد بن جرشان، فجلس على نار القهوة ووجد النار حية والقهوة بالدلال حارة، فأخذ الدلة بيد والفنجال بيد فكان يصب ويشرب من القهوة، فانتبه به الزعيم فانتهره، وقال من انت ياللي على القهوة تشرب، فقال بخيت على الفور انا عدوكم وسلمت ياقاعد، فعرف صوته من حين نطق، فقال انت بخيت ؟ فقال انا هو، فقال أي والله سلمت والله يسلم من يشاء،

فلما أصبح الصباح دعوا له بذبيحة فذبحوها وأكرموه[1]، فاقام عندهم ثلاثة أيام مكرما معززا، وكان الشيخ قاعد له زوجة جميلة تسمى سارة الوازعية، وكان بخيت في جلوسه يرفع نظره اليها وينظرها وهم في المجلس وزوجها جالس معهم، ففطن له احد الجلوس الذين عنده، فقال له : لا تنظر لزوجة الشيخ، فقال على البديهة يخاطب الرجل الذي نهره حينما رآه يرفع نظره اليها فقال:

رفع النظر ما هوب عيب عليه	أبا اتعين بنت ماضين الأفعال
بنت الشيوخ مهدمين الركية	وعدوهم لزما يرضونه على الجال
يا ونتي ونة معيد ونية	ومع الونا عاري ظهرها من الحال
تقبل وتقفي بالغروب الروية	وسواقها يصلب الى الفجر عمال
الى الزرج مظهورها بالحنية	يبرا لها قاعد بتسعين خيال

فقال له قاعد: يابخيت حطيت معي تسعين خيال، وانا والله خيالتي اللي معي من الكرزان تسعة خيالة وانا عاشرهم، فقال بخيت ردا عليه هم تسعة وانت براسك عن تسعين، فقال قاعد الله يقوله يابخيت، فلما قال قصيدته تناولت جوخة قاعد زوجها، التي يلبسها إذا ركب على الفرس، فتناولتها ورمتها على بخيت جزاء له كما مدحها بالقصيدة، وبعدما أقام ثلاثة أيام اعطوه راحلة وسافر إلى أهله، ولما سافر إلى أهله رد اليهم راحلتهم، وهذه عوائدهم. ومثل ما لهم من العوائد الحميدة المستحسنة، فعندهم عادة قبيحة وذميمة نشأوا عليها، وهي انهم إذا قتل

[1] نهاية ص ٢٨٧من المخطوطة

رجل منهم رجلا آخر، أغاروا على قبيلة الرجل القاتل يقتلون منهم رجل ولو كان ليس قريبا للقاتل بل من قبيلته، هذا إذا لم يتمكنوا من قتل القاتل نفسه، سواء هرب أو دخل على من يحميه سنة وشهرين، وهذه عادة قبيحة تخالف الشرع والعقل . ولنذكر قصة جرت لشليويح وقاعد بن جرشان المذكور، وكانوا زعيمين، كل زعيم قبيلته، وكان شليويح يلازمه اخوه بخيت هذا الذي ذكرنا، وكان ساعده الأيمن في كل مغازيه ووقائعه، فمن ذلك أن شليويح جمع قبيلته للسفر إلى تربة ليشتروا منها التمر فى وقت جذاذ النخل، فقصد سوق تربة وباع جلائبه، واشترى منهم تمرا، وحمل جماله، فلما أراد المسير عزمه جاسر[1] بن محيا، شيخ البقوم، القاطنين تربة، وهم أهل النخل، ودعى معه قاعد بن جرشان، ليحضر كرامته لشليويح ومن معهم، فحضروا عنده، فلما تناولوا طعام العشاء ادار عليه البخور، فبدأ بقاعد، يمدها اليه لأنه هو الذي يليه، فقال قاعد مستهزئا: عدها على شليويح، أنا بخوري عجاج الخيل وأنا اخو نوضا، مهوب دخان عود، فرد عليه شليويح قائلا: تقول كذا يا قاعد ؟ فرد عليه بقوله "اطوله واقوله" فرد عليه شليويح قائلا : والله لئن قسم الله ياقاعد، إن تنظرني فوق فرسي الجازي، ازعج مغاتيرك والشهر هذا ما وفى، فرد عليه قاعد بقوله : والله ياشليويح لئن شفتك فوق ظهر الجازي تزعج مغاتيري إن تنظرني فوق فرسي الوذنا مخاشرك فيه ويد الله من تكون معه، فانقطع كلامهم على ذلك، وسافر شليويح بمن معه من قبائله إلى أهله، فلما وصل عند أهله ووضع ما معه من الأحمال، أرسل إلى عربانه يستنهضهم على الغزو معه،

(١) نهاية ص ٢٨٨من المخطوطة

فغزا وعدة جيشه ٤٠٠ مطية، وعدة خيله ١٤٠ فرسا، فعمد إلى منزل قاعد بنفسه وعربانه، فلما وصل إلى حروة منازلهم، أتاه آت بأنهم نزلوا في موضع اخر ومعه قبيلتين وهم سبيع والشلاوا، فأغار عليهم وهم نازلين قبل أن يبنوا البيوت وإبلهم قريبة منهم ففزعوا على شليويح ومن معه، وتطاردت خيل الفئتين باشد ما يكون من الحماس، وتناطح قاعد وشليويح على فرسيهما وكل منهما اطلق سهمه على صاحبه، وهي الرماح، أما سهم شليويح فهو انطلق من يده بالكلية فلم يصب قاعد منه شيء، وأما قاعد فطعن شليويح فوق الثدي وخرج السنان مع لوح كتفه وخر صريعا من فرسه، وكان اخوه بخيت يطارد خيل العدو لاهيا عنه، فأخبروه بخبر أخيه، فأتى مسرعا لأخيه فاعترضه فارس مشهور، اسمه راجح بن متروك، فقتله بخيت وغنم فرسه قبل أن يصل إلى أخيه، فلما وصل إلى أخيه وإذا أصحاب شليويح عنده يدافعون عنه بعدما وقع على الأرض جريحا، فنزعوه من الأرض وأركبوه مع بخيت على فرسه ثم ضمه على صدره وانهزم به[1]:

وان قلت الوزنة وربعي مشافيح	اخلي الوزنة لربعي واشومي
فالى رزقنا الله بذود المصاليح	يصير قسمي من خيار القسومي
لحقوا هل البل مبعدين المراويح	معهم من الحافر سوات الغيومي
فالى ذبحت السابق ام اللواليح	كل نهض يمناه للمنع يوفي

وله هذه القصيدة:

[1] نهاية ص ٢٨٩من المخطوطة

مسرى سريته يم عثمان لا عاد	لا عدت يا مسرى الخطا والهواني
يا اهل الركايب ولموا فوقهن زاد	حطوا عليهن من خفاف الاواني
ترى لهن من غب الاثنين ميعاد	الى مالت الفية على المسنحاني
سبارهن يدبي لهن روس الارجاد	خشم النجج والا بضلع حلباني
قال ابشروا يا مستهمين الأولاد	شفت السطع ماني عليكم بكاني
طارن عمايمنا وطارن الاجعاد	من شر جيش عذبهن ارثعاني

وله القصيدة المشهورة التي نظمها في وقعة طلال، وطلال ماء بين المدينة والقصيم، وذلك أن سعود الفيصل بن سعود غزا على عتيبة في سنة ١٢٩٠هـ، ورئيس عتيبة يومئذ مسلط بن محمد بن ربيعان، وهم الروقة خاصة، ليس معهم أخلاط من أي قبيلة غيرهم، وكانت تشهد بشهرتها قصيدة شليويح كما شهدت قصيدة عمرو بن كلثوم لبني تغلب في وقعة خزاز مع اليمانيين، وذلك ان سعود بن فيصل غزا من الرياض ومعه حضر الجنوب وبواديهم، فمن البوادي مطير وقحطان وسبيع والعجمان والدواسر، فلما قطع معظم الطريق، انطلق منهم نذير ينذرهم، فلما أتاهم النذير، جمعهم زعيمهم مسلط وشاورهم، خصوصا ذوي الرأي منهم، بين الشديد والهزيمة، وبين الثبات والعزيمة، وكان من رأيه ورغبته أن يثتبوا على ماهم فيه، ويصادفون عدوهم، ولكن روؤساء قومه أبدوا له رأي اخر، وذلك أنهم قالوا له نهزم الإبل بليل ونبقي الخيل والرجل والبيوت، فإذا صبحنا سعود هزمناه إن شاء الله، فلم يعجبه هذا الرأي، وأمر على أهل الإبل أن يعقلوها عقالين بيديها الثنتين، ففعلوا ذلك[١] وأطاعوه، ثم إنهم أحكموا المشورة

---
[١] نهاية ص ٢٩٠من المخطوطة

قبل أن يصبحهم، فركبوا وقصدوا موضعه حينما ينيخ يصلي ثم يغير، فكبسوه على غرة وهزموه شر هزيمة، واخذوا معظم جيشه وخيامه وأزواده ورواحله، واشتبكت بينهم معركة دامية قبل الهزيمة، فبعد الهزيمة أخذوا يمنعون الرجال من القتل ويغنمون الأموال، وهذه عوائد البدو، لم يتحصلون على الاطماع الا بالمنع ولو رأى عدوه انه يقتل ولا يمنع فإنه لا يستسلم حتى يقتل، وكان زعيمهم مسلط قد ناداهم برفع المنع قبل اشتباك الوقعة، وأن من منع منهم فإنه سيسهج وجهه ويقتل منيعه الذي هو منع، فكان لا مناص من المنع، فمنع منهم رجال فاستخف بهم مسلط، فقتل منعاهم جريا على ما نبههم به بالأمس، وكان شليويح قد منع سبعين رجلا بوجهه وانزلهم بيته وبيوت أولاده وعمل لهم طعام وأكلوا وشربوا، فدعى بهم مسلط ليقتلهم كما قتل من قبلهم، فامتنع شليويح تسليمهم له ودافع عنهم هو وقبيلته، ودافع عنهم شليويح أشد المدافعة، واستشفع بزعماء الروقة على مسلط، فلم يشفعهم، ثم إن شليويح جمع الأمراء ثانية وقال لهم بلسان فصيح : امضوا إلى الأمير مسلط وبلغوه اني سأقف دون قتل منعاي وقطع وجهي، والله ما تتحدث عتيبة إن منعاي قتلوا وقطع وجهي بعد ما أمنتهم ونزلوا بيتي واكلوا طعامي، فلن أسلمهم ولو تلفت نفسي، فاني أفضل أن أموت قبل أن أراهم يقتلون، وفي عزم شليويح إنه إذا صمم مسلط على قتلهم فأن شليويح سيمضي إليه ويقتله قبل أن يصل مسلط إلى أضياف بيته فيقتلهم، ثم أسر شليويح إلى بعض مشايخ الروقة بأنه سيفعل ما ذكره لهم، فإن مضوا إلى مسلط يترجونه في العفو عنهم إكراما لشليويح، وقالوا له: إن مراكيض أبو ضيف الله ما تنسى حينما يكر على

عدوه، فاكثروا عليه من طلب العفو عنهم فلم يسمح بذلك وأبى إلا أن يرد شفاعتهم، فقام رجل منهم يدعى مدوخ بن تنيبيك من شيوخ المراشدة، فقام مستعجلا[١] يتخطى رقاب الرجال حتى برك أمام مسلط كما يبرك البعير، فأخذ بتلابيبه وبمجامع ثوبه حتى تمكن منه فجذبه جذبة وقال له : (اعف عن منعى شليويح لرحم ابوك)، وهذه الكلمة عند البدو يعدونها اخر سهم بالكنانة، فمن هذه الكلمة القاسية عرف مسلط أن الأمر بلغ مع شليويح اخر حد، وأن عناده سيحدث فتنة تقوم بين القبيلتين، وكل من الزعيمين له أتباع ينصرونه، فبعناده تفترق كلمتهم وتنشطر القبيلة قبيلتين، فتأتي بينهم كما أتت بين عبس وذبيان، فقال مسلط : فكوني يا الروقة تراني عفيت، وبذلك انتهت المعركة وانحسم النزاع، فقال شليويح قصيدته في هذه الوقعة فاحببنا ان نسطر اكثرها لتحصل الفائدة لان القصيدة نفسها هي كافية لتفصيل الوقعة فيقول فيها:

اول كلامي طلبتي ذكر الله ... وانا على الرب الكريم رجاوي
على طلال الصبح خلت مخايل ... يوضي سناويها الى الجرذاوي
وبرقها الهندي وسلات العجم ... ولها بروس الخيرين نعاوي
تمطر بعطشان المحبب والقنا ... ورعودها البارود والعزاوي
جانا سعود معزل بيارقه ... باهل الجنوب ولمة البداوي
هم ثلاث الاف عد جموعهم ... بلوى كفانا الله البلاوي
وحنا ثمان امية عد جموعنا ... لا فينا اجنبي ولا برقاوي
حنا ندبنا شيخنا ابن محمد ... ثم انتهض مثل العقاب الناوي
هم شيوخنا ما نعتاض فيهم غيرهم ... اهل الصخى والمنزل المتساوي
سواقة المغتر على الحرابة ... الى قام الحريب على الحريب يلاوي
حنا نطحناهم وقدمنا الله ... وحنا على النطحات للبلاوي
أولاد روق اللي عديب جدهم ... وان جا من الحكام رد براوي
نخيت مزحم عز منهم ربعه ... يوم اللقا زادوا ورا الهقاوي
والعلم يرجع يم نسل محصن ... عسى لهم عند الاله عراوي

---

[١] نهاية ص ٢٩١من المخطوطة

يـا مسـوي الفنجـال كيف مدوخ
عده لابن صلال والجلاوي[1]

وانـا زبون الحرد أبو ضـيـف الله
الى كلح الشارب عن الشفاوي

البـيض فـال الله ويمنـى سـابقي
الله ينجيها من الاهاوي

رديت سلطان البعير بينهم
والشيوخ ما ردوا له النخاوي

وارويت مذلوق القنا من خيلهم
يوم ادبحوا شرابة القهاوي

يـا ظفرهم لا قرب الله دارهم
وحنا عليه مثل نجم هاوي

يـا قردهم لولا اسمر في خيلهم
يدلي علينا دلاية النداوي

لكن سربة خيلنا الى اوجهت بهم
جفيل صيد هارب مع نزاوي

ولكن سربة خيلهم الى اوجهت بنا
زمل مخزمينه عن الكراوي

لكن جضع الزلم عند نحورنا
جضع الخشب بالوادي السناوي

كله لعين اللي تجر حنينها
عفرا تبي صيفية المطاوي

وكله لعين اللي تقض جعودها
تبكي في تال البكاوي نخاوي

تقول يا الظفران من عاداتكم
هوشوا عساه يبقى لكم شلاوي

لا لعنبو من جاف عن محرافها
يوم ان طار الستر عن مضاوي

وهذا آخر ما نورده من القصيدة فهي التي تخبر عن الحدث في هذه الوقعة تفصيلا واضحا، و أما مضاوي التي ذكرها شليويح فهي التي ركبت بالضله فوق الجمل فهي ليست عتيبية، فهي دويشية وهي بنت الحميدي الدويش، عمة فيصل بن سلطان الدويش وأمها شعاع بنت محمد بن ربيعان، شقيقة سلطان ومسلط، وهذه مضاوي، التي ذكرها شليويح، وحينما احست بالمعركة طلبت من نساء خوالها أن تكون هي التي تركب بالضلة، فسمحوا لها بذلك كلهم، وكانت هذه الضلة عند البدو تقوم مقام الراية، وكانت عادة قديمة عند العرب لا سيما البادية منهم، فهي من زمن الجاهلية إلى يومنا هذا عادة متبعة، وكان العرب رجالهم وفرسانهم يلتفون حولها يمينا وشمالا ويقاتلون عندها قتال المستميت ويستعيبون الفرار عنها، وكان طلحة والزبير قد حملوا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم فكانت هي تشجع القوم وتحثهم على القتال في وقعة الجمل

[1] نهاية ص ٢٩٢ من المخطوطة

المشهورة، وكان الصحابة رضي الله عنهم حافين من حول الجمل ولا يدعون احدا[1] يقترب منه حتى يقتلون عن آخرهم، فلما رأى الإمام علي رضي الله عنه أنهم لا يفارقون الجمل حتى تبيدهم السيوف والرماح عن آخرهم أمر أصحابه رضي الله عنهم بأن يعقروا الجمل فعقروه، وبعقر الجمل طفت الفتنة، ونودي بوضع السيف والقاء الرماح .

وأما شعاع المتقدم ذكرها زوجة الدويش هي التي يقول فيها الشاعر فجحان الفراوي المطيري حينما مات زوجها الحميدي الدويش قال:

مات الدويش وما ت له عن بضايع ... شعاع والصمان وكروش والشرف
وعيال علواه فوق قب وطلايع ... شقرا تلافي روس الاذيال للعرف

وإليك أيها القارىء تفسير البيتين

شعاع هي زوجته، والصمان هي مراتعه، وكروش هي فرسه، والشرف أباعره، وعيال علوا بني عمه وقبيلته، وذلك أنهم فرسانا، وكما أن فرسان العرب وزعماؤهم يشعفون الفروسية، ويتعبون لها فإن مع ذلك لهم قسم وافر من الغرام، فهذا شليويح وهو الفارس المشهور قد بعث بهذه الابيات إلى طلال بن عبدالله بن رشيد يقول:

---

[1] نهاية ص ٢٩٣من المخطوطة

يفدى عشـــيري من عظامه تقلـه		البدو واللي يلبسون الخزاري
حتى طلال الشـــمري فـدوة لــه		مودع فراقين البداوي وقاري
الشيخ يدمح لي ثمانين زلة		واللاش ماني عن زراياه داري

فرد عليه طلال يقول:

يا واصل مني شليويح قل له		في سد وجهي عن جميع الزواري
قدمه لطيف الروح حالي تسله		سل السلوك بمهماة الاباري

هذا آخر ما نورده من سيرة شليويح في حياته، وهو قليل من كثير من أشعاره، ومن فروسيته، وقد ختمت حياته بالقتل، فإنه في عام ١٣٠١ هـ أي على رأس القرن، وذلك انه غزا على قحطان، فأغار عليهم وهم قرب أشيقر، القرية المعروفة في مكان يسمى الفرع، فصدف أن ولدا صغير السن عمره ١٧ سنة وكان لأبيه فرس مربوطة عند البيت، وكان ابوه غائبا فغصب الولد[1] أمه أن تفك له حديد الفرس ليركبها ويطارد مع الخيل، فامتنعت، ولكنه هددها بقتل نفسه، فخافت عليه ففتحت الحديد عن الفرس، فركب وقصد الغارة، وكان في نظره من الفرسان كلهم شليويح، وأما شليويح فإنه لما نظر اليه ورآه صغير السن احتقره وأعاره دبره وراح يطارد فرسانا غيره، فلحقه الولد خلسة فطعنه في خاصرته بالرمح فقضى عليه، وبذلك ختمت حياته، واغلب فرسان عتيبة يقتلون على

[1] نهاية ص ٢٩٤من المخطوطة

هذا الشكل، وإني أعلم أني أسطر هذا التاريخ متيقنا بفناء حياتي، وببقاء التاريخ بعدي وأنه سيقرأ فيه اقواما يرون في نظرهم أنها قصص وروايات مثلما يقرؤنه في قصص بني [هلال][1] وما ينسب لهم من الخرافات مع أني شاهدت معظم تاريخي هذا مشاهدة عيان، فسبحان الخافض الرابح وهو مداول الزمان بين عباده، فكل جيل له حياة وعوائد غير الجيل الآخر، فالملك لله وحده حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. ثم إننا قد فرغنا من قصة العضيان التي سبقت قصة شليويح وجماعته، وكان فخذ من العضيان يقال لهم الدماسين وزعيمهم اسمه ناصر الشغار، وكان فارسا لا يشق له غبار، وقد ولد له ستة أولاد وكلهم شجعان تضرب بشجاعتهم الأمثال، فأكبرهم محمد وحمس ومحماس وسلطان وعيد وعباس وهو أصغرهم، وكلهم قتلوا في حياته، وآخرهم عيد، قتله الجدري، وكان محمد متزوجا بنت صنيتان الضيط، فغيرته على أبيه حتى جفاه ورحل بزوجته وترك أباه مقيما في منزله، وكان نزوعه عنه من ضرية، حتى نزل عشيرة، أما ناصر الشغار فحينما ارتحل عنه ولده، قال فيه هذه القصيدة يلومه فيها عن ارتحاله عنه وتركه في منزله فقال:

والله لو هو والد لي ما اخليه	وفي والدي والله ما اطيع المشيرة
غدت به اللي كنها بكرة التيه	وعزي لمن زين الوسايد شويره
نوبٍ يناجيها ونوبٍ تناجيه	والكل منهم قام يبني زبيره
ذيب الطراد الى حل القضا فيه	ما يسنح المركاض يضرب عويره[2]
خاله و ابوه مشبحينه باياديه	لولا شبوحه كان ماراح ديرة

(١) موجودة في نسخة البطحي اما النسخة التي انسخ عنها فغير موجودة

(٢) نهاية ص ٢٩٥من المخطوطة

وأبيات غيرها، فنقلت القصيدة الى ولده محمد في الشهر الذي فارقه فيه، فرجع إلى والده حينما سمع القصيدة وطلق زوجته التي كانت سببا لمغاضبة أبيه .

وقال يخاطب رجلا عنده اسمه شعيل، في أولاده الذين قتلوا بعد ما مات ولده عيد وهو آخرهم فقال:

يا شعيل وين اتلى نجوم الربيعي — اللي لهم طرح المجوخ ولاعة
والى اعتزوا بجوزا ورفعة جميعي — الخيل ما تثبت لهم ربع ساعة
من عرض ما يبكيه قبا طليعي — وتبكيه راعية القعود الزعاعة
انا على ما دبر الله مطيعي — وما دبر المولى فلا به شفاعة
يارب يسمتني بحبل منيعي — عدة ليالي محسبين البضاعة

وهؤلاء الدماسين هم من العضيان، ومنهم شارع الوهاب، الذي يذكره مطوع نفي، في سومه لنجره، وكان مطوع نفي هذا فكها شاعرا كريما واسمه سعد، وكان عنده نجر، فكثر الكلام عليه وشهر به في قصيده، وقد سامه منه شارع الوهاب الدماسي من جماعة الشغار المذكور أعلاه فقال في ذلك:

النجر سامه شارع الوهاب — سامه وكثر مير انا عييت
يا الله لا نتكل على الاسباب — ان كان بعت النجر بعت البيت

ثم سامه منه دغيليب بن خنيصر الاسعدي، فقال المطوع:

نجر المطوع يوم سامه دغيليب
قالوا تبيعه قلت والله ما ابيعه
باغ الى جونا هل الفطر الشيب
اجواد ما ارفقهم عدو الشريعة
اول قراهم دلتين بترحيب
سهل بها الخاطر بنفس رفيعة

فكان يكثر من ذكر نجره ومديحه له، فصدف إنه في سنة ١٣٢٥هـ غزا محمد بن عبدالرحمن الفيصل اخو الملك عبدالعزيز على عتيبة، فأغار عليهم فأخذ من أخذ منهم وسلم من سلم، ورجع قافلا حتى قفل ونزل بطحاء نفي، وهي بلدة المطوع المذكور، فخطر في باله أن يطلب نجر المطوع يحضر عنده لكثرة ما سمع من أشعاره في مدح هذا النجر(١)، فأرسل خادما له يدعى سعد بن بيشان، فقال: اذهب وأتنا بنجر المطوع، فذهب المرسول له، وقال للمطوع: إن عمي محمد، يطلب النجر أن تعطينيه، فقال المطوع : اني لا أعطيك النجر، وإنما انا اذهب به إلى الأمير بنفسي، فمشى مع خادمه والنجر في يده، فمشى به حتى وضعه يدي الأمير محمد، فقال له : أتاني خادمك سعد بن بيشان وطلب النجر يحضر فأتيت به اليك بنفسي، وما حملني على ذلك إلا كلمات شعر قلتها فيه حينما أتاني خادمك يطلبه وأنا اسير به اليك، فقلت:

منول يا نجر ما اسمع بك السوم
وحلفت يا اني لك فلا اعطي ولا ابيع
يا طول ما نبهت عين بها النوم
وان دن حسك فجع القلب تفجيع
ويوم طلبوك اللي عسى عزهم دوم
ريف الغريب وستر بيض مفاريع
رخصت للي يرخص العمر بالسوم
اهل الصخا وسيوف نجد القواطيع
والله ما اتبعك الحسايف ولا اللوم
من يوم قفيتك بيبع التسابيع
اخذت عشر سنين كن السنة يوم
واليوم فارقتك فراق الجرابيع

(١) نهاية ص ٢٩٦من المخطوطة

فلما تمم قصيدته تناول الأمير سبعة أريل ووضعهن في النجر، وقال اذهب بنجرك وما فيه لك، فراق الجرابيع، انت ونجرك، ونزعه المطوع، وقال الأمير خذه وما فيه، فأخذه وذهب إلى أهله .

وقد اهملنا من قبلُ ذكر فخذ من أفخاذ ذوي عطية، ومنهم فخذ المغايرة، وكان لهم زعيم بوقته كالنجم الثاقب يدعى ضيف الله بن عميرة، وكان شهما شجاعا فارسا لا يفتر عن المغازي ابدا، وكان إذا أراد الغزو وعلموا به رؤساء عتيبة لم يتخلف عنه احد منهم لتوفيق حظه، فقلما يرجع مفلسا في كل غزواته، ومما يروى لنا إنه في بعض مغازيه غزا معه هذال بن فهيد الشيباني، وكان اكبر منه زعامة ومقاما، وغزا معه صنيتان الضيط، وغزا معه صايل الخراص، وغيرهم كثير، فحدث ذات ليلة وهم مدلجون في السرى، أن قام بين الجند تشاجر وجدال حتى ارتفعت أصواتهم، فسمعهم ضيف الله بن عميرة، فقالوا: اقطعوا واخسوا، كل ما جاني من ضلفعة قال انا شيخ ! فاجابهم هذال قبلهم كلهم وكان لايشك في نفسه، بأن قال : حيل الله اقوى ياولدي والله ما أودعنا نتبعك الا هذا السلوقي[١] الذي يباريك[٢] .

وكان في بعض مغازيه قد أغار على عربان من بوادي حرب، على ماء يسمى العرفجية، في طريق المدينة للمسافر من

---

[١] يعني حظك .. والشرح من المؤلف
[٢] نهاية ص ٢٩٧من المخطوطة

القصيم، فأخذهم جميعا ولم ينج منهم احد، وكانوا مجتمعين فيها بكثرة، وكان حرب يسمون تلك الوقعة سنة حطة الاوثار[1] أي أن الوثر حذف في الارض فلم يجد ظهر بعير يرحل عليه، ومعناه أن الإبل أخذت كلها، وكان البدو إذا دعى أحدهم على الثاني، قال له : الله يحط وثرك إن إنك .

وكان رئيس هذه العربان المذكورة، ضيف الله بن عقاب الذويبي، وكان زعيما شجاعا كريما، فكانت عربان نجد كلها هذا دأبها، من وجد في الثاني غرة أغار عليه وسرق إبله، لانهم يرونها احل من الفقع، وكانت القبيلة إذا أغار عليها عدوها تقول بيض الله وجه فلان، يعني زعيم القوم اذ أنه لم يأخذنا الا على وضح النقا، اي إن وجهه خالي من لزمتنا، لم يغدر بنا، وأغلب ما يجزع منه الأعرابي من ضده هو الغدر، إذا عامله أو جاوره أو أمنه، فهذه هي الخصال التي لم ينساها البدوي من نظيره الثاني إذا أخذه بعد أن أمنه باحدى الخصال التي ذكرناها، ـ قال ـ فبعد هذه الوقعة ركب ضيف الله الذويبي، قاصدا ضيف الله بن عميرة يستعطيه شيئا مما أخذه منه تفضلا منه بما يعطيه، وهذه عادة البادية، فوصل إليه وهو على ماء يسمى سجافا، فأناخ عليه وأكرمه وطلب منه الرفدة، فقال ابن عميرة انا ارفدك يا الذويبي، ولكنك تروح لمحمد بن رشيد وتغزي به على عتيبة، فقال له الذويبي : يا ابن عميرة، ابن رشيد حاكم نجد، وغصن جرار، إذا غزا غزيت معه أنا وكل حرب، طوع والا كره، ولا لك علي شرهة في ذلك، فقال له ابن عميرة : صدقت، ترى رفدتك من عندي، زمل بيت، وكان عدده ٢٥ جملا، فقال له: يا ابن عميرة تجملت، ولكن

---

[1] حطة الاوثار أي أن ما يفرشه راكب الدابة وضع على الأرض حيث لم يعد ثمة ما يركب .

بقي لي عندك كمالة، فقال وما هي ؟ فقال : هي عبدة لأمي، محرصتني عليها، إني لا أجيها إلا وهي معي، وهذه العبدة نفسها قاعدة في بيتك، فقال: والله يا عبدتك فلا لي فيها ملك، قد وهبتها لأمي، فقال: يا أم ضيف الله خوذي زمل ولدك اللي اعطاني، واعطيني عبدة امي، فقالت له: يالذويبي إلا فرقاك انت وزملك وعبدة[١] امك، تستاهلها، وكان العرب لهم شرف وشهامة، ولو كانوا غزاة أو لصوص، فنروي للقراء قصة عجيبة، وهي محققة، وهو أن رجلا من المهادلة، جماعة شليويح، يسمى مشعان ابا الخيل، ويسمى ابا الخيل من كثرة ما يسرق من عدوانه من الخيل، وكان قد مر بهم صنيتان الفرم، شيخ بني علي من حرب، وهم على ماء يسمى ابرقية، وهو خارج من مكة بعد ما قضى حجه، فأضافهم وأكرموه، وتحدث مع مشعان وكيف اختلاسه للخيل، فقال صنيتان: تقدر يا مشعان تسرق من خيل بني علي شيء؟ قال: اقدر يا صنيتان، فقال له تراني هادك على خيل بني علي، لا تذخر من جهدك شيء، فقال له مشعان : والله لئن اراد الله ياصنيتان اني لأناديك وانا فوق ظهر الصويتي، وكان الصويتي هذا هو علوة خيلهم، لما تمكن به من أصل بالخيل عريق، فحينما وصل صنيتان أهله وكان لا يظن أن مشعان يصله، ودونه من قبائل حرب أسلافا مترادفة، ولا يظن ايضا أن يأتيه بهذه السرعة إن أراد ذلك، فما كان من مشعان إلا أن وصل عنده في الليلة الثالثة بعد وصول صنيتان عند أهله، فما راعه وهو نائم في بيته إلا ومشعان يناديه وهو راكب فوق ظهر فرسه الصويتي، فانتبه صنيتان مذعورا وناداه بصوت جهور، فقال : انت

---

[١] نهاية ص ٢٩٨من المخطوطة

مشعان ! فقال :انا مشعان، وفي ظهر الصويتي، فقال له : تدخل على الله يا مشعان انك لا تقطع بني علي من علوة خيلهم، ولكن رده في مربطه ولك في وجهي وأمان الله عشر من الإبل، كلها أولادها في بطونها، وانت تقيم عندي ضيفا مكرما محترما، فقال له يا صنيتان والله لو تعطيني كل ما تملك انت وعشيرتك إبلهم وخيلهم، فلا تركبه حتى تاتيني عند أهلي انت براسك، ضيف لي، ثم تأكل ضيفتي وأعطيك حصانك بدون الإبل التي شرطتها لي، ففعل صنيتان ما قال له مشعان، فركب ومعه ستة من أبناء عمه وعشيرته فعمد إلى منزل مشعان، وهو في ماء يقال له ابرقية، وهو المكان الذي مرهم وهم فيه لما كان راجعا من الحج، فنزل على مشعان فأكرمه وقاد الحصان ووضع حبله في يده قبل أن يشرب القهوة بدون مقابل، وهو لو طلب من صنيتان خمسين من الإبل ما تردد لحظة في دفعها له عوضا لهذا الحصان، وكانت قبائل نجد في[1] حروباتها وغاراتها إذا رجحت كفة في هذا الشهر رجحت الكفة الثانية في الشهر الثاني، وكان الزعيم لم تجده غالبا ابدا ولا مغلوب ابدا، فقد روي لنا قصة وقعت لضيف الله بن عقاب الذويبي، من أكبر زعماء حرب، وذلك أنه نزل ماء يسمى ابو مغير، وهو ماء بين القصيم والمدينة، وكان الذي معه، عرب قليل، لأن قبيلتهم حرب كلهم قد انحدروا إلى أسفل نجد، فطمعوا فيهم قبائل من مطير غطفان، يقال له لهم الدياحين، ومعهم أخلاط من قبائلهم، فصبحوهم على غرة، فاجتاحوهم وكانوا يزيدون عليهم في العدد أضعافهم، وكانت خيل الذويبي وأصحابه عددها قريب من الخمسين، فقتل منها سبع أفراس

---

[1] نهاية ص ٢٩٩من المخطوطة

في المعركة وقت الصباح، وتغلبوا على الباقين وأخرجوهم من البيوت، خيلهم ورجلهم، واجتمعوا في هضاب قريب من بنائهم، وكانوا ينظرون إلى حريمهم ورجالهم الذين بقوا يسلبون، وعدوهم يهدم البيوت ويجمعون الأواني والفرش، وكان عدد جيش العدو المغير سبع ماية، وكان مقبل على طرف الماء ليس عنه ببعيد، وكان الأمر إذا أراده الله ـ كما تقول العرب ـ يشجع القوم واحد ويذلهم واحد، فقام فارس من حرب يدعى حدجان بن دهيليس، والدهاليس هم زعماء الفردة من حرب، وكلهم من حرب وكل يشهد بفروسيتهم، فقال له : يا ضيف الله، والله اني انظر بعيني أن رجلا أتى يمشي من البيوت من العدو، فوقف على النساء الجلوس على نثيلة القليب، وجعل يفك زمام حرمتك من خشمها، فقال له ما بيدي حيلة يا حدجان، فالقوم الذين معه، منهم من صدقه أنه رأى ذلك، ومنهم من يقول إنه يريدها تهييج للزعيم، فسكتوا قليلا ثم قال له يا ضيف الله، اريد أن اسألك، هل نحن إذا حيينا اليوم ما نموت أبدا ؟ فقال له ضيف الله : اننا سنموت اليوم أو بعد اليوم ـ قال ـ فما انقطع كلامه إلا وهو على ظهر جواده، ثم اعتزى قائلا " خيال البلها حدجان" اللي يريد الموت يالشردان يلحقني، فركبوا خيلهم جميعا فأتبعوهم مغيرين على الماء والعدو الذي فيه، لم يتخلف منهم احد حتى عبيدهم ورعيان إبلهم أغاروا معهم، فصدف أنها حينما أغارت الخيل والعدو يطلقون إبلهم لتشرب من الماء، وهي العير التي أتى عليها الغزاة، فقصدتها الخيل ثم قشعتها عن آخرها ثم كرت عليهم الخيل والرجال والنساء فلم يدركوا الهزيمة، فقتلوهم الا القليل منهم[1]، وقد

---

[1] نهاية ص ٣٠٠من المخطوطة

قال الشيباني يذكر هذه الوقعة في قصيدة له، وكانت قد نشبت حرب بينه وبين العضيان من الروقة فقال متمثلا في ذلك:

الا يا ملح يا اللي بالضحى رجاس   تخير بالسحيل وفي مشاكيل الدماسينا
تزايدني بخراص عيونه كنها القراص   بني عمه هتيم الشام جوه العام بادينا
واجيه بقومان تشيب الراس   بالعزوة وجمعات الدعاجينا
فان ساعف المولى رقيب الناس   نذبحهم كما ذبح الذويبي للدياحينا

وضد ذلك ما حدثني به جهز بن شرار من لسانه، وكان زعيما لقبيلة ميمون من مطير بني عبدالله بن غطفان، وكان شهما مغوارا لا يفتر عن المغازي، وكان مشهورا بالوفاء في معاملاته كلها مع أحلافه وجيرانه، ومع كل من أعطاه الأمان، فإنه لا يغدر به، وكانوا يعدون أهل الوفاء بالذمة هذال الشيباني، وجهز بن شرار، ورجال معهم من رؤساء القبائل يسلكون طريقهم، فلقد روى لي المذكور جهز بن شرار قصة له مع ضيف الله بن عقاب الذويبي، المذكور، ويرجع بنا القصص الان قبل كل شيء إلى قصة ضيف الله العقاب الذويبي حينما قتل الدياحين، وذلك ما روى لي عنهم رجل منهم متضلع بأخبارهم، وذلك إنه يقول: انه لما نزل ضيف الله وجماعته على بيوتهم بعدما انتصر على الدياحين ومن معهم كما شرحناه سابقا، فإنهم بعدما نزلوا أوقدوا نيران المقاهي وبنوا المنهدم من البيوت، وأتوه أبناء عمه وعشيرته يهنئونه بالنصر، ثم إنه أمر على رجل ممن حضره، ان يقوم فيعمل له قهوة، فلما فرغ منها قال لصاحب القهوة: ضع الدلة، وضع الفناجيل وقم عنها، ففعل صاحب القهوة ما أمره به زعيمهم، فقام ضيف الله بنفسه

وأخذ الدلة بيد والفناجيل باليد الأخرى، فوقف على رأس حدجان بن دهيليس، وهو أول من قاد الغارة على عدوهم، فصب له من القهوة وناوله الفنجال من يده وبادره بيمين مغلظة، قائلا: علي الطلاق من زوجتي اللي تسمعني بالبيت إن تشرب الفنجال من يدي ولا تمسه يدك، فشربه، ثم ناوله ثانيا فشربه، ثم ناوله ثالث فشربه، ثم وضع الدلة بالأرض ووضع الفناجيل بجانبها ثم قال: قم ياصاحب القهوة صبها للجماعة، وهذا يعد تشجيعا لقومه الذين يجبنون حينما يواجهون الحروبات من القبائل، فهو[1] كالوسام الحديدي عند الدول التي يمنحونه بعض القواد الشجعان الجريئين.

وكان برجس بن مجلاد من من زعماء عنزة المشهورين، ومن شجعانهم، وهو زعيم قبيلة الدهامشة، فقال قصيدة في القهوة وأنها تقدم لمستحقها، ونحن نوردها للمناسبة، وكان عنده عامل قهوته واسمه ذياب فقال محرضا له:

---

[1] نهاية ص ٣٠١من المخطوطة

قم سو ما يحمد على الصين ياذياب ... بدلال يشدن البطاط المحاديب
واحمس الى من العرق فوقها ذاب ... واستدن ما يجذب عليك الشراريب
نجر طوال الليل يشدي لنباب ... يلعي على دب الدهر للمواجيب
وصبه لمن قاد السبايا للاجناب ... اللي مداسه يشبع النسر والذيب
واثنه على اللي وان غشى الزمل ضبضاب ... يرخص بعمره دون زمل الخراعيب
وباقي الجماعة يكفي التول وان ذاب ... رصاصة المجلس حمير المشاعيب
اللي نهار الكون يفزع بمصلاب ... كبار الانفس ساهجين المواجيب

وبعد هذا نرجع إلى قصة جهز بن شرار، وهو الذي قصها علي من لسانه، ونحن وإياه في الطائف سنة ١٣٥١هـ، فهو يقول إن من عرض غزاتنا، غزينا مرة على عتيبة، وكان ضيف الله بن عقاب الذويبي، قاطنا، على ماء يسمى ثرب، وكان لنا معه معاملة حسنة منذ ثلاث سنوات لا يطمع فينا ونحن لا نطمع فيه، وهذه هي التي يسمونها عملة، فيقول إننا مررنا على بيوته قريبا منها ولم نخطر عنده، توفرة له، فلما كان في النهار الثاني إلا والغارة تندلق علينا من خلفنا، خيلا وركابا، فأخذنا معهم ساعتين ونحن في أشد المعركة، تارة لنا وتارة لهم، حتى نصرنا الله عليم وهزمناهم، ومنعنا منهم ٨٠ رجلا، أما ثلاثين فمنعهم رجل واحد، وهو بركة الشويب، من زعماء ميمون، وكان أول من طلب المنع خلف بن ناحل، وكان زعيما من زعماء حرب، فهو يشبه هذال الشيباني، في الكرم، فاشترط على بركة الذي منعه أن تمنعني أنا ومن دخل في منعي، فمنعه هو ومن دخل في منعه، فكان الذي التف عليه

ثلاثين رجلا كلهم دخلوا في منعه، فوفى لهم، وقال جهز بن شرار في تلك الوقعة هذه الابيات:

عميلنا الي نسنحه بالغزية	اللي لك الله ما نويناه بالشين(٢)
يقصنا كنا رويعي مطية	يبي ركايبنا وحنا معيين
يوم اشتبك عج الرمك في عشية	وتطابحوا خلف الركايب مثارين
عي الولي والعزوة العبدلية	ربع على دوس الكراية مضرين
رديتهم بالمنع فرض عليه	والله يجازي اللي يخون المنيعين
اخوان نورة شافوا المكرهية	وركبوا على قب سواة الشياهين
ما ذمهم والله رقيب عليه	معيي الله والقبايل معيين

وكانت عزوة الذوبة قولهم (خيال الخيل وانا اخو نورة) وقوله " ركبوا على قب سواة الشياهين " يعني لما رأوا أنهم مغلوبين، انهزموا على الخيل وتركوا إبلهم، وسواة الشياهين، معنى الشياهين الطيور، وخاصة طيور الصيد، يعني تمشي الخيل كالطير في السماء، وهذه عوائد البدو فكانوا يمنعونه من انفسهم ويحمونه من غيرهم، فلو قتل الممنوع رجل منهم لقتلوه، وكأنه ليس فيه دية ولا يطرد في دمه، وأما قولهم ما اذمهم والله رقيب عليه، أي اني لم أظلمهم، بل انهم فتنوا علينا وقاموا بواجبهم ولكن الله نصرنا عليهم، وهم المشهورين بالشجاعة وكما قيل أن الحرب سجالا بينهم، فإذا غلب خصمه هذا اليوم غلبه خصمه في اليوم الثاني، وكذلك الجميل يكون أسلافا بينهم فلا يضيع، فقد حدثني مصلح بن مسيفر شيخ الثرافين، وهم فخذ من الشيابين، وكان شهما مغوارا لا يفتر عن المغازي والغارات، فيقول إنه في بعض مغازيه على حرب ورد بغزوه

(١) نهاية ص ٣٠٢من المخطوطة

ماء يسمى الرضم، وقد بلغ معهم الظمأ أشده، فلما وصلوا الماء وجدوا غزو هتيم وأميرهم دليم بن براك، وكان جيشهم قد روى من الماء، فحينما وردنا عليهم قاموا علينا من الماء فلم يكن عندنا فتنة ولا انهزام من الظمأ الذي أنهكنا وأنهك جيشنا، فلم يكن لنا بد إلا أن كلا منا يعرف منيعه ويتجود في منعه، فمنعونا عن آخرنا فأخذوا ركابنا إلا صاحب مطية واحدة كان قد انطلق يسبر لنا، فمر بهضبة فيها ماء قليل فشرب وسقى مطيته، فهزمته من بيننا، فذكر لي إنه حينما أرخصوا لهم وارخصت لهم، فكان الذي منعني واخذ مطيتي هو دليم بن براك بنفسه، قال فطلبت منه ان يزملني، فأبى وطلبت منه أن يعطيني نعالي فأبى، قال فقلت: يا دليم بن براك، والله إن أهلي فوق حلبان أي انهم بعيدين جدا[1]، فقال لي: ياشيباني والله إن تصل أهلك وانت مطوي على رجلك خرق، فقنعت منه بعد كلامي ومشيت مع أصحابي كلنا مرجلين، قال فلما كان على الحول أنزل الله الغيث في الشمال وسميا مبادرا، فوفدنا على عبدالعزيز بن رشيد، وذلك في سنة ١٣٢٣ هـ وطلبنا منه الأمان على أن يقبل زكاتنا، فقبلها منا وأعطانا الأمان، فنزلنا المحلاني الذي قريب من قرية سميرا، فرعينا نبت الربيع، فلما كان في الصيف وأخذت الإبل تعزب يومين عن الماء وترد في اليوم الثالث، تواعد جماعتنا على الغزو، ورؤساؤنا يومئذ ضاوي بن مصلح، وفارس بن سحمان، وأنا رئيس جماعتي القرافين، وكان عدد خيلنا زهاء ثمانين فارسا، وجيشنا كثير، فتواعدنا أننا نمسي مع إبلنا العازبة لنشرب من ألبانها، قال فنمنا بين عزبات الإبل، فما راعنا قبيل الفجر بقليل إلا ورغاء الجيش

---

[1] نهاية ص ٣٠٣من المخطوطة

بعيد عن الإبل قد تعالى حينما قاموا يركبون عليه يريدون الإغارة على الإبل ونحن وسطها، وقد أعماهم الله عن الخبرة بنا اننا بايتين عند الإبل، قال فلما سمعنا لجبة الجيش وقد اندلج للغارة والصبح قد انشق عموده، ركبنا الخيل وركب جيشنا على إثرنا، وكان عدد جيشهم ثمانون مطية، وكان رئيس الغزو دليم بن براك، عميلي بالعام الماضي، فلم يكن عندهم فتنة فاستمنعوا، ولم يسلم منهم سوى ست ركائب من السبق المشهورات، فسقط زعيمهم ابن براك منيعا في يدي، فحينما أرادوا يرجعون لأهلهم طلب مني أن أعطيه نعاله من مزودته، فقلت له يالهتيمي : العيب بالنسيان مهوب بالبطى، والله إن تصل أهلك وقد تدمت رجلاك، مثلما خاطبتني به في العام الماضي، فقال مجاوبا لي: كل شي جزاه من جنسه . هذ القصة قصها علي مصلح بن مسيفر رئيس القوم من لسانه، وكما قال تعالى إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس" وربما تأتي المكافأة على حسب الوقائع التي تجري بينهم .

والان نعود على تتمة سيرة ضيف الله بن عميرة، وكما شرحنا سيرته ومغازيه، فتعين أن نذكر خاتمة حياته وأنها انتهت بمثلما انتهت به حياة أمثاله من الجبابرة الذين يقتلون الناس ويأخذون أموالهم ويسمونها غنائم، فمن ذلك أنه غزا أهلُ ثمان[1] مطايا من مطير فسرقوا خمسا من الإبل من عرب ضيف الله بن عميرة وانهزموا بها ليلا فلحقهم ضيف الله بنفسه ومعه خمسة عشر فارسا كلهم على الخيل، فلما رأوهم على اثرهم انهزموا وتركوا الإبل خلفهم، فلحقوهم قريبا من ضرية

[1] نهاية ص ٣٠٤من المخطوطة

القرية المعروفة، فلم يدركوهم حتى دخلوا ضرية، فقاموا أهل القرية يدافعون دونهم، وهم لا يقصدون من ذلك إلا سلامتهم من القتل، فأخذ ضيف الله يتوعد أهل ضرية ويهددهم، وقال لهم إن لم تبرزوهم لي وإلا هتكت بلادكم، فناشدوه بالعوائد التي أعطوهم عتيبة المواثيق عليها، وهو أن كل قوم يلتجئون اليهم فإنهم يحمونهم حينما يصلون مزارع بلادهم، ولهم إخوان من كل عتيبة يساعدونهم على ذلك، فلم يجدي في خضوع أهل ضرية له، وطلب العفو منه، فأخذ يزداد شره عليهم بالتهديد وشدة الوعيد، فلما رأى غزو مطير ما قاموا به أهل ضرية من الواجب على حمايتهم، ورأوا انه لم ينفع معه شفاعة ولا غيرها عذروهم تمام المعذرة، وقالوا لهم نحن نخرج عنكم بطيب نفس، ولكنكم احمونا منه حتى نتجاوز حدود مزارعكم ثم اتركونا وإياه تحت الله، وذلك بعدما عرضوا عليه أن يعطوه ركابهم كلها على ان يؤمنهم على دماءهم فلم يسمح بذلك، ولن يرض بدون قتلهم جميعا، ومن سنة الله في خلقه أن المبتلى مثل هؤلاء يجعل الله له فرجا ومخرجا وكما يقول شاعر النبط

الى حلت البلوى على اللي بلي به   ينفك للمبلي من الله مية باب

فما كان لأهل ضرية بد من إخراجهم لهم وحمايتهم حتى يبرزون من محارم بلدهم، فكان الأمر كذلك، الى أن بلغ الكتاب أجله، أما المطران أهل الكتاب فحينما وصلوا الحد المعروف، أناخوا ركائبهم وعقلوها وبرزوا عنها الى متارسهم يدافعون عن انفسهم بما يستطيعون، وأما ضيف الله بن عميرة وأصحابه فصعدوا على ظهر جبل صغير يشرف على الركب، واخذوا يرسلون عليهم الرصاص بكثرة، وكان رئيسهم ضيف الله هو أشدهم إرسالا وأصوبهم سهاما، فيقال إنه ارسل ثمان وثلاثين

ندبا وهو في مترسه، وكلها وقعت في التراب ولم يصب منها ولا واحدة، مع إنه مشهور بالرماية وقلما يخطىء الهدف الذي يقصده قبل هذا اليوم، فحينئذ ساق الله له سهم من أحد المطران واسمه ضيف الله بن موهق، فلم يخطىء ذلك السهم(١) رأسه، وخرجت روحه في مكانه ذلك، فركب أصحابه خيلهم واستجنبوا فرسه معهم وتركوه في مصرعه حتى أتوه أهل ضرية فحفروا له حفرة ودفنوه بها، وهذه عواقب الابتلاء والامتحان، وبموته مات خلق كثير، وفقدوا ما كانوا يألفونه من المغازي معه، ومن الكسب، ومن عطاياه المستمرة، واكلهم من مائدته على الدوام .

ولنذكر ما بقي من أفخاذ الروقة، فمن أفخاذهم ذوي ثبيت، وهم جماعة ابن ربيعان، وكان ابن ربيعان هو أول من تحدر على نجد، ومركز الشيخة على رأس محمد بن ربيعان، ولهم حظ في المناخات والأيام، وقد حدر على نجد في سنة ١٢٣٦هـ فهذا مبتدأ سياحة عتيبة في نجد، وقد حضر محمد بن ربيعان مناخ المربع المشهور، سنة ١٢٤٨هـ وذلك المناخ بين الدوشان وبين عنزة، ورؤساء الدوشان الحميدي بن فيصل الدويش، واخوه محمد الملقب أبو عمر، ورؤساء عنزة يومئذ برجس بن مجلاد، وابن هذال، وذلك في زمن ولاية الإمام تركي بن عبدالله بن سعود، على نجد فما دام بعده إلا سنة كاملة فتوفاه الله سنة ١٢٤٩ هـ، وقد ذكرنا سابقا مناخ مسلط بن ربيعان على طلال، في سنة ١٢٩٠هـ وقد ذكرنا هزيمتهم لسعود بن فيصل، وذكرنا أن الرباعين لهم حظ في الأيام المشهورة، وقد تواعدوا مع عقاب بن حميد، في أول المناخ

---

(١) نهاية ص ٣٠٥من المخطوطة

واستنجدوا به للحضور معهم، فأخذ يعللهم بالمسير اليهم فجرت الوقعة قبل حضوره وانتصروا على ضدهم، فقال شليويح في ذلك:

ربي رشانا بالامور الكباير	الله ولا فزعة عقاب بن شبنان
نرجيه للعيلات والحرب داير	وكم قالة كبرت وخير امرها هان

وكانوا الرباعين لهم حظ، وكما أن مسلط انتصر في وقعة طلال فإن له يوما مشهودا فوق الدفينة، وذلك أن الأمير أخوه سلطان وهو الأكبر، وكان عمر مسلط في ذلك الوقت ٢٥ سنة، هي سنة ١٢٦٣هـ فمن ذلك أن سلطان بن محمد بن ربيعان، نهض عربانه يمدون معه للمكيرة من التمر، ويسمونها الوزنة، فقصد حوطة بني تميم، فلما وصل القويعية البلد المعروفة بالعرض، أتاه خبر بأن محمد بن هادي، رئيس قحطان قد غزا على قبيلته وهم نازلين[1] على الدفينة، وهو الماء المعروف بين مكة والقصيم، فانتجب رجل من أصحابه يعرف بالشجاعة، اسمه عمر المليفت، من العضدة، وأركبه على راحلته واسمها سعرة، لينذر أخاه مسلط، ويحذره من غزو ابن هادي، لأنه جمع قحطان كلهم، وليقول له: يقول لك اخوك سلطان : مسلط يا اخي زبن البل حرة كشب، عندك بها قصور بانيها الرب، زبنة للبل، فسبق النذير ابن هادي بيومين، وأنذر مسلط ومن معه وحذرهم عن كثرة ما مع ابن هادي من القبائل، وبلغه بما قال اخوه سلطان: إنك تزبن البل حرة كشب، فقال مسلط حينما بلغه بالخبر أن قال: ما راعي الحوطة يدبر راعي

---

(١) نهاية ص ٣٠٦من المخطوطة

الدفينة، فقام من وقته على الناس وقال حطوا بالبل على عقالين، لا يثور فيه ناقة وحدة، فلما علم محمد بن هادي، أنهم انتذرو به قبل أن يصلهم، اتى فنزل قبالهم ولم يغير، فأرسل مسلط له أمه واسمها سارة بنت عيران الهيضل، لتطلبه العفة عن الغارة عليهم، ويرجع عليهم، فقبلت رأسه وركبته وأقدامه، وطلبته العفو هو أن يرجع ويتركهم، فأبى أن يقبل شفاعتها، إلا أنه قال إبل أبنائك سالمة يا سارة، ولكنها لم تقنع بدون العفو عن جميع من على الماء، فرجعت الى ولدها واخبرته بما قال، ثم إن الله دبرهم سهم صائب، وذلك إنه أمر على عشرين من الخيل جريدة، وقال لهم سيروا بالليل فاذ اصبحتم فاكمنوا لجيش قحطان، ففعلوا ما أمرهم به، فصبهم الله على الجيش فاستاقوه من مراتعه، ولم يحسوا غزو قحطان إلا والصارخ يأتيهم : امنعوا جيشكم فقد أخذ، فركبوا على الخيل فلم يدركوهم، فجهش ابن ربيعان ومن معه على ابن هادي وجماعته، فاشتبكت المعركة بينهم سبع ساعات، فدارت الدائرة على ابن هادي وجماعته من قحطان فانهزموا، فتعقبتهم خيل ابن ربيعان وجيشه ورجله وقتلوهم شر قتلة، وكان مسلط بن ربيعان قد حد لهم حدا للمنع يمنعون فيه قحطان، وذلك انه قال لهم من تجاوز هذا الحزم الأسود فقد سلم وهو في وجهي، وقد سمي هذا الحزم معتق، يعني إنه من تجاوزه فقد سلم من القتل، ويقول في ذلك شاعر من جند محمد بن هادي اسمه مهدي بن فتنان[١]:

---

(١) نهاية ص ٣٠٧من المخطوطة

الجيش فات وردت الخيل من لاش ودرب الستيرة ضيعوه القحاطين
ومن شاف هدة مسلط ما حد هاش يصوطهم صوط الفهد للسراحين
وجو الدفينة قاطنه كل هواش ومزرجات فوق قب شياهين
يوم ان ابن هادي غزاهم باهل جاش واهل الحضوب وكل من كان بالرين
جاهم صباح وطمعته كل الاوباش والله نصرهم والقدر فيه راضين
همن هزمنا مع صحاري ورشراش وصكت علينا خيل قوم شريرين
وصاخوا لنا بالمنع من عقب الابلاش ثم منعونا وهم ربع مثارين

وهذا آخر تعداد أفخاذ الروقة .

فصل في قبايل مطير وهم غطفان الذين حاصروا المدينة مع قريش، وتحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسماهم الله في كتابه العزيز الأحزاب .

فنقول إن قبائل مطير كثيرين، و هم ينقسمون الى أفخاذ شتى، فمنهم الذين ينزلون شرقي المدينة، وأعلاهم منزلا حاذة والنجيل وصفينة والسوارقية والهبوة ويسمونها هبا وهي التي جرت بها الوقعة المشهورة أيام الجاهلية وقتل فيها حمل بن بدر وحذيفة بن بدر، قتلوهم بني عبس، ورئيسهم زهير وهم أهل تلك المياه من زمن الجاهلية الى يومنا هذا، وهذه هي ذراريهم لم تنزع عنها ولم ينزل بها غيرهم، فهم غطفان الأصل ولهم نخل يصيفون فيه ويمتارون منه يسمى حجر قريبا من وادي الفرع لبني عمرو بن حرب، فقبيلة غطفان أفخاذ كثيرة فمنهم ذوي عون، ورؤساؤهم السقايين، ومنهم ذوي شطيط ورئيسهم ابن مزنان ومنهم ذوي عزيز ورئيسهم زيد المندهة، ومنهم ذوي ميزان ورئيسهم عايض بن مدلج، ومنهم الدياحين والجعافرة والرحامين، وأما أفخاذ الصعبة فمنهم المهالكة ورئيسهم ابن ضنمة ورؤساؤهم ابن قرناس وابن

درويش، ولهم قبائل متفرقة خلاف الذي ذكرنا، قبائل الميمون فمنهم السكان والوهيطات ورؤساؤهم جهز بن شرار وبركة الشويب، وهؤلاء هم الذين يقال لهم مطير العلوين، وهذا آخر ما يحضرنا من تشخصيهم، ثم نرجع الى مطير الأسفلين فأكبر رؤساؤهم الدوشان ويقال إنهم[١] من شهران، من سلالة ناهس وقبائلهم علوى ويتبعهم الجبلان ويقول الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري: أن الجبلان نزيعة من تميم، وأن الجبل الذي جنوب الشعراء هو جبلهم، ويسمى صبحا، وكان إذا اعتزى فارسهم يقول خيال صبحا جبلي، ورؤساؤهم صاهود بن لامي، ولهاب بن لامي، وفيهم شجاعة وليس بهم كرم هم والدوشان، وقبيلة الدوشان، غير أنهم شجعان وفرسان على ظهور الخيل، وكان يقول فيهم عبدالله بن سبيل من قصيدته التي رد بها على فيحان بن زريبان بأن قال:

ان كان ما تلقى عشيرة وحشمات ... فازبن على اللي ما مشوا بالقصاد
دوشان علف سيوفهم كل جمهات ... على قدى والا على غير قادي
والا على اللي هم وعلوى حرابات ... ما بينهم كود اصطفاق العوادي

يشير الى أن تزبن على الجبلان من بعد علوى، ولنذكر قصيدة في شجاعة الدوشان لمحسن بن عثمان الهزاني، وكان يمدح رئيسا من قدمائهم اسمه عليق الدويش فقال:

ياركب عوجوا روسهم بالخنانيق ... مقدار ما يفرغ من الكاس ما عون
فلا تقهويتوا وفكيتوا الريق ... فلا باس ياركب بغيتوا تمدون
ردوا سلامي يمة الشيخ عليق ... فرز الوغى مروي شبا كل مسنون

---

[١] نهاية ص ٣٠٨من المخطوطة

زيزوم علوى بالسعة والمضاييق	وسلات فرسان على الموت يشفون
علوى الى نشب الحلق للمعاليق	والى أوقف المظهور ما عنه يقفون
فلا لحقهم راعي الدين بلحيق	ردوا عليه وزادوا الدين بديون

فمن ذلك أنه حدث بين عتيبة والدوشان مناخ عظيم فوق الشعراء، وكان الدوشان ومطير قد سبقوا عتيبة على مناخ الشعراء قبل نزولهم، فطلبوا من أهل الشعراء أن يخرجوا لهم وضيع عتيبة الذي عندهم، والوضيع ازواد تضعه البادية في القرى من بر ومن تمر وسمن وأقط تنتظر حاجاتها له فتستخرجه، فلما طلبوا منهم ذلك استشاروا إمام مسجدهم حين صلى بهم صلاة العصر هل يسلمون الوضيع للدوشان أو يمنعونهم لأن ذلك يكون فيه غدر لمن أمنهم فأجابهم من فوره بقوله[١]:

حلفت انا يازاد مقرية الضيوف	ما تاخذه يامسيبة خطارها

يشير على إن عتيبة كرماء وانتم بخلاء وتتركون الضيوف، فقاموا معتصمين على أن يمنعوه منهم ولو أدى ذلك الى الحرب وحصر بلادهم، فمنعوهم منهم. ويليهم قبيلة الملاعبة ورئيسهم غنيم بن شبلان، والموهة من علوى ورئيسهم جفران الفغم وأخوه هايف الفغم، واكبر قبائل بريه الصعران، ورئيسهم هذال بن بصيص، ومن بعده أولاده نايف وإخوانه وقد فات ذكر هذال وأنه قتله بندر بن طلال العبدالله الرشيد، في غارة أغارها عليه هو وعربانه، ومن قبيلة بريه البرزان ورئيسهم ماجد أبو شويربات، ويقال انهم منتزعين من البرازات

---

[١] نهاية ص ٣٠٩من المخطوطة

السهول، وأنهم حلفاء لمطير ومنهم العبيات، ورئيسهم رفاعي بن عشوان، وبعده ولده هابس، ويقولون اننا منتزعين من سبيع أهل رنية، وأن وسمنا وإياهم واحد، واننا ما نطمع فيهم أيام كانت الغارات متواصلة بين قبائل نجد، ومنهم قبيلة الدياحين ورئيسهم ابن جربوع وابن مهيلب ومنهم البدنا ورئيسهم طامي القريفة، ومنهم البراعصة ورئيسهم محارب السور، ويليهم الرخمان، ثم يليهم الفراوية ومنهم الشاعر المشهور فجحان الفراوي، وكان هذا الشاعر معروف بحب سعود الفيصل ويؤثره على أخيه عبدالله الفيصل، وكانت هذه المحبة قد أوجبت عليه غضب الإمام عبدالله الفيصل، فأرسل اليه خادمين، وكان عند فجحان أربعة أفراس وهم من اصل عريق في جياد الخيل، فأتاه الخادمان وبلغاه بغضب الإمام عليه بسبب محبته لسعود ومناصرته له ويطلبون منه أن يسلمهم أفراسه الأربعة ويبلغونه أن الإمام يقول : إما أن يسلم لكم الخيل وإلا يشد ويقصد مكان سعود، وانا وراه، فاختار الإنتقال من نجد وأن يجلي ويزبن على ابن سويط، وينزل مع الظفير، وهكذا يكون الإحراج، وأما الخادمين، فاسم واحد منهما براك، وأصله من هتيم، وأما الثاني فاسمه نامي بن حجي، وهو عبد مولد من أهل القويعية، فقال متمثلا في هذه القضية:

عن من نحب بنجد حنا عزينا ... ما عند ابن حجي وبراك مقعاد
دار قزت بسعود عنها قزينا ... ما ابغى لها زاد ولا ابغي ازواد
ان كان جاك سعود يا دار جينا ... وان راح عنك سعود رحنا بعد غاد[1]
لو ان مقصدنا العطا قد عطينا ... مير الصدور لها نحايا بالاوداد
مهي بفاضي يا ابن فيصل بلينا ... عيال المسجد عيفونا بالاجواد

[1] نهاية ص ٣١٠من المخطوطة

وقوله "عيال المساجد" يشير الى أن الخادمين المذكورين ملتقطين من أبواب المساجد، أي أنهم أولاد سفاح غير نكاح، وربما يكون السفاح أكثر ما يأتي من طريق العضل، فقد قرأت في بعض التواريخ أنه في أيام خلافة هارون الرشيد وجد مولودا مكحلا ومعصب وملقى على قارعة الطريق في الشارع، وعند رأسه صرة فيها مئة دينار ومكتوب عليها جزى الله بالخير من أخذ هذه الماية دينار وكفل هذا الغلام، وهذا جزاء من يعضل بناته بعدما يطلبهن الأجواز الأكفاء.

ولنرجع الى تتمة افخاذ مطير، فمنهم الوساما، ورئيسهم ابن مهيلب، ومنهم العفسة، ومنهم العوارض، ورئيسهم ضيدان العارضي، وهؤلاء العوارض هم الذين وقعوا في غزو عبدالعزيز بن رشيد، وكانوا غزاة على شمر، قبيلة ابن رشيد، فصدف أن قابلهم عبدالعزيز بن رشيد بغزوه وبجبروته في اثناء طريقهم، فكان من أسباب سلامتهم حين هربوا من ابن رشيد، أنهم قبل ثلاثة أيام صدفوا قافلة لأهل سدير خارجة من الكويت، وأغلب ما يحملون السلاح، فأغاروا على القافلة وأخذوها، واستعدوا كلهم مسلحين، فلما رآهم عبدالعزيز بن رشيد بعد طلوع الشمس، فأرسل عليهم خيله، وحينما رأوه انهزموا، فكانوا لما رأوا خيل ابن رشيد جدوا في الهزيمة فكانوا يتناوبون الخيل بالرمي حيث إنهم يجعلون منهم رجالا يركبون على الجيش، ورجالامنهم يمشون خلف الجيش يرمون الخيل، فإذا تعبوا ركبوا ونزل مثلهم، فلما كان قرب غروب الشمس وهذا دأبهم إذا بخيل عبدالعزيز قد لحقتهم، وهو معهم بنفسه، فاطلقوا عليه الرصاص فأصبوا فرسه وقتلوها، وبعد قتل فرسه نجوا بعدما غربت الشمس وانخاط الشفق، وبذا

سلمت نفوسهم وركابهم فانهزموا بليلهم كله، فلما اصبح الصبح تمثل شاعرهم مفصلا لهذه الوقعة فقال:

يوم عدى الرقيبة راس مشذوبة ... قال هجوا وطانا الجيش زرفالي[1]
شفت شوف عساكم ما بليتوا به ... شوف ريبة ومنها القلب يهتالي
لحقة الخيل بالتومان مركوبة ... وانتحوا يمنا مرخين الحبالي
جا يبي جيشنا والجيش عيسوبة ... وانثنوا دونها ماضين الافعالي
يحسب انا نعود بامر مندوبه ... يوم يرسل علينا خيله ارسالي
كل ما قلت عنا عودوا نوبه ... اطلبت سربة تسعين خيالي
يوم ثار الفشق من كل مسلوبة ... اقفت الخيل معها الدم وشّالي
باعمار بسوق الموت مجلوبة ... ما حسبنا على الدنيا لنا تالي
جيشنا ما ركبهن كل زاروبة ... فوقها من عيال العم والخالي
الظفر ساعة وانحل ما جوبه ... والمعاسر لها حزات ورجالي
من شريق الضحى ياقابل التوبة ... لين زل العتيم بهوش وقتالي
يوم لحق الأمير ولحقت الشوبة ... لا قرايا لا مزبن ولا جالي
وعثرت سابقه بالحزم مصيوبة ... واقفى معيف وعوضناه بحبالي
وانهزمنا تحتنا كل منجوبة ... لين غطى سواد الليل الاقذالي

ونقتصر على ما فصلناه من قبائل مطير ونكتفي عما بقي بما مضى .

فصل في توضيح قبائل حرب فنقول إن المؤرخين قد ذكروا أن حرب هم بقايا بني هلال الذين رحل معظمهم الى الغرب في منتصف القرن الخامس من الهجرة، وهم ينقسمون الى أقسام كثيرة، فمنهم بني عمرو ورؤسائهم الذوبة، والذوبة منتزعين من الذويبات وهم فخذ من ذوي ثبيت من جماعة ابن ربيعان، ومن سلف هؤلاء الرؤساء حجرف الذويبي، وليسوا منتزعين من الذيبة كما تفوه به العوام، وحجرف هذا هو

---

[1] نهاية ص ٣١١من المخطوطة

صاحب القصة المشهورة، فيروى عنه إنه عثر في بعض مغازيه على حية عمياء قد خرجت من جحرها عند غروب الشمس، ففتحت فاها نحو السماء فأتي طير صغير فدخل في فمها فابتلعته، ودخلت جحرها وهو ينظر اليها، فقال لغزوه الذين معه: أنا رجعت الى أهلي وتركت المغازي، فلام عليه أصحابه ولكنه لم يلتفت الى لومهم، فرجع الى أهله من نصف الطريق فقال في هذه الصدفة هذه الابيات الثلاثة:

انا االى ضاقت عليه تفرجت	ما نيب مسكين همومه تشايله
يا رزق غيري يا ملا ما ينولني	ورزقي يجيني لو كل حي يحايله
يرزقني رزاق الحيايا بجحرها	لا خايلت برقه ولا هيب حايلة

فيقال إنه بعدما استقر عند أهله راجعا، فنام في بعض الليالي[١] في بيته، فما نبهه إلا ناقة من الإبل تمعك في أطناب البيت، وخلف الناقة خمسين ناقة من الإبل قد اضلها صاحبها فهدفت على بيت حجرف، فكانت له غنيمة باردة في شرعهم الذي يرضونه، لأنه من قوم ليس له معهم صداقة ولا قرابة، وهذه القصة مشهورة ومستفيضة على ألسن العوام بكثرة والله اعلم بصحتها .

ومن بني عمرو البدارين، والغيادين، والبيضان، والأشده، ويتبعهم الفردة، ورؤساؤهم ابن هديب، وابن حماد، والوسدة ورئيسهم ابن صميعر، وقبيلة عوف كلهم يلتحقون في بني عمرو، والشعب وزوينة كلهم يلتحقون في بني عمرو، من حرب بني علي، ورئيسهم صنيتان الفرم وهؤلاء أهل القوة

[١] نهاية ص ٣١٢من المخطوطة

وخيل وابل بكثرة، ومن قبائل حرب بني سالم، وهم قبائل متفرقين ورئيسهم الأكبر هو حجاب بن نحيت، وخلف بن ناحل، ومن بعدهم رؤساء غيرهم، كرئيس الجملاء، هو مانع بن مريخان، وهو مشهور بالشجاعة وقد قتله جهز بن هذال الشيباني، ومنهم الظاهر ورؤساؤهم المضايين، فمن رؤساؤهم صفوق وذياب وماجد، وكان جدهم الأول غانم بن مضيان، وهم أهل كرم وشجاعة ولكنهم لم يخلوا من إعجاب في نفوسهم، ومنهم بني محمد أهل وادي الحمض، وهم يلتحقون في بني سالم، وكثير من أفخاذ بني سالم لم استحضر عدد أسماؤهم، فهؤلاء هم القسم الذين ينزلون السهل، وأما حرب أهل الوعر، التي منازلهم بين مكة والمدينة وبين ينبع والمدينة، فهم قبائل شتى، وأهل غدر وخيانة، ورئيسهم الأكبر ابن عسم وكل قبيلة لها رئيس على حسب كثرتها وقوتها، ومن رؤساء بني عمرو ابن ربيق وهو رئيسهم الأول قبل مزاحمة رئاسة الذوبة لهم، ولكن الذوبة تغلبوا عليهم واجتاحوا الرئاسة كلها لأنفسهم دون غيرهم، وأما حرب العالين ويسمون أهل الوعر، فهم قد ضعفوا وتشتتوا ووقى الله المسلمين شرهم بعدما كانوا يترصدون للحجاج والزوار، فأبطل الله كيدهم وأرسل عليهم سيفه المسلول حتى فني معظمهم، وفني رؤساء الشر والفساد منهم، فكانوا أثر بعد عين، والفضل يرجع في ذلك الى الله ثم الى الملك عبدالعزيز وجنوده[١]، وكان الأشقياء من قبل متدرعين بجبالهم ويكمنون بها على الدوام، فكانوا حجر عثرة لمن مر بهم من المسلمين، فكانوا يقتلون الأنفس وينهبون الأموال ولا يجدون وازعا قويا يضرب على أيديهم، فقد

---

[١] نهاية ص ٣١٣من المخطوطة

عجزت عن إخضاعهم وتأديبهم دولة بني عثمان، فكلما جمعت لهم قوة لتضربهم بها تفرقوا في جبالهم كالوعول، فلا تجد عساكرهم عربا يقابلونها، وكانوا هم يحملون الحجاج على جمالهم ثم ينهبونهم، ويحملون البضائع ويسرقونها، ثم يقولون نهبت منا، فكانوا يرغمون الأشراف وهم ملوك مكة فلا يخضعون لهم إلا بالرواتب الباهظة، وياويلهم إن تأخرت رواتبهم عن وقتها ولو يوما واحدا فإنهم يعيثون بالأمن ولا يتعذرون ولا يرون لهم مقابل، وكان رجل من أهل الكويت اسمه قاسم بويدي قد زار المدينة بعدما قضى حجه في سنة ١٣٣٦هـ، ولما رجع الى أصحابه في مكة، سألوه عن طريق المدينة، كيف وجدته، فقال أرى ان طريق المدينة واديا من أودية جهنم وخزنته حرب، وناهيك بما قال .

وكنت أنا في ذلك الوقت ساكنا في مكة أيام الحسين بن علي، فلا يخرج حكمه من حارة جرول ولا ذراع واحد، وكان شره مستطير على من تحت يده، وأما الذي وراء البيوت وخارج عن العمران فلا يقدر عليه وليس له هيبة أبدا، وهذه سنة الله في عباده، أن كل جبار تسقط هيبته من قلوب رعيته، وبالخاصة الشريف حسين، فإنه فشل وذهبت ريحه بعدما أخرج دولة الترك من الحجاز، ولقد سمعت كلمة قالها الملك عبدالعزيز في سنة ١٣٣٥هـ وأنا حاضر في مجلسه بالرياض، وكنا جالسين عنده بعدما قدمنا من مكة ومعنا بعض الرقيق نبيعه بالرياض، وكان يسألني عن سبب إخراجه الترك من الحجاز وهو أعلم مني بذلك، فقلت له ياطويل العمر ما المسئول بأعلم من السائل، وكنت احمل معي كتابا من حسين الى الملك عبدالعزيز قد قدمته له فقرأه ثم ضمه بين أصابعه

فقال لمن حوله بالمجلس، ايظن الملك حسين أنه إذا طرد الترك من الحجاز أن يكسب بذلك عزا بعيدا عن حمايتهم[١] له، والله لولا ظل بني عثمان عليه من طوال السنين التي مضت لكان اليوم واحد من رعايانا باذن الله، وهذا كلام الملوك هو ملوك الكلام، قد سمعته من الملك عبدالعزيز باذني شفهيا .

وقد تشتت ملك الأتراك وتمزق بهذه الصفة على أيدي العرب وغيرهم، وذلك لسوء سيرتهم مع الرعايا، وكثرة خيانات قاداتهم، فبقيام الحسين بن علي وثورته على دولة تركيا في تسعة شعبان سنة ١٣٣٤ هـ فبه تقلص ملك الأتراك على الجزيرة العربية بأسرها، ولقد قال صاحب مجلة في ذلك الوقت أن الحسين بن علي بقر بطن تركيا، فكان هذا الوصف مطابقا، لأنه في وقت قيام الحسين على الترك، رأس دولتهم بالشام وأرجلهم باليمن، وبطنها هو الحجاز ونجد، فقد أبعدهم عنها بالكلية قتلا وأسرا وتشريدا، وقال في ذلك شاعر من الأتراك يدعى شكري نعمان، يتلهف على ملك الأتراك وأنهم ضيعوا ملكهم بأنفسهم ومظالمهم على بعض الرعايا وإهمالهم البعض الآخر فقال في ذلك:

الى كم فؤادي بالهموم عليل ... وكم عبرات للخطوب تسيل
يقولون خير للفتى صدق عزمه ... وصبر على صرف الزمان جميل
صبرنا واعطينا العزائم صدقها ... وما عاقنا خطب هناك يهول
أرى امرا حاد عن العدل جانبا ... ولم يرع عهد للخليل خليل
وقد شاع فعل الشر في كل امة ... ولم يخل منه معشرا وقبيل
وقد غضبوا من ذي الفعال محمد ... وعيسى كما ضلت هناك عقول
أقول لكم يا اهل دين محمد ... وما هو الا النصح حين أقول
افيقوا بعدما طال نومكم ... فاعداؤكم للمرديات تميل
وصونوا حمى البيت الحرام وطيبة ... والا فأيام العناء تطول

---

(١) نهاية ص ٣١٤من المخطوطة

يريـدون محو المسـلمين جميعهم وان بلاد المسـلمين تزول
قريبا يقوم القوم للحرب قومة تدق لها في المغربين طبول

وكان الذي ذكرناه من سيرة حرب في أرض الحجاز، وما كان لهم من التفوق على أهل الحجاز والسوابل التي تمر بهم، من بعثرة الأمن والقتل والنهب والسلب وإرصادهم على سالكه وطرقاته شيء لا ينسى، فكان هذا دأبهم في أراضي الحرمين كابرا عن كابر، وجدودا ورثتها لبنيهم، فهو سوق تجارتهم[١] فيها يبيعون ويشترون، ولما أراد الله إبطال كيدهم وتشتيت جموعهم وقطع ذراريهم بالذل والفقر والفاقة، فاخلى ديارهم منهم التي يرونها هي تاج ملكهم وهي حصنهم التي يمتنعون بها ويهابونهم الناس، من أجلها سلط الله عليهم من لا يهابهم ولا يرحمهم، وهم جند الملك عبدالعزيز بن سعود فأنزلوهم من معاقلهم واخلوا ديارهم منهم قتلا وتشريدا، فكما فعلوا بحجاج بيت الله الحرام الأمنين، كال الله لهم بميكال العدل الأوفى بأن سلط الله عليهم جنودا لا يرحمون، ويحبون الموت كحبهم للحياة، فلا يوقرون كبيرهم ولا يحنون على صغيرهم ولا يحمدونهم على الصبر، فخليت ديارهم منهم، إلا من كان من بقايا قليلة اذلاء خاضعين مستكينين، فكان بعد هذا كله تمشي الضعينة بين الجبال وهي تحمل الذهب معها فلا تجد من يعارضها ولا يسألها من اين أتت وأين تريد، وكان الشيء الثمين يسقط من عابري السبيل فلا يجد من ينزعه من الأرض

---

[١] نهاية ص ٣١٥من المخطوطة

حتى يأتيه صاحبه فيأخذه بيده، فغاية الأمر أنهم أنزلوا بهم العقاب الأليم، وعاملوهم معاملة وحشية جزاء لما فعلوه بغيرهم (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) ولقد كان من حرب رجل يدعى لافي العوفي، من قبيلة عوف، قد شاهد الوقائع بعينه، منها وقعة عسفان المشهورة، ومنها وقعة الغاير، وهي أشهر منها، فلا يوجد جبال أطول ولا أوعر من جبال الغاير، حتى صعدوا عليهم وأنزلوهم منها وقتلوهم وقتلوا من ظفروا به منهم، وشاهد هذا الرجل عدة وقائع غيرها، وعلم أن لا ملجأ له إلا أن يقدم سامعا مطيعا، فولى وجهه شطر المسجد الحرام فلما دخل على الأمير فيصل بن عبدالعزيز في مكة وقف مسلما، فكان أول سلامه أن قال:

يامرحبا عد النجوم السايرات ... ياحاكم افعاله جداد وماضيات
جمعه لو ياطا الجبال الراسيات ... من عزة المولى يخليها طحين
ضرب الموازر والسيوف المرهفات ... مثل الصواعق من يديهم مرسلات
من شافها قال القيامة ساع جات ... يا رب تنجينا ونصبح طايعين

حتى أتى على آخرها وهو واقف على أقدامه، فقربه الأمير فيصل وأعطاه[١] جائزة وجعله من ضمن حاشيته وخدامه.

وكان حرب أهل الوعر، ما يبالون برفيقهم بالسفر ولا يحمونه ولا يبالون بالضيف، بل انهم يهيمون عليهم وينهبونهم مع من ينهبهم، وكانوا إذا استصحبت منهم رفيقا بالطريق بالخفارة لاجل يمنعك من جماعته، تركك وإياهم ولم يقف دونك عنهم، فيسلمك لهم ويأخذ قسمه معهم مما أخذوه منك خفية، ثم يهددهم

---

[١] نهاية ص ٣١٦من المخطوطة

بأني ساترصد لكم إذا جئتم بأحد تمنعونه بخفارتكم بأني أصيح عليكم كما صحتم على رفاقي من قبل، وهذا مثارهم لمن التزموا له أن يؤمنوه . وخاتمة القول اننا نحمد الله الذي وقى المسلمين شرهم وغدرهم ورد كيدهم في نحورهم حتى قطع الله دابرهم، وكل شيء جزاه من جنسه. وكان أشراف مكة من قبل لم يملكونهم الا بالرواتب والمعاشات التي يجرونها لهم في كل شهر، وكانت ملوك العرب غيرهم إذا أجرم احد من رعيتهم فاجأوه بأي مكان كان، وياخذونه على غرة[١]، فكما يقول الشاعر المهادي مهمل وهو عنزي الأصل حينما أساء إليه جاره السبيعي وعبث أحد أولاد السبيعي بإحدى بنات جاره المهادي مهمل وهو لا يعلم، فيقول:

يقول المهادي والمهادي مهمل ... له عبرة جل الملا ما درى بها
تقد الحشا قد ولا تنثر الدما ... ولا يدري الهلباج عما لجى بها
ثمان سنين وجارنا مجرم بنا ... وهو كما واطي جمرة ما درى بها
وطاها بعرش الرجل لما تمكنت ... بحر ولا يبرد الما لهابها
نرفى خمال الجار لو داس زلة ... كما ترفى البيض العذارا ثيابها
ترى جارنا القالط على كل طلبة ... ولو كان ما يلقى شهود غدى بها
الاجواد وان قاربتهم ما تملهم ... والانذال وان قاربتهم عفت مابها
الاجواد صندوقين مسك وعنبر ... اذا فتحت بيبانها جاك ما بها
والاجواد مثل الزمل للشيل ترتكي ... والانذال حشوان توحى الرغى بها
الاجواد مثل العد من ورده ارتوى ... والانذال رس لا يروى ولا يرتوى بها
الاجواد مثل البدر في ليلة الدجي ... والانذال غدرى تايه من سرى بها
والاجواد مثل الهضبة المستقلة ... حطب وماء والذرى يتقى بها
لي ديرة ما بين سقف وموقق ... بايمن غميز الجوع ملقى هضابها[٢]
دار لنا ما هيب دار لغيرنا ... والاجناب لو حنا بعيد تهابها
تخاف من دهيا دهوم نجرها ... نفاجي بها غرات من لا درى بها
محى الله عجوز من سبيع بن عامر ... ما علمت وغدانها في شبابها
لها ولد ما حاش يوم غنيمة ... حذى كلمة غبرا تبيزع وجابها

---

[١] هنا اضطراب في السياق فالدخول بعبارة (كما يقول الشاعر) وكأنها استشهاد على موضوع الحديث الذي بدأ به لكن الذي يظهر ان قصة الشاعر المهادي مهمل لا تتسق مع ما سبق من حديث

[٢] نهاية ص ٣١٧من المخطوطة

وقد ذكرنا سابقا أفخاذ مطير، وذكرنا منهم الشاعر المشهور فجحان الفراوي، ويحق له أن ندون نبذا من أشعاره، فنقول إنه كان شاعرا للجربان شمر أهل الجزيرة، وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة، وكل ما يقال فيهم في هذا الشأن فهو حق وصدق خاصة الجربان، فمن أسماء رؤساؤهم مطلق الجربا ومسلط الجربا وسلطان الجربا وبنية الجربا وعبدالكريم الجربا وعقيل الجربا، وغيرهم من أهل بيت الرئاسة، وكان بنية الجربا شجاع، وكان قد قتل في بعض وقائعه، وكان في بعض الليالي رجل ينادي ويقول يامن شاف الطير الضائع، فسمعه مسلط اخو بنية ينادي فقال:

الطير ماهو خلفة وان غدا الطير	الخلفة اللي غادي له بنية
فان جا نهار فيه شر بلا خير	يذود تال الخيل ذود الرعية

وكان فجحان الفراوي، وهو من شعراء مطير، يفد على الجربان بجزيرتهم أيام ولاية فيصل بن سعود[١] رحمه الله، فكانوا يكرمونه ويعطونه الجوائز والكساوي ويعطونه الخيل والإبل، ورؤساء الشمال يكرمون الشاعر ويتقون ذرب لسانه، وكان ينزل مع قبيلته مطير وهم في نجد، فلما توفي الإمام فيصل رحمه الله كان يفد تارة على الإمام عبدالله بن فيصل،

[١] والمقصود الامام فيصل بن تركي

وتارة يفد على طلال بن عبدالله بن رشيد، وحينما هم أن يركب للجربان للجزيرة كعادته قال متمثلا:

اخذت انا ما بين الاثنين عجة ... ما بين ابو بندر وولد الإمامي
واليوم اباخذ لي على الهجن سجة ... لديار سمحين الوجيه الكرامي
مشاهد الجربان فرض وحجة ... اللي بنوا بيت الشعر والخيامي
فهود الزراج الى غطى المال عجه ... وان طار ستر معورجات الوشامي
بشلفا توسع للمضارب مغجة ... وحدب الظهور اللي تقص العظامي
ترى الكرم ما فيه صجة ولجة ... ولحد يناحيهم جنوب وشامي[1]

وكان فجحان هذا الشاعر محترما مكرما عند كل من يفد عليه، لأنه لم يتعرض أحد بهجاء ولا يظلم شخصا لإرضاء شخص آخر، فوفد مرة على بلدنا عنيزة، ونزل ضيفا عند البسام فأكرموه، فقال في ذلك قصيدة يمدح فيها عنيزة ويخص حمولة البسام بالمديح وهم أهل لذلك:

يادار يا ما بك ربى واستدارا ... من الريم واللي ينطحون المواجيب
اللي يخلطون الشحم والبهارا ... ومناسف يدنونها للاجانيب
اشناق حيل وزعفران بزارا ... وايدامها البسام طيب على طيب

وكان لفجحان ذود من الإبل فأغار عليهن غزو من الظفير، فأخذوا إبلا كثيرة من عربان مطير، ومع الإبل ذود فجحان، وكانوا رؤساء عربان الشمال لا يطمعون في حلال الشاعر، ولا يطمعون في المداد ولا الرواي شيمة منهم، فركب فجحان

---

[1] نهاية ص ٣١٨ من المخطوطة

بأثر إبله ليطلبها من زعيم الظفير سلطان بن سويط، فنزل في بيته ضيفا، وجعل يسأله ويستعطفه في رد ذوده عليه، وسلطان يعده في ذلك، وكان فجحان يختلف على عبد عندهم صانع لهم، فأتى لمجلس سلطان بعد تسياره للعبد فقال له سلطان من أين أتيت يا فجحان فقال من فوره:

والله لولا ضـيقة للصـدرما ابدي	وموسـع صـدري الى رحت بادي
سـيرت انـا مـابين حر وعبـدي	ورجعـت للي مثـل طير الهـدادي
ياشيخ ما يبرد لهيب بكبدي	الا ان تقول الذود ما هوب غادي

فقال يرد عليه، ما هوب غادي يا فجحان، فلما ابطأ عليه إرجاعه له، وكان ذوده هذا عند رجل من أبناء عم سلطان بن سويط يسمى جازع، فقال هذه الابيات يهيج بها سلطان:

قـاف لقيتـه مـا لقوه القبـايـل	مثل الزهر في جال خطو البطيني
الـلـي مـراقـدهـم بـروس الـنـثـايـل	ذولاك ما حطيت منهم خديني
جـازع لقـح من عقـب مـا هوب حـايـل	واشوف بطنه يا السويطي بديني
من ذاق هسات الأمور الاوايل	يصير بالتالي عليكم متيني

فقال سلطان: قوموا ياعبيد، سوقوا أباعر الفراوي، وان أبى أن يعزلها فسوقوا إبله مع إبل الفراوي حتى يعزل الفراوي ذوده عندي، ففعلوا ذلك، فتسلم الفراوي إبله كاملة غير[1] منقوصة، ولما كان في بعض الليالي والفراوي ضيفا عند سلطان بن سويط وكانت هذه الليلة شاتية باردة عاتية، فحينما

(١) نهاية ص ٣١٩من المخطوطة

أرادوا النوم فصخ الأمير سلطان فروته، فحذف بها على فجحان لينام بها فتدفيه عن شدة البرد، فلما أصبح طمع بالفروة، وقال متمثلا عسى أن سلطان يفضلها له فقال:

البارحة ما هيب من البارحاتي   من نافخ ينفخ ورا البيت ويزير
البل تراغى كن وسطه طلاتي   والا تحش لحومهم بالمواشير
لولا أبو مدبغ قلت هذي مماتي   في ليلة ما يقدرون الحفافير
عطيته ما هي من البايناتي   وا كنه الا عازل لي مغاتير

وكانوا يكنون سلطان بن سويط، بأبي مدبغ، فقال له : هي لك يالفراوي لا تفصخها.

وبما أوردنا من سيرة مطير وعتيبة، قد انتهينا من أخبارهم وتعداد أفخاذ حرب وأخبارهم، والأن نبتدي بتفصيل أفخاذ قحطان، فنقول أن قحطان هم ذرية يعرب بن قحطان، وكان هود نبي الله عليه السلام قحطاني، وهو عربي فصيح اللسان، وكانت منازلهم من حضرموت الى اليمامة، فمن قبائلهم يافع وهمدان وكهلان وخولان والسكاسك والسكون وكلب بادية السماوة، ولخم الذي منهم المناذرة، والأزد، فمن الأزد الأوس والخزرج سكان المدينة، وهم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الأزد ملوك بني غسان أهل الشام، ويقال أن أول مدينة بنيت في جزيرة العرب، هي مدينة صنعاء، وأما قبائل قحطان القاطنين في نجد فهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام، بني محمد وتارة يقال آل محمد، وعبيدة، وال عياف، فزعيم آل محمد، هو محمد بن هادي، وزعيم عبيدة هو زيد بن شفلوت، والزعيم الثاني محمد بن دليم في عبيدة، وأما آل عياف فهم قبائل كثيرة، وأكبر رؤساؤهم ابن عبود، وقبيلة ال الجمل

ورئيسهم ابن عبود، وكان يقول شاعر ال عياف حينما تحول ال محمد الى نجد، عن ماء لهم يسمى عقيلان وهو قريب من وادي بيشة، فنزلوه بعدهم ال الجمل، ويقول شاعرهم:

ياعد فرسان القبايل جوك	لال الجمل يتلون ابن عبود
يومن ربعك دايم خلوك	راحوا شمال وياكلون الدود[1]

ومعنى قوله ياكلون الدود، هو الأرز، ويسمونه دود البحر، فكانوا يستعيبون أكله، فهم لا يأكلون إلا البر .

ومن الأزد قبيلتين وهم أكبر قبائل الأزد وهم غامد وزهران، وهم أبناء رجلين من أب واحد، وهم يسكنون جبال السرات، قريبة من الطائف، ولهم تجارات وأسفار الى البدان المجاورة لهم وخصوصا منهم قبيلة غامد، فإنهم اجرأ وأعرف من زهران في كل شيء، ولهم أسواق في بلدانهم يتناوبونها في أيام الأسبوع كلها، ويسمون أسواقهم بأسماء أيام الأسبوع، فيقولون سوق الربوع، وسوق الخميس، وسوق السبت، وسوق الأحد، وكلها مشهورة عندهم، فكان كل سوق يكفله أقوى عشيرة منهم، فلا يدعون احدا يسرق فيه أو يقتل أو ينهب، فكان في ضمان القبيلة القوية.

ولم نعلم عن قحطان أن دخل معهم حليف من القبائل المجاورة لهم وهو ليس بقحطاني، وكانوا كلهم فرسانا إذا ركبوا الخيل، ورماة بالبنادق وشجعانا عند لقاء عدوهم، وخصماؤهم من البوادي يعترفون لهم بذلك لا سيما أنهم يعلمون أن أكبر

[1] نهاية ص ٣٢٠من المخطوطة

رؤساءهم قتلوهم قحطان، وقد سبق أننا نسير بينهم لشراء الإبل منهم، وأننا لا نسير معهم إلا بخفارة، فنأخذ رجل من عبيدة والثاني من ال محمد والثالث من ال عياف، وليتنا نأمن على انفسنا ومالنا، فلا نطمئن لأنهم أهل غدر واغتيال، أما إكرامهم للضيف فإنهم لا يهملون ضيفهم ويقدمون له ما تيسر، ولكن ضيفهم يقنع بما يأتيه، وكثير من قبائل نجد غيرهم أكرم منهم للضيف، وكان رئيس قحطان الكافة هو محمد بن هادي وقت زمانه المتقدم، وكان محمد بن هادي رئيسا شجاعا وكان يضاد رؤساء نجد كلهم من عتيبة، ومن الدوشان مطير، ومن العجمان الذين رئيسهم راكان بن حثلين، وكان له وقائع مشهورة بينه وبين خصماؤه من قبائل أهل نجد، وكان أكثر من يضاده راكان بن حثلين، وتركي بن حميد، وكان قد قال شعرا حينما عزم أن يهاجم راكان بن حثلين رئيس العجمان وكان يقول:

لي لابة حدرتها من تهامة وسلاحهم دهم الفرنجي والاروام
ياذ البهم والله ان تبري الجهامة تمسي النهار وتسري الليل قدام
لابد من يوم يثور عسامه اما على المطران والا على يام
ولا بد من يوم تسير الجهامة الين ننزل بين صفوى والاجام

وصفوة والاجام قريتين من قرى القطيف[١]

فرد عليه راكان بقوله:

---

[١] نهاية ص ٣٢١من المخطوطة

الشايب اللي من حديد عظامه ... عيت تبيده الليالي والأيام
ليا شب ناره فوق راس العدامة ... قمنا نربط غالي القش بحزام
نبي نولم للمسير كرامة ... شلف على قب سريعات الاولام
اهديت لك نور السلف والجهامة ... ابيك ذخر في مقاديم الأيام
وغديت انا واياك مثل النعامة ... جاها بلاها من ثقيلات الاقدام
ان كان تبغي للجحادر سلامة ... فانك تحدر مع مطاريقك العام
وان كان تبغي للجحادر ندامة ... صب الجحادر يا محمد على يام
تسعين عرق كسرت في عدامة ... خمسين منهم بين راكان وحزام
حرم عليك النوط فكه بلامه ... مادام حي واحد من ضنى يام

وكان محمد بن هادي قد غزا غزو من جماعته من قحطان، وأخذوا إبلا لبني خالد، وهم في ذمة الإمام فيصل بن تركي بن سعود، فأرسل على محمد بن هادي يطلب منه الإبل التي أخذها من بني خالد، فرد عليهم الإبل ثم أرسل عليه يطلب الجيش الذي غزا ويطلب الخيل التي غزت فساقها اليه كلها، ثم بعدها طلب الرجال الذين غزو لأنه اطمعه ليان محمد بن هادي، بأنه كل ما طلب أعطاه، فامتنع ابن هادي من تسليم الرجال للإمام فيصل بن تركي، وأرسل الى فيصل هذين البيتين يقول:

واحبني للعافية واشريها ... واسوق فيها ما لي والدبش
الا ان بلتني بلية مستصعب راعيها ... رديت لارقاب النمش

ومن شعراء قحطان، فالح بن مسفر، وهو من قبيلة ال عاصم، جماعة حزام بن حشر وكان مغرما بحب الإبل وأولادها، فيقول في ذلك:

والله مـا يطرب وينســاح بـالي	الا الـى قـام يـزجـر فـحـلـهـا
واشــوف حيران البكـار الغوالي	تدرج ونـار الربع يوضـي شـعلها
في مجلس يزهاه طيب الرجـالي	والســالفة الى جـت محـد شــقلها
ترى الخســارة يوم يـأتي مجـالي	ســوالف تـعرض على غير أهلـها
خطو النصــوب اللي بحكيـه خمـالي	والواردة عن كـل درب عـدلهـا[1]
تراه ما ينفعك في كل حالي	وان قابل النفس العذية دبلها

انتهينا من تفصيل شعوب قحطان .

فصل في قبيلة سبيع، وتعداد أفخاذهم، فنقول إن سبيع فرع من تميم، ويقول حميدان الشويعر،

حينما ضاق عليه الملجأ في قرايا نجد عن من يلتجيء عنده حينما قتل ولده مانع، أمير بلدة القصب السياري، فاختار أن يزبن عند أهل وثيثية، وهم من العزاعيز بطن من سبيع بني عامر، فيقول حينما أراد أن يلتجيء على أهل وشيقر فخاف منهم أن لا يلجئوه ولا يمنعونه من عدوه فقال فيهم

اهل وشيقر قبابين صحصح	**الى مسكت ذا والى ذاك نسوع**

ثم عدل عنهم وذهب الى شقراء ليلتجيء إليهم، فخاف أن لا يمنعوه فقال

بني زيد اوي والله قبيلة	**لولا ان فيهم من صليب طبوع**

فعدلها عنهم الى أهل المحمل فلم يسمح أن يلتجيء اليهم، وقال فيهم:

[1] نهاية ص ٣٢٢ من المخطوطة

لقيت بالمحمل فدادين قرية خشاير كابون قصالة قوع
الى شافوا الضيف تقابعوا تقبيعة وبران تلاوذت بصدوع
وتخيرت لاولاد العزاعيز ديرة حيث ان لهم في ذرى عالي تميم فروع

والعزاعيز هم سكان وثيثية، القرية المعروفة بالوشم، قريب من ثرمدا، وكانت سبيع ينقسمون الى اقسام كثيرة، فمنهم بني ثور أهل الخرمة، ورئيسهم مفرح بن هليمة، ومنهم القريشات، ورئيسهم مجري بن هملان، ومشاري بن ناصر، ويقال أنهم سموا القريشات لأنهم انتزعوا من قريش، وعاهدوا سبيع، ومن عوائد العرب أن حليفهم يندمج معهم ويكون منهم وينسى قبيلته التي انتزع منها، ومن سبيع قبائل أهل رنية وهم بريهة، والزكور، وكانوا عربان وأفخاذ متفرقة، وكل له رئيس، وكان رئيس الزكور بداح بن قطنان، وهو الذي يقول هذه القصيدة:

الى جا العشا شبيت نار المنارة وادنيت من حسه يجيب المسايير
نجر اذا حرك تزايد عباره وا حلو حسه بين عوج الدواوير
يا مسوي الفنجال كثر بهاره حقه على اللي ينطحون المخاسير[1]
احد الى سير عرفنا وقاره واحد الى سير يدير التفاكير
واحبنا والله لجمع التجارة لولا الحيا كنا نعرف المعاذير

[1] نهاية ص ٢٢٣ من المخطوطة

ولقد رقص الشيطان بين هاتين القبيلتين فتقاتلوا قتالا عنيفا، وذلك في سنة ١٣٢٩هـ وكنت بنفسي حاضرا، وبين بيوتهم اشتري منهم إبلا وغنما، فتفاقم الشر بينهم واشتدت المعارك، وكانوا يتقاتلون ليلا ونهارا فالخيل تطارد خيل الآخرين، والجموع تسير على الجموع، وانحاز كل قبيلة من قبائلهم مع من يليها من عصباتهم وهذه عادة القبائل، تكون أحزابا عند الحروبات بينهم، فكل حزب ينحاز الى قرابته ومن يكون حشمة لهم حسب العوائد المتبعة، فأما الزكور فقبائلهم تتشعب، فمنهم المراغين، ومنهم السودة والفراعنة والروبة والملوخ والمجامعة وبني محمد وغيرهم، ومن أفخاذ بريهة أبناء عمهم وخصماؤهم العنادلة، والمكالحة، والمفالحة والمشاعبة، واتباع ً غيرهم، فدامت الحرب عشرين يوما وكلها غارات بالنهار وبيات بالليل فما هدأت الحالة بينهم الا وقد قتل من الفئتين اربع وستون نفسا فيهم اربع نسوة يقتلن بالليل حينما يحل البيات، وكان الذي سبب هذه الفتنة كما قال حميدان الشويعر في مثله السائر بأن قال:

هون الأمور مباديها	قدح ولهيب تاليها
يشب الفتنة مقرود	ويشعلها من لا يطفيها

وسبب ذلك أن رجلا من قبيلة الزكور أتى يسوق إبله في الفلاة، فمر بصاحب غنم، فترثعت احدى الإبل في وسط الغنم، فقال صاحب الغنم ابعد إبلك عن غنمي عساها للقوم والجرب، حتى ما يبقى منها شيء، فقال له صاحب الإبل لا تدعي على إبلي

يا الشاوي، ياملحس أذناب القدحان، خل الإبل تحماك وانت تخض وتاقط وتسلى السمن، ثم نزغ الشيطان بينهم بالشتائم والسباب، فانتزع احدهم البندق من جرابها فقتل الرجل الآخر، فأتى رجل منهم على فرسه لينظر الحادث ويفرق بينهم، وهو من زعماء الصنادلة، اسمه فواز بن محمل، فلما وصلهم وابتدأ بالسؤال وإذا بأخ المقتول[1] قد أتى منجدا لأخيه، وكان القاتل من قبيلة هذا الفارس فرماه اخو المقتول بطلقة رصاصة فسقط من فرسه ميتا، فبعد ذلك دبت روح الحمية بينهم، وكان الفارس المقتول من زعمائهم، فقامت الفتنة بينهم واندلع لهيبها، وكل قبيلة انضمت الى قبيلتها فأخذوا يتقاتلون ليلا ونهارا، وكانوا بجلهم رعايا للشريف الحسين بن علي، أمير مكة، وكنت اعرف فيهم رجل من الصنادلة، اسمه دغيم الدويدير، وكان شيخا مسننا وله أربعة أولاد كلهم انغمسوا في هذه الفتنة، واسماؤهم فراج وناصر ومحمد وسرحان، وكلهم فرسان ورماة، وكان كل الأربعة ملازمين متاريسهم، فيقول فراج لأخيه ناصر وكان هو الذي يليه، فصار يحذره عن إشهار عمره أمام الرماة، ويقول له: يا ناصر احفظ عمرك لا ينهد عليك الجرف، ترى خاتمة حرب الرفقة يختمونه بقولهم "جرف وما انهد عليه" عندما يعقدون الصلح بينهم، ثم إن الشريف الحسين اطلع على ما جرى بينهم، فانتدب لهم الشريف غالب بن لؤي، وكان هذا أمير الخرمة في ذلك الوقت، فأمر عليه أن يكف بعضهم عن بعض، ويحذرهم من مغبة العصيان إذا لم يفيئوا الى الطاعة، فأتاهم الشريف غالب وهم مختطلين والمعارك بينهم قائمة على أشدها، ففصل بعضهم عن بعض،

---

[1] نهاية ص ٣٢٤من المخطوطة

فكان يهددهم بجنود الشريف إذا لم يقبلوا الصلح، فأذعنوا واستسلموا حتى فرقهم وأمر على كل قبيلة أن تلتحق بأسلافها التي تنزل معهم، ولم يكد يصل اليهم الشريف غالب حتى عضتهم الحرب بنابها وحتى ذاقوا ويلاتها ففرحوا بالخلاص منها، وفي هذه الحروبات شاهد صدق ما يقوله حميدان الشويعر:

لا تطلب صلح من جاهل	بأول حرب ثار التفقه
ليما تكثر خوايتهم	وينعى الناعي مما طرقه
هم اعذل فيهم يا مانع	ترى الفسقان ينسى فسقه
وقل يالبكري واسلهم	وتخلى لك الارقاب صدقة

فحينما كف الشريف غالب بعضهم عن بعض، وانقادوا الى الطاعة، وإذا الذي مات بينهم وهي الأنفس التي ذكرناها سابقا[(١)]، فكان عدد قتلى إحدى القبائل واحد وثلاثين، والثانية ثلاثة وثلاثين، فلما احصيت القتلى أمرالشريف الحسين، على القاضي المنصوب لأهل رنية، وكان قديما قبل مجيء الشريف الحسين، فحينما أتى الحسين وانتصب اميرا بمكة أيد قاضي رنية بأن يثبت، فحينئذ أصدر أمره على هذا القاضي أن يقضي في الدماء بين المتحاربين، وكان قضاه حسنا، وهو إنه قضى بأن قال واحد وثلاثون قتيلا لهذه القبيلة، فيقابلهم من قتلى القبيلة الثانية واحد وثلاثين، وتهدر دماؤهم جميعا، فتكون الزيادة عند القبيلة الثانية رجلين، تؤديها هذه القبيلة مشاعا بينهم، كلا بما

(١) نهاية ص ٣٢٥من المخطوطة

يستحق، ثم إنها بعد ما تجمع تدفع الى القبيلة التي تطلب الزيادة من اختها، فتقسم على قتلاهم جميعا بالسواء وأما الخيل والجيش التي قتلت في المعارك فتلغى من بين الطرفين، فقبلتا كلتا القبيلتين هذا الحكم وانحسم النزاع بين المتحاربين وتعاهدوا على التعاون على البر والتقوى ونبذ الأثم والعدوان، وهذه عوائد العرب من زمن الجاهلية الى يومنا هذا، مرجعهم الى الصلح، والصلح خير، واسم القاضي هو جبر بن إبراهيم من قبيلة الفضول .

ومن حيث أننا ذكرنا أفخاذ سبيع الأعلين وهم أهل الوديان الخرمة ورنية، فنتبعهم بذكر أفخاذ سبيع وهم بني عمر وبني عامر، ورئيس بني عمر ال أبو اثنين ومنهم وبدان وعساف وضيدان، ورئيس بني عامر[١] فرسان على الخيل، وكل البوادي تعترف بفروسيتهم، ويقول راكان بن حثلين وكان خصما لهم ومحاربا لهم:

بني عمر في حربهم سم ساعة	والى هزعناهم هل الغلبا يعيون
هم فوار القدر وحنا قناعه	نقدع شباهم كل ما جو يعيلون

وكانت عزوتهم قول (خيال الغلبا سبيعي)إذا تعاركت الخيل، ومن أفخاذهم قبيلة الأعزة ورئيسهم ابن جفران، ثم العرينات ورئيسهم فدغوش بن شوية، وكانوا كلهم متحدرين من أصل قبائلهم بالوديان، فكل شعوب العدنانية والقحطانية الى الشام والعراق فلا يرجعون الى ما أتوا منه ابدا[٢]، وكان أمير عنيزة

---

[١] لم يذكر اسما بعد عبارة ورئيس بني عامر قد تكون سقطت سهوا
[٢] نهاية ص ٣٢٦من المخطوطة

زامل بن سليم حينما اجتمعت قبائل نجد على حربه وحصاره في مدينته عنيزة، تمثل بهذين البيتين تلهفا على بعد عشيرته عنه وطلبه لحشمتهم له:

يا ونتي ونة طريح الخيل بالميدان	وامعقب عقب الونين صياح
اقصى بني عمي هل الوديان	وادنى بني عمي قطين رماح

وكان زامل، سبيعي الأصل، من بني ثور أهل الخرمة، وكان رماح ماء لسبيع يبعد عن الرياض اربع مراحل تقريبا، وهو شرقي الرياض مما يلي طريق الاحساء، وكان فيهم شاعر اعمى اسمه عجران بن الشرفي، وهو الذي يقول لابن عمه حينما رأى البرق، فقال له عجران : رأيته ؟ فقال: رايته جنوب مما يلي العرض، فقال مجيبا له:

حتى ايش يا بن عقاب لو ناض كشاف	بارق خريف في ديار مصدة
برق ينوض الليل من بين الاسداف	كريم يا برق ورا العرض قده
عساه يا عيد النضا غب الانكاف	تلفى به الوسمي على مستعدة
يسقي ديارك يازبن كل موجاف	من روضة التنهات لخريم حده
دار حميناها بضرب بالاسياف	يوم ان كلٍ حامي ورث جده

قد انتهينا من سبيع وتعداد أفخاذهم، والآن نذكر البقوم أهل تربة، لأنهم جيران سبيع، وبينهم عداوات متواصلة على الدوام، فنقول إن البقوم قبيلة من خندف، وكل خندف يماني كما تقوله العرب، وهم قبيلة شر، وحليفهم وجارهم قليل الثقة

بهم، وليس يأمن عن غدرهم ولا مكرهم، وكانوا قسمين، بادية وحاضرة، منهم بادية يرعون أنعامهم في الفلوات، ومنهم حاضرة يغرسون النخيل ويسقونها ولا يظعنون صيفا ولا شتاء، وهم ينقسمون الى قبيلتين، قبيلة تسمى وازع، وقبيلة تسمى بني محمد، فمن وازع البضعات، والريحات، والدغافلة والدمانين، والنجمة، ويرأس هؤلاء سعد بن غنام، وولده محمد بن غنام، ومن بادية وازع، القروف، ورئيسهم مسلط البعاج ومنهم رحمان ورئيسهم ثنيان الغرمول، ومن بعده ولده طريخم، وغيرهم أفخاذ، وفيهم من الشعراء شخص واحد من قبيلة النجمة، وهو يدعى شلاح النجيمي، وكان كثيرا ما يعدوعلى القبائل المناظرة له فيقول[١]:

يا الله يافتاح باب النصيبي	يا جيد والخلق ترجي ثوابه
طالبك من قطعان بدو عزيبي	من مرزق بين القبايل نهابة
مازال سيقاني تديم الخبيبي	كم ديّر هاضت عليّه كلابه
كم فرجة منها المترف يشيبي	ينوجها لعيون كنان ما به
يافاطري راحت مقاريك شيبي	من غارة عند الضحى وانقلابه
تعيني نجم الوعد لا يغيبي	وتسمعي لاصواتنا بالضبابة

وأما قبيلة بني محمد من البقوم، فهم أفخاذ كثيرة، فمنهم القواودة والرواجح وهؤلاء هم الحاضرة في تربة، وهم أكثر من يغرس النخيل ويثابر عليها، ومن قبائل بني محمد، بني سنان والمرازيق، ويقال انهم منتزعين من العجمان، ورؤساؤهم ابن صويان وابن متروك، ومن بني محمد،

---

(١) نهاية ص ٣٢٧من المخطوطة

الكرزان، ورئيسهم ابن جرشان، ومنهم السميان ورئيسهم ضاوي بن منيس، ومنهم الدهمة ورئيسهم ابن خشيبان، وكان لهم مع جيرانهم عتيبة وسبيع وقائع مشهورة، وكانت الحرب بينهم سجال، وتلك سنة الله في عباده، وهذا آخر ما نورده عن قبائل البقوم، والآن نذكر قبائل الشلاوى، فهم جيمعا يعرفون بابن الحارث، وينقسمون الى قسمين، قبيلة الشلاوى، وقبييلة بنيوس، فمن بنيوس النصصة والقطمان وغيرهم كثير، ورئيسهم عايض بن مهرس وأخوه عجير بن مهرس، ومن قبايل ابن الحارث، الجيايشة، وذوي حنيتم، وهم فخذ بارز عن الشلاوى وعن بنيوس، فمن الشلاوى ذوي حطاب وزعماؤهم طريخم بن جريش، واخيه حسين، وكانوا ابن الحارث هؤلاء، اقل القبائل عددا وأكثرهم في الكرم وفي الشجاعة وحفظ الجوار والوقوف دون من التجأ اليهم مع الشيمة العليا، ولقد سيرت بين القبائل وكنت أعتادهم سنين فلم أجد مثلهم من القبائل الا قليل، لحسن مقابلتهم للضيف، ومحافظتهم عليه وعلى ماله الذي معه، وأما زعماء الجيايشة وذوي حنيتم فهو ناهض واخوه نويهض ال عايش، وأما إكرامهم للضيف جميعا، فحدث ولا حرج، وحفظهم للجار وحرصهم على حفظ جواره، فكانوا يقدمونه على أنفسهم عند ورد الماء[1] ورعي الكلأ، ولقد كنت احفظ لكثير من قبائل البادية هفوات مع من يجاورهم أو يصحبهم في الطريق، فقد تجولت بينهم سبع سنين، فما أعلم أن أحدا ذكر أن رجلا من ابن الحارث خان جاره أو غدر برفيقه في الطريق، وكانت تجير المرأة في الزمن التي

---

(١) نهاية ص ٣٢٨من المخطوطة

كانت تسير به الخفارة، وكل ما اذكر عن كرمهم فلا تجد من ينكر عليهم، ولنا اسوة بقول شاعر ليس منهم حيث يقول:

ياضيف من عقب الشلاوى واستر الحال والنفس صبرها على ما يجيها

يعني أنك إذا ضيفت عند غيرهم فصبر نفسك، فإنك لا تجد عند غيرهم مثل ما تجد عندهم، ويقال إنهم من قبائل قحطانية، ولقد شاهدت قصرا خربا في بعض تجولاتي بجبال الحجاز، فشهد اصحابي الذين معي أن هذا القصر، هو قصر ابن مهرس، وهو جد عجير وعايض، وقد جرى بينهم حروب كثيرة، بين الشلاوى وبنيوس، وهم أبناء العم، مثلما يقال برقى والروقة، فدامت الحرب ثلاث سنوات، وذلك في مبتدأ القرن الثالث عشر، وأسباب ذلك إنه ورد لهم أي لبنيوس ناقة تسمى خضرا، فوردت على ماء اسمه غزايل، فقاموا عليها أهل الماء فقطعوا ذيلها، فشربت وتوجهت الى أهلها فلما اتتهم بهذه الصفة جاشت القبيلة على الثانية، وتصادموا عدة وقائع في شهر واحد فيقول شاعر أهل هذه الناقة:

والله انا ما نجيب الصلح بالطاري لين خضرا يعود ذيلها فيها

وقال الاخر:

والله انا ما نبي للرفاقة لطم عين لين تبرك باللواحي على زيرانها

وإن الذي قتل بين الفئتين ستمائة رجل غير ما تلف من الأموال وهذه عادة البدو(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)[١]

وفي آخر القرن الثالث عشر اشتهر زعيم من الشلاوى، اسمه مقبول بن هريس، فصار نادرة في الكرم والشجاعة، واشتهر بكثرة مغازية على القبائل المجاورة له ولقبائله، وكانت عشيرته تسمى الجعارين، فسألت عنهم في تجوالي بينهم، فلم أجد حيا منهم غير خمسة اشخاص لا غير، وكان يروى لنا عنهم إنهم إذا غزوا مع زعيمهم مقبول بن هريس، فإنه يغزو ومعه منهم أي من قبيلته أكثر من ستين فارسا، ويقول فيه مخلد القثامي، في مقبول بن هريس[٢]:

ياراكب حمرا شحمها من الحول	منوة غلام جاذبه طيب جده
اسلم وسلم لي على الشيخ مقبول	شيخ الشلاوا اللي ورا الضلع قده
تلقاه في بيت كبير به الضول	مشيد كنه على فرض جدة
والا كما عد من البدو مدهول	هذا صدر مروي والأخر يهده
حنا شبابه ناخذ الحرب بالدول	حبل تمدونه وحبل نرده
طريحكم منا نشيله الى الحول	وطريحنا منكم كل الرمل خده

وقد جرى لمقبول وقائع كثيرة مع عتيبة، فمن ذلك إنه غزا بغزوان كثيرة، وأغار على صايل الخراص، عند جبل يسمى الرجم، وهو بين الخرمة وبين امية هكران، فحاصرهم، فأرسلوا له من يفاوضه بالصلح بينهم، فأبى، بعد معركة قتل

---

[١] سورة الاسراء اية ٥٣

[٢] نهاية ص ٣٢٩من المخطوطة

فيها عدة رجال، وقتل فيها أربعة افراس، وكان مع العرب بخيت اخو شليويح، أتاهم زائرا لأخته سكرى، وهي زوجة صايل الخراص، فبعدما تغلب عليهم مقبول بن هريس اتفق معهم على قسم حلالهم الذي بأيديهم بالمناصفة، نصف يعطونه مقبول، ونصف يبقى معهم، وأما البيوت وما تحتاجها فلم يلتفت اليها وابقاها لهم، فقال بخيت حينما أرسل الى أخوه شليويح يخبره بالواقع:

جانا على ابن هريس قوم روية   على النقا ماهوب سرق بالاصحاب
يوم اختلط شر العرب بالغزية   وحامت طيور الجو من كل مرقاب
فالى اعتزينا العزوة المزحمية   الشيخ صاح بعزوة أولاد حطاب
فالى طرحوا رجل طرحنا لديه   حتى عذاراهم يشقن الاجياب
وراحوا ورحنا كلنا بالسوية   الا الدبش يفداك يا مرذ الاطلاب

ثم إن ابن هريس، انقلب الى أهله بما غنم من أموال الروقة، فلما كان بعد مدة واعد قبائله أن يغزو عتيبة، فجهش معه غير قبيلته، البقوم وغامد، فعمدوا الى مران الماء المعروف بطريق مكة، فأرسل من يكشف له عن أقرب عرب إليه، ليغير عليهم، فأتاح الله برجل من المراشدة الروقة، يدعى مناحي الطر، ومعه ثلاث ركايب، فعثر عليهم بالليل وهم على مران، فما راعه إلا طنين النجور يدقون بها ملح البارود للبنادق، فانقلب من ليلته وأنذر عربانه الروقة، وفيهم شليويح وبخيت[١]، ففزعوا من ماء يقال له مزاح والرويلية، وبعد ثلاث ليال صبحوا مقبول بن هريس وجنوده الذين معه فهزموه وقتلوا

[١] نهاية ص ٣٣٠من المخطوطة

ابن عمه واسمه حمدان، وهو الذي يقول مخلد فيه (طريحكم من كل الرمل خده)

وهو يعني حمدان فقال بخيت في تلك الوقعة:

جانا عن ابن هريس علم دهانا   خيم على مران يبني متاريس
يشب ناره عندنا ما حزانا   يا عنك يا شبابها ما معه قيس
اربع ليال مخيم فوق مانا   باهل الحجاز مدققين المهاريس
غطاه عج الخيل شوف العيانا   من راى أبو فارع بعيد المراميس
الرمح نطعن به شواة الشطانا   ورماة ربعي قعدوا بالمتاريس
انا احمد اللي من عدانا شفانا   عقب اقتضينا في قطيع الخراريس
حمدان عانه طايح في نحانا   ومقبول عقب الصبح يتلي المناقيص
واللي شرد منهم ذليل مهانا   يشعاه فرسان تدور النواميس

فلما وصلت القصيدة الى مقبول بن هريس رد عليه يقول:

يامن يودي عذرنا لاضددانا   من فوق عيملي طويل النسانيس
قل له ترى النسيان طبع الهدانا   ولا يامن العندات كود الهداريس
لابد من كدرا تجي مع بيانا   طرافها ياطا الغبا والطعاميس
ولابد من يوم عجاجه غطانا   ولابد من شوفة وجيه مناحيس
نتلكم تل الرسن للحصانا   اللي مساميره بقينه مغاطيس
وش انت خابر يم هاك المكانا   المال يقسم والعذارى متاعيس
يوم ان اخو سكرى يدير العيانا   صابر على ما به من الغبن ومكيس

وقد ذكرنا سابقا محافظة الشلاوى على رفيقهم في السفر، فقد جرى لي معهم قصة تشهد لصدق ما ذكرته عنهم من حسن أخلاقهم، فمن ذلك أني خرجت من رنية قاصدا مكة، ومعي إبل يزيد عددها عن خمسين ناقة واثني عشر جملا محملة بتنك سمن، وقد أخذت رفيقا من الشلاوى، من بلد رنية، فسرت في خفارته، وكان اسمه هديان بن حنيتم، من الجيايشة، والشرط الذي بيني وبينه أربعة ريالات فرنسي، وإنه يحميني من قبائله كلها كما جرت به العادة[1]، ففي أثناء الطريق صدف أن أغار علينا غزو من الشلاوى يزيد عددهم على أربعين مطية، ومعهم فارس واحد على حصان أصفر، وهو رئيس الغزو واسمه عايض بن مهرس، وهو شيخ بنيوس، من قبائل ابن الحارث، فأغاروا على إبلي، وانتدب رفيقي الشلوي ليحميني منهم حسب العادة، فتقرب من عايض نفسه وهو على الحصان، فأخذ بمجامع عنان الحصان فتوثق منها بيده اليسرى ورفع بندقيته ووضعها في رأس عايض، وأقسم له بالله لين ما رديت قومك عن أصحابي اللي أنا جبتهم من مأمنهم بوجهي – وكان معي ثلاثة قد رافقونا– إني لأخلي البندق تأكل راسك قبل أن تتكلم بشيء، فبعد تهديده له بالقتل إذا لم يرد عنه قومه، فنادى فيهم عايض قائلا بأعلى صوته : يا قوم البل مرفوقة مالكم فيها مطمع، فانقلبوا من حين ما سمعوا صوته وتركوا الإبل واقفة مكانها، وسلمنا الله من شرهم، وقد لطف الله بعباده، خصوصا الحاضرة منهم، سكان المدن والقرى، حيث جعل الله لهم خفارة من البادية يسيرون بها في القفار البعاد وتحميهم مما يحاذرون منه، ومصلحة الخافر نزر قليل من المال، فقد يكون

[1] نهاية ص ٣٣١من المخطوطة

يحول دون شيء كبير بشيء صغير، كثوب أو عمامة أو عصا، فقد شاهدت أن رجلا من أهل عنيزة يدعى سليمان الحمد الدعيجي، ظهرمن عنيزة مع هبط من أهل ضرية، فوصل معهم في ضرية وأجر معهم رفيق من الدلابحة، اسمه ملوح، يسير معه في الخفارة عن قبيلته عتيبة كافة، فمشى من ضرية هو ورفيقه قاصدا مكة، ومع الرجل المذكور من المال ما يساوي ثلاثة الاف ريال، وهي كلها خاصة عبدالله الجفالي، والرجل المذكور ماجور لعبدالله الجفالي، فصدف أن وافقهم غزو من مطير، ذوي شطيط، وليس معهم من مطير رفيق ينهي عنه قبيلته مطير، فأخذوا ما معهم جميعا، وسلبوا ثيابهم، وكانوا قريبا من الشعب، الذي يسمى شعب العسيبات، وكان على الشعب عرب من الروقة، وهم المراشدة الذين رئيسهم أبو خشيم، فكان من حسن الصدفة وسبب عقيلة هذا المال على أهله أن رجلا من المراشدة[1] يسمى مطلق بن عسير، وكان هذا الرجل معه بضاعة يبيعها لعبدالله الجفالي، وكان هذاالرجل له جارمن ذوي شطيط، فصدف أنه قبل مجيء الشخصين للعرب بيوم واحد وكان بيد مطلق بن عسير عصا خيزران تساوي ربع ريال، فطلبها منه جاره المطيري الشطيطي فاعتذر قائلا والله يا جاري إنها حلال الجفالي من بضاعته وليست لي، وإلا كان عطيتك إياها ولكن كان تبيها دخلة أدخل عليك حلال الجفالي من مطير بني عمك فخذها، فأخذها وحفل وكفل، فما راعهم بعد غروب الشمس الا والرجلين ينزلون عليهم، فأخبروهم بما جرى وإن الذي أخذهم ابن مزنان الشطيطي، فقام مطلق بن عسير على جاره وقال هذي السيره وهذي

[1] نهاية ص ٣٣٢من المخطوطة

السيرة، ويلزم أننا الليلة نسري ونطلبهم قبل ياصلون العرب، فإن وصلوا العرب قبل ندركهم تمزق الحلال الذي معهم، فركبوا وسروا بليلتهم وأدركوهم قبل أن يصلوا أهلهم بنصف يوم، وردوا ما معهم بيمين حلفها المطيري لأبناء عمه إنكم يوم أخذتوها انها في وجهي، فردوها ولم يغد من المال شيء ابدا، ولولا لطف الله بعباده بهذه وأمثالها مما يسمونه سلوم، لكان جميع الحضر منحصرين في مدنهم، ولا يسير للحضر قوافل، لأن الحكام مشتغلين عن تأمين الحضر بالنزاع فيما بينهم في ذلك الوقت، وليس لهم سلطان واسع ينشر على البادية. وأذكر للقراء قصة شاهدتها بعيني، وذلك أن رجلا من جماعتنا أهل عنيزة اسمه سليمان القبلان، وهو متوفي رحمه الله، فمن ذلك إنه سافر معه دراهم ليشتري بها إبلا من عتيبة، وذلك في سنة ١٣١٦هـ وكان قد سار بخفارة عتيبي من عرب ابن ربيعان، ومعه رجل مطيري، اسمه مغلث بن عنيزان، فاشترى إبلا كثيرة تساوي خمسين جملا، وبقي معه ٦٠٠ ريال، فكان يتجول بين البوادي ليكمل مشتراه، فبات ذات ليلة في البرية وليس عند البادية، فهمّ المطيري أن يقتلهم وهمْ سليمان بن قبلان ورفيق لهم اخر اسمه عبدالله بن طاسان، والعتيبي، الذي معهم رفيق عن عتيبة من جماعة ابن ربيعان، وهو روقي، فقام من ليله المطيري، وقتل الاثنين الروقي وابن طاسان، وانتبه سليمان القبلان مذعورا[1] وأراد الهرب فلحقه وطعنه بسكين كانت معه وتركه وهو يظن أنه مات مثل رفقائه، فانقلب ووضع الرحل فوق مطية سليمان لأنه يعلم أنها

[1] نهاية ص ٣٣٣من المخطوطة

نجيبة، وهي خير ما معهم من الإبل، وحمل عليها النقود وانهزم في ليله وترك ما وراءه من الإبل بعقلها، ورحلهم ملقى على الأرض، أما سليمان المذكور فهو بعدما أغشاه الدم الذي خرج منه من طعنات السكين، فزحف الى غار قريب منه فدخل فيه ذاهلا عن نفسه، وأقام في الغار يومين وليلتين، فاتاح الله بعرب من الروقة ظاعنين يتقفرون لإبلهم مواضع العشب، فبعد يومين عثروا على الإبل في عقلها وبعض منها متفلت، فجمعوها وجمعوا شتات رحلهم الذي في الأرض، ووجدوا الرجال الاثنين ميتين، ونظروا الى الغار وإذا فيه رجل حي، فعمدوا إليه وحملوه معهم، وأنقذوه بأن سقوه ماء وأعطوه طعاما، وكان مما قص من قصته وهو في الغار فيقول : عناية الله حمتني من الذئاب التي تدور علي في الليل كله بسبب ملح البارود الذي معي، أما ما كان عن الرجل الخائن المطيري الذي قتل الرجال وأخذ المال والراحلة فإنه نزع، ولم يأت قبيلته، حتى نزل مع حرب القاطنين بأعلى المدينة المنورة، فبلغ الخبر أخوه وأبناء عمه وأنه هذه قصته مع زملاءه، فركبوا على ستة ركايب وألفوا عليه، وكان كبيرهم ابن عم له يدعى غازي بن ضبعان، فبلغوه عنهم بخلاف ما فعل بهم، بأن قالوا له ان الرجلين الذين قتلتهم فإنهم احياء ولم يموتوا الى الآن، وأن الرجل الثالث فهو حي وقد وصل عند أهله بعنيزة ولا حاجة من جلاك مع الأجناب عنا يا أبناء عمك وعشيرتك، فسر معنا فنناضل دونك ونصلح كل ما أحدثت حتى تأمن ونأمن معك، فما زالوا به حتى أذعن للسفر معهم، فأتوا جميعا الى أهلهم وأتوا على ماء يسمى ثرب، كان أهلهم نازلين به، فلما تمكن أخوه منه أتى بحمار أسود بعدما أوثق

يديه على ظهره وأركبه على الحمار وربط رجليه على بطن الحمار كل رجل باختها، وسود وجهه من موقد النار، وأخذ يطوف به بين البيوت وينادي هذا جزاء الخائن، فلما طال التطواف به رماه ببندقية كانت معه[1] فقتله، وسلخ جلدة وجهه بعيونه وبأنفه وبفمه ثم علقها في رقبة الذلول، فما شعرنا إلا وهو ينيخها عند قبلان أبو سليمان القبلان، والدراهم معه ٦٠٠ ريال، لانه لم يذهب بالدراهم معه بل أودعها عند عجوز من قرائبه، فوجدوها غير منقوصة، فأخذ سليمان الذلول والدراهم فقال هذا جزاء الخائن، وهذا نقائي منكم يا أهل عنيزة فشكر منه سليمان القبلان وشكره وأعطاه جائزة فرجع الى أهله .

وأذكر قصة قد شاهدتها، وهو أن رجل من العردة، جماعة ابن ربيعان قد ذهب الى حرب ليحوفهم بالليل حسب عادة البوادي، فسرق منهم فرسا، فصدف أن لفه الطريق برجل آخرمن مطير، وهذا الرجل ولد نمش بن درعان الديحاني، من مطير، فجمعهم السفر جميعا ومروا بالزلفي، القرية المشهورة، وأضافوا عندهم ليلا وناموا بعد العشاء ليلهم كله، وأصبحوا مسافرين يقودون فرسهم معهم، فلما أتوا الى مكان يسمى الضويحي، وناموا بالليل جميعا، وفرسهم معهم، فلما غطهم النوم قام المطيري ونزع من الأرض حجر كبير فأنزله على رأس العتيبي حتى ذوب دماغه ومات من ساعته، ثم قاد الفرس وذهب بها الى عشيرته، وادعى إنه سرقها من حرب، ولكن أهل الزلفي الذين أضافوا عندهم، أكدوا لعتيبة أن الرجلان قد أضافوا عندهم وساروا جميعا، واتبعوهم بالأثر، فوجدوا صاحبهم مقتول، أما القاتل فإنه لما أحس أن الخبر في قتلته

---

[1] نهاية ص ٣٣٤من المخطوطة

للرجل قد انتشر، وعلموا به أكثر القبائل، شخص الى الكويت، فلحقه أبوه وأخوه وأخذوه بحيلة، من إننا سقنا [١]الرجال لأهله ولا نحب إنك تجلي وتحرمنا من حياتك، وأخذوا يحاولونه، حتى استخرجوه من الكويت، فلما وصلوا الى الضواحي قتلوه جزاء لخيانته وفعله الشنيع مع رفيقه الذي هو قد أمن منه بزعمه غدرا وخيانة وذلك جزاء الخائن .

ولأذكر قصة عجيبة، جرت على جدي لأمي وهو عبدالله العلي بن حميد الملقب اللجة، فمن ذلك إنه سافر الى ارض عنزة ليشتري منهم إبلا ويبيعها في عنيزة حسب عوائد الناس المتبعة، فاشترى من الدهامشة والفدعان إبلا كثيرة، ونزع بها يريد بلاده، فأتاه رجل قصير القامة نحيف الجسم[٢]، وقال له: يا عبدالله انا رجل منقطع بي السلم عند عنزة، وليس عندي مطية ارتحل عليها، وأنا احب إني أخاويك، ففي أول مرة تبرأ منه لعلمه بلبشات البدو الغير معروفين، وكان من شفقة هذا الرجل على السفر الى أهله وعشيرته أن قال له: يا عبدالله لست أريد منكم ركوب، بل إني أريد امشي على رجلي وإذا عطشت تسقونني ماء لا غير، وكان معه بندق قصيرة يسميها الجبع ومثلما قال العباس بن المرداس رضي الله عنه

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد هصور[٣]

فقد والله كان وصفه بهذا الرجل وأمثاله، فحينما رأى جدي رحمه الله [إصراره]على المسير معه وإن العذر لم يجد معه نفعا، رأى أن لا مناص من قبوله ولكنه اشترط عليه حينما

---

[١] سقنا أي غرمنا ديته
[٢] نهاية ص ٣٣٥من المخطوطة
[٣] لكثير عزة

أخبره إنه من قبيلة مطير أن قال له: ترى لك عندي ثوب وهو علقة لي عندك عن مطير كلهم، فقال لهم: يا عبدالله إذا سمحت إني أسافر معك فأنا سامح عنك بالثوب، فقال له ليس كذلك، إما أن تقبل الثوب وتحميني، وإما أن ترجع من هذا المكان، فقال له: قبلت وأنت في أماني من جماعتي، فسافر معه، فكان كل يوم يذبح لهم ظبي ـ ويقول ـ لو أنكم كثيرين تأكلون اكثر من واحد، كان اذبح لكم على قدركم، ولكني أريد ان تأكلوا كل يوم لحم طري، وهذا دأبهم حتى وصلوا العرق الثالث من عروق الدهناء، فلم يفجعهم إلا والمغيرة قد اندلعت على إبلهم، وعددهم ثمانين راكب، وهم مطير، جماعة هذا، وكان جدي عبدالله رحمه الله، معه حدة طبيعية وحرارة في قلبه، وكان له نخل في عنيزة يسمى الأربع، مشهور، فصاح أن قال: ياما من الفقر إذا أخذتْ إبلي، فياليت إبلي بدالها نخل بالاربع، لا تضعن ولا تخرج للبر، فقال له هذا الرجل: ثق بربك، والله إنه كأنها نخل بالاربع، ولكنك أنت ساعدني على ركوبي على ردوف الذلول، بأن تردع راسها حتى تقف الذلول لما ارمي البندق، وهذا دأبهم يهججون الإبل والذلول تتبعها وتهججها، وهم عليها الاثنين[1]، عبدالله والرجل هذا، ثم إنه بعدما قتل منهم ست من ركابهم، أشهر اسمه لهم، وقال لهم : انا درع القويتيلة، أول رميي عليكم حطيتها بالجيش، والآن ما أحطها إلا برأس رجال، فقالوا له : ان كان نبهتنا إنه انت الذي معهم قبل تذبح جيشنا، فقال : انا ذبحت الجيش وابي أذبح الرجاجيل، أبعدوا عن زملاي وإلا من قرب ذبحته، فانعدلوا عنه، وسلموا من شرهم بسبب هذا الرجل المحتقر، فلما وصل الى عنيزة وقارب

[1] نهاية ص ٣٣٦من المخطوطة

منها نكر مطيته ولباسه وأناخ عند باب أهله على قعود، وعلى رحل رث، فادعى إنه صدف في الطريق وأخذت إبله، وكان يريد بذلك أن يختبر رجل يسمى على العبدالرحمن الخياط، فلما أتوه يسلمون عليه، قال الأمر اليكم خير ياجماعة، أنا أخذت أباعركم من عنزة وجبتها معي بدون أمركم، حينما ساقوهاعلي ودعاكم من عنزة إنك توصلها جماعتك، وهذا وقت حاجتها للسانية لا يقصر معروفك عن هذا، فقبلتها وسقتها مع حلالي، وقدر الله إن غزو من مطير أخذوا إبلي وإبلكم، فأخذ يعدد الذي معه لهم، فأتى على آخرهم فقال لك يا علي الخياط: ربع، أما الجماعة كلهم فقالوا: البقاء براسك، إذا سلمت انت، فحلالنا يخلفه الله، عندنا يقين إنك مجتهد، فما شذ منهم عن هذا القول إلا علي الخياط بأن قال: أنا ما عطيتك أمر تجيب إبلي من وديعي مع عنزة، أنا ابي أباعري توالد وتناما، فأخذ يجاوبه بقوله: ياعلي أنا مجتهد ولا جيت إلا من طريق الإصلاح لك ولأهل عنيزة، وأهل عنيزة كلهم سمحوا وانت واحد منهم، فقال: لا، ما يخصني من أهل عنيزة شيء، أنا ما أسمح بحلالي إلا أن تخسره لي بما يستحق من الثمن، فلما ألح عليه وعلم أنه صمم على عدم السماح وأنه طلب منه الشرع، حينئذ أفاه له بلقب كانوا يلقبونه به الناس، وهم يلقبونه منكر، فقال دع لي قلبيني يا منكر، أنا يوم قلت هذا القول أريد أن أمتحنك، وإلا أباعرك مع وديعك شبطان الجلاسي، وانتم يا أهل عنيزة تنطحوا أباعركم تبات الليلة بالغرفانية، وكان رحمه الله يحرج على إبله في مجلس عنيزة ومعه رجل عنزي، رفيق عن عنزة[1]، اسمه صالح بن مخضار، وكانت أجرته عشرة

---

[1] نهاية ص ٣٣٧ من المخطوطة

ريالات، وأجرة درع القويتيلة، ثوب بنصف ريال، فكانوا إذا أدخلوا ناقة في حلقة البيع ونقص سومها عما تستحق، صاح بقولة: كله عندكم واحد، الطيب والردي، صالح بن مخضار بعشرة اريل، ودرع القويتيلة بثوب، يعني أنكم لا تعطون الطيب ما يستحقه، فأقام عنده درع، فكان هو ساعده الأيمن في أسفاره كلها، وكان قد استدعى بأهله وانزلهم في حائطه الأربع، وكان يقول له: خذ ما يكفيك من النخل، ولو لم يبق لي شيء، أنت صاحبهن، فسمي هذا النخل حويط درع من ذلك اليوم الى هذا اليوم، وأما درع المذكور، فقبيلته الوساما من مطير، ويلتقون بالدياحين، ورئيسهم ابن مهيلب. ونحن أوردنا في كتابنا هذا قليل من كثير، ولو دمنا مدة الحياة على تعداد ما حفظناه من أمثال ذلك لنفد العمر ولم نتحصل على النهاية .

فصل في أفخاذ قبيلة شمر، وما أتوا منه، شمر قبائل متفرقة وإن أصلهم من طي، وهي قبيلة قحطانية، نزلوا الجبلين اجا وسلمى، بعدما خرب السد، وهو سد مأرب فتفرقوا أيدي سبأ كما ذكرهم القرأن بقوله (ومزقناهم كل ممزق) فمن شمر عبدة، التي أمراؤهم الرشيد، ورئيس قبائل شمر هم الرشيد حينما كانوا بالوجود، ويليهم رؤساء باديتهم، فمن رؤساؤهم عقاب بن عجل ومطني بن شريم، ووادي بن علي ومنهم طايس وملبس بن جبرين، ومنهم ندى بن نهير رئيس الطبار، وهؤلاء كلهم رؤساء عبدة، ويليهم الأسلم، وهم أكثر عددا منهم، ورئيسهم برغش بن طوالة، وولده ضاري من بعده، ولهم أفخاذ متفرقة، وكل فخذ له رئيس، ومن بعدهم سنجارة بندر التمياط، وغصبان بن رمال وأخيه عدوان، ويليهم التومان، ورؤساؤهم العفري وابن برغش، ومن بعدهم شمر

طوقة، وهم أهل الجزيرة، ورؤساؤهم الجربان وأولهم مطلق وصفوق وعبدالكريم وبنية، ومسلط وسلطان وعقيل وكانوا كلهم شجعان لا يشق لهم غبار[1]، وكرماء مشهورين بالكرم، وقد أوردنا قصيدة فجحان الفراوي، وهي دليل واضح على تفوقهم بالكرم على من سواهم، ومنهم شعراء لم أحفظ من أشعارهم سوى قصيدة قالها مطلق الجبر، يخاطب بها فرسه حينما عميت، فكان يقول لها بيت وله البيت الاخر، وهو يلقب بالعيط وتارة يلقب زقم، واسمه الحقيقي مطلق، ومن قوله في خطابه لفرسه:

قم يا زقم يا العيط دور دوانا   يم الأسباب الي تقرب شفانا
ياليت ربي يوم قدر عمانا   حط العمى بعيون خطو الردوحي
يا العيط لا تنسى الفعول القديمة   الى جن طفح مع خطات الخريمة
اكفهن واحوز كل الغنيمة   يوم السكر بدماغ راسك يفوحي
تنسان يوم اكسر عريش من الذيل   مثل الشغايا وان تلاقن بالسيل
يا ما حديت الرمح بالجري والحيل   للجرف هو والخبارة جموحي
يا سابقي فعلك فلا نيب ناسيه   وجميلك الى فات ماني بناسيه
لو العمى يذكر طبيب يداويه   لو هو بعيد ما تطوله شبوحي
جبته ولو دونه بحور طوامي   لو حال دونه موحشات المظامي
لو بالمثل مالي جنود تحامي   ابذل لك الجهدة وافادي بروحي
ما قط ضريتك للطهر والعيد   والا نهار الكون خز المفاريد
الا عليك انطح وجيه الاجاويد   وانيابهم من غير ضحك كلوحي
اول بريرة لك حليب وقرصان   والبر الاخرمرتعك فوق سمحان
باغي الى ما جات روعات الاذهان   كم مبلج بالكون مني يروحي
قالت يا العيط سمحان تولوه شمر   من ولبهم دايم على اكوار ضمر
يا طول ما رمحك عليهم تجمر   والشيخ يطلب عفتك وانت توحي
يا العيط انا ما ني على ذا صبورة   عقب الطرب والعز صرت محقورة
بين الهوادي والنساء والبزورة   منسية يتني غبوقي صبوحي
يا سابقي بالبيت ما ني بناسيك

[1] نهاية ص ٣٣٨ من المخطوطة

حبك بقلبي ما يبارح وطاريك
ولو غزيت ورحت فالقلب راعيك

سقت الذهب بدواك لا شك ما فاد
والله يجيرك عن كثير السموحي

واحفيت جيشي بين صادر ووراد
وكزيت يم الشام وبلاد الاكراد

لو الدوا ينفع لعينك شريناه
ذولي مراويح وذولي سروحي

مير ان لعينك نظير دفق ماه
ولو هو بغالي الثمن كان جبناه

يا العيط فعلك بين ما كنيته
ولا ينفع العطشان كثر السبوحي[1]

وما قدر الباري عليه رضيته
وروحي فداك وشوف عيني نعيته

الله على الشقرا وانا له زبوني
واللي جرى مكتوب في صفح لوحي

والى سلم راسي تشيله متوني
الى حل بين البايعين الغبوني

الله على الشقرا الى صاح صياح
واقاسمه زاد البخيل الشحوحي

كم واحد منى على صابره طاح
وتعلوطوا جرد السبايا بالارماح

الله على الشقرا الى جن مع الريع
عليه بيض طول ليله تنوحي

اردها لعيون بيض مفاريع
نصفن مجاويخ ونصف مداريع

الله على الشقرا الى قوضن
وال السماء فكاك روحك وروحي

وانا على الساقة جوادي تثن
وشالوا عليهن بالوغى كل فن

الله على الشقرا الفتاة الصنيعة
الى ذل عشيق البنت الطموحي

لا شك لي نفس عليها فجيعة
الى حل بين اللابتين القطيعة

وراع التماني مثل زراع صوحي

وكان مطلق مشهور بالكرم الى أقصى حد ينتهي إليه الكرم، وكان ابن عمه عبدالكريم الجربا من فرط كرمه يسمى، أبو خوذه، يعني إنه لم يمنع شيء يطلب منه، فرسا كانت أو إبلا أو سلاحا أو نقودا، فجوابه لمن يطلبه شيء هو (خذه)ويشهد لذلك قول الشاعر فجحان الفراوي المطيري بقوله:

مشاهد الجربان فرض وحجة
اللي بنوا بيت الشعر والخيامي

ترى الكرم ما فيه صجة ولجة
ولحد يناحيهم جنوب وشامي

[1] نهاية ص ٣٣٩ من المخطوطة

وكان عبدالكريم الجربا قد صلب في بغداد، لوشاية رمي بها، وقد أمر بصلبه، السلطان عبدالعزيز[١]، وبعدما صدر الأمر بصلبه، أتى إلى السلطان من وزرائه فشرح له كرمه وشجاعته، وقدم الشفاعة له عند السلطان بعدما قص عليه من أخبار كرمه وسماحته، فقبل السلطان شفاعته، وأصدر أمره بالعفو عنه، ولكن هيهات وقد سبق السيف العذل، فحينما أتاه العفو وإذا هو قد صلب، قبل أن يصل العفو بثلاث ساعات، رحمه الله ورحم معه كل شيخ كريم، وكان مطلق الجربا قد جمع بين الكرم والشجاعة فلا يبارى في تلك الخصلتين[٢]، وكانت امرأة من بادية العراق تقول حينما عذلوها عن تماديها مع صاحبها اخو مانع بن سويط فهي تقول

ما انساه لين صفوق ينسى الجزيرة او مطلق الجربا يكب الخطاطير

في قصيدة لها طويلة سنأتي بها في موضعها إن شاء الله.

وكان مطلق له فرس مشهورة بشدة الجري، فكان يدرك عليها الهارب وهو يفوت الطالب، فقدر الله لها ان يصيبها وجع في عينيها، فتعطلت عن الغزو، فربطها حتى مل من رباطها ثم تعب من أجلها وخسر عليها، والحرص على نجاحها فلم يفيدوا بها شيء مما فعله، فحدث في ذات يوم أن البدو رحلوا يتقفرون الارض لرعي سوائمهم كجاري عادتهم، فأخذ بحبلها وقادها حتى أبعدها عن أصوات العرب ثم خلع رسنها من رأسها وتركها واقفة، فوقف هو بعيدا عنها ونظر إليها كيف تصنع بعدما فارقت العرب، فكانت تتصنت وتتسمع لأصوات العرب،

---

[١] السلطان العثماني عبد العزيز الأول ابن السلطان محمود الثاني حكم ما بين ١٨٦١ـ ١٨٧٦م

[٢] نهاية ص ٣٤٠ من المخطوطة

أين وجهوا ثم تجمح الى جهة الأصوات وهو ينظر إليها وهي تفعل ذلك مرارا، ففي بعض اشواطها عثرت بشجرة فوقعت على مقدم رأسها وانغمس فمها في التراب، فحينئذ أصابته لها رحمة من قلبه، فبكى وسعى إليها وأقعدها حتى وقفت على قوائمها الأربع، فوضع الرسن في رأسها وقادها معه، ثم إنه حلف بعد ذلك ألا تفارقه حتى يموت الأول منهما، فأتى بها الى مربطها المعتاد وجعل يطعمها مثلما يطعم أهله وعياله، فلما كان في بعض ليالي فراغه أخذ يتناشد معها بالشعر في نفس الموضوع بأن يجعل لها بيتا من الشعر ويجاوب بنفسه بالبيت الثاني فقال القصيدة التي أوردناها سابقا.

ولنرجع إلى شمر وتعداد شجعانهم، وتشهير فرسانهم، وذكر كرماؤهم، وكانوا يعطون زمام أمرهم للرشيد، وهم أمراؤهم وبنو عمهم، ولهم معهم حمية وعصبية لا يفلها شيء، حتى أذن الله بانهيارهم وتقوض عرشهم، فكان كل ما حَربوا غُلبوا، وأكبر أسباب الدبور الذي ابتلاهم الله به هو حوادث الغدر والخيانة ونقض العهود وقطيعة الأرحام، فكان حكمهم سابقا مرتكز على ذرية رجلين وهم عبدالله وعبيد، فسلط الله ذرية عبيد فقتلت ذرية عبدالله، ثم سلط الله ذرية عبيد على بعضهم فقتل بعضهم بعضا، فبقي من ذرية عبدالله صبي صغير[١] لم يتجاوز عمره ثمان سنين، وهو سعود بن عبدالعزيز الرشيد، والتجأ بالمدينة المنورة حتى كبر وبلغ من العمر عشر سنين، فاستخرجوه أخواله السبهان من المدينة وأدخلوه حايل بالقوة

---

[١] نهاية ص ٣٤١ من المخطوطة

وملكها، ثم تتبع ما بقي من ذرية عبيد، فقتلهم وقتل منهم صبيان صغار ما بلغوا الحلم ولا قاربوا له، ثم سلط الله السبهان فتقاقتلوا بينهم، وذلك أيام إمارة سعود بن رشيد، فأغضى عنهم سعود وتركهم يتقاتلون، فقتل منهم عدة ومن بينهم زامل السالم السبهان، وهو الذي نصر سعود، ولنذكر من وفاء سعود لمن عاهده حينما هدأت الفتنة بين الرشيد، وقتل من قتل بينهم بسبب الفتنة الشنعاء التي فعلوها ال عبيد بأولاد عبدالعزيز بن رشيد، والشر بالشر جزاء، والبادي اظلم، والخير بالخيرجزاء، والبادي أكرم، فحينما حلت النكبة بذرية عبيد، لا تجد من يرثي لهم ولا يقيل لهم عثرة، وقد يُعذر الناس كلهم على بغضهم لذرية عبيد ومقتهم إياهم جزاء ما فعلوه من قبيح ما ارتكبوه، ولقد أخبرني ممن أثق بقوله فيقول: بأنه يحدث عن فيصل الحمود العبيد الرشيد، بأنه يعترف على نفسه بقوله (إن معاملتنا لابناء عبدالعزيز بن رشيد لا زالت تزاولني في نومي وفي يقظتي، وأني اعتقد أن الله سيبتلينا بعقوبة مثلها، وقد ابتلينا بعقوبة أشنع منها فاننا قد قتلنا أبناء عمنا، ونحن يا ال عبيد تقاتلنا فيما بيننا، فالأخ قتل أخاه، ولن تتم عقوبتنا أو تنتهي وباق منا امرأة تمشي على الأرض حتى ينقطع اسم العبيد من الوجود. وفيصل هذا هو الذي قتل اثنين من عيال عبدالعزيز ومنهم محمد الذي عمره سبع سنوات فلا رحم الله قلبا لايرحم، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، فلو استولى عليهم عدوهم ما فعل بهم ما فعلوه بقرابتهم وذوي رحمهم، بل إن الله مكن عدوهم منهم بدون عقد ولا عهد، فعفى عنهم ورحمهم وأكرمهم، وكانت معاملته لهم بالبر والإحسان عملا مشهودا به، وقد أخبرني صالح اليحيا أمير عنيزة، بأنه يقول: غزيت

مع محمد بن عبدالله الرشيد، في بعض غزواته، وكان يقول إنه في[1] الغزوة قد غزا معه جند لا يحصي عددهم إلا الله، وكان مع ذلك الغزو سطام بن شعلان، شيخ الرولة من عنزة ـ قال ـ وكنت أمشي خلفهم في الضحى، وسطام يسأل النوري قائلا: هذه القالة يالنوري وش يفلشها؟ ومعنى القالة القوة، فقال: يفلشها بطنها إذا أراد الله، وقد صدق ظنه، فما تدهور عرشهم إلا من أيديهم، نسأل الله الخلاص مما ابتلي به هؤلاء وأمثالهم من الناس، وكل يلاقي ربه يوم الجزاء بما عمل، فكان آخر من قتل منهم، الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد، قتله ابن عمه عبدالله الطلال، كما شرحنا قصتهم سابقا، فقتل عبدالله الطلال من ساعته، فكان يوم قتلهم مصيبة عظيمة على ذويهم وكافة رعيتهم، فمن بعد قتل الأمير سعود، تولى الإمارة عبدالله المتعب، وكان سعود عمه المقتول، فجلس من بعد قتلة عمه على عرش قد تقوضت أركانه، وكان الحصار من جنود الملك عبدالعزيز بن سعود قد بلغ أشده، وكان محمد الطلال، قريبا من حايل، وهو اخو عبدالله الطلال المقتول قصاصا بالامير سعود، وكان محمد الطلال يتهدد بالهجوم على حايل، وأشخاص من أعيان حايل كانوا يكاتبونه سرا، فاضطربت على عبدالله المتعب رعيته، وخشي على نفسه حتى عجز عن سياسة ملكه، فوجد غفلة من أهل البلد في بعض الليالي فجلس على ركائبه نصف الليل ومعه ست ركائب لاغير، وقصد الأمير سعود بن عبدالعزيز السعود، وهو على ماء يسمى ياطب، فأنزله عنده وأكرمه للغاية وفرح بقدومه، فبعد خروج عبدالله المتعب، دخلها محمد الطلال بدون حرب، ولكن لم تطل

---

[1] نهاية ص ٣٤٢ من المخطوطة

مدته حتى حصره الملك عبدالعزيز بنفسه وأنزله من قصره بالأمان، فوفى له أمانه وزاد في إكرامه ونقله الى الرياض، فما زال عنده محترما مكرما، ثم إن الملك تزوج من ابنته، وحظيت عنده بالمحبة، فكان يقدمها على أكثر نسائه وما زال محمد الطلال في دار الكرامة حتى قتله عبده بالرياض، وكان العبد يحتج على عمه إنه يهينه، فخيره العبد بين اثنتين إما أن يعتقه أو يبيعه أو يزوجه، فلم يجبه بواحدة منها[١]، ووجد العبد بعدما قتل عمه محمد الطلال [قد] قتل نفسه .

وبإنحلال ملك الرشيد صار الحي منهم ضيفا للملك عبدالعزيز ولا يزال ضيفه محترما مكرما، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضعف سلطانه .

ولنرجع الآن الى أخبار شمر، فقد ذكر بعض شعراء النبط حين خروج مبارك الصباح على نجد سنة الف وثلاثمئة وثمانية عشر هجرية وهو يقول:

ياســـابقي توي شـــربت الكيف	من يوم أبو جابر ظهر
نبي نطـارد مكرمين الضـــيف	شـــمر هل البوش العفر
امـا نحينـاهم بحـد الســيف	والا خذونا بالظفر

وكان لا يشك أحد بفروسيتهم، وخصوصا رؤساؤهم، فمنهم عقاب بن عجل، وبرغش بن طوالة وضاري بن طوالة وندى بن نهير، ونخيلان بن جبرين ومشل التمياط وبندر التمياط

[١] نهاية ص ٣٤٣ من المخطوطة

ومطني بن شريم ومسند الربع وعياد بن نهير والرمالات غضبان وعدوان وغيرهم كثير وكان شاعرهم يقول:

انا دخيل لسلطان والا طلال حايل

والا فنيطل الوجعان حماي تال الدبايل

وناهيك بشجاعة الرشيد، فمنهم عبيد وعبدالله وبنيهم من بعدهم، وهو شيء لا يقبل الإنكار، وكان فارسا من شمر يقال له نمر الوضيحي، وكانوا جماعته يدعونه ليكرمونه فلا يجيبهم الى ذلك، مما يجد في قلبه من حبه لطراد الخيل، وكان يقول هذه الأبيات[1]:

قالوا تسير قلت مانيب اسير يكفونن التسيار خطلان الايدي

الا ان قال الشيخ يا نمر سير اركب على اللي مثل عنق الفريدي

اركب على مثل الحمام المطير ياطن حديد ولبس اهلهن حديدي

فاركض على الصابورثم اتخير واضرب بحد السيف علم وكيدي

اما ذبحت دهام والا الأمير والا فحرم للبسنا للجديدي

وكان دهام والأمير فارسين من فرسان عنزة مشهورين بالفروسية، وكان من شعراء شمر بصري الوضيحي وهو من سنجارة، وكان عم للفارس نمر وكان الوضيحي كل شعره في الغزل، وكان قد رأى شعاع بنت محمد بن ربيعان اخت مسلط وسلطان وهي زوجة الحميدي الدويش، فلم يرها الا وهو شيخ هرم كبير السن فقال:

[1] نهاية ص ٣٤٤ من المخطوطة

التايه اللي جاب بصري يقنه ... نقض جروح العود والعود قاضي
ياليت سني من مواقيم سنه ... أيام ما بيني وبينه يغاضي
لا هيب لازفرة ولا هي معنة ... ريح النفل بمطمطمات الفياضي
دنوا لها من زمل ابوها مضنة ... اشقح يدالي خطوته يوم ناضي
يا شوف عيني والخدم يركبنه ... متمرفق بين الحنايا العراضي
واقفت تجر ارداه من غير منه ... بنت الشيوخ مهدمين الحياضي
يا من يعاوني على وصف كنه ... حمر ثمرهن غطسن بالبياضي
ونهود للثوب الحمر شلعنه ... والبرق يلمع بالجبين الحضاضي

وكان لسانه في شعره أوجد من سنانه، ولم يكن له فروسية تشهد له بالشجاعة ويقول:

لو أتمنى كان هي بالتماني ... صفرا صهاة اللون قبا طليعي
توحي قضيع ارخيها بالعناني ... قضيع هرشن مقتفي له قطيعي
قدام دوبع مثل رمل الصخاني ... مخلية الروس القواسي تطيعي
وسروال تومان ومثل الشطاني ... ومصقل مثل الثعب له لميعي
باغ الى لحق الطلب له غواني ... والخيل معها مجول والدريعي
وتزراقوا برماحهم باليماني ... مثل الحرار اللي تغازن مريعي
اردها لعيون صافي الثماني ... صخاف الوسوط مهلكات الرضيعي[1]

ويلي بصري الوضيحي من شعراء شمر، أبو زويد السنجاري، ويقول وهو يوصي ولده واسمه دخيل:

---

[1] نهاية ص ٣٤٥ من المخطوطة

دخيل أبا اوصيك مني مسالة مسالة ما يفهمه كل رجال
احفظ خويك عن دروب الرذالة ترى الخوي عند الاجاويد له حال
والمرجلة بالك ترخي حباله وبالك تعيل ولا تراخى لمن عال
والضيف تبذل له طريق السهالة وقدم له الماجود سهل به البال
لعل غمر شوفته قد حاله عسى تدور عشقته فيه الابدال
الحمرة تدرك معيشة عياله لا عاد ما يبغى منه بعض الأحوال
فان كان ما تدعى الى صار قالة تراك من حسبة ثياب بها ازوال
فان صار لك من عوص الانضا زمالة حمرا تروّح بك الى سوبس اللال
تمرس كما تمرس خطاة المحالة مع سهلة عمال من جا معه ذال
خله مع الديان تمشي لحاله الى صار ما انت للمسة الخشم حمال

وله أيضا قصيدة طويلة، قالها في سطام بن شعلان ولكنها كدرت عليه خاطر محمد بن رشيد، أمير حايل، وأسخطته عليه، ونفاه بعدها، وخاف على نفسه، لأنه مدح ضده سطام بن شعلان، ورفع قدره فوق قدر محمد بن رشيد، فلم يرض عنه حتى شفع به حمود العبيد الرشيد، بعدما جفاه محمد مدة طويلة، وهي قوله يمدح بها سطام:

يا راكب اللي كنها روملة ذيب حمرا ولا قط الحوير غذي به
حمرا تكسر من عياها المصاليب حمرا تسوف عقوبها في سبيبه
حمرا وتعبا للسهال العباعيب تخرج على الديان من غيب طيبه
حمرا مراتعها مع الشمخ النيب حمرا وتوه في جهلها منيبة
لا روحت مع سهلة كالعياسيب تبطخ بيمناها والأخرى حنيبه
سطام يا اللي ما بهرجك تكاذيب نعم بالعليا ومن يعتزي به
خيلك على الاقفاي عرجى تقل عيب والا على الردات عجل هذيبه
جيناك فوق ظهورهن غواريب جيناك والله جية ما سعي به
ياشوق من عيت على كل خطيب قبلك على كل القبايل عصي به

بـنــت الـــذي وان ســولــفوا بــالمعازيب	يـرقى ويـصوت لـلـعشا بـالـجـذيبة[1]
ويروي شـــبــات القوس من شــمخ النيـب	الــلــي يـعـيشون الـعـرب فـــي حـليبه
مـــا جـابــت الـخفرات مــثلك ولا جـيـب	مـــن مـــشرق الـــدنيا الى اقصى مغيبه
ولا يـســتوي لـلــبيض غـيـرك ضـواريب	الـبيض خـطو المشتبه وش تـبي بـه

وهذين البيتين الأخيرين هي التي اغضبت عليه محمد بن رشيد، وله قصائد غيرها كثيرة .

ومن شعراء شمر، مانع الهربيد، من الأسلم، وكان له أخ أسمه نهار، فقتل نهار في بعض مغازيه، وقد خلف ابن أسمه جريس يرضع من ثدي أمه، فاخذت مانع الحمية على ابن أخيه الصغير وتزوج أمه شفقة على الرضيع ليبقى هو وأمه في حضانته، فشب الولد وبلغ مبلغ الرجال، فنزع من أمه وعن عمه، وقصد بندر التمياط، فاستأجر عنده وجعله سايسا على الخيل، وأعطاه فرسا ليغير عليها مع أهل الخيل، فأغار وكسب إبلا كثيرة، ثم أغار ثانية وثالثة وكلها يكسب، فحينئذ أعطاه بندر الفرس ملكا له، وابقى له ما كسب من الإبل ولم يأخذ منها شيء، ثم إنه تزوج عنده وابتنى البيت في جوار بندر، وكثرت الإبل عنده، وبعد ذلك استأذن بندر بالرحيل الى عمه وأمه، فاذنوا له وارتحل، بأهله وفرسه وإبله، ونزل على أمه، وزوجها عمه فرحا مسرورا، وهم أيضا فرحين بقدومه عندهم، وكان عمه صاحب معزى لا يفارق جبل سلمى، وبعد مضي سنتين أتتهم سنة شهباء مجدبة، هلكت فيها أغلب الماشية

[1] نهاية ص ٣٤٦ من المخطوطة

وخصوصا الغنم، فهلكت غنم عمه كلها، ولم يبق منها إلا تيس، فانتزع منهم جريس بأهله وذوده وفرسه، وترك أمه وعمه على دمنة دراهم، ولحق ببندر التمياط، فيقول عمه متأسفا على فعله معه:

يا جريس اخذت امك على شان تاليك	ما اخذتها يا جريس قصدي عشاقه
يا طول ما شلتك بكتفي واغذيك	واسهر بسهرك وانعشك باللباقة
ومن عقب ذا ياجريس متنت علابيك	وجمعت مع خبث الطبايع نزاقة
شديت بالمظهور والذود قافيك	وخليت عمك بالمظامي وساقة
الى صار بالدنيا رفيقك يخليك	مامن ورا عوج النصايب صداقة
تيس يحطه وال الاقدار بيديك	أخير من شمشول ذود الرفاقة[1]

ومن شعراؤهم، ماجد الحثربي، وهو من سنجارة، وكان عادة العرب كلهم، يجيرون كل من استجار بهم، ويعاملون من خفر ذمتهم بمستجير أو لائذ بهم، فلا يرضون له عقابا ألا القتل، وكان في بعض الأيام أغار غزو من عنزة على إبل لشمر ومعها عدة فرسان ومنهم ماجد الحثربي، فمنع ماجد الحثربي فارس من عنزة وأرسله الى بيته بعدما أخذ فرسه، فاعترضه رجل في الطريق واسمه مفوز الحثربي، وهو ابن عم لماجد، فهم بقتله، وأخبره العنزي بما جرى، وإنه بذمة ماجد ومتربع في وجهه، فلم يعبأ مفوز بما قال العنزي فقتله، ماجد الى

---

[1] نهاية ص ٣٤٧ من المخطوطة

البيوت، فبعدما تبلغ الخبر طواه الهم فلم ياكل ولم يشرب، وقد سأل عن القاتل وقت ما علم بالحادث، فأخبروه إنه ابن عمه مفوز، وإنه ارتحل بأهله بعد الحادث الى قبيلة آخرين، فاخذه المقيم المقعد فلا يهدأ له بال ولا يكتحل بنوم حتى يأخذ بثأر دخيله، ويجلي لومه بين القبائل فلا تلاحقه صفة المسبة حتى يجلي لومه، فقال شعرا يشتكي ما حصل من مفوز، وكان ماجد يتشكي بقصيدته على ابني عم له، واحد اسمه عمرو والثاني اسمه فهيد فيقول في شكواه:

يا عمرو يا المدلاه يا نازل الخوف ... يازبن مضيوم الى جاه منضام
يا اخو فهيد اللي على الخيل لك نوف ... والكل منكم يشبع الطير الى حام
ما شفت حالي كنها حال أبا العوف ... او حال منقوف عن الزاد صوام
ما ذوق العيشة ولو زين الحوف ... فوقه فقار وسيح الزاد بايدام
مع حنطة البلقا ومع تمرة الجوف ... ما تقبله نفس عليها الطنا زام
لو اقعدوا لي زاهي الطوق وشنوف ... بداوية ما حولها كفر ولا اسلام
ما اقرب لها زول ولا ابغى لها شوف ... ايضا ولو كان انه علي عزام
شفي مفوز مصوط الخيل له طوف ... خيالها ما بين عثعث ورضام
اقطع عليه النزل طوف ورا طوف ... واقلط عليه برعة البيت قدام
بمصقل حده شطير ومشخوف ... ما طقه عند الصنانيع بلحام[1]
اما عليه البيض تصفق بالكفوف ... والا علي الطير يامسندي حام
اللي كساني ثوب اسود وانا اشوف ... خله يقوم بسهر عيني وانا انام

---

(1) نهاية ص ٣٤٨ من المخطوطة

فقد قيل إنه بعد هذا ظفر به وهو يسقي إبله على البير، فأهوى على رجله بالسيف فقطعها من مفصل ركبته، فكان يقول لأصحابه لو قتلته لمات وعمي خبره، ولكني عمدت لقطع رجله ليبقى مشوها عند العالم حيا فلم تندرس أثر جنايته، فكل من رآه قال هذه فعلة ماجد الحثربي عند منيعه، فكان الأمر أتى على موجب قصده، فربط على ركبته خشبة بدل من ساقه وقدمه، وجعل يمشي عليها ويعتمد على أعواد تحت أبطيه. وكانت هذه عادة العرب إنهم لا يستريحون ولو طال الزمن حتى يأخذون بثأرهم ممن دنس وجوههم، وكانوا يسمون الأخذ بالثأر تنقية الوجوه وبياضها .

وكان من شعراء شمر أيضا دغيم الظلماوي، وهو من فخذ [الأسلم]، من جماعة بن طوالة، وكان شاعرا مجيدا، وكل أشعاره أو غالبها مدح بمحمد بن رشيد، وله عدة قصائد، وقد تقدم ذكر نبذا من أشعاره، ومن شعراءهم مبارك التبيناوي، من سنجارة، وهو الذي يقول حينما غزا محمد بن رشيد، على عربان الخرمة في سنة ١٣٠٢ فيقول هذه الابيات:

تسعين ليلة والرسن بالغرابة   لما غدت شروى العرائش مخله
ياشيخ نشكيك الرمك مع ركابه   خفافهن وظهورهن مستملة
من وادي الخرمة الى خشم طابة   مثل المحوص الواردة جرةٍ له

وكان هذا الرجل هو شاعر سنجارة على الإطلاق، وكانت القبائل كلها المعادية لشمر تخشى ذرب لسانه، مع انه يصدق في قوله ولم يسلك طريق الكذب، وكان بين شمر وبين عنزة منازعات كثيرة، وغارات بينهم لا تفتر على الدوام، وكانوا يضايقونهم في المنازل وهم عنزة الغربيين، فمن رؤساؤهم، العواجي والايداء والفقير، وهم ينقسمون الى قبيلتين، ولد علي وولد سليمان، وهؤلاء يعرفون بالولد، ومنهم الجعافرة ومنهم المصاليخ، الذين منهم ملوكنا ال سعود ثبتهم الله.

فنقص على القارىء الحروبات القائمة بين شمر وعنزة ممن شرحنا أسماء قبائلهم أعلاه، فمن ذلك أن عقاب العواجي قتل زعيما من زعماء[١] شمر، فلم يكن وراءه من الذرية غير بنت واحدة، وهي على وقت[٢]، وخلف لها إبلا وفرسا، وكان أسم البنت هيفا، فمشت ذات يوم الى مجلس بندر التمياط، وكان حافلا بوجوه الرجال والفرسان، فوقفت عليهم فقالت: يارجال من يتزوج البنت وياخذ الفرس والذود، بنطحة عقاب العواجي، وكان هو الزعيم الأوحد لعنزة، وهو فارسهم المشهور، فقام رحل يسمى هايص القعيط، من عبدة، فقال أنا ضالة المشهد، واقطع على نفسي كل ما تشترطونه علي، فقالت البنت تستاهل ذلك، فما كان بعد أيام إلا وشمر قد نهضوا للغزو على عنزة، وكانوا تحت أربعة رؤساء من شمر، فلما قاربوا حروة العرب، وافاهم من قال لهم: إن العرب في مكان كذا، وإن إبلهم عازبة في مكان كذا، فجردوا الخيل من الزماميل، وأوعدوهم مكانا

---

(١) نهاية ص ٣٤٩ من المخطوطة
(٢) كذا

معلوما، وكان الشيخان عازبين مع الإبل من عنزة، وهما عقاب وحجاب أبناء سعدون العواجي، فمشت خيلهم من عندهم سارية بالليل، يريدون صباح الإبل على غرة ، فخالفهم الزماميل وضاعوا ليلا حينما اخطئوا طريق الخيل، وكان عدة الزماميل ثمانين زمالا، أما خيلهم فأصابت إبل عنزة واجتاحتها، أما هايس القعيط الذي تكفل للبنت بقتل عقاب العواجي قاتل أبيها، فإنه انتظر وقتل الأخوين عقاب وحجاب في معركة الخيل، وأما الزماميل فانهم وقعوا في البيوت وكان فيها ضبيب أخو عقاب وحجاب، فأخذوا الإبل ومنع رقابهم من القتل، وأنزلهم ضيوفا على بيته، فلما انتصف النهار فاجأه الصايح وهو يخبره بقتلة عقاب وحجاب، فقام على الزماميل وقتلهم جميعا بعدما أمنهم وأكلوا في بيته وشربوا، وهذه تعد عند العرب أكبر غدر وأكبر خيانة، فقال مبارك التبيناوي في تلك الوقعة وهو الشاعر المشهور:

اوحيت صياح الضحى بالغراميل	وقوض عسام الطرش من عظم الأسباب
وغطى زبار وريك مثل الهماليل	وتناطحت خيل الرفاقة والاجناب
ودارت على روس الشيوخ المشاكيل	حماية المظهور بسيوف وحراب
شيخين ما جا مثلهم مع هل الخيل	عج مدابيسه على عقاب وحجاب[1]
ياضبيب لو ذبحت كل الزماميل	ذبحة دخيل البيت ما تفتح الباب
ان كان هيفا ترفع الصوت بالحيل	لعيون هيفا نردع الشيخ بحجاب
دنياك هذي يا العواجي غرابيل	ومن شق جيب الناس شقوا له اجياب

ثم قال مبارك التبيناوي يمدح هايس القعيط وجماعته فيقول:

---

[1] نهاية ص ٣٥٠ من المخطوطة

بــردة الـقعطان فـرز الـوغى فـات
من كف شغموم شطير سنينه

ان كان هيفا تردف الصوت باصوات
على عقاب الشيخ لجت قطينة

هـذي سـلـوم بـيننا يـا الـقرابات
واحلو ردات الـسلف قبل حينه

وأما قوله (على عقاب الشيخ لجت قطينه) ان القطين هم الإماء والعبيد والخدم ومثال ذلك قول ابن الاطنابة الأوسي حيث يقول:

اذا مـا أراد الغزو لم يثن عزمه
حصان عليها عقد در يـزينها

نـهته فلما لـم تر النهي عاقه
بكت وبكى مما دهاها قطينها

وهذين البيتين تمثل بهما عبدالملك بن مروان حينما أراد أن يغزو على مصعب بن الزبير بالعراق، وكانت الفارعة بنت يزيد بن معاوية، وهي زوجة عبدالملك بن مروان، فعذلته أن يترك الغزو بنفسه ويجعل على الجند قائد غيره، فلم يجبها الى ذلك، فحينئذ بكت وبكى معها قطينها، فقال عبدالملك قاتل الله ابن الاطنابة كأنه ينظر الينا .

ثم إن شمر بعد مدة غزوا على عنزة، وغزوا عنزة على شمر، فتخالفوا في الغزية، أما شمر فاصابوا غنما فأخذوها، وأما عنزة فاصابوا رجالا فقتلوهم، فيقول سعدون العواجي أبو عقاب وحجاب:

انشدك بالله يا مبيريك وش صار / شي جرى ما ينجحد بالنهارا
ايا الذي كسبه قراقيش وجفار / وايا الذي كسبه عيال سكارى

فرد عليه التبيناوي بقوله:

عسى عجوز جابتك لاوسط النار / ياللي تبي لك من خصيم قرارا
الخصم لا بده يقابل بالانكار / وكل يدور بالخصيم الدمارا
ان كان ذا المرة تنادون بالثار / حنا خبرناكم بعشر تبارا
فالى ذبحتوا راعي بالف صنقار / أيـاه ويوم يغتنون الفقارا

وقال سعدون العواجي متلهفا على أولاده عقاب وحجاب حينما قتلوا[1]:

ياعقاب خليتن ولا به مراوات / غوشك صغار والدهر به جنوفي
ياونتي ونيتها عشر ونات / عشر مع عشرين والف الوفي
ونة كسير ساهر الليل ما بات / كسرة حدى الساقين غاد سعوفي
على سيوفي يوم الاقي المهمات / سيفين اغلا ما غدى من سيوفي
احشم بحشمتهن ولو هن بعيدات / وارقد ولو كان الضواري تحوفي
من عقبهن ما انشد عن الحي لو مات / ولاني على الغاية كثير الحسوفي

وكان عقاب له ولد اسمه نواف، ويبلغ عمره خمسة عشر عاما، فلما بلغ العشرين، وإذا هو قد مهر الفروسية، وكان له فرس اسمها فلحا، وهي بنت فرس ابوه، وكانت صغيرة لم

(١) نهاية ص ٣٥١ من المخطوطة

توازن جياد الخيل للطراد، فجلس ذات ليلة يغني على ناره وهو يقول:

الله على من شاف فلحا ثنية	وقم الرباع مطبقة بالمسامير
باغ الى ما قيل وخذت رعية	وركبوا عليهن مثل افام الخنازير
ارخي لها بكفي من الحبل طية	واوسعه توريد دلو على بير
واركض على الصابور فوق العبية	وادور ابويه عند روس الخواوير
الكف من شغل النصارى قضيه	هو سيف اخو نمشا زبون المناعير
اما نكست السيف تقطر دميه	والا فحرمن البنات الغنادير

فلما قال القصيدة وإذا عمته واقفة عنده ففرحت، ولفت مسفعها ورمت به في النار، ثم قالت هذا الذي يأخذ بثار أبيه، فما أقام بعدها سنتين إلا وقد اخذ بثأر أبيه وقتل قاتل أبيه وهو على فرسه فلحا .

وكان الشعر يهيض العرب على الفروسية والحماسة، فمن ذلك أن رجلا يسمى حواس بن حمسان، وهو من شمر من عبدة، وكان رئيسا لجماعته فغزا بهم مرة على الحويطات، فأغار على إبلهم فطردوه وانقذوا منه ما أخذه، واخذوا يلحظون جيشه ويردون منه شيئا بالمنع، وهي العوائد السائرة بين عرب الجزيرة، فالتفت بعضهم على بعض يشجعه وخصوصا منهم من يعرفونه بجودة الرماية، فلم ينزل أحد يرمي عنهم الجيش الذي خالطهم، وكان رئيسهم المذكور اعلاه راميا مشهورا[١]، فقال رجل من جنده بديهة وهم في أشد هربهم:

---

[١] نهاية ص ٣٥٢ من المخطوطة

هجوا هجيج الدراويش   راحت حكاياكم منول
عزي لكم يا هل الجيش   ما طول حواس ما حول

فلما سمع حواس مقالته، نزل من راحلته وثبت أقدامه على الأرض، وقال مجيبا للقائل حولت وأنا اخو حوسة، فمد بندقيته على ذراعه وأخذ يرسل السهوم عليهم، فقتل منهم ستا من سابقات جيشهم، وهو لم يزول عن موقفه ذلك، فأوقف القوم عند حدهم فلم يجسر أحد منهم أن يتقدم خشية من سهامه، فبهذه الحالة سلم غزوه بسبب شجاعته .

ولنرجع الى تعداد قبائل عنزة، فنقول إن عنزة هم أكثر القبائل الرحل عددا، وهم أوسعهم رقعة في الأرض، فقد تمددت مراتعهم من أرض العراق، الى أرض الشام، الى شمال قبل الجزيرة، ومنها الى الجهة الغربية مما يلي (خيبر والعلا وتبوك وتيما)فمن قبائلهم العمارات، ورئيسهم ابن هذال، والدهامشة والفدعان ورئيسهم ابن مجلاد والرولة ورئيسهم ابن شعلان والطواطمة ورئيسهم داني المطوطح، وهم ينزلون مع بني خالد في نقرتهم، ومنهم الحبلان والسويلمات والمحيفات، وكل الذين عددنا من سلالة وائلية، وربما أتى عليهم وقت من الزمن وبعضهم يغير على بعض، وليسوا كسائر البدو يعرفون الخفارة، بل إن لهم رؤساء إن أكلوا شيئا أكلوا معهم، فهم قدوتهم، وكان ينبغ منهم شعراء، وهم قليل، وأشعر شعراؤهم مشعان بن مغيلث بن هذال، وقد دون أشعاره ابن حاتم، صاحب الكويت، وقد نكتفي به، وكان مشعان شيخا

شجاعا كريما فارسا ويحط من قدره ما فعله مع حدرة أهل الزلفي، و أهل سدير حينما غدر بهم بعدما أمنهم، فمن ذلك إنه تواجه معهم وهو غاز وهم خارجين من الكويت يقصدون ديارهم، ومعهم تجارات لا تعد ولا تحصى، فمن غدره بهم أنه لما رآهم انهم أدركوا الإحتراز منه ،وامتنعوا، وعلم إنه لم يأخذهم إلا بعد معركة عنيفة لا يدري هل تكون الدائرة له أو عليه، وكان للحدرة أمير من أهل الزلفي، اسمه ناصرالحمد العبداللطيف، وهو أمير بلد الزلفي، وكان أميرا عادلا محبوبا ذا رأي ثاقب، وبه مكارم أخلاق، فطلب مشعان مواجهة أميرالحدرة للتفاوض معه[١]، فأعطاه الأمان التام، وظن الأمير ورجاله أن ليس لمشعان قصد من هذه المواجهة إلا أن يطلبه شيء من زهاب أو قهوة أو لباس، وهذا كله سهل في نظرهم، فطلب الأمير من مشعان زيادة ثقة، فعاهده ووثقه على أن يرجع لرفقته سالما مكرما، فاندفع إليه بنفسه، فما كان من مشعان إلا إنه قبض على أمير الحدرة وترك الأمان الذي أعطاه ظهره، وهدده بالقتل إن لم يذعن لتسليم الحدرة، فحذره ناصر وذكره مغبة الغدر والخيانة فلم يرعو، وأخذ الحدرة بكاملها، وراحوا إلى أهلهم حفاة عراة، فقبح الله الغدر وأهله، فكانت مغبة الغدر إنه لم يدم بعد هذا غير خمسين يوما حتى قتله الله من سهم جندي من عسكر المصريين قريبا من الشماسية، القرية المعروفة، فلم يأخذ بثأره من أحد، فتلك عواقب الغدر والخيانة، لا تمهل صاحبها قليلا حتى تأخذ برجله، والله حكم عدل بين عباده .

[١] نهاية ص ٣٥٣ من المخطوطة

ومن شعراء عنزة ساجر الرفدي، وهو شيخ السلقا والسليط وكان شهما شاعرا فارسا مغوارا، وهو القائل يخاطب صانعا عنده واسمه خليف:

يا خليف قطع للسبايا مسامير	عن الحفا يا شوق موضي جبينه
يا ما حلا يا خليف جر المغاتير	بخشم اللبيد بين خضرا ولينة

وكان من شعراء عنزة علي النجدي، وكان زميلا لبصري الوضيحي، وكثيرا ما يسند الوضيحي أشعاره الى علي النجدي، فمن قوله له:

يا علي انا وإياك وش صاقعتنا	الكل منا للعماهيج ميلاف
قالوا عليكم غارة والتفتنا	قلت امنعن يا لابس الطوق واشناف
شبهت جيب الثوب يوم نطحتنا	شقيق هدبا لاجي جوف كرناف

وما علمت وصفا أبلغ من هذا الوصف، فهو يصف نحرها وبياضه من وراء جيبها، كشقيق هدبا والشقيق قنو النخلة في وقت توبيرها، والهدبا هي النخلة، وقوله لاجي أي مختف فلم يبن منه الا بقدر ما يبين من نحر المرأة من شقة جيبها، وقوله جوف كرناف، الوسط حينما ينغلق عن الشماريخ المستكة في

بعضها، فوصف بياضه وسط الكرناف وهو الكافور كبياض نحرها في جيبها[١]

ومن قول الوضيحي يخاطب بها زميله علي النجدي:

يا علي ما خلتوا من المزن خلناه ... بيارقه يم الحجر له سراجي
بيارقه يم الحجر ناثر ماه ... يسقي الحماطية وهاك الهياجي
أيا الوجيه المقبلة والمصداه ... وايا البعير المقتوى والخراجي
وايا القراح ببربك ناثر ماه ... إياه وايا شربكم للهماجي

وهو الذي يقول:

يا نجع خلي وردوا جبو جدلا ... وحطو شعيب البطن بيني وبينه
قوض سلفهم والمظاهير تتلا ... ومضنون عيني قام يوضي جبينه
يتلى زبون الجاليات اخو بتلا ... فوق اشقح كن المطارق يدينه

وأخو بتلا هو مشعان بن هذال، وقد حدثني رجل عن شيخ من أهل بريدة، قال ـ وقد ذكروا لي قصة لمشعان بن هذال ـ فقالوا: إنه لما كان قاطنا على ماء يسمى الطرفية، يبعد عن بريدة أربع ساعات ـ قال ـ وكان معه خوف من تركي بن عبدالله بن سعود، أن يغير عليه، وكان له صديق من أهل بريدة يعتمد عليه، وكان هذا الصديق بابا للوافدين على بلده وحريصا على تطلع الأخبار، فأوعز اليه مشعان ان كان بلغه خبر ثابت عن طلعة تركي ابن سعود من الرياض، فليبادر اليه بالخبر

---

[١] نهاية ص ٣٥٤ من المخطوطة

مع رجل مخصوص، قال فلما تحقق أن ابن سعود خرج من الرياض بعث إليه بكتاب مع رجل يعرفه بشدة جريه، وقال: إننا شرطنا للرجل ريال على إيصال كتابكم بسرعة، وكان مشعان متيقنا إنْ كان ابن سعود خرج من الرياض فإنه لا يريد غيره، فلما قرأ الكتاب، قال للرسول : رح الى زيد، يعطيك الريال أجرتك، وكان زيد أخو مشعان، وهو الذي بيده مصاريف أخوه مشعان، وكان زيد رجل شحيح، فلما أتاه الرسول يطلبه الريال قال له خذ بدله سمن، فأبى المرسول قبول السمن عوض الريال، فمر بمشعان فسأله: هل زيد أعطاك الريال فقال: لا، يقول: خذ عوضه سمن وأنا ما قبلت، فقام مشعان الى فرسه وجذب حبلها من مربطها وأعطاها للرسول، وحلف بالطلاق إنه لا يطلق حبلها من يدك إلا من يشتريها منك بما يرضيك، قم يا فلان، بلغ زيد بما جرى، فقام الرجل وأخبر زيد، فأتى زيد مسرعا يتعثر بثيابه، فجعل يسومها من الرجل، والرجل لم[1] يلتفت إليه، ومشعان واقف ويحث الرجل على التمسك بها وألا يرخص بيعها على زيد، فكان يريد بذلك التنكيل بزيد، وأن لا يعود لمثلها، فما قنع الرجل ببيعها حتى بلغ زيد سومها مائة ريال، واستلم منه المائة بدلا من ريال واحد، وهكذا تكون عواقب الشح، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون. ومما يروى من الشعر لعلي النجدي العنزي:

يا مزنة غرا من الوسم مبذار
اللي جذبني من بعيد رفيفه
ترعى بنا قطعاننا سر وجهار
ومن دونها نروي الغلب والرهيفة

[1] نهاية ص ٣٥٥ من المخطوطة

ترعى بها وضــحى من الذود معطار غبوقـة الخطـار عجـل عطيفـة
قطعاننا ما يرتعن دمنة الدار ترعى صحاصيح الرياض النظيفة
الا ومع ذلك لك لنا كار عن جـارنـا مـا قط نخفي الطريفـة
نرفى خمالـه رفيـة العش بـالغار ونجعل له النفس القوية ضـعيفة
ماهي حكايا مسـرد عقب ما نار الى نكس واطراف رمحـه نظيفـة
خطوى الولـد مثـل البليهي الى ثـار زود على حملـه نقـل حمـل اليفـه
وخطوى الولـد مثـل النداوي الى طـار صيده سمين ما يصيد الضعيفة
وخطو الولد ينشـب على شـبة النار صـفر على عود تضـبه كثيفة
وخطو الولد يا مال قصـاف الاعمار لا نافع نفسه ولا منه خيفة

ونبتدىء الآن بذكر بني صخر، وهم قبائل من قضاعة، ولهم رؤساء، وأكبرهم مثقال بن فايز، ومنازلهم في البلقاء، ومنهم بادية وحاضرة، وهم كرماء لأضيافهم ويليهم في الجود الحويطات، وهم قبائل، منهم من منزله تهامة مما يلي ساحل البحر الغربي، ومنهم من هو في الشمال، ورئيس الجميع عودة أبو تاية، ومنهم الطقيقات، وهم رؤساء الحويطات أهل التهايم، ومنهم العمران، وكانت منازلهم ساحلا وهم قريبين من عقبة مصر، وهم أهل ركاب أصيلة سباقة لأجناسها من ركاب البادية، فهم يشبهون عربان الصيعر من البوادي التي منازلهم بين نجران وحضرموت، والحويطات أصلهم هتمان، ولكن عربان الشمال تجاسروا على مصاهرتهم يعني أنهم تزوجوا من نسائهم وزوجوهم، وأكثر من تزوج منهم وأعطاهم جهينة

وبلي[١]، وهم بطنين من قضاعة، ويقال أن أباهم واحد، فهم يشبهون غامد وزهران، فهم أولاد رجل واحد من الأزد، من قحطان وجهينة وبلي، أهل كرم وشجاعة، وأهل مغاز على من والاهم[٢] من القبائل، وأهل محافظة على ضيفهم وعلى من يصحبهم في الطريق، وأكبر رؤساء بلي، سليمان بن رفاده، وكان سليمان بن رفادة له مقام رفيع من زمن دولة الأتراك، فهو يدعى سليمان باشا، وكنت أعهد في الزمن الذي كان أهل نجد يجلبون الإبل على مصر من طريق العقبة، أنهم حينما يريدون الخروج من المدينة المنورة يحضرون عندهم رجلين عدول ويشهدونهم بأنهم خرجوا في وجه سليمان بن رفادة، فلا يجدون من يعرض طريقهم، لا من جهينة ولا من بلي، وهم يمشون في خفارته الى عقبة مصر، فلما مات خلفه أولاده من بعده فمنهم حامد وإبراهيم وأولاد غيرهم كثير من أبناء عمهم، وقد اضطربت عليهم القبائل فتضعضعوا وضعفوا وضعفت قبائلهم معهم، وكان أغلب منازلهم وادي العيص، ووادي الجفن، وقد قاموا مع الشريف الحسين، على حرب تركيا حينما نهض عليها، وأما سليمان باشا فقد صمم على حرب الشريف هو ومن دخل معه من عشيرته حتى قتل غدرا.

ومن قبائل العرب قبيلة الظفير، وهم عدنانيين ما عدا فخذ واحد، فهم نزيعة من قحطان ويقال لهم السعيد، يرأسهم ابن حلاف، وابا ذراع، فهم حالفوا الظفير واندمجوا، وكانت قبائل قحطان يذكرونهم على الدوام، وخاصة منهم ال عاصم فهم

---

[١] نهاية ص ٣٥٦ من المخطوطة
[٢] أي يليهم

يزعمون انهم انتزعوا منهم، أما الظفير فهم قبائل متعددة، ورئيس الكافة ابن سويط، ورئاستهم قديمة ومتسلسلة، فمن سلفهم مانع بن سويط، وهو الذي توسط بين سعود بن عبدالعزيز صاحب الدرعية، وبين أهل نجران من يام، حينما جرت الوقعة بينهم في سنة ١١٩١هـ وهي تسمى وقعة الحاير، وتسمى أيضا وقعة النجرانيين، وقد ذكرنا القصة بأكملها في موضعها، ومن السويط، سلطان وصنيتان وجعيلان وحمود، ونذكر قصة لطيفة، وهي سبب جلاء عربان الظفير عن نجد فقد ذكر إنه سنة ١٢٥٨هـ غزا عليهم فيصل بن تركي، وهم نازلين في الحمادة بين الغاط والزلفي، فانتذروا له واعتصبوا لملاقاته فهو أناخ قبالتهم، وابتنى خيامه وطال الحصار وابتنى قصرا هناك وأثره باق الى الآن يمرون عليه المسافرين ويعرف بقصر فيصل، وباقيه جثة هامدة، فلما طال المناخ بينهم ورأوا أن فيصل يزيد يوميا، وتأتيه الجنود[١]، فلما طال المناخ بينهما ورأى رؤساء الظفير انهم مغلوبين لا محالة، تشاوروا فيما بينهم واتفق رأيهم على أنهم ينزلون على أهل الزلفي كمثابة خائف زابن، ويطلبون منهم النصره أو يبذلون جاههم عند فيصل حتى يعطيهم الأمان ويرحلون حيث شاؤا، ففعلوا ذلك واختلط النساء بالنساء والأطفال بالأطفال والرجال بالرجال، فلم ير أهل الزلفي بد من حمايتهم من أن يبذلون جاههم لفيصل بالعفو والسماح عنهم، وإلا أن يحمونهم بماعندهم من القوة حسب ما يستطيعون، وهذه عوائد العرب قديما وحديثا، فبذل أهل الزلفي جاههم عند فيصل وبينوا له إذا

---

[١] نهاية ص ٣٥٧ من المخطوطة

لم يعف عنهم فإنهم سيموتون جميعا ولا يسلمونه، فسمح لهم فيصل حينما عرف من صدق العزيمة من كل الطرفين من الظفير ومن أهل الزلفي، فرحل عنهم فيصل بجنوده، ورحلوا هم الى العراق ولم تكن منازلهم سابقا، فإن منازلهم في وسط نجد ومنها سكنوا في العراق بجوار رؤساء المنتفق وبواديهم، فلما كان بعد مضي خمس سنوات على هذا الحادث أجدبت نجد جدبا عظيما وجاع أهلها وكانت سنة شهباء، ويليها في السنة الثانية مثلها، ومنع الغيث من السماء وكان أمير الزلفي ناصر الحمد العبداللطيف، يتمثل بهذه الابيات فيقول:

والله لولا بلاد ضيفها ما يفاخت ... وسواير فرضت علينا وسنت
اني مع المرشد الى جت تحافت ... والا بوسط خيولهم يوم رنت
دار بها المرشد ولو قيل ارافت ... باركانها دايم عسى البوم غنت

وكان يعني بالمرشد هم السويط، من قبيلة الظفير، يقال لهم المرشد، ففي السنتين المجدبة انتدب سلطان بن سويط، رئيس قبيلة الظفير وجمع رجال الظفير، وذكر لهم الجدب الذي أتى على نجد، وذكرهم بما فعل معهم أهل الزلفي من الجميل والإحسان، وكان كلهم أهل طاعة لرؤساؤهم فلا يخالفون أمرهم، فاقترح عليهم أن كل صاحب إبل فيهم، يشد على بكرة من إبله، ويجعل عليها عدلين من الوبر الذي يغزلونه بأيديهم، ويسوقونها حيث يقول لهم رئيسهم سلطان، ففعلوا ذلك بأقرب وقت، فلما جهزت الإبل بحدايجها، وعدولها، وعند سلطان فرس مشهورة من جياد الخيل يقال لها كروش[1] وهو بيتها،

---
[1] نهاية ص ٣٥٨ من المخطوطة

وكان كثيرا ما يرسل إليه بندر السعدون رئيس المنتفق يطلب منه الفرس بشراء أو غيره، فلا يجيبه، وحينما هم بمساعدة أهل الزلفي جزاء الإحسان الذي فعلوه معه ومع قبيلته، ركب بنفسه وقاد الفرس معه، وأمر على الظفير أن يتبعوه بالإبل التي عينها، فما علم بندر السعدون الا وسلطان بن سويط ينيخ راحلته عند قصر بندر السعدون والفرس واقفة عند الباب، فسلم عليه ورحب به وأكرمه وأنزله عنده خير منزل، ثم إنه لما استقر به المقام سأله: كيف أتيت بالفرس وانا اطلبها منك قديما فلم توافق، والآن أتيتني بها هدية سامحة بها نفسك، فاشرح لي كيف فعلت، فإني مستغرب، فشرح له قصته مع أهل الزلفي، وإنه يريد جزاؤهم حينما دعت حاجاتهم الى مكافأة بالمعروف، وأخبره إنه أمر على قبيلته بالإبل تحضيرها، وعددها مائتين ناقة، وهي تصل عندنا بعد يومين، فحينئذ تهلل بندر السعدون وأعجبه الوفاء ومقابلته بالإحسان، فقال له: ياسلطان بن سويط، اذهب أنت وأصحابك الى أكوام الحنطة، واحملوا منها ما شيتم، وارجع فرسك إلى مربطها، واجعلني شريكا لك بالمعروف والإحسان، فذهب بن سويط الى أكوام الحنطة وحمل منها ما أوقر الحمل الذي معه، ورتب معها رجال يوصولونها الزلفي، فساقوها حتى وصلوا الزلفي وسلموها لأمير البلد يوزعها على جماعته، وقال سلطان بن سويط، لأمير الزلفي في كتابه، إن الإبل وما فوقها لكم يا أهل الزلفي، فقبضوها وشكروا، حيث إنها أتتهم على أشد حاجة وأشد مسغبة، ووزعوها على أهل البلد كلا بقدر استحقاقه، وهذا كما تقول العرب في المثل الظفر مناجا والكريم معان .

ومن رؤساء الظفير، علي بن ضويحي، وكان شهما شجاعا ومغوارا على القبائل المعادية له، وكان سلطان بن سويط متفوها بالشجاعة والغارات، فصدف أن بندر السعدون غزا على من حوله من أعدائه فقال فيه عبدالله بن ربيعة:

حر من العطشان يوم ادرج الحوم	غدت عنه هراب عقبان لينة
هجيج سلطان السويطي عدى الكوم	والشمري للشام يلبق ظعينة
وصفوق من كون المقير الى اليوم	متقلد قلب النعامة قرينه[1]

وقد روى لي رجل ثقة، أن سلطان بن سويط، دخل البصرة فوافاه بها عبدالله بن ربيعة بعد ما قال هذه القصيدة، وكان سلطان يرى في نفسه موجدة على ابن ربيعة من هذه القصيدة، فسأله ابن ربيعة قائلا: وين خليت أهلك يالامير ؟ فقال ردا عليه : خليتهم وراء الكوم يا ابن ربيعة، فنفذت في قلب ابن ربيعة كأنها السهم، لأنه يعلم إنه ما قال هذه الكلمة إلا وهو حاقد قلبه عليه، وإنه لن يفوته متى أراد به سوءا.

وكان عند الظفيروعنزة وقسم من شمر قاعدة، وهي إنهم متى أتوهم الضيوف وذبحوا لهم، اخذوا من دم ذبيحتهم المسفوح ولطخوا به رقاب جيشهم، فتكون علامة أنهم يستحقون لمن اضافوه بعدهم أن يذبح لهم، أسوة بمن قبلهم متى رأوا الدم على ركابهم، ويقول شاعرهم:

---

[1] نهاية ص ٣٥٩ من المخطوطة

الى جت تواما روس الانضا بالارسان | اومي لهن بالردن لين اقبلني
واذبح لهم كبش سمين من الضان | ويمناي لارقاب الركايب تحني

وكان مانع بن سويط، له أخ يشبب بربداء، وهي صلبية من الصلب، حتى هام بعشقها وترك النزول مع قبيلته من أجلها وكان يقول فيها:

لا والله اقفوا صليب جوال | واقفوا بخلي سيد كل البنات
دنوا لها شهرية[1] بنت هروال | مضرب يديها بالدعث باينات

فلما تمادى بالعشق معها والتشبيب بها، خاف أخوه مانع أن تصيد قلبه فلا يملكه بعده، ويكون أسيرا لها كما جرى ذلك لغيره من العشاق، ففصل بينهما، وتهدده إن ألم بها، وتهددها أيضا هو، ففرق بينهما في الأبدان والمنازل فارتحلت وقلبها ملهوف على صاحبها فقالت في ذلك:

يا الله يا عايد على كل ديرة | يا مسقيه من نو مزن محادير
حنا صليب ولا علينا معيرة | ولا ننزل بارض الا من خلاف الدواوير
وراك يا مانع تبته بحيرة | زود على تلطيخكم بالمعايير
اللي فرق بين العشير وعشيرة | هو له وانا ليه ولي المقادير
مانع الى ركب الجواد الظهيرة | ماله حلى يعلم الله كما الزير
زير العراق اللي ربى بالجزيرة | يسوط خيل عداه سوط المعاشير[2]
خيال طرش ما يردد نشيره | غاد على روس الزباير دعاثير
ابكي عشيري كل ما قلت خيرة | وانا وخلي فرقتنا المقادير
ما انساه لين صفوق ينسى الجزيرة | او مطلق الجربا يكب الخطاطير

---

[1] الشهرية حمير تنسب لمنطقة بوشهر بايران وعرف عن الصلب انهم لا يركبون الا الحمير
[2] نهاية ص ٣٦٠ من المخطوطة

ما انســاه لين صــليب تنســى حميره والبدو ينســون الســلف والمظاهير
وما انســـاه لين الترك ينســـى رطينه والخيل تنسى الحذا والمسامير

فصل في تعداد أفخاذ هتيم، وهتيم قبائل متفرقة، منهم العوازم وبني رشيد والشمالات والحويطات والشرارات ومنهم بنو عطية، وقد سبق ذكرهم كلهم، وهم قبائل كثيرة، فيقال إنهم من بني عبس، ولكنهم سقطوا في زمن صلاح الدين الأيوبي أيام حرب الصليب، والمصابرة من أفخاذ هتيم ومنازلهم جبال ابانين الأسود والأحمر، فالشرارات أهل ركاب يطلق عليها الوصف من شدة عدوها، ورئيس الشرارات، شارع اللحاوي، ففي بعض غاراتهم أغاروا على غنم أهل الجوف فأخذوها، وكانت هي منائحهم التي يحلبونها، فطلبوها أهل الجوف ولم يظفروا بفكاكها، وكانوا من قبل ما أخذوها وهم يأكلون تمرهم على زبدها، ومن بعدما فارقوها يأكلون تمرهم بدون زبد، فقال شاعرهم:

يامن يودي تمرنا للشرارات حتى يحطونه على زبد شانا
يستاهله شارع زبون الونيات يستاهله ما لا سواعد لحانا

وقد قالها شاعرهم هزوة بهم، حينما لم يدركوا ثأرهم .

فنذكر قبائل هتيم وعاداتهم، أما نسبتهم، فكل التواريخ تنسبهم إلى عبس، فحينما تسقط كما ذكرنا سابقا أسقطوهم العرب من

العروبة فسقطوا، والخبر الثاني إن أحدهم تزوج بامرأة هجين، لايعرف نسبها فتحام العرب مصاهرتهم وجنبوهم واطلقوا عليهم هذا اللقب وهو لقب هتيم، وقيل غير ذلك والله أعلم، وهم وإن كانوا كذلك، فلن تجد من العرب من يبخسهم من الرجولة ومن مجاراتهم للعرب بكل أفعالهم الطيبة، ففيهم شجاعة وفيهم كرم وفيهم حماية للجار والذمار ومحافظة على رفيقهم في السفر وعلى كل من يسير في خفارتهم، فلن تجد من قبائلهم من تحدثه نفسه باذيته، فكنا نسير في خفارة أحدهم ولو كان صبيا أو رجلا أو امرأة، فلا يتعرض لنا احد منهم، وكانت قبائلهم متفرقة في الجزيرة، فقسم منهم ينزلون ضواحي الكويت، وهم رعية لأمراء الكويت، وهم قبيلتي العوازم وبني رشيد[1]، والقسم الثاني منازلهم، بين حايل والمدينة، وهم من بني رشيد أيضا، ولهم أودية فيها نخيل، منها ما يسمى ضرغط، ومنها الحايط والحويط، وهي التي تسمى فدك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها الحليفة، وكانت هذه النخيل مشتركة بينهم وبين عنزة، وكل منهم يعرف ما يخصه منها، وكانوا معروفين بالركاب الأصيلة شديدة العدو، وربما انها تجاري الخيل بسرعتها، وكلهم يقال لهم بني رشيد، ولهم رؤساء، فمن رؤساؤهم ابن براك وابن شميلان وابن حمود ابن رفادان، وغيرهم، وكانت منازلهم بالوسط بين حرب ومطير وعنزة، وكانوا يحمون أنفسهم من كل القبائل، وحدث أن أغار عليهم سلطان الحمود بن رشيد، في زمن ولايته على حايل سنة ١٣٢٥ هـ فهزموهم شر هزيمة وقتلوا على ابن رشيد رجالا وخيلا وركابا، فالجأه الظمأ، فورد على ماء يسمى

---

[1] نهاية ص ٣٦١ من المخطوطة

النقرة، من مياه العلم وهو الجبل الذي تنزل حوله هتيم، ويقول شاعر هتيم في تلك الوقعة:

ياجراد طار ما وقَع	ورد النقرة يبي ماها
كم ذلول وسمها مطقع	فوقها الكفه وسمناها
كم جواد دمها نقع	في غميق الروح صبناها
اقفى عنا معيف ومودع	حتى خيامه والحملة كسبناها

وأما قوله: كم ذلول وسمها مطقع، إنه وسم الرشيد، كل من رآه ضارط من الخوف منه، وقوله الكفه وسمناها، والكفة وسم هتيم. وأما قبيلة المظابرة الذين ذكرناهم سابقا، هو أنهم لهم نخيل ومزارع، ومن المظابرة الشاعر المشهور وهو سرور الطرش، وكان منزله الجريدة، وهي في أعالي الرس، وفيها مزارع ونخيل، وهي أكبر قرى المظابرة ماعدا النبهانية، واليك أيها القارى نبذة من أشعار سرور الطرش حينما رأى معشوقته وكان قد بدأ فيه الشيب فعادته على شيبه، فقال على البديهة:

يازين لا تكثر لنا بالوصايا	ما دمت عندك حاضر قل وانا أقول
عذربت شيبي يا جميل الحلايا	ياطول ما يبداك مع كل مجدول
يبدا بشقر مثل غصم الروايا	عليه من عمل الدبق ملح وتلول

وكان هو مولع بالقنص، وله بندق يسميها حسناء، ويقول فيها[١]:

يا بندقي عودتك النوماسي يطيح التيس قبل حس الدية
لقيت صيدنا بالخلا محتاسي ما تفرق الادمي من الريمية

وهو الذي يقول وله معشوقة يحبها ويصفها بعنز الظباء:

الى ضاق صدري رحت يم الثميلة واعدل القيفان بارض بياحي
ولاه في عيني تلوح الجميلة والى السماء من كل الافاق ضاحي
مشـيت يم الصـيد لين الطويلة وبدلت عقب الدلبحة بانبطاحي
مـديت حسـنـا عوق تيس الجميلة لما نويت ارسل عليها الذحاحي
وذكرت لي غرو طويل الجديلة لو كان في عمره بعيد شحاحي
قلت انهجي لعيون مومي شليلة حرمت ما يجري عليك الذباحي

يقول انه لما مد بندقيته على عنز من ريم الظباء، وأراد أن يرسل عليها السهم فذكر أنها تشبه معشوقته فرفع عنها السهم كرامة لمعشوقته، وقوله الذحاحي هو الموت .

ولنأت على ذكر الصلب المتفرقين في ديار نجد، فكل بادية من بوادي نجد لا تخلو من بيوت الصلب التي تنزل عندها، وكانت منازلهم خلف بيوت البادية، ويقال في تسميتهم الصلب إنهم من بقايا عبدة الصليب الذين أخرجهم صلاح الدين الأيوبي من

[١] نهاية ص ٣٦٢ من المخطوطة

بيت المقدس أيام حرب الصليب، وقد ساحوا في الجزيرة وتفرقوا من زمن خروجهم في بادية نجد الى يومنا هذا، وهم مشتبهين بين انكليز والمان وفرنسيين، وهذا اصح الأقوال عنهم، فإنك لا تجد من ينسبهم بأنهم عرب، وأنهم سقطوا بهذه الصفة، وكان في قسم منهم جمال مفرط، ولن تجد من العرب من يغريه هذا الجمال فيتزوج منهم، ولو فعل لسقط عند قبائل العرب فلم يزوجوه ولا يتزوجون منه، وأكثر الصلب تجدهم صناعا للبوادي، يحذون خيلهم ويصنعون لهم القدور وآلة الحديد كلها، وكانوا كرماء في بيوتهم، وأغلبهم عندهم أغناما، وهم رحل، وإذا رحلوا فهم يركبون الحمير ويرحلون عليها وليس الجمال، وهم في رحيلهم يتبعون العربان أينما ساروا، وكانوا أهل صيد للظبى فلا يفترون عن الصيد وقلما تخطىء سهامهم الهدف الذي يقصدونه.

والآن نبدأ بالنوادر والقصص والمصادفات، ففي سنة ١٣٤١هـ كنت ساكنا في مكة المكرمة، وكان ملك مكة، الشريف حسين بن علي، فحدث في ليلة ٢٧ رمضان من هذه السنة وكنا نطوف ببيت الله الحرام قبل اذان الفجر بقليل، فما شعرنا إلا وقد تغشتنا طيور بيض[١] لها رقاب طوال لا يحصي عددها إلا الله، فكانت تطوف بالبيت مع الطائفين فوق رؤسهم وهي في طوافها محاذية حزام الكعبة فلا ترتفع فوقه ولا ينزل منها شيء الى الأرض، وكانت تضجر الطائفين بضجيجها وصريرها، فلا يعلم الطائف بالبيت ما يقول من الدعاء، فدامت بهذه الكيفية نصف ساعة أو أكثر، فلما أذن الفجر توجهت الى جهة باب

---

[١] نهاية ص ٣٦٣ من المخطوطة

إبراهيم فخلي منها المطاف بلحظة واحدة، ولم يعلم أحد اين وجهت، وهي بكثرتها تسد الأفق، ولقد سألنا أهل ضواحي مكة وأهل بساتينها ومن كان نازحا عنها فما وجدنا أحدا رآها أو سمع بخبرها غير الطائفين بالبيت الذين شاهدوها، احببنا إيراد هذه القصة حيث إنها من القدرة الإلهية ومن النوادر العجيبة، فسبحان من لا يعلم جنده الا هو .

ونذكر قصة ثانية، وهي عناية الله بوقايته للملك عبدالعزيز من تشويه السمعة ومن فتنة عمياء تحدث في الأراضي المقدسة وفي أضيق بقعة، وفي يوم الحج الأكبر، فمن ذلك إنه في سنة الف وثلاثمئة واربع وأربعين تكاتب الملك عبدالعزيز هو وحكومة مصر، واستأذنوه في الحج وأنهم يحجون بالمحمل وبالعساكر التي تحف بالمحمل، وعددهم ٦٠٠ وبسلاحهم ومدافعهم ورشاشاتهم، محافظة على الحج، وكان في ذلك الوقت قد بلغ الإخوان من القوة أشد مايكون، ففي اليوم الثامن بعد الظهر توجه المحمل وعساكره الى منى، لينزل في منى للمبيت بها تبعا للسنة، ثم يدفع في صبيحته الى عرفات، فلما كان المحمل في وسط منى بعد المغرب في الليلة التاسعة من ليالي الحج، عدا عليه جماعة من الإخوان البدو، فأخذوا يقطعون ما علق على المحمل من الزينات وهم يقولون هذه بدعة، فنزل المحمل وعساكره قريبا من مسجد الخيف في منى، فانتدب عساكر المصريين على الإخوان ورموهم بالبنادق وبالرشاشات وبالمدافع، فكانت ليلة مكدرة على الملك عبدالعزيز رحمه الله، وخشي أن يتفاقم الأمر فأمر على خيوله أن تركب، وأمر على ابنه فيصل أن يحجز بين الأخوان والمصريين، وكان عدة من حج من الإخوان على اقل تقدير

٩٠ الفا، ومنهم عشرون رئيسا، وأكبر الرؤساء سلطان بن بجاد، وفيصل الدويش[(١)]. وكان الذي تصدى للمحمل ويرميه بالحجارة هو وجماعته ويسلب من الزينة المعلقة عليه، هو رجل يسمى غازي الوهاب، وهو من الدماسين جماعة الشغار وهم الروقة من عتيبة، فبعدما اشتبكت الفتنة بين الإخوان وبين عسكر المصريين، فحجز بينهم فيصل، فقتل من الحاج رجال لم يشهدوا الفتنة ولا قاموا بها لأن من سنن الله في خلقه أن الشر متى قام لا يصيب الظالم بنفسه، بل يصيب غير الظالم، فلما حجز بينهم الأمير فيصل، لم يهدأ المصريين إلا بعد جدال طويل، وبعدما كفوا عنهم الإخوان، فقتل من الحاج نحو أربعين رجلا ومائة من الإبل تقتلهم الرشاشات على غير قصد، وأما الإخوان ذاتهم فقد ألجمهم الله وارعووا لنهي الملك عن إشعال الفتنة في هذا الموقف الشريف، فلو أن الفتنة لا سمح الله اشتعلت بين الفريقين على أشدها لهلك بها بعض الحاج، قتلا ونهبا ولبقيت نكتة سوداء في جبين العرب، ولكن الله سلم، فوقى المسلمين شرها بسبب نية الملك عبدالعزيز رحمه الله، فحجوا المصريين وانقضى حجهم بأمان، وبعد هذه السنة سد الذريعة عن حج المحمل أو قوة تقدم مع الحج المصري، وكفل لهم أن يحافظ عليهم من جميع العرب حتى يرجعوا إلى أوطانهم، فإنه لا يليق لأحد أن يستعمل القوة في الأراضي المقدسة، وبعدما وصل الحاج المصري الى وطنهم في مصر حاكموا رئيس الحج بأن كيف تأمر العسكر بإطلاق النار في الأراضي المقدسة، وفي مجتمع حجاج المسلمين من كل ارض ومن كل فج، فتخلص منهم رئيس الحج المصري بأن قال إني

---

(١) نهاية ص ٣٦٤ من المخطوطة

لم آمر بإطلاق النار إلا إني لما رأيت أن ابن سعود لم يتوان في قمع جماح الإخوان ولكنه عجز عن منعهم بالكلية، فرأيت أن ادافع عن نفسي وعن عساكري ولا أقتل وانا مكتوف الأيدي، فبهذه الحجة عذروه وسمحوا له .

وكما سبق أن أوردنا بكتابنا هذا، الثناء على حديث الصدق والثناء أيضاعلى قائله وعلى راويه وأنه هو النجاة لقائله، وقد اثنى الله بكتابه العزيز على الثلاثة الذين خلفوا، ثم حث المسلمين على ان يتبعوهم ويقتدوا بصدقهم فقال تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين)**[١] ولقد صدق من قال، إن الصدق منجاة وإن الكذب مهواة وإن الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة[٢]، وبضده الكذب، فإنه يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار، وكل ميسر لما خلق له، وما توفيقي إلا بالله وإني أورد قصة أوردتها عن رجل ثقة عدل، فقد روى لي هذا الرجل ونحن في حايل في سنة ١٣٦٧هـ فذكر إنه لما كان مقيما عند قبائل من عنزة ومن شمر على ماء يعرف بالبريت، وكان داخلا في حدود العراق، وعندهم في ذلك الوقت القايد الانقليزي وهو الكستر جلب[٣] والقبائل تسميه أبو حنيك، وكان يومئذ رئيسا على تلك القبائل، فحدث أن رجل من شمر قتل رجلا من عنزة غيلة، فتركزت تهمة القتل على شخص معين من شمر، فألزمهم الرئيس جلب أن يتحاكموا عند رجل يرضونه جميعا، فتراضوا أن يتحاكموا عند جزاع بن وادي بن علي، من رؤساء شمر، ورضوا به عنزة، وشهدوا له أنه عادل منصف، وانه مأمون من المحاباة

---

[١] سورة التوبة اية ١١٩

[٢] نهاية ص ٣٦٥ من المخطوطة

[٣] غلوب باشا

مع قبيلته، وإنه لن يحكم ألا بالحق، فترافعوا إليه وتخاصموا عنده وطال النزاع، وكان الرئيس جلوب واقف عندهم بسياراته المدرعة، وكان هو الذي ساقهم الى المحاكمة بحجة إنهم جميعا من رعيته، وإنه هو المسئول عنهم، وبزعمه إنه لم يأمن من حربهم بينهم إذا هو رحل عنهم قبل أن تنتهي خصومتهم، فلما حضروا في مجلس الحكم، وكان الذي شاهد هذه المحاكمة ما يقرب من أربعة ألاف رجل، فادلى كل منهم بحجته وأصر الشمري على الإنكار، وكان القاضي قد طلب من عنزة أربعة شهود من قبائل غير عنزة، وهم أصحاب المقتول، فلم يجدوا أحدا يشهد، فحينئذ طلب أولياء المقتول يمين الشمري، فدعى القاضي بحضور المصحف. فلما أحضر وضعه في حجر المتهم، ثم قال له: ابسط يدك عليه، فبسط يده حيث قيل له، ثم قال له القاضي: قل والله الذي أنزل هذا على محمد " يا رجالكم يا عنزة يوم فاضت دماه اني منيب ماواه واني ما شقيت له جلد ولا أيتمت له ولد، فتلكأ المتهم عن اليمين وعرض على أولياء المقتول دية واحدة توفيرا ليمينه، فأبوا وصمموا على قبول يمينه والقرآن في حجره، فلما رأى أن لا مناص من اليمين، فحينئذ اقسم اليمين بالإقرار ضد الإنكار،ثم قال والله الذي أنزل هذا على محمد " يارجالكم يا عنزة إنه يوم فاضت دماه إني أنا ماواه، وإني أنا الذي شقيت له جلد وأنا الذي أيتمت له ولد والله المطلع على مافي الضماير" فحينئذ صفق الناس وقالوا نطق الحق، فقال الرئيس هذا مجنون، خذوه يا حرس واحبسوه في السيارة المقفصة، فلما أظلم عليه الليل كلمه الرئيس عن ذلك، بأن قال له: حنا نبي سلامتك وانت تأبى ذلك،

فقال له يارئيس: عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة[١]. فلما كان في اليوم الثاني جمعهم الرئيس وبذل لأولياء المقتول ديتين، دية منه، ودية من الشمري وجماعته، فرضي الطرفين وتكافلوا على ذلك، ودفعت الديات لأهلها وافرة، ورحل عنهم الرئيس وقد أمن قتالهم فيما بينهم، وهذه عاقبة الصدق فهو المنجي لقائله، وهو محمود العاقبة، وبضده حديث الكذب، تجد صاحبه قلق على الدوام، فإنه لا يزال منتظر للملامه وثقل المسئولية مع الخجل وفقدان لثقة العالم في أقواله ومعاملاته. فمن ذلك إنه كان في بلد عنيزة، رجل اسمه زريق، وكان مشهورا بالكذب في كل ما يحدث به، وكان هذا الرجل من أهل البكيرية، وهي بلد معروفة تبعد عن عنيزة عشرة كيلوات، فحدث في ليلة الثلاثين من شعبان أنهم رأوا هلال رمضان في عنيزة، فقالوا له : أنت يا زريق من جملة من رأى هلال رمضان بعينك، فادلج هذه الليلة إلى بلدك البكيرية وبلغ جماعتك إن أهل عنيزة قد رأوا هلال رمضان، وقد عقدوا على الصيام تلك الليلة، فإنهم يصومون، فقال لهم أنتم تعلمون أن اسمي زريق، وهم يعرفونني بالكذب، فلو أتيتهم وأنا انقل هلال رمضان بيدي ما صدقوني، فضلا عن قولي لهم إني رأيته، وهذا غاية الرقم القياسي في قبح الكذب وبطلانه، وقد رأينا في كتب التواريخ الصحيحة أن الخليفة الأموي وهو عبدالملك بن مروان سأل الحجاج بن يوسف، وهو يومئذ أمين له على العراق، فقال له: صف لي نفسك يا حجاج، فقال اعفني يا أمير المؤمنين، فقال له: لابد من ذلك، فقال: أنا والله يا امير المؤمنين، حسود حقود لجوج، فقال عبدالملك: وكذوب، فقال:

---

[١] نهاية ص ٣٦٦ من المخطوطة

لا والله، ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر بأهله . فانظر الى إعترافه بالخصال الثلاث على قبحها، وإنكاره للرابعة، فهو يرى إنها أقبح منهن بكثير وهل شيء أقبح من الكذب وقد قال الشاعر:

لي حيلة في من ينم | وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول | فحيلتي معه قليلة[1]

فانظر الى أنه حقرالنميمة عند الكذب[2] .

نادرة لطيفة، كان رجلا من أهل عنيزة اسمه غانم المزيد الحميد، وكان كريم السجايا، وقد عاش طول حياته كريما معطافا متلافا لا يدخر شيء، وقد كان ورث من أبيه ثروة طائلة، وكلها أنفقها في سبيل المجد والثناء، وكان رجلا فكها، تحبه الملوك وتقربه، لسخاءه وخفة روحه ونوادر فكاهاته، فمن ذلك إنه استوزر لشريف مكة، وهو عبدالله بن محمد بن عون، حينما تولى إمارة مكة من بعد وفاة أبيه محمد بن عون، في سنة ١٢٧٣ وقد حظي عنده وقربه، وكان لا يقو على فقده في مجلسه، فحدث في بعض السنين أن حج رجل من أهل الهند، يدعى النواب، وكان يحمل معه مال جسيم، ومنها صدقات لأهل الهند ليفرقها في الحرمين، فلم يبق أحد من أهل

---

[1] لمنصور بن إسماعيل ت ٣٨٦هـ
[2] نهاية ص ٣٦٧ من المخطوطة

الحرم ألا وسعته تلك الصدقات، وكان أغلب جلوس النواب عند الشريف عبدالله، وكان غانم لا يغيب عن مجلس الشريف ألا نادرا، وكان حين رأى ما ينفقه هذا النواب من كثرة الأموال، ظن إنه ما يهمله من شيء يتحفه به، لاسيما حينما رأى من تقريب الشريف لغانم وإنه عزيز عنده، فكل هذا لم يجد في ذلك الهندي شيء، وكان غانم رجلا عفيفا لا يقرب الذل أو يرضى بالسؤال، فبهذه القضية انتحل لنفسه طريقة لطيفة مضحكة، فمن ذلك انه قدم على الهندي دعوى شرعية بصورة هزلية، اذ قال للشريف عبدالله: ياسيدي أنا لي دعوى شرعية على ضيفك الهندي، إن كان أحب أننا نترافع الى الحاكم الشرعي أو أحب إننا نخلص على يديك، فهو مخير، وكان هذا الهندي لا يفهم عربي الا قليل، وكان الهندي حاضرا في مجلس الشريف، فترجموا له كلام غانم وخيروه بين الشريعة وبين حكم الشريف بينهم، فاستغرب الهندي وقال : ليس بيني وبين عربي خصومة، ولكنه حينما قال العربي: الحكم سيدنا [قال] : رضيت بما تحكمون ياشريف، فحينئذ قالوا لغانم: تقدم لأنك انت المدعي، ولأن خصمك سمح لك بتقديم دعواك، فقال غانم: ياسيدي إنكم تعلمون انتم وغيركم أن أبونا آدم عليه السلام مات بالهند، وان ميراثه تقاسموه هذا وأصحابه من الهنود، فاصبحت محروما من مخلفات ابوي آدم، فحينما ترجمت القصة للهندي ضحك بكثرة، وقال لغانم على لسان المترجم قسمتك من الميراث عندي انا قبضته لك، ثم أمر على وكيله أن يسلم لغانم الف روبية، وانحسم النزاع، فاستلمها غانم من يومه ذلك[1] .

---

[1] نهاية ص ٣٦٨ من المخطوطة

ومثلما يوجد في العرب رجال فصحاء فكهين، فكذلك الأفرنج، لا يخلون من هذا الفن، فمن ذلك إني قرأت في احدى المجلات أن رجلا من الفرنسيس، أسمه لابيش، وكان له ولد كبير قد تزوج، وقد ماتت زوجته قبل موت أبيه بستة شهور، وكان له أربعة أولاد صغار، فلما حضرته الوفاة وقف عليه ولده الكبير وقال يا أبتي إني علمت أنك ستقدم على زوجتي، فإذا رأيتها فاقرئها مني السلام، وقل لها إن زوجك فريان، يقول إني لم ازل مشغوفا بحبها، حزينا على فقدها، فرد عليه أبوه وهو يعالج سكرات الموت بأن قال له: يابني، ألا ادلك على خير من هذا، وهو أن تؤدي رسالتك بنفسك، وتتركني لهؤلاء الصبية الصغار، أي إنك تموت مكاني وأنا أعيش بعدك.

فمن هذا القبيل مانرويه لغانم المزيد المتقدم ذكره، وذلك أنه توفي بدمشق الشام سنة ١٣١٠هـ فيروي لنا بعض من حضر وفاته أن أوصى من يبلغ أقاربه وأصحابه الذين في عنيزة، فيقول بلغوهم إن الله عافانا من تحمل مشقة السفر الى الشام مثلهم، فقط إننا نقوم من القبور ونقف تحت موضع أقدامنا، يشير إلى أن الحشر بالشام، وهم يأتوننا من بعيد، حفاة عراة، رحمه الله ورحم كل فكه كريم، وبذا ينتهي تحرير هذا التاريخ.

والآن نبدأ بذكر عنيزة، ومتى تأسست، وبذكر القبائل الذين نزلوها وتوالدوا فيها بين اباء وجدود. تأسست عنيزة في أواسط القرن السابع للهجرة النبوية، وأول ما عمر منها الجناح، وهو القسم الشمالي منها، وكانت قرارات عنيزة، وهو موضع البيوت الآن، موضع للسيول التي تأتيه من الجبال الشرقية، ومن واد يسمى البويطن، ياتيها من الجنوب، وكان أول من نزل الجناح، قبيلة من بني خالد، تسمى الجبور، ثم

ثم بعد مدة طويلة نزل عنيزة، وهي الروضة، ويكون معظمها جنوب الجناح، فنزلها فريق من سبيع، نزول البادية، وبعد مدة ابتنوا فيها البيوت، فكانوا لا يظعنون عنها لا صيفا ولا شتاء، فجعلهم الله شجى في حلق بني خالد أهل الجناح، فهم لا يفترون عن حربهم فيما بينهم على الدوام، ثم إن سبيع التفت بعضهم يحارب البعض الآخر، وهم كلهم ذرية زهري ابن جراح، وفي سنة ١١١٥ هـ قام أهل الجناح وقتلوا أمير عنيزة فوزان[١] بن حيدان بن حسن الملقب ابن معمر، وهو الذي حفر الخندق على قصر المليحة، وهو من ال جراح، وفي سنة ١١٥٥هـ قتل حسن بن مشعاب، وجلت قبيلة المشاعيب الى العوشزية وهي بلد شرقي عنيزة، تبعد عنها ثلاث ساعات للراكب المجد في سيره، ولما طال جلاهم بها، استنهضهم عبد لهم اسمه نبهان، بقصيدة حماسية يحرضهم فيها على أن يجتمعوا ويتعاهدوا على قتل أمير الجناح واستخلاص بلدهم عنيزة من أهل الجناح، فيقول في صدر قصيدته:

مشاعيب سموا وادعوا الشور واحد … وعلى الله اطلاع الدلى من قليبها
مشاعيب نسري والسعد عادة لنا … وناخذ ديرتنا قلاط غدي بها
مشاعيب ما خطر بيدني منية … ولا الذل منجيها الى جا حسيبها
مشاعيب راس الشيخ مهفي مقامه … في خنجر ما يشرب الماء عطيبها
مشاعيب من رام العلا ينالها … ومن رضي بالزهدى حقيق رمي بها

وبعد هذه القصيدة، ساروا فدخلوا عنيزة وملكوها، فاصطلحوا هم وأهل الجناح، وكل منهم أمير بلده، فهدأت الفتنة فيما بينهم الى أن خرج ثويني المنتفق، من العراق في آخر القرن الثاني بعد الالف، فعاث بالقصيم قتلا ونهبا وتشريدا، فحينئذ جلى أهل

---

[١] نهاية ص ٣٦٩ من المخطوطة

الجناح عن أوطانهم، وعن أملاكهم، فحينما قفل ثويني عن القصيم راجعا الى العراق، انتدب إليها الإمام سعود بن عبدالعزيز الأول حاكم الدرعية، وجعل لها هيئة تقبض ريوعها وتضمها الى بيت المال، فكان أمرها يجري على ذلك إلى زمن ولاية الإمام عبدالله الفيصل، وحينما ضعفت ولايته، ردها الى أهلها، وأما محلة الجناح، فهي حينما جلى أهلها عنها انضمت الى إمارة عنيزة، فكان أميرها واحد، وهو عبدالله بن رشيد بن محمد بن حسن ال جراح، وقد تقدم ذكر أمارته وإيقاع حجيلان وسعود بن عبدالعزيز به، وبتملكهم عنيزة بموضع القصة .

ولنذكر الآن الحمايل الموجودين بعنيزة الآن، فكل قبيلة من قبائل العرب إلا وفي عنيزة سكن منهم، قلوا أو كثروا، وإليك أيها القارىء الكريم أسماء الحمايل الذين ينسبون إلى قبائل العرب، فنبدأ بأول قبيلة نزلوها وهم سبيع بني ثور، وكلهم ذرية زهري بن جراح، فهم أهل الأصل وما سواهم يعدونهم جيران، كما أن بلد الزلفي يعدون أهلها الأساعدة، يعني بني سعد، ومن نزل معهم يعدونه جار، وبني سعد، بطن من هوازن، انتقل جدهم من أرهاط، وهو نخل في الحرة مشتركين فيه أكثر الروقة، وفيه قسم قليل لبرقا، وجد الأساعدة نزع من أرهاط في أواسط القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية، ونزل الزلفي، ولما تعيل، تفرقت ذريته في البلدان، وسبب انتقاله هو حرب كانت بينه وبين بني عمه من الروقة وهم الغنانيم[١] .

فأول ما نبدأ بزهري وذريته، فهو أول من نزلها، وقد خلف ثلاثة أولاد، وهم علي وبكر وغنام، والرابع عويمر، وهو

---

(١) نهاية ص ٣٧٠ من المخطوطة

أصغرهم، فمن ذرية علي ال سليم، وهم أمراء عنيزة اليوم، ويتبعهم أبناء عمهم وهم يلقبون بالزامل، وهم من ذرية زامل، وهو الجد الأول، فمنهم ال روق والشقران والمنصور العلي والعمدان، ومن ذرية علي أيضا الرشيد، وقد انقرضوا إلا قليلا، والطريف والجماله، وأما ذرية بكر فمنهم السحاما والخليف والسماعيل المطاوعة والماضي والقاعان والزريطي، وأما ذرية غنام فهم ال يحيا وال حميد والغانم المزيد، والغانم الفهد، وأكثر ال أبو غنام قد جلوا للهلالية بعد حروبات نشبت بينهم وبني عمهم، وتعرف الآن بهلالية البو غنام، ومن العلي أيضا جارالله الدبة وحمولته، وإبراهيم المهيزع وهو رجل فرد، وأما ذرية عويمر، فمنهم الشلالي والسلمي وال أبو عطية والجمعي وال كريشان وال جاسر أهل الوادي، ومنهم ال أبو علي وقد انقرضوا، ويعرف واديهم باسمهم، والفراسي والحمودي وال دويس وعقل الحمودي، ومن سبيع بني ثور حمولة الشنيفي، وأما سبيع العرينات، فمنهم الدخيل، وال رميح والمعيبد والعمير أهل البكيرية والجاسر الضويحي، والسنانا سبعان، وهم بني سنان، ويلتحق بذرية بكر الشوارخ والبكيري عبدالله، راعي الجوز

بيان أسماء الوهبة من تميم

ال بسام، القواضا، العثيمين، ال ابو سليمان، ال شيحة، الدكامرة، ال مانع وهم المشايخة ولهم اقراب منهم ال سلوم، ال حماضا، ال مسند، ومن الوهبة، أيضا البسمي، وشحم راس، ومحمد العيسى، وهم يلتحقون بالجد الأول للبسام وهو بسام، ومن الوهبة أيضا حمولة البرادا ويلقب جدهم بالخراز، والخليفة ومنهم ال محيميد وهم من الشبانة أهل المجمعة،

بيان أسماء حمايل تميم غير الوهبة، ومن تميم، السواجى، والعبدين، الشبالا، والشبلي وهم حمولة واحدة، ويبتعهم حمولة الزلاخي، الرجيد، والعسافا، والفراحا والخنانا والعرفج من ال بو عليان، وال سعدي، وحمولة بالوادي يقال لهم ال قنبر لم يبق منهم غير شخص واحد وهم يلتحقون بال بوعليان، ومن تميم أيضا عبدالرحمن بن مانع سكان الضبط، وهو من المشرف ولقب جدهم فحال.

بيان حمايل عنزة الساكنين بعنيزة

منهم ذرية حمد بن نجيد، وهم ثلاثة أفخاذ نجيد ومحمد ودبيان، وهم يتعلقون بقبيلة المصاليخ من عنزة، فمنهم المحاميد وال سلطان وحمولة العقيلي راعي الجو، والقعدي والرويشدي، ومنهم القراوعة على تعدد أسمائهم، ومنهم ال عقيل، ومنهم ال أبا الخيل، ومنهم حمولة الجلالي، وابن عمهم ال شقير، ومنهم حسن السليمان، ومنهم ال عقيل وال منصور الغانم، وال صقيه، ومنهم منصور الصالح، وما يتعلق به وهم ذرية عبدالله العثمان أبا الخيل، والكحالين ويتبع ذرية محمد المصاريع، والعمود وال ابو ناصر، وال دبيان ولقبهم الهواش، وال نجم وال قريفة وهو محمد علي القريفة، وابن عمهم عبدالله الربع، وكل هؤلاء المعدودين أعلاه ذرية حمد بن نجيد[١] .

بقي عدة أسماء من قبائل عنزة غير النجيد، وهم العواهلة وال مطر والحراقا وال عليان أهل العقيلية وهم من السرحان من عنزة، والعباسا وال عضاض والقطن والغرافين والسماميح

---

[١] نهاية ص ٣٧١ من المخطوطة

وال مطلق النهيد، وال ساير أهل باب الخلا، والشوشان ومنهم ال صالح أهل المجمعة وال ابو خليل .

بيان تفصيل حمايل بني خالد الساكنين في عنيزة

أغلب بني خالد من بقايا أهل الجناح الذين جلوا عن عنيزة في آخر القرن الثاني عشر للهجرة النبوية، حينما سار ثويني المنتفق من العراق ونزل القصيم، وكان معه جيش جرار، فعاث في

الديار قتلا ونهبا وتشريدا، فمن بني خالد، الحبيب والبراك والمبرك والربادا والزرقا ويقال لهم ال خريق، والطعاما والمكتوم والخشان والجنحان والخويطر ومنهم النعيم والمطاريد والفراج والصعب وال تركي وجدهم يلقب بالنغامشي والحسن البريكان والجفافيل والربيعي ويعرفون بالنعبان والصريخ والعبيكي والمغاولة والونين وال فياض ولقبهم المذاذنة والحماميد والحواس والصخيبر والصيخان والفداغمة والجابر والدمشي .

بيان الموجودين في عنيزة من قبيلة القحطان

قبيلة قحطان العليان، وهم ذرية مانع الجديعي، وقبيلة الوهابا والسحابين والدبيبي والحرك والسحيم والمعيوف والسكيت والدويّش .

بيان الموجود بعنيزة من قبيلة شمر

العيادا وال صليع والهطلان والجرافين والبادي وال عمير وال بوغانم وال غذام ويلتحق بهم ال سدلان وال يهق وبني عمهم البليهيص والوابل وصالح المطلق ومحمد السعيد وهو

شخص واحد، ومعظم قبيلته سكان في بلد المذنب، ومن شمر مطير الجاسر وحمولته، ومنهم المرعول.

بيان قبيلة العجمان الموجودين في عنيزة

من قبيلة العجمان آل الزنيدي وآل ابوضيف وآل سويدان والعفيسان والكعيد وعثمان البريكان راعي الضبط والرمخ والرميحي والجفن والعويصي والحصيني وحمولة المعثم .

بيان الموجود في عنيزة من قبيلة الفضول

فمن الفضول الشملان والفهيد وال حمدان وال مطير وال فنيتان وال سويل وال الحميدي وال شهوان.

بيان قبيلة الظفير الموجودين

الظفير منهم ال جليدان، ومنهم ال عمرو ويعرفون بالمزيد، ومنهم ال جبرين، وال أبا الشحم، والمزعل، والصباعا، والزيدان، أهل الضبط، وال عامر، وآل دبيان، أهل الضبط .

بيان قبيلة الدواسر

فمنهم الفوزان، وال سابق، وال ابن عمر، والغماس، والواصل، والخرافي وحمولته[١] .

بيان قبيلة البقوم

منهم المرازيق، وال خليل، والهقاص وما يتعلق بهم .

بيان قبيلة عتيبة وما يتعلق بهم الأساعدة

---

(١) نهاية ص ٣٧٢ من المخطوطة

فمنهم الذكران، والسلمان، وذرية الشيخ علي المحمد، وأولاد مساعد بن عبدالمنعم ومنهم حمولة الشريان .

بيان قبيلة مطير

فمنهم الفوزان، وابن عمهم محمد العميريني، وابن عمهم عيد الفارس وهم من الدياحين،

بيان قبيلة حرب

فمنهم حمولة التمم، وصالح المصلح، وعتيق المريزيق وحمولته، وزيد المشيلح وأولاده .

بيان قبيلة بني صخر

فمنهم العويد الهداج، ومنهم الصويان .

بيان قبيلة بني زيد

فمنهم البواريد وهم الحماد، ومنهم الرواجح، ومنهم العيسى، ومنهم الضراريب، ومنهم الحنطي، ومنهم القنيبط .

بيان قبيلة السهول

ومنهم قبيلة تسمى ال عواد، لم نعلم عن احد منهم سكن عنيزة ما عدا رجل واحد وهو سعد بن علي ولقبه جاهل،

بيان قبيلة النواصر وهم بطن من تميم

من قبيلة النواصر في عنيزة منهم العقالا، ومنهم الدخيّل، ومنهم العضابا، ومنهم الدقاسا وال ابن حسن.

بيان قبيلة الأشراف

منهم الزغابا، ومنهم العرينان، وهم من أشراف بني حسين، أتى جدهم من السوارقية وهي بلدة بين مكة والمدينة قريبة من المهد .

بيان قبيلة عايذ

منهم حمولة بالخب تسمى العيسى ولم نعلم غيرهم

بيان قبيلة باهلة

منهم حمولة تسمى العبداللطيف، ولم نعلم غيرهم، وقد نزل بعنيزة أفراد حمايل أتوا اليها من الوشم، وهم الرعاجا وال حشاش، والمحيميد، وهم كلهم قبيليين فلم نتقن عن قبائلهم لنلحقهم بهم، واليك أيها القارىء الكريم عدد الحمايل النازلين بعنيزة وكل منهم يتعلق بدوحة من قبائل العرب الخلص، ينتهي الى فرعين، إما الى قحطان أو الى عدنان، وهذا غاية ماتدركه معرفتنا، ممن قصصناه عليك، وربما أن يكون فاتنا شيء لم نحط بمعرفته، والله بكل شيء محيط، وصلى الله على نبينا محمد[١].

وكما أن سردنا أسماء قبائل العرب النازلين بعنيزة، فإن لهم جيران من الموالي وخلافهم من غير العرب، نازلين معهم في عنيزة، وهم يضاهون العرب بكثرة العدد، وماهم بأقل من العرب نبلا وشجاعة ومكارم أخلاق، ومعاذ الله أن نبخسهم حقهم الذي خصهم به من كل فضيلة، فهم شركاء للعرب في الفضائل دون الأنساب، فمنهم علماء ومنهم كرماء ومنهم صلحاء ومنهم اتقياء ومنهم فصحاء، ونعد لك أيها القارىء من حمائلهم المتسلسلة ليكون دليلا على صدق ما نقول، فمنهم

---

[١] نهاية ص ٣٧٣ من المخطوطة

حمولة الفضل المشهورة، ومنهم حمولة ال حمدان، ومن بعدهم حمولة ال ابن عقيل، وحمولة الطجول، وحمولة ال ابن نفيسة، وحمولة الطاسان، وحمولة الصهيل، وحمولة الخراجا، وحمولة البهيجان، وحمولة السعيّد، وحمولة الحجام، وحمولة العمري، وحمولة الميمان، وغيرهم كثير من نظرائهم، فكل منهم يؤدي ما يجب عليه ونفسه طيبة بما يبذله في سبيل المجد، ولكنها نفذت سنة الله في عباده، أن كل قبيلة لا تخلو من مادح وقادح، وربما يكون بعض القدح متولد من داء الحسد نعوذ بالله من الحسد ومن الحسود. ومن غير القبيليين علي الخياط، المشهور، وقد فدى دون وطنه بنفسه وماله ولسانه، أيام ما ابتليت بلاده بالحروب المتوالية، وأيامه مشهورة، وشهد شعره لأفعاله الحميدة ومواقفه الصادقة دون وطنه ومحارمه، فقد كان غرة بيضاء في جبين وطنه، وفي آخر أيام حياته رحل من عنيزة مغاضبا لبعض أمرائها لموجدة في نفسه، وكان له دار في عنيزة كبيرة وممتازة على غيرها، فحينما شال على رواحله أمتعته وفراشه وازمع على السفر التفت الى داره وحذف عليها هذين البيتين من الشعرفقال متأسفا:

يا دار لو ان الزمل يقوى يشيلك لشد بك عن ديرة جزت منها
القض بالفاروع ما يستوي لك والبيع ما كل يعادل ثمنها

وبعد رحيله نزل في بريدة وأكرموه وأحسنوا جواره حتى توفاه الله، وكانت وفاته في سنة ١٢٩٥هـ من الهجرة النبوية رحمه الله، ومن غير القبيليين حمولة العماري، فمنهم رجال كرماء

وأخيار، والحقيقة الواضحة أن نرجع الى قول الله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير) ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب في حجة الوداع اذ قال "يا أيها الناس كلكم من ادم وادم من تراب فلا لاحمر على اسود ولا عربي على عجمي الا بتقوى الله" وهذه الشواهد القاطعة هي خاتمة كتابنا هذا فلم نترك من جهدنا شيء مما يليق تسطيره، وأن نسأل الله ان تكون قراءته مقبولة عند ذوي الألباب، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وقد حصل الفراغ من تسطيره في اليوم الخامس عشر من جمادى الأول سنة ١٣٧٧هـ[١] .

استدراك

وقد فاتنا أن نذكر شخصين كريمين من أهل عنيزة وهما من الموالي، أما أحدهما فهو اسمه مبارك المساعد، وكان جده المعتوق اسمه مبارك، وهو معتوق لآل بسام، وسيده الذي أعتقه هو عبدالرحمن بن حمد البسام، وهو والد عبدالله المشهور، فشب وترعرع في أحضان أسياده البسام، وناهيك بكرمهم وسخاء نفوسهم، فحينما وصل الى درجة الرجال وملك من الدنيا نصيبه المحتوم، حتى كان نادرة في الكرم، وغرة في جبين زمانه من السخاء ومكارم الأخلاق، حتى إنه ذكر يوما في مجلس محمد بن رشيد، فأثنى عليه محمد ثناء كثيرا، وكان هو يسكن ثغر جدة، ويتعاطى في التجارة، وتأتيه المراسلات من كل بلد الى أن توفاه الله في سنة ١٣١٣هـ، ويليه من

---

[١] نهاية ص ٣٧٤ من المخطوطة

الموالي رشيد الدغيثر، فهو مولى لحمولة ال دغيثر من أهل الرياض، وآل دغثير من الوطبان أبناء عم المقرن، وله صدقات أوصى بها عند وفاته، وأوقف منها شيء في حياته، فكان له مسقاة تشرب منها الماشية على اختلاف أصنافها، وهي متوسطة من البلد عنيزة، فكانت عين جارية له، ومعين لا ينضب، ليلها ونهارها، وكان رحمه الله ذا كرم وشجاعة دون وطنه، حتى توفاه الله في سنة ١٢٩٧ هـ .

انتهى ما أوردنا ذكره من الموالي ومن غير القبيليين، ولم نذكر منهم إلا بعضهم وتركنا بعضهم خشية الملل والتطويل، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب، وهذا هو آخر ما كتبه المؤلف بعد الجهد والتدقيق فرحم الله امرىء قرأ فاستفاد وتجنب العتب والإنتقاد، ومن قولنا في هذا المعنى

رعى الله عبدا فارق النقد قلبه وأبدل عنه غفلة وتغاضيا

وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين[١]:

---

[١] نهاية ص ٣٧٥ من المخطوطة

فهرس الأعلام

الرواجح	482	الروقة	380
الرواجح	547	الروقة	411
الروبة	477	الروقة	413
الروسان	71	الروقة	414
الروسان	256	الروقة	416
الروسان	283	الروقة	426
الروسان	396	الروقة	431
الروسان	409	الروقة	432
ال روق	154	الروقة	445
ال روق	543	الروقة	452
الروقة	34	الروقة	455
الروقة	58	الروقة	484
الروقة	72	الروقة	486
الروقة	72	الروقة	489
الروقة	114	الروقة	491
الروقة	116	الروقة	542
الروقة	123	الروقة من عتيبة	434
الروقة	125	الرولة	240
الروقة	134	الرولة	516
الروقة	156	الرولة من عنزة	502
الروقة	198	الرويشدي	544
الروقة	199	الريحات	482
الروقة	200	الريحاني	201
الروقة	214	ال زامل	130
الروقة	265	الزامل	543
الروقة	291	الزبالقة	396
الروقة	300	الزرقا	545
الروقة	326	الزريطي	543
الروقة	352	الزغابا	548

عتيبة	154
عتيبة	154
عتيبة	155
عتيبة	163
عتيبة	177
عتيبة	182
عتيبة	184
عتيبة	195
عتيبة	196
عتيبة	197
عتيبة	198
عتيبة	199
عتيبة	203
عتيبة	214
عتيبة	225
عتيبة	230
عتيبة	232
عتيبة	233
عتيبة	240
عتيبة	240
عتيبة	241
عتيبة	242
عتيبة	243
عتيبة	243
عتيبة	244
عتيبة	245
عتيبة	250
عتيبة	250
عتيبة	256

عتيبة	257
عتيبة	261
عتيبة	262
عتيبة	265
عتيبة	280
عتيبة	281
عتيبة	284
عتيبة	291
عتيبة	300
عتيبة	324
عتيبة	339
عتيبة	351
عتيبة	352
عتيبة	359
عتيبة	360
عتيبة	379
عتيبة	380
عتيبة	380
عتيبة	384
عتيبة	391
عتيبة	396
عتيبة	399
عتيبة	400
عتيبة	402
عتيبة	403
عتيبة	404
عتيبة	406
عتيبة	410
عتيبة	412

فهرس الأماكن

ابانين الأحمر	428	الأحساء	102	البحرين	120	البكيرية	193
ابانين الأسود	428	الأحساء	120	البحرين	121	البكيرية	194
ابرقية	442	الأحساء	121	البحرين	265	البكيرية	195
ابرقية	443	الأحساء	122	البحرين	286	البكيرية	196
ابها	95	الأحساء	126	البحرين	301	البكيرية	197
اسبانيا	278	الأحساء	128	البحرين	303	البكيرية	437
استانبول	272	الأحساء	128	البحرين	369	البكيرية	543
استنبول	13	الأحساء	215	البحرين	372	البلقاء	521
اسيا	285	الأحساء	229	البحرين	373	البيضة	311
اشيقر (وشيقر)	436	الأحساء	247	البحرين	374	التكية	344
افريقيا	285	الأحساء	261	البحرين	375	التنية	418
الاحساء	98	الأحساء	262	البدايع	363	التويم	117
الاحساء	127	الأحساء	264	البدايع	423	التويم	163
الاحساء	225	الأحساء	351	البديع	376	الجبل	120
الاحساء	227	الأحساء	359	البديعة	304	الجبل	123
الاحساء	240	الأحساء	363	البرة	62	الجبل	136
الاحساء	249	الأحساء	369	البرة	174	الجبل	138
الاخيضر	380	الأحساء	370	البرة	175	الجبل	147
الاسياح	418	الأحساء	372	البرة	176	الجبل	148
الاشعلي	223	الأحساء	481	البرجسية	45	الجبل	152
الافلاج	236	الأحساء (الحسا)	57	البرود	301	الجبل	209
الأثلة	96	الأربع	494	البريت	435	الجبل	240
الأثلة	140	الأربع	496	البصر	192	الجبلين	496
الأثلة	199	الأردن	416	البصرة	83	الجبيل	228
الأثلة	323	الأرطاوية	264	البصرة	84	الجبيل	351
الأجام	473	الأرطاوية	351	البصرة	85	الجثوم	214
الأحساء	3	الأرطاوية	359	البصرة	127	الجرد	250
الأحساء	76	الأرطاوية	360	البصرة	426	الجرعى	235
الأحساء	77	الأفلاج	308	البطحاء	218	الجرعى	236
الأحساء	83	الأندلس	30	البكيرية	61	الجريدة	430
الأحساء	99	الأندلس	278	البكيرية	62	الجزائر مسقط	286
الأحساء	100	البحرين	76	البكيرية	192	الجزعة	124

الجزيرة	66	الجوف	331	الحجاز	416	الحميدية	344
الجزيرة	468	الجوف	351	الحجاز	463	الحنابج	381
الجزيرة	469	الجوف	359	الحجاز	464	الحناكية	157
الجزيرة	497	الجوف	418	الحجاز	465	الحوطة	162
الجزيرة	515	الجوف	428	الحجاز	484	الحوطة	163
الجزيرة	516	الجوى	73	الحجناوي	17	الحوطة	193
الجعلة	359	الجوي	94	الحجون	342	الحوطة	351
الجفر	121	الجينيات	192	الحديدة	95	الحويط	351
الجميما	240	الحايط	351	الحديدة	365	الحويط	429
الجناح	540	الحايط	429	الحرة	542	الخب	548
الجناح	541	الحجاز	15	الحرملية	154	الخبرا	17
الجناح	542	الحجاز	170	الحريق	7	الخبرا	18
الجناح	545	الحجاز	223	الحريق	162	الخبرا	19
الجندلية	196	الحجاز	233	الحريق	163	الخبرا	193
الجهراء	79	الحجاز	235	الحريق	187	الخبرا	196
الجهراء	85	الحجاز	249	الحريق	193	الخرايق	250
الجهراء	86	الحجاز	273	الحريق	229	الخرايق	380
الجهراء	171	الحجاز	274	الحريق	235	الخرج	78
الجهراء	309	الحجاز	278	الحريق	351	الخرج	85
الجهراء	310	الحجاز	287	الحزمان	391	الخرج	124
الجهيمية	185	الحجاز	289	الحسي	163	الخرج	133
الجو	544	الحجاز	298	الحفنة	85	الخرج	140
الجودرية	266	الحجاز	301	الحفنة	86	الخرج	145
الجوف	31	الحجاز	339	الحفنة	157	الخرج	152
الجوف	32	الحجاز	340	الحفيرة	261	الخرج	153
الجوف	33	الحجاز	347	الحليفة	429	الخرج	163
الجوف	220	الحجاز	355	الحمادة	49	الخرج	187
الجوف	325	الحجاز	355	الحمادة	140	الخرج	193
الجوف	326	الحجاز	359	الحمادة	523	الخرج	227
الجوف	327	الحجاز	385	الحميدية	70	الخرج	351
الجوف	328	الحجاز	411	الحميدية	276	الخرمة	125
الجوف	330	الحجاز	414	الحميدية	277	الخرمة	126

الغاط	193	القصيم	53	القصيم	230	القويعية	458
الغاط	419	القصيم	54	القصيم	272	الكرش	370
الغاط	423	القصيم	55	القصيم	306	الكهفة	139
الغرفانية	495	القصيم	56	القصيم	351	الكهفة	183
الغريف	304	القصيم	60	القصيم	356	الكهفة	198
الغزيلية	70	القصيم	61	القصيم	359	الكهفة	200
الغزيلية	71	القصيم	67	القصيم	361	الكهفة	202
الغطغط	283	القصيم	70	القصيم	400	الكوت	127
الغطغط	284	القصيم	79	القصيم	431	الكوت	128
الغطغط	300	القصيم	87	القصيم	441	الكوت	247
الغطغط	342	القصيم	90	القصيم	443	الكويت	59
الغطغط	412	القصيم	91	القصيم	453	الكويت	60
الفرع	436	القصيم	93	القصيم	541	الكويت	63
الفيضة	176	القصيم	94	القصيم	542	الكويت	78
الفيضة	235	القصيم	96	القصيم	545	الكويت	79
القراين	147	القصيم	99	القطيف	24	الكويت	82
القراين	321	القصيم	100	القطيف	76	الكويت	83
القرشية	380	القصيم	139	القطيف	88	الكويت	86
القرعا	53	القصيم	150	القطيف	122	الكويت	96
القرعاء	149	القصيم	151	القطيف	127	الكويت	106
القرعاء	150	القصيم	153	القطيف	351	الكويت	109
القرين	284	القصيم	170	القطيف	372	الكويت	110
القشلة	277	القصيم	171	القطيف	473	الكويت	124
القصب	4	القصيم	183	القنفذة	69	الكويت	151
القصب	317	القصيم	184	القوارة	65	الكويت	152
القصب	475	القصيم	191	القوارة	192	الكويت	153
القصيم	27	القصيم	192	القوارة	356	الكويت	161
القصيم	36	القصيم	193	القوارة	361	الكويت	163
القصيم	37	القصيم	195	القويعية	127	الكويت	164
القصيم	50	القصيم	197	القويعية	228	الكويت	165
القصيم	52	القصيم	198	القويعية	379	الكويت	166
القصيم	53	القصيم	215	القويعية	453	الكويت	167

الكويت	170	المجمعة	169	المدينة	349	المراشد	71
الكويت	171	المجمعة	170	المدينة	350	المربع(المذنب)	195
الكويت	172	المجمعة	232	المدينة	351	المردمة	414
الكويت	225	المجمعة	543	المدينة	351	المستجدة	400
الكويت	227	المجمعة	545	المدينة	352	المستوي	205
الكويت	228	المحدث	262	المدينة	353	المسفلة	346
الكويت	239	المحدثة	380	المدينة	370	المضيق	249
الكويت	240	المحلاني	449	المدينة	431	المضيق	342
الكويت	291	المحمل	69	المدينة	440	المعتلي	102
الكويت	309	المحمل	78	المدينة	443	المعلاة	346
الكويت	310	المحمل	86	المدينة	455	الملقا	185
الكويت	339	المحمل	121	المدينة	462	المليدا	52
الكويت	354	المحمل	351	المدينة	463	المليدا	54
الكويت	366	المحمل	475	المدينة	471	المليدا	55
الكويت	367	المدعى	268	المدينة	429	المليدا	56
الكويت	368	المدينة	25	المدينة	548	المليدا	63
الكويت	395	المدينة	41	المدينة	19	المليدا	72
الكويت	459	المدينة	65	المدينة المنورة	15	المليدا	79
الكويت	463	المدينة	68	المدينة المنورة	88	المليداء	94
الكويت	493	المدينة	139	المدينة المنورة	125	المليداء	150
الكويت	516	المدينة	157	المدينة المنورة	156	المليداء	324
الكويت	517	المدينة	211	المدينة المنورة	218	المنامة	376
الكويت	429	المدينة	216	المدينة المنورة	221	المنسف	87
الكويت	204	المدينة	217	المدينة المنورة	286	المهد	548
اللصافة	107	المدينة	267	المدينة المنورة	356	الموصل	194
الماوية	17	المدينة	268	المدينة المنورة	491	النبقية	203
المبعوث	380	المدينة	273	المدينة المنورة	500	النبهانية	47
المجمعة	135	المدينة	275	المدينة المنورة	522	النبهانية	47
المجمعة	138	المدينة	277	المذنب	151	النبهانية	48
المجمعة	139	المدينة	279	المذنب	193	النبهانية	61
المجمعة	140	المدينة	294	المذنب	303	النبهانية	430
المجمعة	151	المدينة	299	المذنب	546	النجيل	455

النخاولة	349	الوشم	130	أمية هكران	485	بريدة	106
النقرة	430	الوشم	141	أنصاب	329	بريدة	130
النهروان	361	الوشم	142	أوروبا	286	بريدة	131
النير	58	الوشم	153	باب الخلا	545	بريدة	132
النير	201	الوشم	317	باب السلام	336	بريدة	133
النير	203	الوشم	351	باب إبراهيم	313	بريدة	134
النير	381	الوشم	476	باب إبراهيم	433	بريدة	136
النيصية	55	الوشم	548	برابر	370	بريدة	139
النيصية	56	الوشم	193	برزان	217	بريدة	140
الهدى	336	الوطاة	256	برزان	317	بريدة	141
الهفوف	121	الوفرة	79	بريدة	26	بريدة	141
الهفوف	127	الوفرة	86	بريدة	36	بريدة	145
الهفوف	128	اليمامة	471	بريدة	37	بريدة	147
الهلالية	72	اليمن	65	بريدة	53	بريدة	148
الهلالية	74	اليمن	69	بريدة	59	بريدة	150
الهلالية	543	اليمن	288	بريدة	60	بريدة	151
الهند	81	اليمن	340	بريدة	61	بريدة	152
الهند	286	اليمن	365	بريدة	64	بريدة	161
الهند	373	اليمن	366	بريدة	67	بريدة	163
الهند	438	اليمن	464	بريدة	68	بريدة	167
الهند	439	ام العصافير	382	بريدة	69	بريدة	171
الوجاج	121	إسطنبول	12	بريدة	74	بريدة	172
الوديان (الخرمة ورنية)	480	أبرق عشيرة	295	بريدة	75	بريدة	185
الوشم	4	أبرق(عشيرة)	296	بريدة	76	بريدة	187
الوشم	8	أبها	332	بريدة	87	بريدة	189
الوشم	69	أبو زيدان	370	بريدة	87	بريدة	190
الوشم	78	أبو غار	228	بريدة	88	بريدة	191
الوشم	86	أبو مغير	443	بريدة	89	بريدة	192
الوشم	89	أجا	496	بريدة	90	بريدة	193
الوشم	115	أرهاط	542	بريدة	99	بريدة	194
الوشم	129	أعلى نجد	131	بريدة	100	بريدة	196
الوشم	129	أم رواق	60	بريدة	105	بريدة	198

جودة	122	حايل	145	حايل	243	حريملاء	153
جودة	377	حايل	146	حايل	258	حزم معتق	454
جوف العمر	47	حايل	148	حايل	313	حصاة بن حويل	175
جوف العمر	56	حايل	149	حايل	314	حضرموت	471
جوف العمر	64	حايل	151	حايل	315	حضرموت	521
حاذة	455	حايل	152	حايل	317	حضن	154
حايل	21	حايل	153	حايل	321	حضن	304
حايل	23	حايل	154	حايل	326	حضن	342
حايل	25	حايل	157	حايل	327	حضن	381
حايل	26	حايل	170	حايل	330	حفر الباطن	329
حايل	29	حايل	183	حايل	331	حفر بني حسين	225
حايل	30	حايل	185	حايل	332	حلب	194
حايل	33	حايل	187	حايل	333	حلبان	294
حايل	36	حايل	188	حايل	339	حلبان	449
حايل	37	حايل	189	حايل	351	حلق الريع	294
حايل	38	حايل	190	حايل	355	حللب	146
حايل	43	حايل	197	حايل	363	حليت	324
حايل	44	حايل	204	حايل	422	حمة	45
حايل	48	حايل	209	حايل	500	حمة	367
حايل	48	حايل	210	حايل	502	حنين	379
حايل	50	حايل	211	حايل	506	حوطة بني تميم	7
حايل	53	حايل	213	حايل	429	حوطة بني تميم	301
حايل	55	حايل	214	حايل	435	حوطة بني تميم	354
حايل	58	حايل	215	حجر	455	حوطة بني تميم	453
حايل	59	حايل	216	حجرة الثريا	198	حوقان	253
حايل	90	حايل	217	حجرة الثريا	199	حوقان	284
حايل	119	حايل	218	حرب الصليب	432	حويط درع	496
حايل	120	حايل	219	حرة كشب	453	خب القبر	272
حايل	134	حايل	220	حرمة	138	خباري وضحى	363
حايل	136	حايل	222	حريق نعام	395	خبرا البرازات	174
حايل	139	حايل	223	حريملاء	124	خبوب بريدة	67
حايل	141	حايل	230	حريملاء	129	خيبر	351

خيير	366	روضة سدير	141	سلمى	496	شعباء	198
خيير	516	روضة مهنا	203	سميرا	449	شقراء	20
دباب العنقري	169	روضة مهنا	206	سناف الطراد	383	شقراء	67
دخنة	136	رياض الخبرا	17	سنة البَرَد	124	شقراء	68
دخنة	159	رياض الخبرا	196	سنة البَرَد	225	شقراء	69
دخنة	323	ريع مكة	294	سنة البْرد	225	شقراء	115
دلعة	381	زرود	71	سنة البرد	124	شقراء	116
دلقان	178	زنجبار	286	سنة الجراد	225	شقراء	119
دمشق	540	ساجر	301	سنة الجوع	124	شقراء	125
ذي قار	166	ساق الجوي	72	سنة الجوي	124	شقراء	127
رابغ	351	سامودة	380	سنة الدبا	225	شقراء	129
رغدان	252	سبيع	263	سنة الدهر	225	شقراء	130
رفايع الشعراء	244	سجافا	441	سنة الربيع	225	شقراء	140
ركبة	380	سجى	48	سنة الرحمة	124	شقراء	141
ركبة	397	سجى	214	سنة الرحمة	309	شقراء	143
رماح	158	سجى	241	سنة الزعابة	124	شقراء	147
رماح	481	سجى	414	سنة المطر	124	شقراء	163
رنية	6	سد مارب	496	سنة المليدا	124	شقراء	167
رنية	301	سدير	69	سنة بقعاء	124	شقراء	232
رنية	302	سدير	78	سنة حطة الاوثار	441	شقراء	315
رنية	405	سدير	86	سنة دمغاني	225	شقراء	321
رنية	458	سدير	89	سنة سبلا	124	شقراء	360
رنية	476	سدير	121	سنة مغزا حومان	241	شقراء	379
رنية	479	سدير	141	سيهات	24	شقراء	409
رنية	480	سدير	151	شار	364	شقراء	475
رنية	481	سدير	153	شبرا	159	شقراء	99
رنية	488	سدير	163	شبرا	333	صبحا	456
رواق	89	سدير	193	شبرا	391	صعافيق	123
روضة الربيعية	87	سدير	351	شبيرمة	71	صعافيق	134
روضة ام العصافير	140	سدير	398	شبيرمة	385	صفوى	473
روضة بقرية	136	سدير	459	شعب العسيبات	489	صفينة	455
روضة سدير	4	سدير	517	شعب جبلة	385	صنعاء	365

صنعاء	471	عدن	369	عمان	225	عنيزة	95
صياح	162	عذاري	370	عنبزة	481	عنيزة	97
صيهد فضيحة	309	عرفات	433	عنيزة	1	عنيزة	98
ضبا	364	عرفة	226	عنيزة	12	عنيزة	99
ضرغط	429	عرق سبيع	48	عنيزة	28	عنيزة	100
ضرما	20	عروى	50	عنيزة	36	عنيزة	102
ضرما	85	عروى	140	عنيزة	37	عنيزة	104
ضرما	121	عروى	382	عنيزة	39	عنيزة	105
ضرما	122	عسير	65	عنيزة	40	عنيزة	106
ضرما	124	عسير	95	عنيزة	41	عنيزة	107
ضرما	193	عسير	101	عنيزة	50	عنيزة	108
ضرية	96	عسير	300	عنيزة	52	عنيزة	111
ضرية	131	عسير	333	عنيزة	54	عنيزة	119
ضرية	240	عشيرة	182	عنيزة	55	عنيزة	123
ضرية	383	عشيرة	183	عنيزة	60	عنيزة	128
ضرية	423	عشيرة	290	عنيزة	66	عنيزة	130
ضرية	437	عشيرة	294	عنيزة	67	عنيزة	131
ضرية	450	عشيرة	295	عنيزة	68	عنيزة	132
ضرية	451	عشيرة	296	عنيزة	69	عنيزة	133
ضرية	452	عشيرة	299	عنيزة	70	عنيزة	133
ضرية	489	عشيرة	300	عنيزة	71	عنيزة	134
ضواحي مكة	433	عشيرة	342	عنيزة	72	عنيزة	135
طابة	36	عشيرة	380	عنيزة	72	عنيزة	136
طلال	124	عشيرة	418	عنيزة	73	عنيزة	144
طلال	431	عشيرة	437	عنيزة	87	عنيزة	148
طلال	452	عفيف	414	عنيزة	88	عنيزة	149
طلال	453	عقبة مصر	521	عنيزة	89	عنيزة	150
طويق	264	عقيل	83	عنيزة	90	عنيزة	151
عالية نجد	125	عقيلان	472	عنيزة	91	عنيزة	155
عبل مقذل	414	علقة	137	عنيزة	92	عنيزة	156
عثماني	369	عمان	102	عنيزة	93	عنيزة	171
عدن	267	عمان	120	عنيزة	94	عنيزة	172

نجد	79	نجد	198	نجد	362	نجران	76
نجد	83	نجد	203	نجد	364	نجران	101
نجد	84	نجد	205	نجد	380	نجران	102
نجد	85	نجد	206	نجد	380	نجران	521
نجد	87	نجد	218	نجد	382	نجران	523
نجد	90	نجد	222	نجد	383	نعام	7
نجد	96	نجد	225	نجد	385	نعجان	163
نجد	98	نجد	226	نجد	399	نفود الغميس	148
نجد	100	نجد	227	نجد	400	نفي	96
نجد	102	نجد	228	نجد	402	نفي	97
نجد	111	نجد	230	نجد	411	نفي	114
نجد	119	نجد	233	نجد	416	نفي	199
نجد	121	نجد	240	نجد	417	نفي	229
نجد	124	نجد	241	نجد	418	نفي	230
نجد	125	نجد	242	نجد	441	نفي	233
نجد	127	نجد	243	نجد	443	نفي	235
نجد	128	نجد	244	نجد	452	نفي	301
نجد	138	نجد	245	نجد	458	نفي	323
نجد	140	نجد	251	نجد	458	نفي	408
نجد	141	نجد	263	نجد	464	نقرة (بني خالد)	516
نجد	146	نجد	267	نجد	468	نقرة بني خالد	351
نجد	154	نجد	272	نجد	471	نقرة بني خالد	363
نجد	155	نجد	273	نجد	472	هدان	225
نجد	156	نجد	280	نجد	473	هكران	116
نجد	158	نجد	309	نجد	475	هكران	154
نجد	164	نجد	317	نجد	481	هلالية البو غنام	543
نجد	169	نجد	339	نجد	503	وادي البويطن	540
نجد	170	نجد	340	نجد	522	وادي الجفن	522
نجد	171	نجد	349	نجد	523	وادي الحمض	462
نجد	177	نجد	351	نجد	524	وادي الدواسر	47
نجد	185	نجد	359	نجد	431	وادي الدواسر	56
نجد	197	نجد	361	نجد	432	وادي الدواسر	64